عمـل المـرأة

بيـن

الأديان والقوانين ودعاة التحرر

زكى على السيد أبو غضـة

بسم الله الرحمن الرحیم

عمل المرأة

بين

الأديان والقوانين ودعاة التحرر

الطبعة الأولى
٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨ هـ

أبو غضة ؛ ذكي على السيد
عمل المرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرير
ذكي على السيد أبو غضة ـ ط١ ـ المنصورة :
دار الوفاء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧
٥٥٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٩٧٧١٥٠٥٥٤٨
رقم الإيداع : ٢٣٣٩١ / ٢٠٠٦
I.S.B.N: 977 – 15 – 0554 – 8
١ـ المرأة في الحياة العامة أ ـ العنوان
٢ـ المرأة في الإسلام ٣٠١,٤١٢

إهداء

* إلى كل من يعتز بدينه ، ويؤمن بربه ، موقنًا أن طاعة الله هي العبادة ، وهي السبيل لرضاه والفوز بتقواه ، وهى طريق الخلاص .

* أتقدم بهذه الدراسة آملاً أن تنبه الغافل ، وتوقظ النائم ، وترشد الجاهل ، محذرًا بصوت يهدر كالبركان دعاة وادعاءات تحرر المرأة السافر وعملها المطلق ، الهادف إلى نبذ تعاليم الأديان ، وتعرية الأبدان ، وقمع كل فضيلة ، وإحياء كل رذيلة ، وذلك تحت شعارات براقة كالمشاركة في التنمية وحق المساواة الكاملة مع الرجال .

وهم كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٩، ١٠] .

* يا علماء كل الأديان تكاتفوا وتعاونوا ؛ حتى لا يصبح الشذوذ الجنسي فضيلة ، والعفاف رذيلة .



المقدمة
وخطة الكتاب



المقدمة وخطة الكتاب

المرآة الصافية المتلألئة المُعَدة جيدًا لوظيفتها ، قد تضفي على الصور رونقًا وجمالاً ، أما المعتمة المظلمة سيئة الإعداد ، فستجعل الصور حتمًا مزرية قبيحة ، والمرآة لا تختلف عن المرأة لُغويًا إلاَّ في مد الألف ، أمَّا عمليا فالمرأة تعكس صورة الأسرة والمجتمع والحضارة الإنسانية ، فإن أجيد إعدادها لوظيفتها الأساسية التي خلقها الله من أجلها ، وهي الزوجة الصالحة والأم البارّة ، زانت الأسرة وعلت بالمجتمع وارتقت بالحضارات ، وإن لم تُعَد لذلك ، وأُعِدَت لمنافسة الرجال أعمالهم ـ إلاَّ لضرورات شرعية ـ فسلبت أرزاقهم ، وسرقت أقواتهم ، شانت الأسرة وهوت بالمجتمع ، وأهوت بالحضارات ، ومن ثم فإن تنظيم عمل المرأة داخل بيتها وخارجه وما يترتب عليه من حقوق وواجبات وآداب وأخلاق وتقاليد ، قد يكون الأساس القويم لبناء الأمم ، وقد يصبح هو معول هدمها .

فالأمم التي تهز مهد الوليد بيديها الضعيفتين هي مربية الملوك والسادة ، وهي أيضًا مربية السفهاء والصعاليك ، وكم من امرأة أتت بملك قد ضاع ، وأخرى ذهبت بملك قد ساد .

والحقيقة التي لا إنكار لها ، أن النساء يستطعن منافسة الرجال في كثير من الأعمال ، ولا يوجد رجل واحد من البشر أجمعين يستطيع القيام باليسير من وظيفة النساء الفطرية .

والواقع أن كافة الأديان وكتبها السماوية [١] لا تدعو أو تروج لعمل النساء المطلق خارج البيت ، كما أنها تدعو وتنظم آداب الحجاب والعفة وحفظ حياء وشرف النساء ، وقد أوضحنا ذلك في **الباب الأول من هذا الكتاب** ، متخذين الصدق والأمانة والحيدة الكاملة الأسس القويمة والميزة الهادية لنا في هذا الباب .

الباب الثاني : وبينا فيه العوامل التي أدت إلى الحاجة لعمل المرأة حديثًا ، ومنها الحروب العالمية ، والثورة الصناعية ، وتحرير العبيد ، وكيف استغل رجال الصناعة والتجارة والمال المرأة كصناعة بأزهد أجر ، ثم كمستهلكة بأعلى سعر ، وتحولهم من تجارة

---

(١) نقصد بالأديان السماوية : اليهودية والمسيحية والإسلام ، وعندما نستشهد بالتوراة والإنجيل الحاليين المحرفين ـ وفقًا لتعاليم الإسلام ـ فإننا نسوق ما جاء بهما من فقرات بغض النظر عن صحتها من عدمه .

الرقيق الأسود إلى تجارة الرقيق الأبيض ، فظهرت صناعة التجارة بأجساد النساء ، واستخدمت الفتنة والأنوثة والجمال في مهن كثيرة كعارضات الأزياء والموديلات العارية والغناء والتمثيل والرقص، فأصبح العري والفجور تجارة رائجة تدر الأموال وتعلي الأقدار ، فصار الطهر والعفاف والفضيلة لا موقع لها من احترام أو كسب ثراء أو تحقيق شهرة ، وذلك كله تنفيذا لبروتوكولات حكماء صهيون .

وقد عرضنا آراء الفيلسوف الكبير « جورج برنارد شو » وتنبؤاته بما سيصل إليه حال النساء اليوم ، كما بينا آراء المؤيدين لعمل المرأة المطلق ومنهن : « د / نوال السعداوي» ، « فريدة النقاش » وغيرهما ، وقمنا بانتقاد آرائهم والرد عليهم ، مسترشدين بآراء رجال الدين والفلاسفة والمفكرين الإسلاميين وغيرهم .

الباب الثالث : وفيه أثبتنا ارتباط دعاوى تحرر المرأة وعملها المطلق بالاستعمار العسكري الدموي ، الذي يخدم الغزو الفكري المهلك للعقول ، والذي بدأ حديثًا بالحملة الفرنسية على مصر ، وانتهى بالحملة الصليبية الأمريكية على أقطار الأمة الإسلامية ، مرورًا بالاحتلال الإنجليزي والأوروبي للوطن العربي والإسلامي .

وقد قارنا بين الغزو الإسلامي الرحيم الهادف لنشر دين الله بالحُسنى دون إجبار أو إكراه ، أو امتصاص لمقدرات وثروات الشعوب ، وبين الغزو الصليبي المهلك للنفوس والمضل للعقول ، والذي يبغي التنصير بالإكراه أو بالاستغلال الاقتصادي والمالي .

هذا ، وقد قمنا بعرض بعض السير الذاتية لدعاة تحرر المرأة ومنهم : «قاسم أمين» ، «هدى شعراوي » ، « نبوية موسى » ، « د/ نوال السعداوي » وغيرهن ، وتركنا للقارئ تحليل مفتاح شخصياتهم لِيُحكِمْ أَهُمْ أهل تنوير كما يقال أم أهل بدع وضلال ؟!

كما تكلمنا عن تطور فكر دعاة عمل المرأة المطلق ، وكيف بدأ بالمشروع وانتهى بالممنوع أي : بدأ بما يوافق الدين ، وانتهى بما يخالفه ، وبالطبع استلزم تطور الفكر تطور المؤسسات الداعية إليه ، والتي بدأت فردية ثم صارت جماعية وحاليًا عالمية ، كعصبة الأمم المتحدة ومؤتمراتها « تآمراتها » ، وكيف نادى الجميع بنبذ تعاليم الأديان علانية ، وهاجموا المؤسسات الدينية كالأزهر الشريف والكنيسة البابوية ، وحاولوا النيل من رجال الدين ، وقد قمنا بالرد على هؤلاء وإثبات عفانة دعواهم .

الباب الرابع : وهو من أهم أبواب الكتاب ، فهو عن دعاوى تحرر المرأة ، الأسس والمبادئ ، فالإنسان المتمرد بطبعه الدائم العصيان بطبيعته ، الذي وصفه خالقه فقال : ﴿إِنَّ

الإنسان ليطغى ﴿٦﴾ أن رآه استغنى ﴾ [العلق : ٦ ، ٧] ، ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ [الكهف : ٥٤] ، ﴿ إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [إبراهيم : ٣٤]، كلما تقدم علميا تخلف روحيا وفكريا ، ونسى ضعفه بالنسبة لخالقه : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [النساء : ٢٨]، لم يرتض بشرائع الله وأحكامه ، وابتدع قوانين وضعية وضيعة ظنًا منه ، أنها تصلح لإعادة النور لحياته التي أظلمت بابتعاده عن ربه ونبذه لأحكامه .

هذا وقد ادعَوْا أن الإنسانية جمعاء ظلمت النساء ، بداية من الله ـ والعياذ بالله ـ حتى الدين ومؤسساته ورجاله ، وسبب ذلك هو الخوف من قوة النساء الجنسية ومحاولة السيطرة الإقتصادية على النساء ، كما أن نظام الأسرة الأبوية ساعد على استرقاق النساء ـ حسب ظنهم ـ وبناء عليه فقد أنكر دعاة تحرر المرأة وعملها المطلق وظيفة المرأة كزوجة وأم ، كما استهان بها البعض وطالب بأن تكون هذه الوظائف النسائية من واجبات المجتمع لا النساء، وقد تمادى البعض في غيه ، فحاول إثبات أن المرأة أقوى من الرجل جسديا وعقليا ، وقد قمنا بالرد على هؤلاء وإثبات كذب ادعاءاتهم مسترشدين بآراء بعض العلماء الأجلاء للدين، وللاجتماع كـ « شيري أورتنر » ، « باسونز » وغيرهما .

وأود أن يسامحني القارئ العزيز ، فقد طالت الدراسة لاضطرارنا في الرد إلى الخوض في كثير من المسائل التي قد يظن البعض أنها بعيدة عن موضوع الكتاب ، ومنها : رأي الدين في الفنون ، العلاقة بين عمل النساء والبطالة والعنوسة ، التكاثر الإنساني ومسؤولية الرجل عن تحديد نوع الجنين ، مخازي التدخل السياسي والدبلوماسي والعسكري كإجبار الدول على إلغاء أحكام الأديان المنظمة لحياة النساء ، واستبدالها بقوانين تبيح فجور النساء، مما أكثر من فصول الكتاب ومباحثه ، فاضطررنا لإكمال تلك الدراسة بكتاب آخر تحت عنوان « المساواة بين الرجل والمرأة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » وسيطبع مع هذا الكتاب إن شاء الله .

وعذري الوحيد هو الطمع في الاقتراب من كمال الدراسة ، وفي جميع الأحوال أشكر الله الذي وفقني وأعانني لكتابة هذه الدراسة ، مؤمنًا بقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ ، داعيًا ربي عز وجل بأن تجد كلماتي هذه آذان صاغية وقلوب واعية .

والحمد لله رب العالمين

المؤلف



الباب الأول

عمل المرأة في الكتب والأديان السماوية

الفصل الأول : عمل المرأة فى التوراة والديانة اليهودية .

الفصل الثانى : عمل المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية .

الفصل الثانى : عمل المرأة فى الإسلام .



الباب الأول

عمل المرأة في الكتب والأديان السماوية [١]

توطئة :

يُعد التقدم العلمي والحضاري أحد ثمار التقدم الفكري ، وسمو العقل ، وازدهار الفكر يبلغ أشده في المجتمعات المتقدمة علميًا وحضاريًا .

والعلم والمعرفة وإعمال الفكر هم طريق اليقين لمعرفة الله والإيمان به ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨]، ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٤ ، ٥] .

ومع ذلك فقد يؤدي التقدم العلمي إلى عبادة العلم من دون الله ، رغم تحذير الله لنا ألا ينسينا العلم علاَّم الغيوب ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥].

فقد يظن الإنسان ـ خطأ ـ أنه وصل إلى منتهى العلم ، فينسى الخالق ، وهذا ما حدث لأول رائد فضاء روسي شيوعي ، وهو « يوري جاجارين »[٢] الذي دار حول الأرض فقال عندما خرج خارج الغلاف الجوي : أين الله الذي يدعي وجوده أهل الأديان؟ فتحقق فيه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وللأسف ، فقد قلدت الحضارة الغربية وديناها المسيحي واليهودي ، «جاجارين» الذي لا يؤمن بدين ، فقد انحرف بها التقدم الحضاري والعلمي عن اتباع أحكام دينهم في كثير من الأمور ، ودعا رجال الفكر والتعليم والثقافة والإعلام إلى عبادة إله جديد لم يُعرف من قبل أسموه « العلمانية » أي : إبعاد تعاليم الأديان من شتى مناحي الحياة ، فظهرت دعاوى تحرر المرأة وعمل المرأة ، وحرية المرأة في جسدها تزني متى وأين وكيف شاءت ، وتلك الدعاوى وغيرها هي أقصر طريق لفناء الحضارات ، وقد حذرهم الله في القرآن فقال :

---

(١) نقصد بالكتب السماوية : التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، والأديان هي « اليهودية والمسيحية والإسلام » بغض النظر عما يراه أهل كل دين في صحة كتب وعقائد الديانات الأخرى .

(٢) أذله الله ، فمات بعد أن سقطت به طائرة تدريب ، فاحترقت به على الأرض !!

﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [1] [الأعراف : ١٠٠] ، كما قال : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

وفي هذا الباب ، سنحاول جاهدين أن نُذكر كل البشر بأحكام عمل المرأة في الأديان الثلاثة ، مذكرين المسلمين وناصحين ألاَّ ينساقوا خلف دعاوى كاذبة نتنة تروج لها السياسات الغربية ، بواسطة الدول الغربية بلا استثناء والمنظمات الدولية المسيطرة عليها كالأمم المتحدة ، والإعلام الغربي المسيطر على فكر العرب والمسلمين ، وكلها خاصة بحريات المرأة التي لا تتوافق مع أحكام الدين الإسلامي ، وقد حذرنا الله من ذلك ، فنصحنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥].

وسيتضمن هذا الباب الفصول التالية :

الفصل الأول : عمل المرأة في التوراة والديانة اليهودية .

الفصل الثاني : عمل المرأة في الإنجيل ، والديانة المسيحية .

الفصل الثالث : عمل المرأة في الإسلام .

* * *

---

(١) المراد بالآية : أن الحضارات ، بعد الحضارة الإسلامية ، إن لم تتبع منهج الله ، فسوف يذهب الله بحضارتهم ؛ بما يفعلونه من ذنوب ، ومنها الابتعاد عن شريعة الله ، والله أعلم .

الفصل الأول

عمل المرأة في التوراة والديانة اليهودية

المبحث الأول : وظيفة المرأة فى التوراة .

المبحث الثانى : أعمال احترفتها النساء ذُكِرَت بالتوراة .

المبحث الأول
وظيفة المرأة في التوراة

أوضحت التوراة : أن هدف الله من خلق المرأة « حواء » هو أن تكون معينة «مساعدة» للرجل « آدم » ، وتتمثل هذه المساعدة في كونها الأنيس له ، حتى لا يكون وحيدًا ، والمشاركة له في اتخاذ القرارات ، مع حقه الكامل في القيادة وواجب طاعة المرأة له في غير معصية .

ولكن المرأة ـ حسب التوراة والإنجيل ـ أخطأت في أول اختبار لها ، فأضلت زوجها وأغوته ، فأكلت من الشجرة المحرمة أولاً ، ثم ناولته ثانيًا لتشركه في الإثم ، فكان عقابها أن تحمل النسل ، وتلد الأطفال ، وترعاهم ، وتخدم الرجل فهو زوجها وسيدها المطاع[1].

أولاً : دور المرأة في حياة الرجل :

*** هي المعينة :**

أي : المساعدة للرجل لا المنافسة المتطاولة عليه : **« ثم قال الرب الإله : ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيدًا ، سأصنع له معينًا مشابهًا له »** [التكوين : ٢ : ١٨] .

*** هي التابعة للرجل ؛ لأنها منه خُلِقَتْ :**

« فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ، ثم تناول ضلعًا من أضلاعه وسد مكانها باللحم ، وعمل من هذا الضلع المرأة وأحضرها إلى آدم » [التكوين : ٢١ ، ٢٢] .

*** هي السكن والراحة وموضع الشهوة (اللذة) :**

« فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ..لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويصيران جسدًا واحدًا» [التكوين : ٢ : ٢٣ ، ٢٤] .

إن المرأة هي معين أي : مساعد للرجل ، وحيث إنها خلقت منه ، فلابد من وجود الميل الفطري الطبيعي للالتصاق بالرجل حتى يصيران جسدًا واحدًا كما كانا ، وذلك عن

---

(١) نود تنبيه القارئ أن هذا هو ما جاء في التوراة والإنجيل ، أما في الإسلام ، فقد كانت المسؤولية عن الخطيئة تقع على آدم بصفته المسؤول عن قيادة حواء ، رغم أن كليهما أكل من الشجرة .

طريق الزواج الشرعي والمعاشرة الزوجية .

*** فشل المرأة كمعين لآدم « حسب الاعتقاد اليهودي »** [1] :

المُعين هو المساعد، والمساعد له حق إبداء الرأي والمشورة ، كما أن للمعان حق اجتهاد المعين له في تحقيق رغباته ، وقد فشلت المرأة كمعين لآدم في أول تجربة ، فكانت بئس المعين ، حيث إنها أول من غوى وأكل من الشجرة المحرمة ثم ناولت زوجها آدم ليأكل ، وبذلك صارت المعينة أول خاطئة ، وكانت إعانتها لآدم سبب أول خطيئة له أوردته وذريته الهلاك : «**وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون ، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت ثم أعطت زوجها أيضًا فأكل معها** » [تكوين : ٣ : ٦].

وهنا يلاحظ ضعف المرأة أمام الإغراءات ، فالشجرة لذيذة ، شهية للعيون ، أي : جميلة المنظر ، فأكلت أولاً ثم أطعمت زوجها ، فهي ضعيفة الإرادة أمام الإغراء .

*** عقاب المرأة والرجل والذي حدد طبيعة كل منهما في الحياة :**

أما عقاب المرأة : فهو أنت تكون مهمتها هي الزوجة وأم الأولاد الذين ينجبون بالآلام « **... أكثر تكثيرًا أوجاع مخاضك ، فتنجبين بالآلام أولادًا ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك** » [تكوين : ٣ : ١٦] .

وهنا اكتملت صورة المرأة كزوجة وحددت علاقتها المتبادلة مع الرجل ، هو يترك أباه وأمه ليلتصق بامرأته حتى يصيرا جسدًا واحدًا ، وهي تبادله نفس الشعور ، فإلى زوجها يكون الاشتياق ، وهذان التعبيران من أجمل أوصاف الشهوة المتبادلة والعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة ، وفي المجال الزوجي والاجتماعي الرجل سيد المرأة ؛ لأنه صاحب القرار « المتسلط » أي : الآمر الناهي .

أما عقاب الرجل : فهو الكد والشقاء والعمل الدائم الدائب منذ قدرته عليه حتى موته «.. **فالأرض ملعونة بسببك وبالمشقة تقتات منها طوال عمرك شوكًا وحسكًا تنبت لك ، وأنت تأكل عشب الحقل ، بعرق جبينك ، تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، فمن تراب أخذت ، وإلى تراب تعود** » [التكوين : ١٧ : ١٩] .

إذن الرجل هو الذي يعمل والمرأة وظيفتها المنزل ، فهي محل الشهوة ووعاء الحمل

---

(١) انظر كتابنا : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص١٨٧ : ١٩٢ ، ط/ دار الوفاء بالمنصورة .

والإنجاب ، وهو المسيطر وصاحب حق الإدارة « القوامة » ، وبذلك يتحقق أنها «معين للرجل » .

وتقول الموسوعة اليهودية في ذلك [١]: « رأى التوراة في أصل المرأة تم التعبير عنه في كونها خلقت لخدمة الرجل كمساعد مناسب له ، فقد تكونت من أحد الأضلاع للرجل الأول « آدم » ويرتبط جوهر المرأة كمخلوق إنساني بوظيفتها كرفيقة للذكر ، ومع ذلك ، فإنه قيل : إن المرأة لعبت دورًا أساسيًا في تقديم العصيان في جنة عدن » .

وعن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة تقول الموسوعة اليهودية : « في علم الأجناس البشرية في التوراة ، كان السبب الأول في وجود الجنسين هو الحاجة للتكاثر ، فالكائن البشري وُلِدَ من امرأة ، وكانت العلاقة الزوجية أكثر ودًا وحميمية من تلك العلاقة بين الوالد والمولود ، وكانت الوظيفة الرئيسية للمرأة هي حمل الأطفال ، وكانت الزوجة الجيدة والأم الجيدة تتمتع بالمديح من زوجها وأولادها ، وكان عدم إنجاب الأطفال سببًا في التوبيخ والمعاناة الشخصية» .

وصفات المرأة ، جيدة أو سيئة ، كانت مضرب الأمثال ، فقد كانت السخرية من كل صفاتها : الحمقاء ، المبتهجة والجميلة ، ومن ناحية أخرى تم تكريم المرأة الفاضلة ، وقد جسدت المرأة صفات الجد ، والبهجة ، والمديرة الجيدة ، والماهرة في أعمال المنزل ، والكريمة في اهتمامها بالآخرين .

ثانيًا : صفات الزوجة الصالحة في التوراة :

أثنت التوراة على الزوجة الصالحة على وجه الخصوص ، فأعلت من شأنها ، وارتقت بها فما قالته عنها :

« المرأة الفاضلة تاج لبعلها ، أما المخزية فكنخر في عظامه » [الامثال : ١٢ : ٤] [٢] .

« حكمة المرأة تبني بيتها ، والحَمَاقَةُ تهدمه بيدها » [الامثال : ١٨ : ٢٢] [٣] .

« من يجد زوجة يجد خيرًا ، وينال رضى الرب » [الامثال : ١٨ : ٢٢] .

---

(١) « الموسوعة اليهودية » : فصل الحالة التي خلقت عليها المرأة .

(٢) النخر في العظام : مرض يأكل العظام فيفتتها ويلينها ، فيذهب بصلابتها وقوتها .

(٣) الحماقة : الجهل وقلة العقل وانعدام الحكمة .

«البيت والثروة ميراث من الآباء،أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» [الأمثال: ١٩: ١٤].

ثالثًا : صفات المرأة « الزوجة » الطالحة في التوراة :

كما أثنت التوراة على الزوجة الصالحة ، فجلعتها أغلى من كنوز الأرض ، فقد رأت في الزوجة الطالحة الفاسدة الخراب والدمار ، فجاء فيها :

« ومخاصمات الزوجة كنقر قطرات المطر المتتابعة »[١] [الأمثال : ١٩ : ٣٣] .

« والمرأة المشاكسة سيَّان ، من يكبح جموحها ، كمن يكبح الريح ، أو كمن يقبض على زيت بيمينه » [الأمثال : ٢٧ : ١٥] .

« السُكنى في أرض برية ، خير من امرأة مخاصمة حردة »[٢] [الأمثال : ٢١ : ١٩] .

كما تقول عن المرأة التي لا تحمي أو تحافظ على عفتها وشرف زوجها :

« المرأة الجاهلة صَخابَة « عالية الصوت » حمقاء ، ولا تدري شيئًا ، فتقعد عند باب بيتها ، على كرسي في أعالي المدينة ، لتنادي على عابري السبيل .. من هو جاهل فليمل إلى هنا» [الأمثال : ١٣ : ١٦] .

رابعًا : مهام وواجبات الزوجة الصالحة ـ كربة منزل ـ في التوراة :

« إمرأة فاضلة من يجدها ؛ لأنَّ ثمنها يفوق اللآلئ بها يثق قلب زوجها ، فلا يحتاج إلى غنيمة ، تصنع له خيرًا لا شرًا كل أيام حياتها ، تطلب صوفًا وكتانًا ، وتشتغل بيدين راضيتين ، هي كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيد ، تنهض والليل ما برح مخيمًا ، لتعد طعامًا لأهل بيتها ، وتدبر أعمال جواريها تتفحص حقلاً وتشتريه ، ومن مكسب يديها تغرسُ كرمًا تنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها وتدرك أن تجارتها رابحة ، ولا يطفئ سراجَها في الليل ، تقبض بيديها على المغزل وتمسك كفاها بالفلكة ، تبسط كفيها للفقير وتمد يديها لإغاثة البائس ، لا تخشى على أهل بيتها من الثلج ؛ لأن جميعهم يرتدون الحُلل القرمزية ، تصنع لنفسها أغطية موشاة ، وثيابها محاكاة من كتان وأرجوان ، زوجها معروف في مجالس بوابات المدينة ، حيث يجلس بين وُجهاء البلاد ، تصنع أقمصة كتانية وتبيعها ،

---

(١) يقصد أن : مشاجرات ومشاحنات الزوجة السيئة كالمطر الكثيف المؤدي إلى سيل مهلك ، ومقاومتها كمن يقاوم ريحًا صرصرًا عاتية ، وكمن حاول إمساك زيت والقبض عليه بيده .

(٢) يقصد أن : النفي في الصحراء خير من معاشرة امرأة عنيدة شرسة .

وتزود التاجر الكنعاني بمناطق ، كساؤها العزة والشرف وتبتهج بالأيام المقبلة ، ينطق فمها بالحكمة ، وفي لسانها سنة المعروف ، ترعى بعناية شؤون أهل بيتها ، ولا تأكل خبز الكسل، يقوم أبناؤها ويغبطونها ، ويطريها زوجها أيضًا قائلاً : نساء كثيرات قُمْن بأعمال جليلة ، ولكنك تفوقت عليهن جميعًا ، الحسن غش والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهي التي تمدح ، أعطوها من ثمر يديها ولتكن أعمالها مصدر الثناء عليها » [الامثال : ٣١ : ١٠ - ٣١].

والفقرات السابقة أوضحت بأسلوب رقيق بليغ شيق مهام الزوجة داخل بيتها ، وأيضًا مساعدتها لزوجها وعائلتها داخل البيت ، وخارجه عند الضرورة فيما يناسبها من أعمال ، وهذا هو مفهوم « المعينة للرجل » .

* * *

المبحث الثاني

أعمال احترفتها النساء ذكرت بالتوراة

بالرغم من الإيمان والأمر باعتبار وظيفة المرأة الأساسية هي الزوجة والأم بكل ما تحمله الكلمتان على بساطتهما المتناهية من معان ، وما تحملها من تبعات عظام ومسؤوليات ينوء بحملها الرجال مع قوتهم ، إلاَّ أن المرأة ساعدت الرجل في أمور أخرى ، ووظائف في الكثير من مناحي الحياة ، منها : الأعمال الصالحة ، ومنها : المخزية .

أولاً : الأعمال الصالحة التي احترفتها النساء :

١ ـ المرأة كراعية غنم ، ومسؤولة عن إمداد البيوت بالماء :

كانت راحيل زوجة يعقوب وأم يوسف راعية أغنام « **وفيما هو يكلمهم (يعقوب) أقبلت راحيل مع غنم أبيها ؛ لأنَّها كانت راعية أيضًا** » [التكوين : ٢٩ : ٩] .

كما كانت زوجة موسى « صفورة » راعية أغنام أيضًا ، وجاء عن قصة زواج موسى بها في التوراة : « **أنه بعد قتل موسى للمصري خاف وهرب من وجه فرعون مصر إلى أرض مديان ، فبلغها وجلس على البئر ، وكان للكاهن مديان سبع فتيات ، فأقبلن واستقين ماء وملأن الأجران « الأوعية » ليسقين غنم أبيهن ، فأتى الرعاة وطردوهن ، غير أن موسى هب لنجدتهن وسقى غنمهن ، وعندما رجعت الفتيات إلى رعوئيل أبيهن سألهن : ما لكن بكرتن بالرجوع اليوم ؟ فأجبنه : رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة ، فاستقى لنا ولغنمنا أيضًا ، فسألهن : وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل ؟ ادعونه ليأكل طعامًا ، وقبل موسى أن يقيم مع الرجل الذي زوجه من ابنته صفورة** » [1] [الخروج : ٢ : ١٥ ـ ٢١] .

---

(١) القصة جاءت في القرآن الكريم في « سورة القصص » :

وترجع أهمية هذه القصة بما فيها من نساء : أنها تمثل شريعة عمل المرأة وما تحتويه من أسس ومبادئ علمية وأخلاقية ، فقد خرج موسى عليه السلام هاربًا من وجه فرعون وقومه ، حتى وصل أرض مدين ، منهك القوى ، ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ٢١] ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣].

لم يكن بأرض مدين أو حول هذا البئر من هو أشد خطبًا من موسى عليه السلام ، فهو طريد يترقب القبض عليه وعقابه ، وهو فقير ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ =

= [القصص:٢٤] ، ولا عائل له ولا عمل يتكسب منه ، ومع كل ذلك فقد تعجب من خروج المرأتين لهذا العمل المضني ، واعتبر ذلك مصيبة فقال لهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص : ٢٣] ، وهاتات البنتان أدركتا ما هم به من خطب ـ مصيبة ـ فسارعتا بإجابة توضح أنهما فوق كل شبهة ، وأن عملهما لحاجة وسبب قوي وشرعي ، وأنهما في مزاولة هذا العمل لم يزاحما الرجال ، واحترمتا أنوثتهما فقالتا : ﴿ لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ [القصص : ٢٣] ، وهذا هو الشق الأخلاقي الكريم .

أما سبب الخروج للعمل ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] ، فلم يكن هناك في العائلة من يستحق التكليف بهذا العمل أو من يستطيعه ، وهذا من منهج الإسلام في ضرورة عمل المرأة وآداب العمل .

المهم ساعدهما موسى ، وهو لا يبتغي أجرًا سوى مساعدة الضعيف ، وحفظ كرامة المرأتين، ولم يستغل ذلك في التودد لهما أو التقرب إليهما، وقد قصت المرأتان لأبيهما قصة هذه الغريب ومساعدته لهما بأدب جم واحترام وافر، فأرسل يستدعيه، ويظهر أدب المرأة الواجب تخلقها به حتى لو غادرت بيتها ، وتركت حضنها وخدرها ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢٥].

خافت المرأة عند رجوعها أن يظن بها هذا الغريب أي: ظن سوء ، فجاءت ﴿ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ، إن المشى أو السير يكون على الأرض ولكن التعبير القرآني يوضح أنها من فرط الحياء كانت لا تحس بخطواتها على الأرض ، فقد تملكها الحياء من قمة الرأس إلى الأرض التي تسير عليها ، وقبل أن يتكلم موسى بادرته قائلة ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ ، وانتهت الرسالة ، فمن حسن الحياء الكلام بقدر وعند الاقتضاء فقط .

ذهب موسى معها ومن كلام أبيها معه تنبأت إحدى الابنتين أن والدها سيستعين به في العمل ويأويه ويحميه﴿ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢٥] ، فلم تشأ أن يعيش معهما أو بالقرب إلا رجل فاضل هم جميعًا في حاجة إليه ، فنطقت بأسمى حكمة لتنظيم العمل والعمالة فقالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] .

وكان هذا الأب الحكيم يبغي الزوج الصالح لبناته وينتظره بفارغ الصبر ،وخاف =

٢ ـ إمداد البيوت بالماء الصالح للاستعمال :

وكان من عمل المرأة الأساس والذي لا يقتحمه الرجال ـ إلاَّ نادرًا أو لضرورة ـ ملء الجرار ومد البيوت بالماء النظيف من الآبار .

وقد جاء بالتوراة أن عبدًا لإبراهيم ذهب ليختار زوجة لإسحاق ، فاختار المكان المناسب لتجمع الفتيات ليختار منهن الجميلة المناسبة « **ها أنا واقف عند بئر الماء حيث تقبل فتيات أهل المدينة ، فليكن إن الفتاة التي أقول لها : ضعي جرتك لأشرب منها ، فتجيب : اشرب وأنا أسقي جمالك أيضًا تكون هي التي اخترتها « الله » لعبدك إسحاق** » [التكوين : ١٣ ، ١٤ : ٢٤] .

هذا ، وقد تحقق طلب العبد ، فجاءت رفقة « **اسم فتاة .. وكانت الفتاة رائعة الجمال، عذراء لم يمسها رجل ، فنزلت إلى العين وملأت جرتها ثم صعدت** » [التكوين : ٢٤ : ١٦].

٣ـ المرأة كعاملة في الحقل بشؤون الزراعة :

تذكر التوراة عندما حل الفقر والفاقة براعوت المؤآبية مع حماتها نُعمى اضطرت للعمل في الحصاد بالحقل لتعول نفسها وحماتها، فذهبت فقال لها صاحب الحقل : « ... **استمعي يا ابنتي ، امكثي هنا لتلتقطي السنابل ولا تذهبي لحقل آخر ، ولازمي فتياتي العاملات فيه ...**» [راعوث : ٢ : ٨] .

فتعبير « فتياتي العاملات فيه » يوضح أن المرأة كانت تعمل لضرورة ، وفي حالة الفقر والعوز والحاجة أو العبودية في أعمال الزراعة » [(١)].

وقد أوصى صاحب الحقل « بوعز » برعاية العاملات فيه ، ومنهم « راعوث » .

= وجود غريب وسط ابنتيه ، فقال له :﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٧] ، وقد وافق موسى على الاتفاق فقال : ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص : ٢٨] .

وقد أوفى كلاهما باتفاقه فعمل موسى لدى حميه عشر سنوات كاملة ، وهي أوفى الأجلين كما جاء بأحاديث رسول الله ﷺ والقصة توضح آداب العمل ، وما يجب أن تتخلق به النساء من حكمة وحياء وأدب موفور .

(١) انظر كتابنا : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص١٩١ ، ط / دار الوفاء بالمنصورة.

« ... فقد أوصيت الغلمان ألا يمسوك بسوء ، وإذا شعرت بالعطش ، فاذهبي واشربي من الآنية التي ملأوها » [راعوث : ٩ ، ١٠] .

وهنا يظهر جليًا أدب من آداب مساعدة المرأة في العمل عند الضرورة ، وإعانتها عليه، فصاحب الحق يوصي بالعاملة خيرًا ، ويأمر الرجال بحمايتها وعدم التحرش بها أو إهانتها ، كذلك أوجب لها حق كرامة والشرب عند العطش .

٤ ـ العمل طبيبة « مولدة للنساء » :

جاء بالتوراة أن فرعون مصر أمر قابلتين يهوديتين بقتل مواليد اليهود خوفًا على ملكه، إلا أنهما لم ينفذا أوامره : **« ثم قال ملك مصر للقابلتين العبرانيتين المدعوتين شفرة وفوعة: عندما تشرفان على توليد النساء العبرانيات .. فإن كان المولود صبيًا فاقتلاه ، وإن كان بنتًا فاتركاها تحيا غير أن القابلتين كانتا تخافان الله ، فلم تنفذا أمر الملك فاستحيتا الأطفال الذكور »** [الخروج : ١ : ١٥ ـ ١٧] .

ولا شك أن مهنة القابلة « المولدة » هي أول مهنة زاولتها النساء على وجه الأرض ، فهي بدأت بمولد أول أبناء آدم عليه السلام ، فحواء بلا شك هي أول طبيبة قامت بمزاولة مهنة توليد نفسها ، ثم قامت نساء من بناتها بتوليد أنفسهن وتوليد الغير .

٥ ـ المرأة كمغنية ، وراقصة ، غير محترفة وكمحترفة :

الغناء والرقص والموسيقى ، قد تكون عادة تقوم بها النساء في شتى المجتمعات وكافة الحضارات ، لإسعاد أنفسهن والتعبير عن الفرح والسرور في بعض المناسبات ، أو لتشجيع الجند للحرب والقتال ، أو احتفالاً بالنصر ، أو غير ذلك ، وقد يكون ذلك دون احتراف أي : بمقابل مادي أو بمقابل كمهنة تتكسب منها المرأة .

أ ـ مريم النبية : أخت موسى وهارون ترقص احتفالاً بالنصر :

« فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها ، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ، وأجابتهم مريم : رنموا ـ غنوا ـ للرب ، فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر » [الخروج : ١٥ : ٢٠ ـ ٢١] .

ب ـ الرقص الشعبي احتفالاً بمناسبات متعددة :

اغتصب اليهود من سبط « بنيامين » امرأة لرجل لاوى « من سبط لاوى » ، فكان ذلك سببًا في حرب عارمة بين الإسرائيليين والبنياميين » هلك خلالها خمسة وعشرون ألف

رجل من البنياميين [القضاة : ٢٠ : ٣٥] ، ثم ثمانية عشر ألف رجل [القضاة : ٢٠ : ٤٤].

أما من قتل من الإسرائيليين فكان اثنين وعشرين ألف رجل [القضاة : ٢٠ : ٤٨] ، وتم إفناء وذبح النساء أيضًا .

ومن هنا لم يعد هناك نساء للزواج ، ومما زاد الطين بلة أن رجال إسرائيل حلفوا . . لا يسلم أحد منا ابنته لبنيامين امرأة « زوجة » [القضاة : ٢١ : ١] .

ومن ثم فكان لابد من التصرف السريع للحصول على زوجات ، ولو بالسرقة والنهب وأعمال الإرهاب ، فكانت نصيحة العقلاء : « **وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه « اسم بلد» ليدرن في الرقص ، فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته** » [القضاة : ٢١ : ٢١] .

جـ ـ الغناء في الرثاء والتعزية :

كان الغناء يزاول في السراء والضراء ، فعندما مات الملك « يوشيا » ورثى « أخذ عزاء» أرميا « نبي » يوشيا « ملك » وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم وجعلوها فريضة بني إسرائيل [٢ اخبار الايام : ٢٥ : ٢٥] ، وكلمتا المغنين والمغنيات توضح أنهم محترمون أصحاب مهنة .

٦ ـ المرأة كناصحة لزوجها وحافظة لحياته وحياة غيره :

بالرغم من إيمان التوراة والديانة اليهودية بتسلط الرجل على المرأة ـ حق القوامة والنصح والإرشاد لها وواجبها في طاعته ـ إلاَّ أن هذا لا يمنع حق بعض النساء الحكيمات المتعقلات المحبات لأزواجهن من نصحهن الزوج وإرشاده ومن ذلك : ما حدث من أبيجايل زوجة نابال .

« **معنى الاسم** » بهجة أبيها ، أو كما نقول : حبيبة أبيها ، وهي مثال صاف ورائق وشفاف للمرأة الذكية الجميلة حسنة التدبير سليمة التصرف ، التي تستطيع تقويم حياة زوجها المعوجة . . . فقد جمعت بين حكمة العقل وحكمة اللسان ، وجمال الخلق والخِلقة معًا .

والقصة جاءت في سفر صموئيل الأول :

١ ـ أبيجايل زوجة كاملة لرجل غني أحمق سيئ التصرف :

« وكان هناك رجل ثري مقيم في مدينة معون ذا أملاك في الكرمل حيث كان يجز

غنمه وكانت ثروته طائلة جداً ... وكان اسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل وكانت المرأة فاتنة الجمال راجحة العقل ، أما الرجل فكان قاسيًا سيئ الأعمال » [صموئيل : ٢٥] .

٢ ـ داود يطلب من نابال أجرًا مقابل أنه لم يسلبه شيئًا وحافظ على ماله :

أرسل داود طالبًا إعانة من نابال قائلاً : « حين كان رعاتك بيننا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء طوال الأيام التي كانوا فيها في الكرمل . . . فهب عبيدك وابنك داود ما تجود به نفسك » .

٣ ـ نابال يرفض هذه الجزية أو الاستغلال بلفظ أدق ، فهب داود لقتاله :

ولكن الرجل رفض إجابة الطلب قائلاً : « من هو داود ؟ ومن هو ابن بيسي [١] قد كثر اليوم العبيد الهاربون من أسيادهم » .

٤ ـ إبلاغ الخبر لداود استعدادًا لقتال نابال :

« فانصرف غلمان داود ورجعوا إلى داود فأخبروه بكلام نابال ، فقال داود لرجاله : **«ليتقلد كل منكم سيفه ... وسار على رأس أربعمائة رجل ..»** .

وهنا تظهر التوراة « داود » **أفاقًا وقاطع طريق .**

٥ ـ ميكال امرأة نابال تتصرف بحكمة خوفًا من إيذاء داود :

علمت بالأمر امرأته أبيجايل وأدركت هلاك زوجها ، فعملت على إنقاذه .

« فأسرعت أبيجايل وأخذت مائتي رغيف خبز وزقي خمر ، وخمسة خرفان مجهزة مطبية وخمس كيلات من الفريك ومائتي عنقود عنب ومائتي قرص تين وحملتها على الحمير ، وقالت لخدامها : اسبقوني ها أنا قادمة وراءكم .. » [صموئيل : ١] .

« قابلت أبيجايل داود واعتذرت له عن حمق زوجها » [صموئيل : ٢٣ : ٢٥ ـ ٣١] ، **فتقبل منها داود الطعام وأنصت إلى الاعتذار وقال لها : « مبارك الرب إله إسرائيل الذي أرسلك اليوم للقائي ، ومباركة فطنتك ومباركة أنت ؛ لأنك جنبتني اليوم سفك الدماء والانتقام لنفسي .. فلو لم تبادري وتأتي لاستقبالي لما بقى لنابال رجل على قيد الحياة عند طلوع الصباح»** [١ صموئيل : ٢٥ : ٣٣ : ٣٤] .

وفي النهاية كانت من زوجات داود بعد موت زوجها . . . « **وأرسل داود إلى أبيجايل**

---

(١) بيسي: اسم أبي داود في « التوراة » .

يسألها الزواج منه » [١ صموئيل ٢٥] ، ووافقت .

وهذه القصة وغيرها وطدت في قلوب اليهود ضرورة امتلاك القوة للحصول على ما يشاؤون مما لا حق لهم فيه ، إلاَّ حق القوة ثم القوة وأخيرًا القوة .

كما تحدثنا التوراة : « **أن شاول أول ملك لليهود حاول قتل داود زوج ابنته ميكال ، فعلمت الزوجة بالأمر ، وساعدت زوجها داود على الهرب والنجاة » ودلته ميكال من النافذة ، فانطلق هاربًا ونجا »** [١ صموئيل ١٩] .

هذا ، ولا يمنع صغر سن المرأة الحكيمة أن تسدي النصح لقائد كبير .

« **كان نعمان قائد جيش آرام يتمتع بمكانة سامية عند سيده ؛ لأنَّ الرب حقق لأرام النصر على يده .. إلا أنه كان مصابًا بالبرص ، وسبي الآراميون - في إحدى غزواتهم التي أعاروا فيها على أرض إسرائيل - فتاة صغيرة ، صارت خادمة لزوجة نعمان ، فقالت لمولاتها : يا ليت سيدي يمثل أمام النبي الذي في السامرة ، فينال الشفاء على يديه ..»** [٢ ملوك : ١ ، ٢] .

وقد كان ، « وأمر اليشع نعمان بالاستحمام والغطس سبع مرات بنهر الأردن حيث شفي ، فنزل نعمان إلى نهر الأردن وغطس فيه سبع مرات ، كما أمر رجل الله ، فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر من برصه » [٢ ملوك ٥] [١].

٧ - المرأة كمساعدة لشعبها ومنقذة له « العمل الفدائي » :

يتكون التوراة من (٣٩) سفرًا [٢] منهم سفران بأسماء نساء ، وهما : سفر راعوث، وسفر أسير الذي لم يذكر فيه اسم الله إطلاقًا ولو مرة واحدة .

وهذا السفر يتكلم عن « أستير » تلك الحسناء التي كانت جارية للملك عظيم وبفضل حُسنها وجمالها ودلالها ، وتعرضها لاحتمال الفشل والموت ، استطاعت إنقاذ اليهود من القتل والهلاك ، فأصبحت المثال الحي الصادق والقدوة التي ينبغي أن تقتدي بها كل يهودية .

(١) انظر : كتابنا « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » ص (٧٦) ، ط / دار الوفاء ، المنصورة .

(٢) السفر : جزء قائم بذاته يتكلم عن موضوع خاص في الغالب .

ويقول عنها القس « إلياس مقار » [١] :

« كانت أستير فتاة يهودية ، ولدت في السبي في شوشن [٢] ويقول التقليد [٣] : إن أباها مات وهي جنين في بطن أمها ، كما ماتت أثناء ولادتها ، فهي حزينة يائسة ، خرجت إلى عالم لم تتذوق في حنان الأمومة ، وعطف الأبوة ، ولم يكن لها من عائل سوى ابن عمها الفقير مردخاي ».

وليس في قصص التاريخ أمثلة كثيرة لشخصيات ترتفع من الحضيض إلى المجد بهذه الصورة ، فتاة صغيرة يتيمة من شعب مرذول تدبر لها العناية الإلهية أن ترقى عرش إمبراطورية الفرس ، ومن أجل هذا التدبر في أعقابه يرتفع أناس ويسقط آخرون » .

وسنعرض للقصة على سبيل الاختصار [٤] :

١ ـ **غضب الملك « أمشويروش »** : الذي امتد ملكه من الهند حتى كوش على زوجته الملكة « وشتى » لعصيانها أحد أوامره ، فعزلها ثم أرسل رسائله إلى كل مملكته « كل رجل السيد المطاع في بيته » [استير ١: ٢٢] ، وعلى ذلك بدأ البحث عن فتاة عذراء جميلة لتحل محل الملكة ، فأمر الملك بتقدم كل فتاة ترى في نفسها الجمال والفتنة إلى القصر يتم اختيار من تصلح منهن .

وحيث إن أستير « كانت رائعة الجمال ، جميلة الطلعة تبناها ابن عمها مردخاي منذ وفاة والديها » [استير : ٢ : ٧] ، فقد أخذها ابن عمها طواعية ، وقدمها لتكون من محظيات الملك « فأحب الملك أستير أكثر من سائر النساء ، وحظيت رضاه أكثر من بقية العذارى ، حتى أنه وضع تاج الملك على رأسها ، وملكها بدلاً من وشتى » [أستير : ٢ : ١٧] .

هذا ، وقد علمت أستير بمؤامرة يديرها وزير للملك يسمى « هامان » تهدف إلى قتل وذبح واضطهاد اليهود في بلاد الملك .

---

(١) القس : إلياس مقار ، « نساء الكتاب المقدس » ص (١٢٤) .
(٢) شوشن : اسم لقرية .
(٣) التقليد : ما نقل عن الأقدمين من العلماء .
(٤) المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام ص (٦٤ : ٦٦) .

٢ ـ أستير تهب لمساعدة شعبها :

علم مردخاي ابن عمها وكافلها الذي يعمل في القصر بعد دخولها إليه ، بهذه المؤامرة على اليهود ، فأقنعها بضرورة التدخل لدى الملك للعفو عن اليهود ، وكان من أصول البروتوكول عند الملك « **أن كل رجل أو امرأة يدخل إلى مخدع الملك الداخلي ، من غير دعوة ، فجزاؤه حتمًا الموت ، إلا الذي يمد له الملك قضيب الذهب ، فإنه يحيى** » [أستير : ٤].

وقد جازفت أستير بالدخول إلى مخدع الملك ، وهي تعلم أن جزاءها الموت إن لم يرض الملك بدخولها ، ولكنه رضي عن ذلك ومد نحوها قضيب الذهب وسألها : ما هي طلبتك ، وبعد عدة مؤامرات نفذتها مع ابن عمها ضد هامان الذي أمر بإبادة اليهود ، طلبت أستير من الملك « **أن تنقذ شعبي ؛ لأنَّه قد تم بيعي أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة** » [أستير : ٧] .

فأمر الملك بقتل وصلب هامان وكتب إلى الآفاق بإكرام اليهود ورفع الظلم عنهم ، وعلى ذلك فقد أنقذت هذه المرأة شعبها ، وعرضت نفسها للهلاك مرتين ، أما الأولى فهي الدخول على الملك بلا إذن ، والثانية عندما اضطرت للاعتراف أنها من اليهود ، لتنقذ شعبها .

وقد أنشأت هذه القصة في الفكر اليهودي جواز التضحية بشرف الفتاة لتحقق أهداف قومها ووطنها ، وأصبح استغلال النساء لتحقيق السياسات اليهودية من أكبر أسلحة اليهود وأعلاها قدرًا ، فمنبعها الكتاب المقدس « التوراة » .

٨ ـ المشاركة في العبادة والذهاب إلى الهيكل :

تحكي التوراة أن رجلاً يسمى « القانة » كان زوجًا لامرأتين إحداهما وهي المحبوبة لا تنجب ، فذهبت إلى هيكل الرب ونذرت : « .. **فقامت حنه « اسم المرأة » .. وعالى الكاهين جالس على الكرسي عند قائمة هيكل الرب ، وهي مُرَّة النفس فصلت إلى الرب وبكت بكاء ، ونذرت إلى الرب ، وقالت : يا رب الجنود إن نظرت نظرًا إلى مذلة أمتك « عبدتك » ، وذكرتني .. وأعطيتني زرع بشر « مولود » فإني أعطيه للرب كل أيام حياته ، ولا يعلو رأسه موسيّ أي : « لا يحلق رأسه أبدًا »** [١ صموئيل : ١ : ٩ ـ ١١] .

وقد استجاب الله لدعاء المرأة وأنجبت « شمشون » :

« وعملت له أمه « صموئيل » جبة صغيرة وأصعدتها له من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها لذبح الذبيحة السنوية » [١ صموئيل ٢ : ١٩] .

تقول الموسوعة اليهودية (١):

« وكانت الحجات السنوية الثلاثة مفروضة على الرجال فقط ، ولكن الرجال غالبًا يصطحبون نساءهم ، وكان اجتماع العام السابع يتطلب حضور النساء والأطفال ، ولكن قدرة المرأة على التراتيل الدينية كانت محدودة ، وتكون صالحة فقط ، إذا كان كافلها «الأب أو الزوج» لم يتدخل .

وقد صرحت التوراة بمشاركة المرأة في الاحتفال بعيد الأسابيع **« وتفرح أمام الرب إلهك ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك .. والأرملة الذين في وسطك « يعيشون معك »** [التثنية : ١٦ : ١١] .

وكان للمرأة أيضًا حق الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدينية والتناول من لحوم الأضحية « التقدمات » .

« تفرحون أمام الرب إلهكم ، أنتم ، وبنوكم ، وبناتكم ، وعبيدكم ، وإماؤكم » [التثنية : ١٢ : ١٢] .

« بل أمام الرب إلهك تأكلها .. أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك» [التثنية: ١٢ : ١٨] .

٩ ـ المرأة تعمل لمساعدة الأنبياء وتقوم بزيارتهم :

لم تكن المرأة في التوراة وحياة اليهود من دارسي الشريعة أو الداعين إليها ، بل لم تكن مُلزمة بدراسة التوراة ، ولم تكتب امرأة سِفرًا ، ولم يكن من النساء معلمات للدين، وتقول الموسوعة اليهودية (٢) : « كانت الكتابات اليهودية مكتوبة بواسطة الرجال فقط ، وكانت بصورة طبيعية تصور مجموعة مختلفة من وجهات النظر . . وتأثرت هذه الآراء بالخلفيات الثقافية والاجتماعية المختلفة وكذلك تأثرت بالتجارب الشخصية والأمزجة الفردية للمدرسين اليهود .

---

(١) الموسوعة اليهودية : فصل الحالة الشرعية والمشاركة الدينية .

(٢) الموسوعة اليهودية .

ولكن هذا لم يمنع المرأة من مساعدة رجال الدين في أداء عملهم وتسهيل وتيسير ذلك، ومن هؤلاء النسوة امرأة شونم .

فقد كانت اليشع يذهب إلى شونم وكانت تقيم هناك امرأة بالغة الثراء ، فكانت تستضيفه ، فلما تكررت الزيارة اقترحت أن يبني له دورًا ثانيًا في المنزل ، ويجهز فقالت لزوجها : لقد أدركت أن الرجل الذي تستضيفه دائمًا هو رجل مقدس لله ، فلنبنى له عُلية صغيرة على سطح البيت ، وتُعد له فيها سريرًا وطاولة وكرسيًا وسراجًا ، فيبيت كلما مر بنا » [٢ ملوك ٤] .

زيارة رجال الدين :

تحكي لنا التوراة قصة امرأة حكيمة مات ابنها الوحيد ، فأخفت الخبر عن زوجها ، وذهبت لزيارة النبي « اليشع » لعل وعسى يعيد له الحياة « فصعدت وأضجعته على السرير ـ ولدها الميت ـ وأغلقت عليه وخرجت ونادت رجلها وقالت : أرسل إلي واحدًا من الغلمان وإحدى الأتن ـ حمارة ـ فأجرى بها إلى رجل الله « النبي اليشع » وأرجع ، فقال: لماذا تذهبين إليه اليوم لا رأس شهر ولا سبت ؟ فقالت : سلام » [٢ ملوك ٤ : ٢١ : ٢٣] .

وقد أفلح النبي اليشع في إحياء الابن الميت .

١٠ ـ المرأة تعمل نبية (١) وقاضية (٢) :

ورد بالتوراة ذكر أكثر من امرأة بعضهن عملن كنبية وأخريات عملن نبيات وقضاة معًا، ومن هؤلاء :

أ ـ مريم « النبية » أخت موسى وهارون (٣) :

يقول عنها القس « إلياس مقار » :

« كانت مريم النبية أولى مرعيات الكتاب ، والأم الأولى في إسرائيل ، فتاة رائعة

---

(١) معنى النبوة في اليهودية والمسيحية ليس نفس المعنى في الإسلام ، فهو يعني عندهم : التنبؤ بالغيب والإخبار عن المستقبل من نصر وهزيمة وغيره ، ولا يعني الدعوة برسالة سماوية وشريعة .

(٢) بعد بداية دخول اليهود أرض فلسطين في عهد يشوع ، تولى طائفة من الرجال حكم الشعب ، وأطلق عليهم لفظ القضاة ، وكان هدفهم الأساسي الاستيلاء على باقي الأرض وإبادة الحرث والنسل .

(٣) انظر كتابنا :« المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص٥٢ ، ٥٣ .

حلوة جميلة بلغت مرتبة الزعامة والقيادة في شعبها ، وضعها الله جنبًا إلى جنب مع أخويها « أرسلت أمامك موسى وهارون ومريم » كانت فتاة كالطود الشامخ ، امتد اسمها وارتفع ودوى ؛ وذلك لأنها أفنت نفسها وعاشت لغيرها ، ولفظت من حياتها تلك الكلمة « أنا » ، على أنها يا للأسف لم تستطع هذا إلى النهاية ، وفشلت في معركة النفس . . فحمل لها التاريخ لنا صورة مخزية لمريم البرصاء » ، وقد بين الكاتب بعض فضائلها فقال : « هي لم تتزوج . . لم تخلق لتكون زوجة تهدهد طفلاً ، وتحتضن آخر . . ، كلا ما عاشت لتخضع لتلك الغرائز الأصيلة في نفس المرأة . . مريم الحارسة لأخيها ، مريم المرنمة مع أخيها ، مريم الحاسدة لأخيها » .

إذن بالرغم من كون مريم نبية وعابدة ومتبتلة رفضت الزواج للتفرغ للعبادة إلا أنها سقطت من علٍ وذلت ذلة فظيعة استوجبت عقاب الرب ، وهو إصابتها بداء البرص ، فما هي هذه الذلة المريعة التي لم تغفر لها ؟

« وانتقدت مريم وهارون وموسى لزواجه من امرأة كوشية وقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضًا . . واحتدم غضب الرب عليهما ، ثم مضى عنهما فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الاجتماع ، إذا مريم برصاء كالثلج ، فالتفت هارون وموسى نحو مريم ، وإذا هي مصابة بالبرص » [العدد : ١٢ : ١ ، ٢ ، ٩] .

ويقول الكاتب [١] : « تزوج موسى بامرأة كوشية ، وليس المجال هنا مجال الحكم عليه أو له ، أأخطأ أم أصاب ! إنما يعنينا أمر واحد ، أن وازن القلوب وكاشف الأسرار أبصر تيارًا أسود يندفع من قلب مريم . . عاطفة غير كريمة تتمشى في نفسها . .شعور بالغيرة والحسد إزاء هذا الدخيل ؛ الذي جاء به موسى ليقطن في بيته . . ثارت مريم على أخيها وأثارت معها الأخ الوادع الطيب القلب هارون » .

والواقع أن الكاتب يحاول إيجاد مبرر قوي لتصديق ما جاء في التوراة بشأن عقابها الذي لا يستوجب الإصابة بداء البرص ، وفي الحقيقة لا يوجد أي مبرر لهذا العقاب الإلهي لعدة أسباب :

* الاعتراض جاء من مريم وهارون . . فلم لم يصب هارون أيضًا .

* الاعتراض في محله ؛ لأنَّ زواج اليهود من غيرهم غير مستحب إطلاقًا ، وكانت

(١) القس : إلياس مقار : « نساء الكتاب المقدس » ، دار الثقافة بمصر .

المرأة كوشية .

* الادعاء بأن الحسد هو الذي دفع مريم للاعتراض غير مقبول ؛ لأنّه لا يوجد ما يؤيده من التوراة ، كما أن موسى كان متزوجا من غيرها « الكوشية » ، ومريم وهبت نفسها لله ، أي :ارتضت ألا تتزوج وتبقى راهبة .

ب ـ خلدة « زوجة شلوم بن تقوة » :

في عهد الملك « يوشيا » تم العثور على سفر الشريعة « التوراة الضائعة » [1] والتي تبين بقراءتها أن مصير اليهود العصاة الهزيمة والانكسار فخاف الملك من ذلك ، وأرسل وفدًا للنبية خلدة ليستطلع الغيب وتتنبأ بما فيه : « **فذهب حلفيا الكاهن ، وأخيقام « اسم رجل » إلى خلدة النبية وكلموها فقالت لهم : هكذا قال الرب إله إسرائيل قولوا للرجل الذي أرسلكم ، هكذا قال الرب : ها أنا جالب شرًا على هذا الموضع وعلى سكانه** » [٢ ملوك : ٢٢ : ١٤ ـ ١٦] .

جـ ـ المرأة قاضية ونبية :

لم تتصف بهاتين الصفتين ، وهما الحكم والتنبؤ عن طريق الوحي بالانتصارات والهزائم إلا امرأة واحدة ، وهي دبورة ، التي جاء عنها في التوراة [2]:

« **وكانت دبورة زوجة لفيدوت امرأة نبية وقاضية لإسرائيل في ذلك الوقت ، وكانت تعقد مجلس قضائها تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل ، فكان بنو إسرائيل يفدون إليها للقضاء ، فأرسلت هذه واستدعت باراق بن إبينوعم من قادشي نفتالي ، وقالت له : هذا هو أمر الرب إله إسرائيل إليك : اذهب وازحف إلى جبل تابور بعد أن تجند لك عشرة آلاف رجل من أبناء نفتالي وزبولون ، فاجتذب سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته إلى نهر قيشون وأظفرك به** » [القضاة ٤ : ٤ ـ ٧] .

ومما لا شك فيه أن هذا نصر للمرأة ودليل من التوراة لإمكانية قيادة المرأة ورئاستها إن كانت تستحق ، وهؤلاء النسوة نوادر ، قلما يجود بهن الزمان ، ولذلك يقول القس إلياس مقار : « إن الدراسة المتعمقة لشخصية دبورة كما جاءت في كلمة الله ـ يقصد التوراة ـ تؤكد وتقطع بأنها شخصية نادرة غير عادية . . فلتة من فلتات الزمن ، أو نسخة من النسخ

(١) فقدت التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام لمدة طويلة ثم عثر عليها [٢ ملوك ٢٢ : ٨] ، حسب اعتقاد اليهود .

(٢) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٧٠) .

التي لا تتكرر سوى في عصور متباعدة من التاريخ قد تصل إلى المئات أو الألوف من السنين . . » وقد وصفها الكتاب المقدس بالصفات الآتية :

جبارة التفكير ، مرهوبة الجانب ، فياضة الأنوثة ، مفتوحة العينين ، أي : مكشوف عنها الحجاب .

١١ ـ المرأة تعمل ملكة :

لا نقصد بالعمل ملكة بمعنى أنها أم ملك أو زوجته ولكن نقصد ملكة حاكمة لها عرش أي : حاكمة فعلية .

وقد جاء في التوراة ذكر ملكتين إحداهما غير يهودية ، وهي بلقيس ، والأخرى من اليهود ،وهي « عثليا » ، أما الأولى فكانت من الصالحين ، والثانية فهي من الطالحين .

١ ـ بلقيس كملكة [١] :

« جاءت قصة بلقيس مع سليمان في التوراة ملخصة مقتضبة ، فهذه المرأة كانت من الشخصيات غير العادية من النساء اللواتي يمشين على هذه الأرض،نساء القمة ، نساء أعلى الطبقات؛إذ كانت هداياها للملك سليمان من الذهب وحده تتجاوز الملايين من الجنيهات» .

وقد أخبر سفر: أخبار الملوك أنها ذهبت إلى سليمان لتستفيدمن حكمته وتتعرف عليه .

« وعندما بلغت أخبار سليمان وإعلاؤه لاسم الرب مسامع ملكة سبأ ، قدمت لتلقى عليه أسئلة عسيرة .. فأجاب سليمان عن كل أسئلتها من غير أن يعجز عن شرح شيء »
[أخبار الملوك الأول : ١ : ١ : ٣] .

إذن أهل الكتاب ينظرون إلى عظمة بلقيس من الوجهة المادية فقط [٢].

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٧٢ ، ٧٣) .

(٢) جاءت القصة في القرآن الكريم في سورة النمل وفيها من البلاغة والحكمة وفصل البيان ما لا يستطيعه مؤلف من البشر،فتفوق القرآن الكريم على الكتب السماوية ـ المحرفة والموضوعة ـ السابقة، يؤكد أنه وحي من الله ، وإلا كيف يتفوق أسلوب وحكمة بشرية ـ حسب ادعاء أعداء الإسلام ـ على كتب يفترض فيها الوحي من الله ، وسنعرض بإيجاز لقصة بلقيس فى سورة النمل حيث قال جل وعلاَ عن سليمان والهدهد وملكة سبأ «بلقيس» ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)**=

= وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤) ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (٢٥) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (٢٦) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (٢٨) قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم (٢٩) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (٣١) قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤) وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥) فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧) قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠) قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (٤١) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (٤٢) وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (٤٣) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل : ٢١ : ٤٤] .

والآيات توضح باختصار :

١ ـ أن الله أعطى سليمان عليه السلام ملكًا لم يعطه لأحد من بعده ، فقد سخر له الجن والإنس والطير .

٢ ـ اكتشف سليمان عليه السلام ، غياب الهدهد فتوعده بالعذاب أو الذبح إن لم يأت بحجة بالغة توضح سبب غيابه .

٣ ـ حضر الهدهد متأخر ، فأوضح لمن ملك ما شاء الله له من ملك « سليمان » أنه لم يبلغ منتهى العلم والإحاطة بالأمور .

٤ ـ تعجب الهدهد كيف تحكم امرأة مدينة ضخمة ذات حضارة وهي مدينة سبأ ، كما أجلى أن هذه الملكة ذات عرش ومال ونفوذ عظيم .

٥ ـ كاد الهدهد يطيش من الدهشة عندما وجَدَ هذه الملكة العظيمة وقومها ، رغم تمدينهم وتقدمهم حضاريًا وفكريًا يعبدون غير الله ، فقد كانوا عبدة للشمس .

٦ ـ سبب تعجب ودهشة الهدهد هو أن رأى أن هذه الملكة وقومها لو يملكون من العقل ما يوازي قلامة ظفر لما عبدوا غير الله المحيط بكل شيء علمًا ، والعالم بالخفي والمعلن « الظاهر والباطن » ، وهو رب العرش العظيم ، ملك الملوك .

٧ ـ أراد سليمان بينة ودليلاً على صدق هذا الطائر الخفيف اللحم ، الغزير الريش ، فأرسل معه كتاب دعوة إلى عبادة الله لهذه الملكة وقومها .

....

= ٨ ـ هذا الكتاب يحوي أمرين هامين :
الأمر الأول :
المقدمة ، وقد تضمنت :
اسم المرسل : سليمان ، ولم يذكر المرسِل صفته كنبي أو كملك عظيم بالرغم من اتساع ملكه ، ووفرة حكمته ، وتشريفه بالنبوة ، فقد تواضع أن يصف نفسه بأي لقب من ألقاب العظمة والسمو والكبرياء التي يستحقها قبل « بسم الله الرحمن الرحيم » .
كما أوضح سليمان أن مهمته الأولى في الحياة هي الدعوة لله الذي تضاءل أمام اسمه كل الأسماء وتتلاشى أمام صفاته أسمى الصفات ، وتختفي أمام عظمته كل العظائم .
الأمر الثاني :
مضمون الخطاب :
نصيحة : وهي عدم الاستعلاء ، وهو الكبر ظنًا منهم أنهم أصحاب حضارة ورقي وجاه وسلطة وملك .
أمر : وهو الإيمان بالله والتسليم له وترك عبادة غير الله .
إن مقدمة هذا الخطاب ومضمونه الذي لا يزيد عن خمس كلمات فقط ، لتوضح لكل ذي عقل سليم أو فكر سديد أو من له مسحة يسيرة من ذلك ، أن هذه البلاغة وتلك الحكمة ، لا يستطيعها بشر ، حتى لو اجتمع الإنسن والجن ، على محاولة تقليدها .
٩ ـ بلقيس ملكة تحكم بالشورى « الديمقراطية » ، فقد جمعت أهل الحل والعقد والمشورة لمناقشة هذه القضية الطارئة ، وكانت أحكم منهم حيث أوضحت لهم أنهم هم وقود الحرب والمتضررين منها لو هزموا ، فقالت حكمة بالغة لا يعلمها إلاَّ كبار الساسة وقادة الجيوش والملوك والرؤساء وهي : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] .
١٠ ـ بدأت بلقيس التعامل مع المشكلة بالسياسة والكياسة « الدبلوماسية » ، فأرسلت هدايا لتجنب نفسها وشعبها مخاطر الحروب ، ولتتأكد من نوايا سليمان أهو رجل دنيا أم رجل دين .
١١ـ فَشَلَ الإغراء المالي مع سليمان ، وأوضح للرسل أنه رجل دين وليس رجل دنيا ، وهو أغنى منهم ، وإن لم يؤمنوا فالنتيجة واحدة ، وهي الحرب ودحر هؤلاء المعاندين .
١٢ ـ استمرت بلقيس في استخدام الدبلوماسية الهادئة الهادفة ، لتجنب ويلات الحروب ، فقررت إجراء زيارة ودية لسليمان ﷺ فلعل وعسى تكسب صداقته ، أو ترى مدى قوته ، لو اضطرت لخوض غمار الحرب .
١٣ ـ أراد سليمان أن يوضح لها مدى ما أعطاه ربه من فضل ، ليكون دليلاً على قدرة الله ، وعلى صدق دعوة سليمان ، فخطط لعمل معجزة لا تتم إلاَّ بإرادة الله ، وهذه المعجزة هي إحضار عرشها العظيم من سبأ إلى قصره بالشام .
١٤ ـ طلب سليمان من الجن وهم أقوى من الإنس إحضار العرش فقال أقوى الجن : إنه =

٢ـ عثليا ملكة على مملكة يهوذا :

إذا كانت بلقيس ، وهي ملكة غير يهودية ، ولكن جاء ذكرها مقتضبًا في التوراة ، تمثل القدوة الصالحة للملكة المُجيدة المَجيدة ، فإن عثليا تمثل الوجه القبيح والحقير لملكة استولت على العرش بالقتل والسلب والإبادة ، وكان الباعث على ذلك الانتقام لمقتل ولدها الملك « آخزيا » ، وقد جاء في التوراة عنها :

« وعندما بلغ عثليا أم أخزيا أن ابنها قد قتل عمدت إلى إبادة النسل الملكي ، ولم ينج من الموت من بين جميع أبناء الملك الذين قتلتهم جدتهم عثليا سوى يهوآش بن أخزيا .. وظل يهوآش مختبئًا مع مرضعته في بيت الرب « الهيكل » مُدة ست سنوات ، كانت عثليا في أثنائها متربعة على عرش يهوذا » [٢ ملوك ١١ : ١ ـ ٣] .

ومن الواضح أن اختيار عثليا كملكة لم يكن بإرادة الشعب ، ولكن عنوة وتآمرا واغتصابًا ، وعلى ذلك فعمل المرأة كملكة لم يكن وصية توراتية ؛ ولذلك يرى الكثيرون عدم أحقية المرأة في تولي الملك أو رئاسة الدولة « الإمامة العظمى حسب المفهوم الإسلامي» ؛ **« ولذلك تآمر رجال الدين والحرس على قتل عثليا »** [٢ ملوك ١١ : ٤ ـ ١٦].

١١ـ المرأة كمحترفة للدعارة « الجنس مقابل المال » :

في الحقيقة إن التوراة والديانة اليهودية ، أمرت اليهود بالعفة رجالاً ونساء ، كما حرمت الزنا ، والشذوذ الجنسي بكافة أشكاله ومختلف صوره ، سواء كان الزنى بمقابل مادي أو بلا مقابل .

= يستطيع الإتيان به « قبل أن ينقضي مجلس قضاء سليمان الذي يقام من أول النهار إلى قريب الزوال ﴿ **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** ﴾ المشهور أنه آصف من برخيا وهو ابن خالة سليمان ، وقيل : هو رجل من مؤمني الجن ، كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم لله ﴿ **أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾ أي : قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية فيك ثم أغمضه قبل أن ينظر ثم يرمش بعينيه .

١٥ ـ دهشت بلقيس عندما رأت عرشها ، فلم تصدق عينيها وظنت أنه عرش مقلد يماثل عرشها ، ومنعها كفرها وعنادها واستكبارها من الإيمان برب سليمان .

١٦ ـ لم ييأس سليمان من دعوته ، فدعاها إلى دخول صرح « قصر عظيم » شيده من رخام بلغت شفافيته ودرجة نقاؤه كأنه ماء صافٍ ، فلما أوشكت على الدخول ظنت الأرض الرخامية ماء ، فرفعت ثوبها حتى لا تبل بالماء ـ حسب ظنها ـ ولكنها أدركت أنه رخام ، فأيقنت أن ما تراه ليس من صنع بشر ، ولكن بمعونة وتسخير من رب البشر فآمنت بالله مع سليمان عليه السلام .

وكان النهي عن الزنا الوصية السابعة من الوصايا العشر : « **لا تزن** » [الخروج : ٢٠ : ١٤] ، وكان جزاء الزنى القتل « **إذا زنى رجل مع امرأة قريبة ، فالزاني والزانية يقتلان** » [اللاويين : ٢٠ : ١٠] .

وعقاب الشذوذ الجنسي القتل أيضًا : « **إذا ضاجع رجل ذكرًا مضاجعة امرأة فكلاهما يقتلان ؛ لأنهما ارتكبا رجسًا** » [اللاويين : ٢٠ : ١٣] ، « **وإذا عاشر رجل بهيمة ، فإنه يقتل، وكذلك البهيمة تميتونها أيضًا ، وإذا قاربت امرأة بهيمة ذكرًا لتنزوها فأمتهما ، كلاهما يقتلان** » [اللاويين ٢٠ : ١٥ : ١٦] .

ووصل الأمر بالعفة في التوراة لدرجة عظيمة ، فقد نهت التوراة المرأة عن إمساك عضو الرجل الغريب حتى لو كان بهدف الدفاع عن زوجها ، وأوجبت كفارة لذلك ، وهي « قطع يدها إن فعلت » [التثنية : ٢٥ : ١١ ، ١٢] [1].

ومع ذلك فقد ورد في التوراة ما يؤكد قيام اليهوديات باحتراف الدعارة كمهنة لها مقابل مادي ، ولها انتشار ووجود فعلي ، ومن هؤلاء :

١ ـ أم يفتاح الجلعادي العاهرة [2] :

إن الله إذا وهب السلطة أو الملك أو ما شاء فلا راد لمشيئته ، فلا أسباب تحول دون إرداته ، ولا مسببات تقف دون رغبته،ولقد شاء أن يتولى حكم إسرائيل ابن عاهرة أفاق.

« وكان يفتاح الجلعادي محاربًا شديد البأس ، أنجبه أبوه جلعاد من امرأة عاهرة » .

« وقد طرده إخوته ؛ لأنّه ابن عاهرة ، فهرب يفتاح من إخوته ، وأقام في أرض طرب ، فاجتمع إليه رجال أفاقون وتبعوه » .

وعندما طالب الحرب مع العجونيين استغاث به قومه ووعدوه بالملك عليهم إذا حارب الأعداء .

« . . لأننا في ضيق جئنا إليك لترجع معنا تحارب بني عمون ، وتكون رئيسًا على كل سكان جلعاد »، فانطلق يفتاح مع شيوخ جلعاد فنصبه الشعب عليهم رئيسًا وقائدًا »

---

(١) زكي علي السيد أبو غضة : « الحجاب والختان والفقه بين الأديان السماوية ودعاة التحرر » ط/ دار الوفاء بالمنصورة سنة (٢٠٠٤) م .

(٢) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص٣٣ ، ٣٤ .

[القضاة : ١١ : ١ ، ٣ ، ٨ ، ١١] [١].

ب ـ ثامار [٢] واحترافها الدعارة للانتقام من أبي زوجها :

« من شرائع اليهود الإلهية : إذا مات رجل لم ينجب من زوجته فيجب على أخيه أو أقرب قريب له أن يتزوج هذه الزوجة حتى ينجب منه ، فإن ولدت فالمولود ينسب إلى المتوفى ، هدف ذلك إحياء ذكرى المتوفى في إسرائيل ، فإذا رفض المكلف بالزواج القيام بهذا الواجب كان على المرأة أن تهينه أمام الناس « تخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه ، فيدعي اسمه في إسرائيل: بيت مخلوع النعل » .

ويحكي لنا سفر التكوين قصة ثامار مع زوجها وإخوته ، وكيف انتقمت من حميها يهوذا ؛ لأنَّه ماطل في زواجها من ابنه الثالث :

« وأخذ يهوذا لعير « اسم ابنه » بكرة زوجه تدعي ثامار ، وإذا كان عير .. شريرًا ، أماته الرب ، قال يهوذا لأونان « اسم لابنه الثاني » : ادخل على زوجة أخيك وتزوجها وأقم لأخيك نسلاً ، وعرف أونان أن النسل لا يكون له ، فكان كلما عاشر امرأة أخيه يفسد على الأرض ، كيلا يقيم لأخيه نسلاً فساء عمله هذا في عين الرب فأماته أيضًا ، فقال يهوذا لثامار كنته : « امكثي أرملة في بيت أبيك ريثما يكبر شيله ابني » [القضاة : ٣٨] .

ولكن يهوذا تشاءم من تزويجها لابنه الثالث وخاف موته أيضًا ، فعلمت المرأة بهذا وكادت له ، فنزعت عنها ثياب ترملها ، وتبرقعت وتلفعت وجلست عند مدخل عينايم التي في طريق تمنه.. فعندما رآها يهوذا ظنها زانية ؛ لأنَّها كانت محجبة . فقال : « دعيني أعاشرك ، ولم يكن يدري أنها كنته ، فقالت :« ماذا تعطيني لكي تعاشرني ؟ فقال : أبعث إليك جدي معزي من القطيع ، فقالت : « أتعطيني رهنًا حتى يبعث به ؟ فسألها أي رهن أعطيك ؟ فأجابته خاتمك وعصابتك وعصاك » ، فأعطاها ما طلبت ، وعاشرها فحملت منه ، ثم قامت ومضت ، وخلعت برقعها وارتدت ثياب ترملها » [التكوين : ٣٨] .

وقبل استكمال القصة لنا هنا ملاحظات :

أ ـ هل الموت جزاء عدم طاعة الله ، فقد مات ابنان لغضب الله عليهما ؟ أم هذه

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسحية والإسلام » ص (٣٠ : ٣٢) .

(٢) ثامار : اسم امرأة .

أوهام كاتب؟!

ب ـ العزل : طريقة معروفة لتحديد النسل منذ القدم « يفسد على الأرض» .

جـ ـ هل يعقل أن يهوذا بن يعقوب ، يعاشر الزواني ويحصل عليهن من مفترق الطرق ، ويعطي جدي ماعز مقابل الزنا ؟

ونستكمل القصة فنقول : « **حملت ثامار من والد زوجيها السابقين وظهر الحمل بعد ثلاثة أشهر ، فأبلغ الناس يهوذا بحمل كنته من الحرام فقال : « أخرجوها لتحرق عندما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة :« أنا حبلى من صاحب هذه الأشياء ، تحقق لمن هذا الخاتم والعصابة والعصا ؟ فأقر بها يهوذا وقال :« هي حقًا أبر منى ؛ لأنني لم أزوجها من ابني شيلة ، ولم يعاشرها فيما بعد** » [التكوين : ٣٨] .

وكانت نتيجة الزنا ولادة توأم من الذكور هما فارص وزارح ولنا أن نتساءل : إذا كان جزاء الزنا الحرق ، فلم لم يقم يهوذا الحد على نفسه ؟ ألم يزن ! وهل كون ثامار زنت معه ، فهي لم تعد تستوجب الحد ؟!

ومن عجائب التوراة التى يندى لها الجبين ، ولا يقبلها ذو عقل قويم أو فكر سديد : أن يهوذا عندما أرسل لها الجدي مقابل زناه بها ، ولم يجدها قال للرسول : « فلتحتفظ بما عندها « يعني :الخاتم والعصابة والعصا » ، فلست أريد أن يسخر الناس مني ، لقد بعثت بهذا الجدي أجرة لها ، ولكنك لم تجدها » .

خاف يهوذا من أن يقول الناس عليه : إنه أكل أجرة زناه وظلم الزانية ، ولم يخش الله . . لاقترافه الزنا مع عاهرة . . امرأة على الطريق » [١] .

وعلى ما يبدو أن اليهود قد احترفوا البغاء من الأمم المجاورة ، كما أنهم استحسنوه وتعاطوه لطبيعتهم المخزية ، ويتضح ذلك من قصة راحاب .

جـ ـ راحَاب :

« قصة الزانية التي خانت قومها لتحمي جواسيس اليهود ، ومن ثم اعتبرت قديسة ، إن من شيم الاستعمار أن يعلي من شأن خونة أوطانهم طالما حققوا مصالحة وأن يعتبر من تقاومه من أبطال إرهابيين ، فالمصالح واختلاف وجهات النظر يعكس المفاهيم ويضيع الحق .

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٣٢) .

والقصة جاءت في سفر يشوع وملخصها :

١ ـ أرسل اليهود جواسيس، لاكتشاف العدو وقوته وطبيعة الأرض حيث قال لهم يشوع قائدهم : « **اذهبا واكتشفا الأرض وأريحا** » [يشوع : ٢ :١] .

٢ ـ « **اكتشف قومها تسلل الجواسيس والاختباء في بيت راحاب العاهرة ، فطلبوا منها تسليم الجواسيس ،ولكنها خبأت الجاسوسين أعداء وطنها وقومها ، وادعت أنهما غادرا المدينة ، قد غادرا المنزل قبل إغلاق باب المدينة** » [يشوع ٢ : ٥] ، « **والحقيقة أنها خبأتهما ، أما هي فأصعدتهما إلى السطح وخبأتهما بين عيدان الكتان المكومة عليه** » [يشوع : ٢ : ٦] .

٣ ـ راحاب طلبت المقابل لهذه الخيانة وهي حمايتها وقومها وعدم إيذائهم إذا انتصر اليهود ودخلوا أريحا فواعداها « **كل من يغادر منزلك يكن دمه على رأسه ونحن بريئان ، وأما من يكون معك في البيت فدمه على رأسنا** » [يشوع : ٢ : ١٩] .

٤ ـ اليهود ينتصرون ويحرقون أريحا بالنار ، ولكنهم وفاءً لعهد راحاب ينقذوها مع أهلها واستحيا يشوع من راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ، فأقامت في وسط شعب إسرائيل إلى هذا اليوم ؛ لأنَّها خبأت الجاسوسين . .» [يشوع ٢ : ٢٥] .

ويقول الإنجيل : إن المسيح من أولاد أولاد بوعز من راحاب ، فتسلسل نسب المسيح يوضح أن سلمون ولد بوعز من راحاب وبوعز ولد عوبيد من راعوث .

والتوراة لم توضح أن راحاب آمنت بإله إسرائيل ، ولكنها أوضحت الانتقال والمعيشة عند اليهود لسابق حمايتها للجاسوسين ، وحيث إنها أصبحت من جدات المسيح ، فقد رأى علماء أنها تابت وآمنت ولا دليل على إيمانها من التوراة ، على ذلك يقول القس إلياس مقار عنها :« . . . ولعل قصة راحاب الوثنية الزانية القديمة ، هي خير ما يمكن أن تروى ؛ إذ كيف تحولت هذه المرأة التي أوغلت في الإثم بين عشية وضحاها ، إلى واحدة من أشهر القديسات والمؤمنات ، وكيف أصبحت نوراً مشعًا ، ومصباحًا هاديًا لكل من ضل الطريق وانحرف » .

وقد استمد القس هذه الفكرة من رسالة بولس إلى العبرانيين حيث قال :« **بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة ، إن قبلت الجاسوسين بسلام** » [عبرانيين : ١١ : ٣١] .

أفلا تتعجب من بولس بعد مئات السنوات من هذه الحادثة يصف عاهرة كانت تدير

منزلاً للدعارة حسب الاعتقاد المسيحي بأنها مؤمنة ، ويوضح السبب وهو خيانة قومها وحماية جاسوسين من أعداء البلاد .

ولنا أن نتساءل : مؤمنه بماذا بالله إله إسرائيل أم بضرورة حماية الأعداء خوفًا من نفسها والأهل والخلان » [1] .

١٢ ـ المرأة كمحترفة للسحر والشعوذة وتحضير الأرواح :

التوراة ككتاب سماوي ـ حتى بعد تحريفه ـ نهى عن السحر والكهانة للرجل والمرأة ، وأوجب على مزاوليه أشد العقاب وهو الموت [2] ، وكانت من أوامر الله لموسى عندما كلمه « **وكل نفس غَوَت وراء أصحاب الجان ، وتعلقت بالتوابع خيانة لي ، انقلب على تلك النفس واستأصلها من بين شعبها** » [اللاويين : ٢٠ : ٦] ، كذلك « **أي رجل أو امرأة يمارس الوساطة مع الجان أو مناجاة الأرواح ، ارجموه ويكون دمه على رأسه** » [اللاويين : ٢٠ : ٢٧] .

ومع وجود التحذير الإلهي ، المقترن بشدة العقاب ، وهو الرجم ، إلاَّ أن البعض رجالاً ونساءً زاول مهنة السحر والشعوذة وتحضير الجان .

جاء في التوراة [3] ما يفيد حقيقة مهنة تحضير الأرواح والاتصال بالجن بهد السؤال عن الغيب ومعرفة المستقبل ، فَذُكِرَ أن أول ملك [4] لليهود « شاول » كان له نبي عظيم يتنبأ له بالغيب وبأوامر الله وهو « صموئيل » ، « **ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل ودفنوه في الرامة مدينته** » [صموئيل الاول : ٢٨ : ٣] ، وعلى ذلك فلم يعد هناك من يتنبأ للملك شاول بالنصر أو الهزيمة فاضطر إلى الاستعانة بتحضير الأرواح ، ومما جاء عن ذلك :

« **ولما رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جدًا ، فسأل شاول الرب ، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فقال شاول لعبيده : فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فاذهب إليها واسألها ، فقال له عبيده : هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور ، فتنكر شاول ، ولبس ثيابًا أخرى ، وذهب هو ورجلان معه، وجاءووا إلى المرأة ليلاً ، وقال : اعرفى لى بالجان ، وأصعدى لى من أقول لك ، فقالت المرأة :« من أصعد لك ؟» ،**

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٣٢ ، ٣٣) .

(٢) انظر :« سفر القضاة » الإصحاح (٤ : ١٧ : ٢٣) .

(٣) نقصد التوراة الحالية ،وليست التوراة الحقيقية التي أنزلت على موسى عليه السلام .

(٤) هذا الملك جاء ذكره في القرآن الكريم باسم « طالوت » .

فقال :« اصعدي لي صموئيل » ، فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم ، فقال صموئيل لشاول : «لماذا أقلقتني بإصعادك إياي؟ نبوءة صموئيل .

« .. **قد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود ، ويدفع الرب إسرائيل أيضًا معك ليد الفلسطينيين وغدا تكون أنت وبنوك معي** »[صموئيل الاول : ٢٨] .

هنا وقد تحقق شاول من أن الروح التي تم تحضيرها هي لصموئيل النبي [صموئيل الاول: ٢٨ : ١٥] .

كما تحققت النبوءة تمامًا ، فهزمه شاول وقتل من جيشه الآلاف ، وقتل هو وبنوه ، فصار الملك لداود .

١٣ ـ عمل النساء وتدخلهن في السياسة وشؤون الحكم :

« المرأة هي الكائن الوحيد القوي بسبب ضعفه ، والعاتي الدهاء بسبب دلاله ، والسلطان المستبد بسبب جماله ، ومهما كان حال النساء ـ الظاهر ـ من التحجب والتواري عن الحياة العامة وأحوال السياسة ، إلاَّ أن أناملها الرقيقة تحرك أقوى الرجال وأفحلهم تحريك الخيط للدمية .

وكانت لنابليون حكمة شهيرة هي : فتش عن المرأة في كواليس الحكم وفي السجون.

وقالت « مارجريت تاتشر » رئيسة الوزراء البريطانية السابقة :« في السياسة إذا أردت شيئًا يقال أسأل رجلاً ، وإذا أردت شيئًا يعمل أسأل امرأة » .

ورغم أن رجال الدين ورجال الفكر ورجال السياسة والملوك رجال ـ الأماندر جدًا ـ إلا أن تأثير النساء وعملهن في تغيير مصير ملوك وأمم كان وما زال وسيظل حقيقة مؤكدة وثابتة » [١].

وقد تضمنت التوراة أكثر من قصة لتدخل النساء في تغيير وتبديل مصائر الرجال والملوك والسياسات وشؤون الحكم ، ومن ذلك :

أ ـ تغيير مصائر الرجال :

ـ رفقة امرأة إسحاق بين الحياء والدهاء والخديعة :

« إنها قصة حُسن الاختيار المتبادل لزواج مبارك بين رجل وامرأة تربطهما القرابة وينأى

---

(١) د/ سامي محمود « السلطة والجنس » ص (٤٧) ، الكتاب العالمي ط / الاولى (١٩٩٣) .

عنهما البعد ، خطب الرجل بتزكية والده إبراهيم بأن يتزوج من قومه ما ييسرها له الرب، وهي ارتضت بزوج لم تره قبل الزفاف نهائيًا اتكالاً على الثقة بالرب ، وكان الزواج ناجحًا ولم تتحايل على زوجها إلا عند موته ليورث من أولاده من لا يستحق الإرث شرعًا ، فبالخديعة والمكر والدهاء جعل زوجها يهب لمن لا يستحق الميراث من زعامة وملك ونبوة[1] .

والقصة يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ الموافقة والزفاف على إسحاق دون أن تعرفه :

« تمت الموافقة على زواج رفقة ابنة بتوئيل ابن ملكة زوجة ناحور أخي إبراهيم من إسحاق بن إبراهيم ، وتركت ديارها وذهبت لتزف إليه ، ولم تكن قد رأته بعد ، وفي الطريق قابل إسحاق القافلة وبها رفقة حيث شاهدته رفقة (٦٣) فخرج عند المساء إلى الحقل متأملاً ؛ وإذ تطلع حوله شاهد جمالاً مقبلة (٦٤) ورفعت رفقة كذلك عينيها ورأت إسحاق فترجلت عن الجمل (٦٥) ، وسألت العبد :« من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا »؟ فقال العبد : « هو سيدي » ، فتناولت الحجاب وتغطت » [التكوين : ٢٤] .

٢ ـ رفقة تتآمر على زوجها لسرقة بركة عيسو ومنحها يعقوب :

« كانت رفقة [2] عاقرًا لكن زوجها إسحاق صلى ودعا الرب أن يفتح رحمها ، فاستجاب الرب وأنجبت توأمًا : عيسو البكري ويعقوب بعده بدقائق ، وحيث إن عيسو تزوج امرأتين أتعبتا حياته وحياة أمه ، فقد قررت أمه الانتقام منه وسرقه ، وسلب مزايا البكورية [3] ، ومنحها لإسحاق . علمت رفقة أن إسحاق استدعى عيسو وقال له : **« يا بني (٢) ها قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتي (٣) ، فالآن خُذ عُدتك ، وامض إلى البرية واقتنص لي صيدًا (٤) وجهز لي طعامًا شهيًا كما أحب وائتني به لآكل ، لتباركك نفسي قبل أن أموت »** [التكوين : ٢٧] .

« فأمرت ابنها يعقوب (٩) اذهب إلى قطيع الماشية ، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب (١٠) تقدمها لأبيك ليأكل فيباركك قبل وفاته » [التكوين : ٢٧] .

---

(١) انظر كتابنا :« المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٣٨ ، ٣٩) .

(٢) انظر : « سفر التكوين » الإصحاح (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) مزايا البكورية : هي إرث الابن الأكبر لأموال وألقاب وسلطة ورئاسة الأب ، وكذلك النبوة حسب الاعتقاد اليهودي .

« وحيث إن يعقوب كان أملس وعيسو أشعر ، كما أن هناك اختلافًا في الصوت فقامت أمه (١٦) غطت يديه وملابس عنُقه بجلد الجديين (٧) وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز » [التكوين : ٢٧] .

٣ ـ يعقوب يكذب ويتحايل على والده إسحاق ليسرق بركة أخيه :

« ادعى أنه عيسو فقال لأبيه (١٩) أنا عيسو بكرك ، وقد فعلت كما طلبت (٢٠) فقال إسحاق : كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدي ؟ فأجابه : لأن الرب إلهك قد يسر لي ذلك » [التكوين : ٢٧] .

وهنا كذب مرتين بالادعاء أنه عيسو ، ثم إن إلهه يسر له الصيد ، أي : أنه كذب باسم الإله .

٤ ـ إسحاق يشك في كذب ابنه :

طلب أن يتحسسه **« كان ضريراً لكبر سنه فجسه ثم قال (٥٢) الصوت صوت يعقوب أما اليدان فهما يدا عسير »** [التكوين : ٢٧] .

وفي النهاية أفلحت الخدعة التي خططت لها رِفقة في منح البركة ليعقوب بدلاً من عيسو ، أي :أن أبا اليهود الأكبر حصل على امتيازاته بالكذب والغش والخيانة ، وكانت البركة [1] . **«(٢٨) فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض ، فيكثر لك الحنطة والخمر (٢٩) لتخدمك الشعوب وتسجد لك القبائل ،لتكن سيداً على إخوتك ، وبنو أمك لك ينحنون ، ليكن لاعنوك معلونين ، ومباركوك مباركين »** [التكوين : ٢٧] .

وبالطبع تم اكتشاف الخدعة بعد الدعاء بالبركة ، ونحن نتساءل :هل يقبل الرب استجابة دعاء استوجبَ بالكذب ؟! [2] .

ب ـ تغيير مصائر الملوك :

ـ امرأة شمشون وعشيقته [3] :

قد تكون هذه القصة أسطورية من الميراث القصصي القديم ، ولكنها تسللت إلى

(١) لم تتحقق البركة ، فبنو إسرائيل خدم خلق الله ، فكانوا منذ عهد يوسف عبيداً لنا في مصر ، وما زالوا مشتتين عبيداً في الأمم ، ولولا مساعدة الغرب والمسيحية العالمية لهم ما قامت لهم قائمة .

(٢) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص٣٨ ، ٣٩ .

(٣) قصة شمشون الجبار مدونة في التراث الشعبي ، وحسب التوراة كان شمشون قاضيًا « حاكمًا » على اليهود قائداً عظيمًا لهم .

التوراة فشقها الأول فيه العبرة والموعظة الحسنة بما يجنيه المرء من ثمار الإيمان الحقيقي ، والنصف الثاني منها يوضح تناقضات الطبيعة للنفس البشرية ، والتي لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تتمكن من قلب وعقل ووجدان قائد إسرائيلي قد اختاره الرب قبل ميلاده ليكون نذيرًا له « أي : في خدمته وعبادته ونصرة دينه » ، ولكنها التوراة المحرفة ، كتاب التناقضات والأوهام ومن القصة :

١ ـ وعد الله لمنوح وزوجته بإنجاب ابن طاهر « نذير الرب » :

« (٢) وكان هناك رجل من بلدة صريحة من عشيرة الدانيين يدعي منوح وامرأته عاقر لم تنجب (٣) فتجلى ملاك الرب للمرأة قال لها : إنك عاقر لم تنجبي ، ولكنك ستحبلين وتلدين ابنا (٤) إنما إياك أن تشربي خمرًا أو مسكرًا أو تأكلي شيئًا محرما (٥) ؛ لأنك ستحملين وتنجبين ابنا ، فلا تحلقي شعر رأسه ؛ لأنَّ الصبي يكون نذيرًا لله من مولده ، وهو يشرع في إنقاذ إسرائيل من تسلط الفلسطينيين » [القضاة : ١٣ : ٢ ـ ٥] .

هذا وقد تجلى ملاك الرب لمنوح وامرأته مرة ثانية ، فسأله منوح أن يتناول طعامًا ، فرفض وطلب منهما تقديم تقدمة « ضحية » للرب ، فنفذ منوح ذلك **« (١٩) ثم أخذ منوح جديًا وتقدمه حبوب وقربها على الصخرة للرب ، فقام الملاك بعمل عجيب على مشهد من منوح وزوجته (٢٠) فقد صعد في ألسنة اللهيب المرتفعة من المذبح نحو السماء على مشهد منهما ، فخرا على الأرض ساجدين»** [القضاة : ١٩ ـ ٢٠] .

« فخاف الرجل « منوح من رؤية الملاك » (٢٢) فقال منوح لامرأته : « إننا لابد مائتان؛ لأننا قد رأينا الله [1] » (٢٣) فأجابته « لو أراد الرب أن يميتنا لما قبل منا محرقة وتقدمة ، ولما أرانا كل هذه الأمور وأخبرنا بها في هذا الوقت (٢٤) فأنجبت المرأة ابنا دعته شمشون » [القضاة : ١٣ : ٢٢ ـ ٢٤] .

يتبين من الفقرات أن ميلاد شمشون بمعجزة بشر بها الرب ، كما أن الرب اختاره وفقًا لرغبته نذيرًا له « أي : في خدمته وعبادته والحرب والقتال لنصرة دينه » ولذلك مُنعت والدته من شرب الخمر وأكل اللحوم بتقديم أضحية حتى تكتمل طهارة المولود قبل أن يولد، أمر الرب بتقديم أضحية « محرقة » لشكره على نعمة هذا الميلاد المُعجز ، وقد تحققت المعجزة ، وأنجبت العاقر التي أمرت ألا تحلق رأس المولود زيادة في النسك .

(١) تارة يقال: إنهما رأيا ملاكًا وأخرى أنهما رأيا الله، والله لا يرى ولا يعيش من يراه حيث قال لموسى: **« لا تقدر أن ترى وجهي ؛ لأنَّ الإنسان لا يراني ويعيش »** [الخروج : ٣٣ : ٢٠] .

٢ ـ امرأة شمشون وخيانتها له :

أعجب شمشون بفتاة فلسطينية وطلب من أبويه خطبتها للزواج فاعرضا « (٣) .. **ألم تجد بين بنات أقربائك وفي قومنا فتاة ، حتى تذهب للزواج من بنات الفلسطينيين الغلف ؟»** [القضاة : ١٤ : ٣] .

ولم يستطع والدا شمشون إلا تلبية أمره وخطبا له الفتاة وتزوجها شمشون .

يقتل أسدًا ويأكل منه عسلاً :

«(٥) .. وإذا بشبل أسد يتحفز مزمجرا للانقضاض عليه ، (٦) فحل عليه روح الرب، فقبض على الأسد وشقه إلى نصفين وكأنه جدي صغير ، من غير أن يكون معه سلاح ، ولم ينبئ والديه بما فعل (٧) ثم مضى إلى الفتاة وخاطبها ، فازداد بها إعجابًا (٨) وعندما رجع شمشون بعد أيام ليتزوج منها ، مال ليلقى نظرة على جثة الأسد ، فوجد في جوفها سربًا من النحل وبعض العسل (٩) فتناول منه قدراً على كفه ومضى وهو يأكل ، ثم أقبل على والديه فأكلا ، ولم يخبرها أنه اشتار العسل من جوف الأسد » [القضاة : ١٤ :٥ ـ ٩] .

هذا وقد تم الاحتفال بالعرس وإقامة الولائم ، وفي أثناء هذه الاحتفالات التي ظلت سبعة أيام امتحن شمشون ندماءه وكانوا ثلاثين شابًا فلسطينيًا « **(١٢) فقال لهم شمشون: سألقى عليكم أحجية ، فإن وجدتم حلها الصحيح في سبعة أيام الوليمة أعطيكم ثلاثين قميصًا وثلاثين حلة (١٣) أما إن عجزتم عنها فستعطوني أنتم ثلاثين قميصًا وثلاثين حلة ثياب ، فقالوا له : هات أحجيتك فنسمعها (١٤) فقال لهم : من الأكل خرج أكل ، ومن القوي خرجت حلاوة ، وانقضت ثلاثة أيام من غير أن يجدوا لها حلاً »** .

٣ ـ تهديد الشباب لامرأة شمشون لتوضح لهم أحجيته :

« **وفي اليوم الرابع قالوا لزوجة شمشون : تملقي زوجك ليكشف لنا عن حل الأحجية، لئلاً نضرم النار فيك ، وفي بيت أبيك ، أدعوتمونا لتسلبونا »** [القضاة : ١٤، ١٥] .

٤ ـ امرأة شمشون تعرف سر الأحجية :

« **(١٧) فظلت تبكي لديه طوال سبعة أيام الوليمة ، وفي اليوم السابع أطلعها على الحل لفرط ما ضايقته ، فأسرت به إلى قومها (١٨) .. قال له رجال المدينة :« أي شيء أحلى من العسل ، وما هو أقوى من الأسد ؟» فقال لهم شمشون : « لولا أنكم حرثتم على عجلتي لما وجدتم حل أحجيتي »** [القضاة : ١٤ : ١٧ ، ١٨] .

إن هذا التعبير الأخير « حرثتم على عجلتي » يوضح انعدام احترام المرأة الكامل .

٤ ـ شمشون يوفي بنذره بطريقة دموية إرهابية :

« (١٩) **وحل عليه روح الرب فانحدر إلى مدينة أشقلون ، وقتل ثلاثين رجلاً منهم وأخذ ثيابهم وأعطاها للرجال الذين حلوا لغزه** » [القضاة : ١٤ : ١٩] .

أو ليس من العجيب أن يعطي الرب القوة لشمشون ليقتل ثلاثين رجلاً بلا ذنب ، حمى شمشون يزوج امرأته لآخر ظانًا أنه هجرها لطول مدة غيابه عنها وانتقام شمشون لذلك .

« (١) **وحدث بعد مدة أن شمشون أخذ جديًا وذهب ليزور زوجته** (٢) .. **ولكن أباها منعه وقال** : « **لقد ظننت أنك كرهتها فزوجتها نديمك ، فلماذا لا تتزوج أختها الصغرى عوضًا عنها ؟ أليست هي أجمل منها؟** (٣) **فأجابه شمشون : لا لوم على هذه المرة إذا انتقمت من الفلسطينيين** (٤) **وانطلق شمشون واصطاد ثلاثمائة ثعلب وربط ذيلي كل ثعلبين معًا ووضع بينهما مشعلاً** (٥) **ثم أضرم المشاعل بالنار وأطلق الثعالب بين زروع الفلسطينيين ، فأحرقت حقول القمح وأكداس الحبوب وأشجار الزيتون** » [القضاة : ١ ـ ٥] .

٦ـ قتل شمشون ألف رجل بفك حمار :

خاف اليهود من الفلسطينيين فذهبوا وقبضوا على شمشون وسلموه لهم « (١٤) . **فحل عليه روح الرب ، وقطع الحبلين اللذين على ذراعيه ، وكأنهما خيوط كتان محترقة** (١٥) **وعثر على فك حمار طري ، تناوله وقتل به ألف رجل** » [القضاة : ١٥ : ١٤ ـ ١٥] .

٧ ـ الله يفجر لشمشون عين ماء مكافأة لإرهابه :

« **وعطش شمشون عطشًا شديدًا ، فاستغاث بالرب** ..(١٩) **ففجر الله له ينبوع ماء من فتحة بالأرض** .. » [القضاة : ١٥ : ١٨ ـ ١٩] .

٨ ـ شمشون يعاشر عاهرة :

« (١) **وذات يوم ذهب شمشون إلى غزة حيث التقى بامرأة عاهرة فدخل إليها** » [القضاة : ١٦ : ١] .

هذا وقد حاصره الفلسطينيون للقضاء عليه « عند بزوغ الصباح » ولكنه « (٣) .. **هب وخلع مصراعي بوابة المدينة بقائمتيها وقفلها ، ووضعهما على كتفيه وصعد بهما إلى قمة الجبل مقابل حبرون**» [القضاة : ١٦ : ٣] .

٩ ـ حب شمشون لدليلة وكشف سره :

« (٤) وبعد ذلك وقع شمشون في حب امرأة في وادي سورق اسمها دليلة (٥) فجاء إليها أقطاب الفلسطينيين ، وقالوا لها : « تملقي شمشون إلى أن تكشفي منه سر قوته العظيمة .. فيكافئك كل واحد منا بألف ومائة شاكل من الفضة « نحو ١٣٢ كجم » .

١٠ ـ كشف سر قوة شمشون :

« حاولت دليلة أكثر من مرة معرفة قوة شمشون ولكنه خدعها ففي المرة الأولى ادعى **« (٧) .. إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف إلا بعد أن صبح ضعيفًا كأي واحد من الناس »** [القضاة : ١٦] .

والمرة الثانية ادعى **« (١١) إذا أوثقوني بحبال جديدة أصبح ضعيفًا كأي واحد من الناس »** [القضاة : ١٦] .

وفي المرة الثالثة **« (١٣) .. إن ضفرت خصلات شعرى السبع بمغزل وثبتها بوتر ، فإنني أصبح ضعيفًا كأي واحد من الناس »** [القضاة : ١٦] وفي كل مرة يفعل الفلسطينيون ما قال ، وبالطبع يفلت منهم شمشون وأيضًا في كل مرة تغضب منه عشيقته لكذبه عليها .

وفي النهاية وخوفًا من غضبها ولشدة حبه لها بالرغم من علمه بخيانتها له مرات ثلاث أوضح سر قوته الحقيقي .

« (١٧) .. فقال لها : « أنا نذير الرب منذ مولدي ، لهذا لم أحلق شعري ، وإن حلقته فإن قوتي تفارقني وأصبح ضعيفًا كأي واحد من الناس » [القضاة : ١٦ : ١٧] .

وبذلك تم أسر شمشون وسجنه بعد أن **« (١٩) أضجعته على ركبتيها واستدعت** رجلاً حلق له خصلات شعره السبع ، **وشرعت في إذلاله بعد أن فارقته قوته »** [القضاة : ١٦] .

١١ ـ انتقام شمشون وموته :

« (٢١) فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينيه وأخذوه إلى غزة حيث أوثقوه بسلاسل نحاسية ، وسخروه ليطحن الحبوب في السجن (٢٢) وما لبث شعره أن ابتدأ ينمو بعد أن حلق » .

وكان هناك احتفال فلسطيني لتقديم ذبيحة لإلههم « راجون » فراق لهم الاستمتاع بذله ومذلة شمشون فهتفوا « (٢٥) ..**ادعوا شمشون ليسلينا ، فجاءوا بشمشون من السجن فلعب أمامهم ثم أوقفوه بين الأعمدة (٢٦) فقال شمشون للغلام الذي يقوده : « أوقفني حيث يمكنني أن ألمس الأعمدة التي يقوم عليها المعبد حتى أستند إليه (٢٧) وكان المعبد يكتظ بالرجال والنساء ، فضلاً عن أقطاب الفلسطينيين الخمسة ، وكان على السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة يتفرجون على لعب شمشون (٢٨) .. (٢٩) وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين يرتكز عليهما المعبد وضغط على أحدهما بيمينه وعلى الآخر بيساره (٣٠) وهو يقول: لأمت مع الفلسطينيين ، ثم دفعهما بكل قوته فانهار المعبد .. فكان الذين قتلهم شمشون عند موته أكثر من الذين قتلهم طول حياته** » [القضاة : ١٦ : ٢١ ـ ٢٢ ، ٢٥ : ٣٠] .

بعض الانتقادات الصارخة والتي لا حل لفك ألغازها وإيضاح تناقضاتها :

أ ـ كيف يكون نذير الرب الذي بشر ملاك الرب أو الرب نفسه بمولده وطهارته عاشقًا لمجموعة من النساء منهن عاهرات ؟!

ب ـ هل يجوز لله الرحمن الرحيم أن يساعد رجلاً عابثًا ماجنًا في قتل من لا ذنب لهم ولا جريرة للوفاء برهان ،.. وغيرهم وكلما أراد إرهابًا دمويًا « حل عليه روح الرب»، أهذا يليق بالرب في كتاب مقدس « حسب زعم أهل الكتاب » .

جـ ـ صرحت الفقرات أن والد ووالدة شمشون رأيا الرب جهارة ، ولم يموتا والتوراة توضح أن الله لا يرى ومن يراه يموت فأيهما يصدق ؟!

د ـ لا يوجد بالتوراة ما يفيد زيادة حجم شمشون عن معاصريه حتى يستطيع أن يتوسط عمودين ويضغط عليهما فينهارا ، وهل يعقل هنا القرب الشديد للأعمدة ، بافتراض صحة قوته اللانهائية ؟!

هـ ـ أمات نذير الرب عاصيًا أم مؤمنًا ، حيث لا يوجد بالتوراة ما يفيد ذلك ، سئل قداسة البابا شنودة الثالث [1] عن ذلك فقال: « **نحن نعلم أن شمشون أخطأ ، وكسر نذره ، وتخلت عنه النعمة ، وأخذ كأسير** » [القضاة : ١٦] ، فهل خلص « تاب وقبلت التوبة من

---

(١) البابا شنودة الثالث : بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المركسية ، وهو الأب الروحي لمسيحي الكنيسة الشرقية وأحد كبار علمائها .

شمشون » ؟!

الإجابة : لا شك أن شمشون نال الخلاص ، وقبل الرب توبته .. والدليل على ذلك **« أن الرب سمع له في آخر حياته ، وصنع به انتصاراً عظيمًا لم يصنعه به طول حياته »** [القضاة : ١٦ : ٣٠] .

ولكن الدليل الأكبر على خلاص شمشون **« أن القديس بولس الرسول وصفه في قائمة رجال الإيمان مع داود وصموئيل والأنبياء »** [عبرانيين : ١١ : ٣٢] .

وإجابة قداسته لا تخلو من انتقادات :

أولها : أن التوراة لم توضح توبته وتقبلها لا من قريب أو من بعيد ، كما أن روح الرب كان يحل عليه وهو في أشد نوبات عصيانه ، وأثناء معاشرته للبغايا والعاهرات والساقطات .

أما بالنسبة للانتصارات وقتل الفلسطينيين ، فكثير من ملوك وقضاة بني إسرائيل انتصروا وقتلوا أكثر مما قتل شمشون، ولا خلاف على موتهم على الكفر ومنهم « جدعون» الذي « صاغ صنمًا من ذهب الغنائم وعبده هو وبنو إسرائيل » [القضاة : ٨ وآخرون] (١).

أم سليمان وانتزاعها الملك له من يد أخيه :

استعد « أدونيا » أخو « سليمان » بن داود للاستيلاء على عرش أبيه وبدأ يُعد لذلك فخافت أم سليمان واسمها يتشبع على ضياع الملك من ابنها وربما قتل أخيه له لِيخلو له الملك « (١٥) .. **فدخلت إلى الملك داود إلى المخدع وكان الملك قد شاخ جداً .. (١٦) فخرت للملك وسجدت له فقال الملك ما لك ؟ (١٧) فقالت له : أنت يا سيدي حلفت بالرب إلهك لأمتك قائلاً : أن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسي ..»** [ملوك: ١ : ١٥ : ١٧] .

هذا ، وقد كلل الله مساعي « يتشبع » خيرًا فقد وَهَبَ داود ابنه سليمان الملك فقال الملك « **إن سليمان ابني يملك بعدي ، وهو يجلس على كرسي عوضًا عني كذلك أفعل هذا اليوم** » [١ ملوك ١ : ٣٠] .

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٤٠ : ٤٥) .

الفصل الثانى

عمل المرأة في الإنجيل والديانة المسيحية

المبحث الأول : عمل المرأة كزوجة وأم وأهميته .

المبحث الثانى : أعمال احترفتها النساء ذُكِرَت بالتوراة .



الفصل الثاني

عمل المرأة في الإنجيل والديانة المسيحية [(١)]

توطئة :

نقصد بعمل المرأة في الديانة المسيحية : هو مدى إيمان المسيحية من واقع التوراة والإنجيل وأقوال آباء الكنيسة بعمل المرأة في المجالات المختلفة داخل بيتها وخارجه .

والواقع أن المسيحية آمنت بأن الهدف الأساسي للمرأة وغاية عملها المقدس هو العمل كزوجة وصانعة أجيال أو كداعية ومعاونة لآباء الكنيسة ولا تؤمن بعملها خارج هذا النطاق إلا عند الضرورة وفي نطاق ضيق ، وفيما يناسبها من أعمال تحفظ حياتها ، وحياءها ، وطهارتها ، وعفتها ، كما تحافظ على سلامة المجتمع وكيانه .

والحقيقة أن المسيحية أنكرت الاختلاط الكامل بين الرجال والنساء وحرمته ،حتى لو كان في الكنيسة ،وكانت تعاليم بولس الرسول في ذلك أكثر تشددًا من تعاليم التوراة ، حتى أنه حَرَمَ رفع صوت المرأة في وسط الجماعة ، كما حرم عليها السؤال الديني في الكنيسة ، وفضل لها أن تسأل زوجها عما شاءت من أسئلة دينية أو روحية في البيت [(٢)] .

وسوف نتحدث في هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : عمل المرأة كزوجة وأم وأهميته .

المبحث الثاني : أعمال أخرى احترفتها النساء حسب الإنجيل .

---

(١) انظر كتابنا : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (١٩٣ : ١٩٦) ، دار الوفاء بالمنصورة.

(٢) « (٣٤) **ليصمت النساء في الكنائس ، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن ، بل عليهن أن يكن خاضعات .. (٣٥) ولكن إذا رغبن في تعلم شيء ما ، فليسألن أزواجهن في البيت ؛ لأنه عار على المرأة أن تتكلم في الجماعة** » [١كو : ١٤] .



المبحث الأول

عمل المرأة كزوجة وأم وأهميته

أولاً : سبب اختصاص المرأة بالعمل الميداني :

تأثرت المسيحية بما جاء في التوراة من أن المرأة هي أول خاطئ ، فهي أول من عصى الله وتناول ليأكل من الشجرة المحرمة ، ثم أغوت زوجها « آدم » فأكل من الشجرة المحرمة اقتداء بها فقادته إلى الخطيئة ، وبذلك لم تكن معينة له « مساعدة » كما كانت مشيئة الله في خلقها ، وعلى ذلك كانت حواء سبب مذلة آدم وخطيئته ، فكان عقابهما :

«(١٧) وقال لآدم: لأنك أذعنت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التي نهيتك عنها، فالأرض ملعونة بسببك بالمشقة تقتات منها طوال عمرك ..(١٩) يعرق جبينك وتكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، ومن تراب أخذت وإلى تراب تعود » [التكوين : ٣: ١٧ - ١٩] .

إذن كُتب على آدم الشقاء والكد والتعب والعمل حتى الموت ، أما عن المرأة فجاء بالتوراة « **(١٦) ثم قال للمرأة : أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك ، فتنجبين بالآلام أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك** » [التكوين : ٣ : ١٦] .

ويعبر « بولس الرسول [١] عن هذه الفكرة في رسالته إلى تيموثاوس : « **(١٣) .. ذلك لأن آدم خُلق أولاً ثم حواء (١٤) ولم يكن آدم هو الذي انخدع بمكر الشيطان ، بل المرأة انخدعت ، فوقعت في المعصية (١٥) إلا أنها ستحفظ سالمة في ولادة الأولاد على أن ينبن في الإيمان والمحبة والقداسة مع الرزانة !** » [١ تيموثاوس : ٢ : ١٣ - ١٥] .

والفقرة الأخيرة توضح مهمة المرأة في ضرورة تربية أولادها التربية الإيمانية الصالحة حتي يغفر الله لها ذنبها ، ولن يتحقق ذلك إلاَّ إذا تفرغت المرأة لبيتها وأولادها .

ويؤكد ذلك بولس فيقول في نفس الرسالة « **(١٢) ولست أسمح للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجال ، بل عليها أن تلزم الصمت** » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

وعدم السماح للمرأة بتعليم الرجال أو رئاستهم « التسلط » والصمت الكامل، يعني :

(١) المسيحيون يعتقدون أن المسيح هو الله ، وأنه أرسل « بولس » رسولاً عنه ، وجاء في بداية هذه الرسالة (١) « من بولس رسول المسيح يسوع وفقًا لأمر الله مخلصنا » .

عدم الإذن لها بالعمل ورئاسة الرجل نهائيًا .

ويشرح ذلك القديس « توما الأكويني » فيقول : « إن المرأة صُنعت في أول الأمر كمعينة للرجل ، لكنها في الحقيقة لم تكن معينة له إلا في موضع الإنجاب ؛ لأنَّ الرجل يستطيع أن يتلقى معونة من رجل آخر تكون أكثر فعالية في باقي المجالات الأخرى ـ إلاَّ في عملية التناسل ـ والمرأة في الترتيب الأصلي للأمور دائمًا في حالة خضوع ؛ ولهذا السبب لا تستطيع أن تمثل الرئاسة سواء في المجتمع أو في الكنيسة » (١) .

ويقول : « مارتن لوثر » :

« كانت حواء أصلاً شريكًا أكثر مساواة مع آدم ، لكن بسبب الخطية أصبحت المرأة الحالية مخلوقًا أدنى درجة ؛لأنَّها المسؤولة عن سقوط آدم ، فصارت المرأة في وضع الخضوع ، فالرجل يحكم المنزل والعالم ، يشن الحروب ، ويحرث الأرض ، أما المرأة فهي مثل مسمار مدقوق في الحائط ، تبقى دائمًا في البيت » (٢).

ثانيًا : صفات المرأة الصالحة في « الإنجيل » الزوجة والأم والأرملة :

أ ـ الزوجة الصالحة :

إن صفات الزوجة الصالحة في « المسيحية » متعددة نذكر منها :

١ ـ الطهارة والنقاء :

يقول « بطرس » في رسالته الأولى حاثًا الرجال والنساء على الطهارة والنقاء والتمسلك بالفضيلة :

« (١١) أيها الأحباء ، ما أنتم إلا غرباء تزورن الأرض زيارة عابرة ، لذلك أطلب إليكم أن تبتعدوا عن الشهوات الجسدية التي تصارع النفس » [١ بطرس ٢ : ١١] .

رجاء في « تفسير العهد الجديد » عن هذه الفقرة (٣) :

« أن الوصية الأساسية في هذا الجزء أن يمتنع المسيحي « ذكر وأنثى » عن الشهوات الجسدية . . ويورد لنا بولس في [غلاطية : ٥ : ١٩ ـ ٢١] ، قائمة بخطايا الجسد ، زنا ،

(١) د/ أنور زكي : « المرأة في الكنيسة المصرية » ص (٧٣) ، دار الثقافة بمصر .

(٢) المرجع السابق ص (٧٤) .

(٣) وليم باركلي : « تفسير العهد الجديد » (ص ٢٤٦ ، ٢٤٧) باختصار دار الثقافة المسيحية ، الطبعة الثانية .

عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر ، وأمثال هذه ، .. فخطايا الجسد تحوي أكثر من الخطايا الجنسية وكل شهوات الجسد .. والمسيحي بحق غريب في هذا العالم، فإنه لا يمكن أن يقبل قوانين هذا العالم وطرقه ومُثله ؛ لأنَّه ينتمي إلى مملكة الله ويجب أن يتبع قوانين تلك المملكة في حياته ، أن المسيحي يقيم على الأرض ، ولا يصح أن يخضع لعادات وطرق تؤثر في شخصيته لدرجة أنه لا يصلح بعدئذ للملكوت » [1] .

٢ ـ الخضوع التام وطاعة الزوج :

يوضح « بطرس » في رسالته الأولى أهمية الزينة الداخلية أي : الأخلاق الفاضلة للمرأة ، والتي هي من التقوى فيقول : « (٣) **وعلى المرأة ألا تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها بضفر الشعر ، والتحلي بالذهب ولبس الثياب الفاخرة (٤) وإنما لتعتمد الزينة الداخلية ، ليكون قلبها متزينًا بروح الوداعة والهدوء ، هذه هي الزينة التي لا تفنى ، وهي غالية الثمن في نظر الله (٥) وبها كانت تتزين النساء التقيات قديمًا ، فكانت الواحدة منهن تتكل على الله وتخضع لزوجها (٦) فسارة مثلاً كانت تطيع زوجها إبراهيم وتدعوه «سيدي » والمؤمنات اللواتي يقتدين بها ، يثبتن أنهن بنات لها** » [١ بطرس ٣ : ٣ ـ ٦] .

يقول المفسر شارحًا تلك الفقرات :

« جاءت المسيحية إذن إلى عالم تسوده الرفاهية ويسير إلى حافة الهاوية « الضياع والفناء » في نفس الوقت ، فما كان من بطرس سوى أنه طلب التحلي بما يزين القلب ، فتلك الجواهر التي تحلى النساء ، التقيات ، ألم تدع سارة إبراهيم بكل خضوع « سيدي » [تكوين : ١٨ : ١٢] ، ويدعو إشعياء سارة بأم رجال الله الأتقياء [أشعياء ٥١ : ٢] ، وأنه إذا تحلى الزوجات المسيحيات بفضائل التواضع ، والوداعة والعفاف ، فإنهن يصرن بناتها ، ويصبحن ضمن أهل بيت الله ، فالزوجة المسيحية ، يجب أن تحيا حياة الخدمة المضحية والصلاح والثقة الهادئة المطمئنة » [2] .

كما ينصح « بولس » الرسول الزوجات بالطاعة الكاملة للزوج فيقول : « **(٢) أيتها الزوجات ، أخضعن لأزواجكن ، كما للرب (٢٣) فإن الزوج هو رأس الزوجة كما أن**

---

(١) يقصد المفسر أن المسيحي ضيف عابر على الدنيا ، فيجب أن يتمسك بدينه حتى يصبح مؤهلاً في الآخرة لصحبة رب المسيح .

(٢) « تفسير العهد الجديد » ص (٢٦٨ ، ٢٦٩) .

المسيح أيضًا هو رأس الكنيسة (٢٤) فكما أن الكنيسة قد أخضعت للمسيح ، فكذلك الزوجات أيضًا لأزواجهن في كل شيء » [أفسس ٥ : ٢٢ ـ ٢٤] .

ويفسر القمص « تادرس يعقوب ملطي »[1] معنى الفقرات فيقول :

مفهوم الخضوع :

كثيرون يسيئون فهم العبارة الرسولية : « **أيها النساء (الزوجات) اخضعن لرجالكن كما للرب (ع ٢٢)** » ، فيحسبونها دعوة لخنوع المرأة واستسلامها ، ولبث روح السلطة للرجل .

« الخضوع » في المسيحية ليس خنوعًا ولا ضعفًا ، ولا نقصًا في الكرامة ، هذا ما أعلنه كلمة الله المتجسد حين أعلن طاعته للآب وخضوعه له مع أنه واحد معه في الجوهر، رافعًا من فضيلة « الخضوع » ليجعلها موضع سباق لعلنا نبلغ سمة المسيح الخاضع والمطيع ، والعجيب أن الإنجيلي « لوقا » يقول بأن « يسوع» كان خاضعًا للقديسة مريم والقديس « يوسف النجار » (لو ٣ : ٥١) ، مع كونه خالقهما ومخلصهما ، وخضوعه لم يعقه عن تحقيق رسالته التي غالبًا لم يدركاها في كمال أعماقها ؛ إذ قال باتضاع وصراحة :« لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي » (لو : ٣ : ٤٩) ، فالخضوع ليس استسلامًا على حساب رسالة الشخص ، ولا طاعة عمياء دون تفكير ، وإنما اتساع قلب وقبول لإرادة الغير بفكر ناضج متزن .

قدم لنا « القديس هيبوليتس الروماني » فهمًا لخضوع الابن للآب ، ليس علامة على انتقاص لأقنومته ، وإنما على تناغمه واتفاقه ووحدته مع الآب ؛ إذ يقول :« يرتد تدبير الاتفاق إلى الله الواحد ، فإن الله واحد : الآب يوصي والابن يطيع والروح يهب فهمًا.. الآب أراد والابن فعل والروح أعلن ، هذا ما يوضحه الكتاب المقدس كله » [2].

إذن فخضوع الزوجة لرجلها هو مشاركة السيد المسيح طاعته وخضوعه للآب كعلامة الحب والوحدة ، وليس إهدارًا للكرامة أو كإنقاصًا من شأنها .

---

(١) القمص تادرس يعقوب الملطي من تفاسير وتأملات الآباء الأولين ص (١٣٣ / ١٣٥) ، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج ، الطبعة الرابعة (١٩٩٦) .

(٢) يؤمن المسيحيون أن الله يتكون من ثلاثة أقانيم هي الآب « الله » والإبن « المسيح » والروح القدس «الوحي الإلهي أو الإلهام » وأن الثلاثة واحدًا !!! .

« والقديس يوحنا ذهبي الفم » يرى أن المرأة وهي موضع حب رجلها الشديد يلزمها ألا تقابل هذا الحب بكبرياء بل بخضوع كرد فعل لمحبته ؛ إذ يقول : « المحبة من اختصاص الرجال ، أما الخضوع فمن إختصاص النساء ، فإن قدم كل إنسان ما يلتزم به تثبت الأمور ، فالرجل بحبه للمرأة تصير هي محبة له ، والمرأة بطاعتها للرجل يصير وديعًا معها ،لا تنتفخي ؛ لأن الرجل يحبك ، فقد جعله الله يحبك لتطيعيه في خضوع بسهولة، لا تخافي من خضوعك له ؛ لأنَّ الخضوع للمحب ليس فيه صعوبة ».

ويستطرد قائلاً :

« والقديس أغسطينوس » يطالب الزوجات أن يقتدين بالقديسة مريم التي اتسمت بالاتضاع المقدس فقدمت يوسف رجلها عنها (لو : ٢ : ٤٨) مع أنها نالت شرف ولادتها للسيد المسيح (١).

بهذا فهم الآباء خضوع الزوجة بمنظار روحي خلال الصليب ، لا يفقدها مساواتها له ولا مشاركته التدبير وتحمل المسؤولية إنما يزينها بالفضيلة ويمجدها لتكسب أيضًا محبته .

يقول « القديس أمبروسيوس » :« ليت الرجل يقود زوجته كربان ، يكرمها كشريكة معه في الحياة يشاركها كوارثة معه في النعمة » .

رئاسة الرجل وحبه :

كثيرًا ما يتمسك الرجل بالرئاسة بكونها « سلطة » وديكتاتورية ؛ لذا ربط الرسول بولس الرئاسة بالحب الباذل ؛ إذ يقول : « **لأن الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد (ع ٢٣)** » .

فرئاسة السيد المسيح لكنيسته أعلنت خلال محبته الباذلة على الصليب لخلاصها ، وهكذا ؛ إذ يريد الرجل أن يكون رأسًا فليقدم حبًا باذلاً عمليًا ! وكما يقول « القديس

(١) يوضح لنا « لوقا » : « **أن المسيح وهو صبي كان يُعلم في الهيكل ، فيبحث عنه أمه ومعها « يوسف النجار » خطيب مريم العذراء قبل ولادة المسيح ـ حسب الاعتقاد المسيحي ـ لمدة ثلاثة أيام ثم وجداه فقالت له أمه : يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك « نبحث عنك » معذبين !»** [لوقا : ٢ : ٤٨] ، فإذا كان المسيح ابن الله فكيف تساوى السيدة مريم أبوته لله بأبوته لبشر !! ونظرًا لهذا التناقض فالمسيحيون يرون أنها قالت « أبوك وأنا » من باب التواضع وتقديم الذكر على الأنثى !! وبعضهم يعتقد زواج يوسف من مريم « البروتستانت » ، وإنجابه أولادًا منها بعد المسيح(٤) » .

يوحنا الذهبي الفم» : « اهتم بها بنفس العناية التي تعهد بها المسيح الكنيسة . نعم ، حتى وإن احتاجت أن تقدم لها حياتك ! نعم ، وإن احتاجت أن تتقطع أجزاء ربوات المرات ! نعم ، لتحتمل أي ألم مهما كان ولا تمتنع »[١] .

إن كان الرجل هو الرأس فلا مكان للرأس بدون الجسد ، ولا حياة للرأس بدون الجسد، يقول « القديس أمبروسيوس » : « **الرجل بدون زوجته يحسب كمن هو بلا بيت**» .

كما يقول « بولس » : « **أيتها الزوجات اخضعن لأزواجكن كما يليق بالعيشة في الرب** » [كولوسي : ٣ : ١٨] .

وجاء في تفسير الفقرة :

« **وليس هذا الخضوع[٢] خضوع الذل، ولا خضوع العبد للسيد ، لكنه خضوع المحبة، والكلمة تخضع فيها معنى الاختيار ، فإن الزوجة تخضع لزوجها برغبتها ؛لأنَّها مرتبطة بالزواج برباط المحبة ، هذا الخضوع كما يليق في الرب » ، فإنه خضوع يطلبه الرب من الزوجة ، على أنه لا يجب أن يعطل خضوع الزوجة للرب ، فإنه ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس** » [أعمال : ٥ ، ٩] .

وما أجمل الزوجة الخاضعة . . أما الزوجة المتسلطة التي لا تخضع ، فإنها لا تحترم نفسها ، ولا تحترم النظام الذي رتبه الله [٣].

٣ ـ مراعاة حق الزوج من جماع وغيره :

يقول « بولس » في رسالته الأولى لأهل كورنثوس :

« **وليوف الزوج زوجته حقها الواجب ، وكذلك الزوجة حق زوجها (٤) فلا سلطة للمرأة على جسدها ، بل للزوج ، وكذلك أيضًا لا سلطة للزوج على جسده بل لزوجته** » [اكورنثوس : ٧ : ٣ ، ٤] .

---

(١) المرجع السابق :ص (١٣٤) .

(٢) الكلمة تخضع ليس فيها معنى الاختيار نهائيًا ، فالخضوع دائمًا عن ضعف وضغط واستجابة لقوة وغلبة قهر ، وجاء بالمعجم الوجيز « خَضَعَ ، خضعًا ، وخضوعًا : مال وانحنى وانقاد » .

(٣) القس : مفيس عبد النور : دراسة في كولوسي ص (١٣) ، دار الثقافة بالقاهرة ، الطبعة الثالثة (١٩٩٠) .

وهذه النصيحة والتوجيه توضح الحق المتبادل لكل من الزوج والزوجة في الاستمتاع الجنسي المتبادل ، ولا يحق لأحدهما الامتناع عن منح الآخر حقه في ذلك إلا في حالة واحدة ، وهي اتفاق الطرفين على ذلك لظروف خاصة ومؤقتة أوضحها بولس في قوله : « **(٥) فلا يمنع أحدهما الآخر عن نفسه إلا حين تتفقان معًا على ذلك ، ولفترة معينة ، بقصد التفرغ للصلاة ، وبعد ذلك عودا إلى علاقتكما السابقة ، لكي لا يجربكما «يغبركما» الشيطان لعدم ضبط النفس** » [١ كورنثوس ٧ : ٥] .

فمن أهداف الزواج الإحصان والعفة وسبيل ذلك المعاشرة الزوجية المتبادلة ، وهي واجبة على الزوجة لزوجها وعلى الزوج نحو زوجته .

ولا شك أن الفشل في هذه العلاقة الخاصة هو من الأسباب الرئيسية لهدم البيوت .

٤ ـ القيام بمهامها الأخرى كزوجة :

إن العلاقة بين الزوج وزوجته ليست علاقة جسدية جنسية فحسب بل هي مجموعة من العلاقات المتنوعة المتشابكة [١].

ب ـ صفات الأم الصالحة :

الواقع أن كُتاب الأناجيل والرسائل لم يفيضوا في وصف الأم الصالحة وبيان خصائصها ومميزاتها ، وذلك اعتمادًا على ما جاء في التوراة بخصوص ذلك [٢].

ولا شك أن ما ذكرناه من صفات للزوجة الصالحة [٣] لا يختلف عن صفات الأم الصالحة ، فالزوجة الصالحة هي حتمًا أم صالحة .

وأوضح « بولس » في رسائله لكل من « أفسيس » ، و« كولسي » صفات الأم الصالحة مقرونة بصفات الأب ، فقال : « **(٤) أيها الآباء ، لا تثيروا غضب أولادكم ، وإنما ربوهم بتأديب الرب وتحريضه** » [أفسيس : ٦ : ٤] .

كما قال في « رسالة كولوسي » : « **(٢١) أيها الآباء لا تثيروا ما غضب أولادكم لئلا يصيبهم الفشل** » [كولوسي : ٣ : ٢١] .

وجاء في تفسير تلك الفقرات : «**إن الوصية موجهة بصفة خاصة إلى الآباء؛ لأنَّ الأمهات**

---

(١) سنوضح ذلك في عنصر مستقل قادم .

(٢) انظر : الفصل السابق .

(٣) البند (أ) السابق لهذا البند مباشرة .

لديهن نوع من الصبر الإلهي ، أما الآباء فإنهم أكثر تعرضًا للتأثير بالغضب » ومن الغريب أن « بولس » يكرر هذه الفكرة وربما بصيغة أكمل في رسالة كولوسي [كولوسي : ٣ : ٢١]، فيقول : « **أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا** » فيقول : « بنجل » [١] إن الداء المتفشي بين الشباب هو « الروح المنكسرة » أي : الفشل الذي يتسبب من استمرار النقد والتوبيخ والتأديب الصارم [٢].

ويقول « متى بهنام » مفسرًا :

« **فإن واجب الوالدين هو أن لا يعاملوا أولادهم بالقَسوة والعُنف ،وفي هذا يحتاج الآباء والأمهات أن يكونوا قريبين من الله وفي شركة معه ، ليمنحهم الحكمة التي يحتاجون إليها في تربية أولادهم التربية المسيحية الحقة ، لا شك أنه من الخطورة بمكان أن يتهاون الوالدون في تربية أولادهم ، الأمر الذي يجلب عليهم متاعب وآلامًا لا حصر لها ، كما يجلب عليهم أيضًا قضاء إلهيا مثلما حدث لعالى**»[٣] **الكاهن وبيته**» [١صموئيل٢، ٢٧ - ٣٦]،إلا أنه من الناحية الأخرى يجب على الوالدين أن لا يكونوا قساة على أولادهم»[٤] .

جـ ـ صفات الأرملة الصالحة :

الدارس للإنجيل يجد أن الوصايا بالأرامل والنصح والإرشاد لهم وحثهم على عدم الزواج الثاني والتمسك بتعاليم الدين قد تعددت ، ومرجع ذلك الخوف عليهن من الفتنة خاصة أن الأرملة التي لا تتزوج ثانية تُعد من الفضليات الطاهرات .

وعن صفات الأرامل القويمة يقول « بولس » :

« **لتقيد في سجل الأرامل من بلغت الستين على الأقل ، على أن تكون قد تزوجت من رجل واحد (١٠) ويكون مشهودًا لها بالأعمال الصالحة ، كأن تكون قد ربت الأولاد ، وأضافت الغرباء ، وغسلت أقدام ، وأسعفت المتضايقين ، وعاونت المحتاج ومارست كل عمل صالح ! (١١) أما الأرامل الشابات فلا تقيدهن ؛ إذ عندما يبطرن على المسيح ،**

---

(١) « بنجل » عالم ، ومفسر مسيحي .

(٢) « وليم باركلي » : « تفسير العهد الجديد » ص (٢٦٦) .

(٣) تتضمن الفقرات نبوءة بهلاك أسرة « عالي » الكاهن ؛ لأنَّه أهمل في خدمة الرب ، وكذلك في تربية أولاده ، ومن هذه الفقرات « **ها هي أيام مقبلة يخطف فيها الموت رجالكم فلا يبقى شيخ في بيتك** » [١ صموئيل ٢ : ٣١] ، وقد حدثت النبوءة فعلاً ، فمات ابناه .

(٤) « متى بهنام » : رسالة أفسس مفصلة آية آية ص (١٩٧) ، مكتبة كنيسة الأخوة ، الطبعة الثانية ، سنة (١٩٨١) م .

يرغبن في الزواج (١٢) فيصرن أهلاً للقصاص ؛ لأنَّهن قد نكثن عهدهن الأول » [١ تيموثاوس : ٥ : ٩ ـ ١٢] .

ومن الفقرات يتضح أن صفات الأرامل القويمة :

١ ـ أن تكون تزوجت مرة واحدة .

٢ ـ تعمل الصالحات وتشتهر بذلك ، ومن هذه الأعمال الصالحة ، تربية الأولاد ، حُسن الضيافة ، احترام رجال الدين ، ساعدت المحتاجين ، وفرجت كرباتهم ، ولها في الأعمال الصالحة شأن كبير » .

ويقول « بولس » عن صفاتها الدينية :

« ولكن الأرملة التي تعيش وحيدة ولا معيل لها ، فقد وضعت رجاءها في الله ، وهي تداوم على الأدعية والصلوات ليلاً ونهاراً (٦) أما تلك التي تعيش منغمسة في اللذات فقد ماتت ، وإن كانت حية » [١ تيموثاوس ٥ : ٥ ـ ٦] .

وللعجائز بصفة عامة صفات أخلاقية سامية يجب توافرها ، أوضحها « بولس » في رسالته لتيطس [١]:

« كذلك أن تكون العجائز ذوات سيرة موافقة للقداسة ، غير نمامات ولا مدمنات للخمر ، بل معلمات لما هو صالح (٤) ...(٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن ..» [تيطس ٢ : ٣ ـ ٥] .

ثالثًا : الغاية من عمل المرأة في الإنجيل :

لا نقصد بالغاية: نوع الأعمال التي تقوم بها النساء، ولكن نقصد الهدف من الأعمال .

١ ـ الهدف من عمل الزوجة الأم :

يرى القديس يوحنا ذهبي الفم :

« . . . إن للزوجة هدفًا واحدًا فقط ، أن تحرس الممتلكات التي جمعناها وأن تراقب الدخل وأن تهتم بأهل المنزل ، ولهذا السبب أعطاها لك الله . . وبالإضافة لأمور أخرى معينة لك ؛ إن حياتنا تدور في حيزين ، شؤون عامة وأمور خاصة ، وكلاهما مرتب من

---

(١) « تيطس » مهتد يوناني رافق بولس إلى مجمع أورشليم الاول ، وأرسله إلى كورنثوس لجمع المتقدمات « الذكاة » فقام بالواجب بكل نشاط .

قبل الله ، فالمرأة متروك لها الإشراف على شؤون المنزل ، وأما الرجل فعليه الإشراف على كل شؤون الدولة والتجارة وتحقيق العدالة،والحكم والشؤون العسكرية وكل المهام الأخرى، فالمرأة لا تستطيع أن ترشق حربة ، ولا أن تطلق سهمًا ، ولكنها تستطيع أن تمسك بفلكة المغزل ، وتنسج على النول وتقوم بكل الأعباء المنزلية بصورة صحيحة ، وهي لا تستطيع أن تعبر عن رأيها في مجتمع تشريعي ، ولكن يمكن أن تعبر عن رأيها في البيت، وفي الأغلب فهي أكثر إلمامًا بشؤون المنزل من زوجها ، وهي لا تستطيع أن تدير شؤون الدولة جيدًا ، ولكنها تستطيع أن تربي الأطفال تربية صحيحة والأطفال هم ثروتنا الرئيسية ».

وهذه الأمور لا يمكن أن يؤديها بنجاح الزوج ولو تولاها هو بنفسه حتى وإن بذل جهودًا مكثفة في ذلك [1].

ورأى « ذهبي الفم » يوضح استحالة تبادل الأعمال ، فالمرأة لا تصلح لأعمال الرجل والعكس ، فلكل طبيعته التي وهبها له الله .

كما أوضح بطرس في « رسالته الأولى » أن للزوجات هدفًا آخر ، وهو أن يكن قدوة في هداية أزواجهن إن كانوا غير مؤمنين :

« كذلك ، أيتها الزوجات ، اخضعن لأزواجكن ، حتى وإن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة ، تجذبه زوجته إلى الإيمان بتصرفها اللائق ، دون كلام ، وذلك حين يلاحظ سلوكها الطاهر ووقارها » [١ بطرس ٣ : ١ ـ ٢] .

أما الهدف العام الشامل الكامل فهو إرضاء الزوج **« أما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها »** [١ كورنثوس ٧ : ٣٤] .

وقد أمر الإنجيل الأمهات بحُسن رعاية الأطفال باللين والمحبة وليس بالشدة والقهر ، وعلى أساس ديني متين .

« أيها الآباء ، لا تثيروا غضب أولادكم ، وإنما ربوهم بتأديب الرب وتحرضه » [أفسيس: ٦: ٤].

« أيها الآباء ، لا تثيروا غضب أولادكم لئلا يصيبهم الفشل » [كولوسي ٣ : ٢١] .

(١) إليزابيث أ ـ كلارك : الآباء والمرأة ص (١٥) دار الثقافة بمصر .
كما أجاز « بولس » مساعدة الزوجة لزوجها في الدعوة إلى الله فقال : « لعلنا ليس لنا سلطان أن يخول بأخت زوجة كباقي الرسل » [١ كورنثوس ٩ : ٥] .

٢ ـ الهدف من عمل الأرملة :

يلاحظ اهتمام « بولس » الرسول بالأرامل وبنشاطهن ؛ وذلك لأن تعاليمه تحض الأرامل على عدم الزواج مرة ثانية (١)، ومن أهم أهداف عمل الأرامل :

أ ـ الصلاة والعبادة :

« .. **وهي تداوم على الأدعية والصلوات ليلاً ونهاراً** » [١ تيموثاوس ٥ : ٥] .

ب ـ القيام بالأعمال الصالحية :

« **ويكون مشهوداً لها بالأعمال الصالحة ، كأن تكون قد ربت الأولاد ، وأضافت الغرباء ، وغسلت أقدام القديسين وأسعفت المتضايقين « عاونت المحتاج » ومارست كل عمل صالح** » [١ تيموثاوس ٥ : ١٠] .

٣ ـ الهدف من عمل النساء عمومًا « العجائز » :

الدارس لتعليمات الإنجيل يرى محاولة « بولس » الاستفادة من خبرة كبار السن «العجائز » في نصح وإرشاد الشابات على حُسن التبعل .

« **(٣) كذلك أن تكون العجائز ذوات سيرة موافقة للقداس ، غير نمامات ولا مدمنات للخمر ، بل معلمات لما هو صالح (٤) لكي يدربن الشابات على أن يكن محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن ..**» [تيطس ٢ : ٣ : ٥] .

وهكذا نجد أن الغاية الأساسية والهدف الرئيسي من عمل النساء في الإنجيل والمسيحية هو حسن التبعل الذي يشمل الحفاظ على واجبات الزوج ورعاية الأطفال ،وكذلك الحفاظ على الشرف والفضيلة والعفة .

كما يجب أن تكون النساء قدوة صالحة يقتدى بها فى اتباع منهج الله وشريعته فربما يكون ذلك سببا في إيمان الآخرين بالمسيحية .

هذا ولم يكن عمل المرأة خارج بيتها من أهداف وغايات الإيمان المسيحي .

---

(١) انظر كتابنا : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٢٩٧ ـ ٣٠٣) ، ثالثًا : المسيحية وكراهية الزواج الثاني .

المبحث الثاني
أعمال النساء كما جاءت في الإنجيل

تؤمن المسيحية من واقع الإنجيل وتعاليمه ، وكذلك أقوال الآباء والمفسرين بأن عمل المرأة الأساسي والرئيسي الذي خلقت له ومن أجله هو الزوجة الصالحة والأم الحنون ، هذا إضافة لأعمال المساعدة للدعوة للدين ومعاونة رجال الدين في ذلك ، ولكن في حدود ضيقة وبشروط خاصة .

وهذا لا يمنع مزاولة أعمال أخرى جاء ذكرها في التوراة تفصيلاً ومن هذه الأعمال :

أولاً : العمل كزوجة وأم :

يوضح « متى » في إنجيله أهمية الزواج للمرأة وحرصها عليه ، ومحاولته الدائمة والدائبة للفوز بزوج ، مستشهدًا بالمسيح الذي قال ضاربًا مثلاً بعشر عذارى يُردن الزواج .

« يُشَبه ملكوت السماوات « الاستعداد ليوم القيامة » بعشر عذارى أخذن مصابيحهن وانطلقن لملاقاة العريس (٢) وكانت خمس منهم حكيمات وخمس جاهلات (٣) فأخذت الجاهلات مصابيحهن دون زيت (٤) وأما الحكيمات ، فأخذن مع مصابيحهن زيتًا وضعفه في أوعية (٥) ؛ وإذ أبطأ العريس ، نعسن جميعًا ونمن (٦) وفي منتصف الليل ، دوى الهتاف ، ها هو العريس آت ، فانطلقن لملاقاته ! (٨) وقالت الجاهلات للحكيمات أعطينا بعض الزيت من عندكن فإن مصابيحنا تنطفئ !(٩) فأجابت الحكيمات : ربما لا يكفى لنا ولكن ، فاذهبن بالأحرى إلى بائعي الزيت واشترين » [متى ٢٥ : ١ - ٩] .

وباقي المثل يوضح تأخر الجاهلات عن حفلة العرس ، وبالتالي لم يتزوجن .

ويوضح الإنجيل مهمة المرأة في بيتها سواء كانت زوجة أو أرملة أو لم تتزوج ، وهي خدمة البيت ، فيحدثنا « لوقا » في إنجيله أن المسيح قام بشفاء حماة بطرس التي قامت بخدمته المنزلية هو ومن معه **« (٣٨) وكانت حماة سمعان « اسم بطرس الأصلي » تعاني من حمى شديدة (٣٩) فوقف بجانب فراشها وزجر الحمى فذهبت عنها ، فوقفت في الحال وأخذت تخدمهم »** [لوقا : ٤ : ٣٨ - ٣٩] .

كما جاء أن امرأة استضافت المسيح في بيتها وكانت تخدمه **« (٣٨) وبينما هو في الطريق ، دخل إحدى القرى ، فاستقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها (٣٩) ... (٤٩) أما مرثا**

فكانت منهمكة بشؤون الخدمة الكثيرة » [لوقا : ١٠ : ٣٨ ، ٤٠] .

ثانيًا : المرأة وعملها في تلقي العلم :

أجاز الإنجيل للمرأة تلقي العلم الديني ، ومعرفة أحكام دينها .

يقول « لوقا » في إنجيله واصفًا زيارة المسيح لأحد البيوت « **(٣٨) وبينما هم في الطريق ، دخل إحدى القرى ، فاستقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها (٣٩) وكان لها أخت اسمها مريم ، جلست عند قدمي يسوع تسمع كلمته »** [متى ١٠ : ٣٨ ـ ٣٩] .

ثالثًا : المرأة والدعوة للدين المسيحي :

الثابت من الإنجيل دور المرأة الهام في مساعدة بولس والتلاميذ في نشر الدعوة ، ولكن ليس كدعاة ووعاظ ، ولكن كخدم لبولس وتلاميذه ، وقد أوصى بولس على بعضهن :

« (١) وأوصيكم بفيبي أختنا الخادمة في كنيسة كنخريا (٢) فاقبلوها في الرب قبولاً يليق بالقديسين وقدموا لها أي عون تحتاج إليه منكم ؛ لأنها كانت معينة لكثيرين ولي أنا أيضًا ... سلموا على بريسكلا وأكيلا معاوني في خدمة المسيح يسوع » [رومية : ١٦ : ١ ، ٢] .

هذا ، وقد أرسل « بولس » بعض التحيات الخاصة لنسوة ساعدته في الخدمة « **(٣) سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع (٤) اللذين وصفا عنقيهما من أجل حياتي .. (٦) سلموا لي على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً .. ، وسلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب ، سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب(١٣) سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمة أمي (١٥) سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيربوس وأخته »** [رسالة روحية : ١٦] .

كما أوضح « بولس » مساعدة الزوجات لأزواجهن في الدعوة وتمنى أن يكون لهم واحدة منهم « **العلنا ليس لنا سلطان أن يخول بأخت زوجة كباقي الرسل »** [١ كورنثوس ٩ : ٥] .

هذا وقد سئل قداسة البابا شنودة عن عمل المرأة في الدعوة أو الكنيسة المسيحية فأجاب عن ذلك [1] .

---

(١) البابا شنودة الثالث : سنوات مع أسئلة الناس (٥ / ٥٥) ، دار النشر الأسقفية .

س : عينتم قداستكم بعض النساء في عضوية مجلس شمامسة الكنيسة ، فما تفسيركم لهذا ، بينما خدمة الشماسية قاصرة على الرجال فقط ؟

الإجابة : إن خدمة المذبح وأسرار الكنيسة ، هي القاصرة على الرجال ، ولكن توجد خدمة شماسية للنساء ، خارج خدمة المذبح ، ولقب الشماسات ، وعمل الشماسات ، ورد كثيراً في الدسقولية (١) ، وفي قوانين الرسل ، وفي قوانين الكنيسة وقوانين الآباء والكبار . النساء في كنيستنا بعيدات عن ممارسة الكهنوت ، ولكن خدمة الكنيسة ليست عملاً كهنوتيًا ، إنها خدمة في أعمال مالية وإدارية ، يمكن أن تقوم بها المرأة ، والدسقولية ذكرت خدمة الشماسية في الباب الرابع فقالت : « **وشمامسة المرأة ، فلتكن جليلة عندكم** » .

إذن عمل المرأة المصرح به في الكنيسة هو العمل الإداري والمالي والخدمة ، وليس العمل الروحي ،ويرجع ذلك ؛ لأنه لا يجب رفع صوت المرأة في الكنيسة .

« **(٣٤) لتصمت النساء في الكنائس ، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن ، بل عليهن أن يكن خاضعات .. (٣٥) ولكن إذا رغبن في تعلم شيء ، فليسألن أزواجهن في البيت ؛ لأنه عار على المرأة أن تتكلم في الجماعة** » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ ، ٣٥] .

كما لا يجب على المرأة تعليم الرجل : « **(١٢) لست أسمح للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل عليها أن تلزم السكوت** » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

ولذلك عارض كثير من علماء المسيحية ما أفرزته مؤتمرات المرأة من مطالب وقوانين للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة (٢).

رأي «الأب متى المسكين » في عمل المرأة كشماسية :

يرى إمكان عمل المرأة في تعليم النساء في البيوت والخدمة داخل الكنيسة فيقول : «وجاء في الدسقولية تعاليم الرسل عنها : يجب أن تكون الشمّاسة المرأة مؤمنة وطاهرة ، لأجل خدمة النساء ؛ لأنك لا تقدر أن ترسل شماسات إلى المنازل إلى النساء ، بسبب غير المؤمنين ، فترسل شماسة امرأة بسبب فكر الناس الأشرار ، والشماسة يجب أن تربح النساء ، وأن تكون عذراء ، وإن لم تكن فلتكن أرملة تزوجت بزوج واحد ، مؤمنة

---

(١) أي : تعاليم آباء الكنيسة ، كبار القسس والعلماء والباباوات .

(٢) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (١٩٥ / ١٩٦) .

مكرمة، لا تنطق بشيء من الكلام ولا تذكي شيء من العمل ألبتة بغير مشورة «الشماس».

أمَّا عن مهامها داخل الكنيسة فهي :

حفظ النظام بين النساء في الكنيسة ، واستقبال النساء الآتيات من خارج ، والترحيب بهن ، وإيجاد مكان لهن في الكنيسة .

غير أن مهام الشماسة في العصور الأولى مساعدة الأسقف أو القس في تعميد النساء، لكن يدهن الشماس جباههن فقط بالدهن المقدس ، وبعد هذا تدهنهن الشماسة « كلهن » دهن الباقي الجسد ؛ لأنَّه عمل غير ضروري ولا لائق أن يتأمل الرجال النساء (١) .

وجاء أيضًا بالتعاليم الدسقولية عن عمل الأرامل بالكنائس :

الصلاة من أجل الآخرين « لرتبة الأرامل » .

الأرملة لا تهتم بشيء إلاَّ لتصلي فقط عن الذين يقدمون القرابين ، وعن الكنيسة كلها» (٢) .

فمن حق الأرملة إذن ، بل ومن واجبها أن تشهد للإيمان وتجيب كل من يسألها عن سبب الرجاء الذي فيها ، ولكن ليس معنى ذلك أن يُمكن أن تعلم في الكنيسة » (٣) .

لتقم ثلاث أرامل اثنتان منهن تتفرغان للصلاة ، لأجل كل من في التجارب «الابتلاءات» ويريدون أن يعلن لهم ما يكون ، والأخرى لتقيم عند النسوة اللائي يُجرين بالأمراض « المرضى » ليُخدمن جيدًا ، خدمة النساء في الكنيسة هي لخدمة المحتاجين ، قال يعقوب للرب :« كيف تقدر أن تحدد للنساء خدمة إلا هذه الخدمة وحدها ، أن يُعِنَّ المحتاجين » (٤) .

ومن التعاليم السابقة يتضح حرص الكنيسة والديانة المسيحية على حفظ حياء النساء ، وعدم الاختلاط المحرم حتى لو كان بين رجال الدين والنساء ، ولو داخل الكنيسة أو في البيوت .

رابعًا : العمل بالتجارة والأعمال الحرة :

ذهب « بولس » للتبشير « الدعوة للدين » في مقدونيا ، ومنها إلى مدينة (فيلبي)

---

(١) « المرأة حقوقها وواجباتها » ص (٧٣) .

(٢ ، ٣) « المرجع السابق » ص (٧٠) .

(٤) « المرجع السابق » ص (٧٦ ، ٧٧) .

حيث جلس في إحدى الضواحي « **(١٣) فجلسنا نكلم النساء المجتمعات (١٤) ومن بينهن تاجرة أرجوان « حرير» من مدينة تياتيرا ، متعبدة لله اسمها ليدية** » [أعمال الرسل : ١٦] ، ويقول المفسر عنها [١] : « ونحن نعلم من قصة الكتاب أن ليدية « اسم امرأة » كانت تتجر في الأرجوان « الحرير » لكننا لا نعلم شيئًا عن السبب الذي دعاها إلى هجرة بلدها والانتقال إلى (فيلبي) اسم بلدة ؛ لأنها لم تصب حظًا أوفر من النجاح؟! ، فآثرت أن تبتعد ما أمكن عن بيتها وتجارتها » .

ويتبين عدم استنكار « بولس » ومن معه لعمل المرأة كتاجرة ، ولو كان هذا ينقص من قدرها ، لأمرها بالكف عن مهنتها .

هذا ، وقد أوضح الإنجيل إمكانية عمل المرأة في طحين الغلال ، وهو عمل منزلي خالص أيام كتابة الإنجيل ، فقد تكلم المسيح عن الاستعداد الدائم ليوم القيامة ومما قاله : «**(٤٠) عندئذ يكون رجلان في الحقل فيؤخذ أحدهما ويترك الآخر (٤١) ، وامرأتان تطحنان على الرحى ، فتؤخذ إحداهما وتترك الأخرى** » [متى : ٢٤ : ٤٠ ـ ٤١] .

والفقرات توضح أن عمل الرجل الرئيسي هو خارج البيت في الحقل ، أما العمل المنزلي ، ومنه طحن الغلال ، فهو الواجب على المرأة .

خامسًا : العمل كمستشارة لزوجها وناصحة [٢] :

حكم بيلاطس « حاكم روماني » على المسيح بالموت ، وكان عيدا ، ومن عادة الحاكم إطلاق سراح سجين ، فأرسلت له زوجته تحذره من المساس بالمسيح ، وتشير عليه بإطلاق سراحه « **(١٩) وفيما هو جالس على منصة القضاء ، أرسلت إليه زوجته تقول : إياك وذلك البار ! فقد تضايقت اليوم كثيرًا من حلم بسببه** » [متى : ٢٧ : ١٩] .

وبافتراض أن عمل الحاكم خاص بالزوج ، ولا يجب تدخل الزوجة فيه ، إلا أن الفقرات السابقة توضح إمكانية أن تحكم المرأة من وراء رجل أو في ظله أو من خلاله .

سادسًا : العمل كخادمة في البيوت :

تنبأ المسيح - حسب الأناجيل - بإنكار بطرس وهو من أعظم تلاميذه « حوارييه » بأنه

---

(١) « القس إلياس مقار » : « نساء الكتاب المقدس» ص (٢٧٥) ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية .

(٢) بالرغم من أن الفقرات تحدثت عن امرأة يونانية إلا أن الكتاب المقدس لم ينكر ما قامت به هذه المرأة، وهذا يمثل موافقته على حق المرأة في العمل لنصح وإرشاد الزوج .

سينكر معرفته به خوفًا من العقاب ثلاث مرات قبل أن يصلب - حسب الاعتقاد المسيحى -.

ومما جاء عن ذلك :

« (٦٩) في تلك الأثناء - بعد محاكمة المسيح والحكم عليه بالصلب - كان بطرس جالسًا في الدار الخارجية ، فتقدمت إليه خادمة ، وقالت : أنت كنت مع يسوع الجليلي ، نسبة إلى الجليل (٧) فأنكر بطرس أمام الجميع وقال :« لا أدري ما تقولين ! (٧١) ثم خرج إلى مدخل الدار فعرفته خادمة أخرى » [متى ٢٦] .

ويعلق القس « إلياس مقار » موضحًا كيف أخزى التلاميذ « الحواريون » جنس الرجال الذكور ، بينما أعلت النساء جنس حواء ، مقارنًا بين ما فعلته زوجة بيلاطيس وما فعله بطرس فيقول [١] : « أليس للمرأة أن تتيه وتفخر على الرجال كلما قرأت قصة الإنجيل؟! أليس لها وهي توازن بينها وبين الرجل في علاقته بالمسيح أن تشيد ترنمًا « مفتخرة » ؛ لأنَّها عاملته معاملة أحسن وأنبل وأجَل ؟! لقد لقى المسيح من الرجال فصولاً متعددة ليس فيها ما يشرف الرجولة في شيء !! وجد منهم من تبعه قليلاً ثم ارتد عنه !! من أكل خبزه ثم رفع عقبه عليه [٢] ! ، رأى المسيح من الرجال الهازئ والساخر ومنكر الجميل ، وحتى تلاميذه الأوفياء ابتعدوا عنه ، وولوا يوم الصليب وأشجعهم أقسم أنه ما عرفه - يقصد بطرس - أو اتصل به . . . أما المرأة فما أجلها وأنبلها وأرقها وألطفها فى معاملتها له !! هل تجد امرأة واحدة في كل الإنجيل امتهنته أو احتقرته أو أساءت إليه ؟! كلا . . لقد وجد منهن كل ولاء وتوقير وتعبد » [٣] .

سابعًا : أعمال أخرى جاءت بالتوراة [٤] :

١ - رعاية الغنم ، وإمداد البيوت بالماء .

(١) « نساء الكتاب المقدس » ص (٣٦٣) .

(٢) يقصد يهوذا الذي أرشد الرومانيين واليهود عنه ، ليقبضوا عليه ويصلبوه - حسب الاعتقاد المسيحي .

(٣) أوضح القرآن الكريم تخلي تلاميذه الحواريين عنه في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٤].
الإسلام لا يؤمن بصليب المسيح حيث قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء:١٥٧].

(٤) الكتاب المقدس في الإعتقاد المسيحي يشمل التوراة « العهد القديم » والإنجيل « العهد الجديد » ، ويؤمن المسيحيون بما جاء في التوراة ولم ينسخه الإنجيل أو يُعاد تفسيره ، وعلى ذلك أشرنا إلى هذه الأعمال التي سبق ذكرها في الفصل الأول .

٢ ـ الاشتغال بالزراعة وشئون الحقل .

٣ ـ صناعة الطب « مولدة » .

٤ ـ العمل كمغنية وراقصة محترفة وغير محترفة .

٥ ـ العمل كناصحة لزوجها وحافظة لحياته .

٦ ـ المرأة كمساعدة لشعبها ومنقذة له « العمل الفدائي » .

٧ ـ المشاركة في الاحتفالات الدينية والأعياد .

٨ ـ المرأة تعمل نبية وقاضية .

٩ ـ المرأة تعمل ملكة .

١٠ ـ المرأة كمحترفة لأعمال الدعارة « الجنس مقابل المال » .

١١ ـ المرأة كمحترفة للسحر والشعوذة .

١٢ ـ المرأة وتدخلها في شؤون السياسة والحكم .

الفصل الثالث

عمل المرأة في الإسلام

المبحث الأول : وظيفة المرأة فى الإسلام وأساسها .

المبحث الثانى : صفات الزوجة الصالحة فى الإسلام .

المبحث الثالث : الضرورات المبيحة لعمل المرأة .

المبحث الثانى : شروط عمل المرأة فى الإسلام .

المبحث الثانى : نماذج من عمل المرأة فى الإسلام .



الفصل الثالث

عمل المرأة في الإسلام

توطئة [1] :

الإسلام هو بحق دين التعقل والتدبر والتفكر ، وفي مناقشة القرآن الكريم لكل القضايا العقائدية أو التشريعية التكليفية أو العلمية أو غيرها ، دائمًا مـا نجد قوله تعالى : ﴿ أفلا تتدبرون ﴾ ، ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ ، ﴿ يا أولي الألباب ﴾ .. إلخ ، وربما أدركت الحكمة الإلهية أن هذا الدين الخاتم للرسالات والشرائع السماوية والذي سيستمر إلى يوم القيامة ، لن يتوقف الهجوم عليه ومحاولة النيل منه ، من الجم الغفير من أعدائه أهل الأديان الأخرى مفكرين وفلاسفة ادعوا العلم وليس لهم نصيب منه إلا كنصيب ثقب المخيط من مياه المحيط .

فادعى هؤلاء وغيرهم أن الإسلام يحجر على حرية المرأة ويمنعها من العمل في المجتمع حتى لا تشارك فيه مشاركة إيجابية تكون هي السبيل لرقيه ونموه وحضارته ، ومن ثم كان تأخر الدول الإسلامية حضاريًا وعلميًا هو ثمرة تخلي المرأة عن دورها في التنمية .

والواقع أن الإسلام كدين تنظيمي ، ينظم كل شؤون حياة المسلم والمسلمة أقر عمل المرأة ومشاركتها الإيجابية في تنمية المجتمع ، ولكن وفقًا لشروط ومعايير خاصة تناسبها كأنثى .

وسيتضمن هذا الفصل ما يلي :

المبحث الأول : وظيفة المرأة في الإسلام ، وأساسها .

المبحث الثاني : صفات الزوجة الصالحة في الإسلام .

المبحث الثالث : الضرورات المبيحة لعمل المرأة .

المبحث الرابع : شروط عمل المرأة في الإسلام .

المبحث الخامس : نماذج من عمل المرأة في الإسلام .

---

(١) « زكي علي السيد أبو غضة » : « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » ص (٣١٧) ، دار الوفاء بالمنصورة سنة (٢٠٠٤) .



المبحث الأول

وظيفة المرأة في الإسلام وأساسها

أولاً : الإسلام وخطيئة آدم وحواء الأولى :

سبق أن أوضحنا أن وظيفة المرأة الأساسية ، وهي العمل كزوجة وأم وربة منزل كان مرجعه ـ حسب التوراة والإنجيل ـ هو عقاب حواء ؛ لأنّها عصت الله ودفعت زوجها آدم للخطأ، فكانت هي أساس أول خطيئة اقترفها الإنسان على الأرض، فجاء بالتوراة « (١٦) . **أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط « أي : يترأس عليك»** [التكوين : ٣ : ١٦] .

إذن وفقًا للتوراة ، فإن حلم المرأة بالأمومة الذي تُوكد به ، ولا يغيب عن قلبها وعقلها ووجدانها منذ تقف على قدميها ، وهي طفلة ، ويستمر معها حتى تصبح شابة بالغة ، تتمنى أن تعاني من أجمل ألم وألذ عناء وهو الولادة ، وما يرتبط بذلك من حنان فياض ، ورقة متدفقة ، ورعاية رحيمة بالوليد من المهد حتى نهاية العمر ، هو عقاب !! فهل يُعقل هذا ؟!

والإسلام لم يُهن المرأة باتهامها بأنها سبب شرور الإنسانية الناتجة عن خطيئة البشر الأولى ـ كما زعمت اليهودية والمسيحية ـ ولكنه أوضح مشاركتها للرجل « آدم » في الإثم ـ الذنب ـ ثم حَمَّل آدم المسؤولية الكاملة عن هذا العصيان ؛ لأنَّه القيم على المرأة الناصح والهادي لها ، فأوضح القرآن الكريم :

١ـ أمر الله لآدم بعدم الأكل من الشجر المحرمة :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

فالأمر كان لآدم بصفته القيم والمسؤول عن توجيه امرأته وصاحب القوامة ، وفحواه الاستمتاع بحياتهما معًا في الجنة ، والنهي كان لكليهما ، وهذه حكمة إلهية يوضح فيها الله عز وجل: أن الصلاح أو الفساد سيكون شركة بين الاثنين ، وإن كانت القيادة للرجل.

٢ ـ بداية إغواء الشيطان لآدم وزوجه :

كان إغراء الشيطان لهما شديدا ، فهو يعلم حُب الإنسان للخلود وللارتقاء والترقي ، كما أنه يعلم سهولة التآمر على الإنسان ـ طيب القلب ـ بالقسم والحلف بالله ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الاعراف : ١٩ : ٢٢] .

وتمادى الشيطان في الإغراء والإغواء ، فقال لآدم صاحب القرار : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠].

وكانت النتيجة هي : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الاعراف : ٢٢] .

وكان العقاب لآدم وحواء معًا، وهو الطرد من الجنة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[البقرة:٣٦] .

إذن ، فالإسلام لا يرى ما زعمه التوراة والإنجيل من قبل ، أن السبب في المعصية الأولى للبشرية هي حواء ، ولكن يرى تشارك آدم وحواء في المعصية ، وجعل المسؤولية الأولى على عاتق آدم بصفته القائد للمرأة .

ولهذا فقد ندم الاثنان على الذنب، وطلبا المغفرة ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الاعراف : ٢٣] ، واعترف آدم بمسؤوليته كقائد عن الذنب فتندم قائلاً : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧] .

ثانيًا : أساس وظيفة المرأة كزوجة وأم في الإسلام :

وظيفة المرأة كزوجة وأم وربة بيت هي الدعامة الأساسية لإعمار الأرض ، ليس بولادة الأبناء فقط ، حيث أن الذكر والأنثى شركاء فيه ، ولكن بتعهد الأبناء بالرعاية الكاملة من توفير غذاء « رضاعة » ، وإسباغ أمان « حضانة » ، فيها الوقاية من كل سوء ، والحفاظ من كافة الأضرار ، والتربية الجسدية والنفسية والعقلية والعلمية المناسبة حتى سن ما قبل دخول المدارس ، وصدق الصديق أبو بكر عندما زكى المرأة كأم عن الرجل فقال لعمر :

«الأم أعطف وألطف وأرحم وأحنى وأخير وأرأف»[1]، وقد قالت امرأة لرسول الله ﷺ[2]: « إن ابني هذا كان بطني له وعاء [3] ، وحجري له حواء [4] ، وثديي له سقاء».

المرأة هي السبيل الأول لسعادة الرجل ، ولن تتم هذه السعادة الكاملة ، جنسيًا وعاطفيًا إلا بالزواج ، ويقول الحكيم الخبير ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الاعراف : ١٨٩].

والسكن والشهوة حق متبادل وسعادة للزوج والزوجة معًا، وليس حكرًا للزوج فقط ، ويقول تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، كما يقول : ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النساء : ٢١] .

وقال الرسول ﷺ في خطبة الوداع : « **استوصوا بالنساء خيرًا ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله** » .

إن هدف الأمومة هي التوالد والتكاثر وإعمار الأرض بالذرية واقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون طريق الإنجاب هو الجماع ، وقضاء الشهوة الجنسية ؛ لأنّها أقوى شهوة في الوجود ، وأول شهوة تمت على ظهر الأرض ، وقد أجلى الحق تبارك وتعالى هذه الحقيقة، فقال : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾ [النحل : ٧٢] .

إذن الوظيفة الأساسية والرئيسية والأولى للمرأة في الإسلام لا تختلف عن باقي الأديان الأخرى من يهودية ومسيحية ، ألا وهي : الزوجة ، الأم ، ربة البيت ، ولكنها في الإسلام ليست على سبيل العقاب ، ولكن لهدف الإعمار في الأرض [5] ،﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] .

---

(١) « السيد سابق » ، « فقه السنة » (ج ٢ ص ٣٥٢) ، دار الفتح للإعلام العرب ، الطبعة الحادية عشرة (١٩٩٤) م .

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أحمد وأبو داود ، والبيهقي والحاكم وصححه .

(٣) الوعاء : الإناء تقصد :حفظته جنينًا في رحمها .

(٤) حواء : أي يحويه ويحيط به ، وتقصد : كانت تحميه وتحيطه .

(٥) « زكي علي السيد أبو غضة »: « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ، ودعاة التحرر » ص (٢٣) ، دار الوفاء بالمنصورة .

المبحث الثاني

صفات الزوجة الصالحة في الإسلام ومهامها (١)

المرأة الصالحة : هي التي تجيد القيام بوظيفتها الأساسية والرئيسية في الحياة كزوجة أساس السكن والمودة والرحمة ، ثم كأم منبع النسل الذي لا ينضب ونبع الحنان والرعاية التي لا تنتهي .

والزوجة الصالحة من أهم نِعَم وكنوز الدنيا ، وقال رسول الله ﷺ : « **الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ [التوبة : ٣٤]، انطلق عمر وتبعه ثوبان رضي الله عنه فأتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله : إنه قد كَبُرَ على أصحابك هذه الآية ، فقال النبي ﷺ : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته** » (٢).

وقد نالت المرأة من التشريف والتبجيل والتكريم في الإسلام ، ما لم تنله في أي دين سماوي آخر ، أو نظام اجتماعي أو قانوني مهما بلغ رقيه أو تقنينه .

وصفات المرأة الصالحة جاءت في القرآن الكريم مجملة ، ثم فصلت السنة النبوية العطرة ما أُجْمِلَ في القرآن الكريم فأوضحته وفصلته علميا بأحاديث الرسول ﷺ ، وعمليًا بأفعال الرسول واقتداء الصحابة به .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

وصفات الزوجة الصالحة متعددة يمكن أن نلخص بعضها في :

أولاً : صفات أخلاقية عامة .

ثانيًا : صفات حُسن التبعل « القيام بمهام الزوجة » .

ثالثًا : صفات الأمومة الصالحة .

---

(١) لأننا نؤمن أن الزوجة الصالحة هي غالبًا أم صالحة ، وابنة صالحة وأخت رؤوف حانية قبل أن تكون زوجة ، فإننا سنعرض لصفات المرأة بصفة عامة مع التركيز على صفات الزوجة والأم .

(٢) رواه عبد الله بن عمرو ، وأخرجه مسلم (١٤٦٧) .

أولاً : صفات أخلاقية عامة :

١ ـ التمسك بالقيم الأخلاقية الرفيعة :

قد يظن البعض ـ خطأً ـ أن الهدف من إقامة الدين ، هو العبادة فقط ، ولكن جوهر الدين هو العبادة التي تسمو بالأخلاق ، ولذلك يقول الهادي البشير ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » ، ولابد لنا أن نتعمق في التعبير « مكارم الأخلاق » ، فإذا كانت الجواهر من ماس وياقوت وذهب وفضة وغيرها هي مكارم الحجر التي تزين بها الأجساد ، فلنا أن نتخيل فضائل مكارم الأخلاق التي تتزين بها النفوس والعقول ، إنها بلا شك أعظم مكارم .

والمولى جل وعلا عندما أثنى على الرسول الكريم ﷺ ، قال : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٤] ، وتلك الكلمات الأربع لن يستطيع شعراء وبلغاء وفصحاء وحكماء العالم من إنس وجن أن يثنوا على نبي أو ملك أو رئيس أو زعيم كما أثنى الله جل وعلا بها على رسوله ﷺ ، وعلى ذلك فتمسك المرأة بالقيم الأخلاقية الرفيعة هو أصل من أصول الإسلام .

المرأة هي المرآة الصادقة لأخلاق الأمة ، فإذا أردت أن تعرف أخلاق أمة ما ، فادرس أخلاق نسائها ، فارتفاع ورقي الأمم لا يكون إلا بارتقاء أخلاق النساء فيها ، فهن سبب سعادة رجال اليوم البنائين ، وهن أساس تربية رجال وشباب الغد رافعي البناء أو هادميه .

وقد ربط الإسلام بين حُسن العبادة وقبولها وبين التمسك بالأخلاق الفاضلة السامية ، لكل من الذكر والأنثى ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، فجعل الصفات الخلقية من صدق وصبر وخوف من الله قبل العبادات من صدقة وزكاة وصوم ، فأوضح أن النتيجة المرجوة من حسن الخلق والعبادات هي حفظ الفروج والمحافظة على الشرف .

والقيم الأخلاقية للمرأة في الإسلام كثيرة منها :

---

(١) الحديث رواه وأخرجه .

أ ـ طاعة الله ورسوله :

قد يتساءل البعض ما علاقة الطاعة بالأخلاق ؟ والواقع أنها الطريق القويم للتقوى الذي لابد أن تكون ثماره حسن الخلق .

إن الغاية من خلق الإنسان ذكرًا كان أم أنثى هي عبادة الخالق جل وعلا ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨] .

ومن ثم فالمرأة الصالحة مهما كانت وظيفتها كزوجة أو أم أو أخت أو غير ذلك ، مهمتها الأولى في الحياة هي طاعة الله ، فذلك بداية الصلاح وأساس النجاح ، وهو السبيل القويم للتمسك بآداب العفة والطهارة والنقاء .

ويقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال رسول الله ﷺ : « **على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** »[١] .

والأمر بتقوى الله واتباع منهجه ، أمر عام يشمل الرجال والنساء معًا ، حيث يقول تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [النساء : ١] .

وتقوى الله وحسن عبادته كما أمر هي السبيل للتفضيل بين خلقه من ذكر وأنثى ، وليس التفضيل بسبب الذكورة أو الانوثة ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وجاء معنى التقوى إجمالاً في تفسير ابن كثير لقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، عن ابن مسعود قال : ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ :أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا يُنسَى ، وأن يُشْكَر فلا يكفر[٢] .

---

(١) الحديث عن ابن عمر ، وهو متفق عليه .

(٢) « تفسير ابن كثير » (ج ١ ص ٣٦١) .

ب ـ الصدق :

الصدق هو أدب الثقة بالنفس ، وفضيلة الخوف من الله ، فقد يكون المسلم سارقًا أو عاصيًا ، أو زانيًا ، ولكن لا ينبغي أن يكون كذابًا ، يقول جلّ شأنه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] ، كما قال جلّ شأنه : ﴿ **وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ** ﴾ [الاحزاب : ٣٥] ، وقال : ﴿ **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** ﴾ [محمد : ٢١].

وقال رسول الله ﷺ : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »[1].

وعلى الزوجة الصالحة أن تكون صادقة مع ربها ، ثم مع زوجها ومجتمعها ، فلن تكون الزوجة ، إما صالحة تستطيع أن تعلم أبناءها الصدق ، وهي كاذبة ، فالمرأة قدوة لأبنائها ففاقد الشيء لا يعطيه .

فإذا اعتادت الزوجة الكذب على زوجها فيما يسألها عنه من أمور ، سوف يتخذ لشأنها قرارات أسرية ، قد تكون مصيرية فسيترتب على الكذب سوء اتخاذ القرار ، فيصبح هناك انفصال وانفصام بين المشاكل وبين سبل إصلاحها وعلاجها ، فبعض الزوجات لا يكن صادقات في بيان حال الأبناء ، فيدعون صلاحهم ، وهم فاسدون ، وأكثرهن يحجبن عن الأزواج سوء تصرفات الأولاد ، مما يؤدي إلى استشراء الآفات الخلقية، وعدم علاجها في الوقت المناسب ، وتكون النهاية محاولة العلاج التي يصعب تحقيقها بعد الاعتياد عليها ، فكذب الزوجة على الزوج هو السبب الأول ، لفساد البيوت وضياع الأجيال .

ومع ذلك أحل الإسلام الكذب في عدة مواضع :

١ـ إذا كان الهدف هو الإصلاح بين الناس :

يقول الرسول ﷺ : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا** » ، والمقصود هو إخفاء والتقليل من شأن بعض الأمور التي لو عرفت لزاد الخلاف واشتعلت الفتنة .

٢ ـ إذا كان الهدف هو استمرار الحياة الزوجية :

وزاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس

(١) الحديث عن أبي هريرة ، وهو متفق عليه .

إلاَّ في ثلاث : تعني : الحرب والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث «المرأة زوجها » [١].

والمقصود ألاَّ يكون المسلم صادقا مع أعداء الإسلام ، فبدعوى الصدق يفشى أسرار الجيش .

أما حديث الرجل امرأته وحديث المرأة وزوجها فيقصد منه جواز المبالغة في إظهار العواطف المتبادلة ، فقد تكو الزوجة محدودة الجمال ، ولكنها تحب سماع إطراء زوجها لجمالها ، فإن فعلها يستمر الهناء وتزداد المودة والرحمة ، وقد يعاني الزوج من بعض المشاكل ، فتسأله الزوجة ، فينكر ما يعانيه حتى لا يشغلها أو يغضبها أو يتعسها . . إلخ .

جـ ـ الحياء :

هو خلق قويم يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق [٢].

والحياء صفة أخلاقية إيمانية يتصف بها كل من الرجال والنساء ، ولكنها في النساء أظهر وأشد ، فهي بداية العفة والطهارة والنقاء .

وفي قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب جاء قوله تعالى : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ [القصص : ٢٥] ، والآية توضح أن الحياء تملك الفتاة حتى أنها لم تحس أو تشعر بأنها تسير على الأرض ، فقد رأت في العودة إلى موسى والكلام معه ، ما قد يجعله يظن بها السوء ، فيقبح سلوكها وتصرفها في نفسه .

وقد أوضح السؤال ﷺ فضيلة الحياء، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال الرسول ﷺ : « **دعه ، فإن الحياء من الإيمان** » متفق عليه .

وعن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **الحياء لا يأتي إلا بخير** »[٣].

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : « إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي » ، قال : « **إن شئت صبرت ، ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله**

(١) الحديث روته أم كلثوم : وهو متفق عليه .

(٢) الإمام النووي : « رياض الصالحين » ص (١٩٦) ، دار الوفاء بالمنصورة .

(٣) الحديث متفق عليه .

لك أن يعافيك » فقالت : أصبر ، فقالت : إني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها » (١) .

فالمرأة المسلمة ارتضت المرض والألم ، ولم ترتض أن يكشف أي جزء من جسدها .

ومن آداب الحياء : حجب العورات حتى عن أطراف الجنس الواحد .

عن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد** » (٢).

وقد بلغ الحياء أسمى منزلة خلقية ؛ لأنَّه كان من أخلاق النبوة ، فها هو أبو سعيد الخدري ﷺ يقول : كان رسول الله ﷺ **أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه** » (٣) ، متفق عليه .

فحياء الرسول كان خوفًا من معصية الله ، وكان غيرة منه على دين الله .

د ـ آداب الحجاب :

الحجاب في القرآن والديانة الإسلامية :

منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة ، وجه الخطاب إلى آدم ـ لكونه القائم على الأسرة ـ فقال له : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ** ﴾ [طه : ١١٨]، ولما وسوس إبليس لهما وخالفا وصية الله وأكلا من الشجرة انكشفت سوآتهما وانزاحت عنهما ثيابهما ، فجعلا يضعان عليهما من ورق الشجر ، طلبًا للستر واستمساكًا بالفطرة الحيية المتأصلة فيهما ، قال تعالى : ﴿ **فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ [الاعراف : ٢٢].

وهكذا يتضح أن انكشاف العورة أمر مذموم في الفطرة البشرية السوية ، ومرفوض في الطبع السليم (٤).

---

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) رواه مسلم (٧٤) .

(٣) متفق عليه . العذراء : التي لم تتزوج أو تعاشر رجلاً ، فهي أكثر حياء ؛ لأنَّ المتزوجة لا يجب حياؤها مع زوجها . خدرها : مكان مأوى المرأة الذي تستر فيه في بيتها .

(٤) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٢٥١) ، وفيه : تفصيل كامل لآداب الحجاب ، وهذا التفصيل سيوضح في الرد على منكري الحجاب من دعاة التحرر في فصل قادم .

والحجاب في الإسلام ، له عدة مفاهيم :

أولاً : الحجاب كزي « ملبس » .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة وغض البصر .

ثالثًا : الحجاب بمعنى الالتزام في البيت وآداب الاختلاط .

أولاً : الحجاب كزي « ملبس » :

هناك شروط شرعية لصحة زي المرأة المحقق لحشمتها يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٩].

كما يقول جل شأنه : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ** ﴾ [النور : ٣١].

كيفية الحجاب :

« هناك خلاف فقهي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ** ﴾ ، فالبعض يرى أنه تغطية كل جسد المرأة مع غطاء الوجه كله حتى مبلغ الحاجبين مع ظهور عين واحدة ، وآخرون يرون أنه غطاء الوجه كله ما عدا العينين ، والبعض يرى جواز كشف الوجه ما دام ليس بفتنة ، وهذا الخلاف من باب التيسير على المسلمين ، حتى يتيسر لكل مجتمع ، ولكل شخص التصرف في حدود شرع الله وفقًا للتقاليد والأعراف السائدة وحاجة المجتمع .

شروط الحجاب الشرعي :

١ ـ أن يكون كثيفًا غير رقيق ولا شفاف بحيث يمنع رؤية ما تحته .

٢ ـ ألا يكون زينة في نفسه ، أو مبهرًا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار إليه .

٣ ـ أن يكون واسعًا غير ضيق بحيث لا يحدد مواطن العورة في المرأة ، ولا أماكن الفتنة في الجسم لها .

٤ ـ ألا يكون الثوب معطرًا فيه إثارة للرجال .

٥ ـ ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال لحديث أبي هريرة : لعن النبي ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل ، وجاء في الحديث : « **لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** » .

ثانيًا : الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة وغض البصر :

يرى الإسلام أن عرض المرأة لمفاتنها وإظهار جمالها والمبالغة في التزين ـ لغير من أحل الله ـ هو بداية إغراء وإغواء الرجل ، وتلك بداية كل رذيلة وأول أسباب دعوة الرجل لاشتهاء الأنثى ، وتزيين الشيطان للفاحشة والنظرة هي بداية طريق الشيطان .

لذلك كان الأمر الإلهي بعدم إبداء الزينة وغض البصر في قوله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور :٣١] .

قال الله تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : ٦٠] .

إن تأمل مواطن الجمال والفتنة من قوام ممشوق ووجه مزين مكشوف وشعر عار مصبوغ هو بداية عمل الشيطان ، فالعين هي أول أدوات العشق ، وقد عبر الشاعر عن ذلك فقال :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ومن الكمال غض الصوت أيضًا : فكثيرًا ما يكون تلذذ الرجل بالمرأة عن طريق السمع ، فقد قيل :« والأذن تعشق قبل العين أحيانًا » ؛ ولهذا نهى الشارع الحكيم المرأة عن الضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال ، فتتحرك شهوة الرجل ، وقد دل على إظهار مواضع الحلي أبلغ في الزجر ؛ لكونها تحرك الشهوات ، ومن المواضع التي تثير الفتنة ، وتحرك الشهوات ما تفعله المرأة من التعطر والتطيب بأنواع الطيب والتبختر في المشية واللين في الكلام ، وتنعيم صوتها إذا خاطبت الرجال ، أو المجاهرة بالأصوات الرقيقة ، أو إظهار بعض مفاتن جسدها ، كنتوء الثديين وفتحة الصدر ، وفتحة الساقين ، وصدق الله القائل : ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، وإظهار مواطن الزينة من جسدها بلبس المخيط الشفاف من الملابس التي تحدد مواطن الفتنة في جسدها ، وهو التبرج المنهي عنه في قول الله تعالى :﴿ **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

والزينة المشروعة في الإسلام تنحصر في دائرة التحلي بأنواع الحلي من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والتجمل باللباس الطيب ، والكحل والتخضب بالحناء ، والتعطر بأنواع العطور مما يروق في نظرهن ، وتميل إليه أنفسهن وكل ما تظهر به جميلة أمام زوجها ، وهذه الزينة من مقتضيات أنوثتهن لما تضفي عليهن من الرشاقة والجمال ما تقر به عين الأزواج ،قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف : ٣٢]، وتغيير الشكل بلا مبرر علاجي كتفليج الأسنان أو تقصيرها أو تعمد جراحات التجميل التي لا تعالج عيبًا خلقيًا ، ولكن تهدف إلى مسايرة الموضة ، ليس من الزينة ، وكذلك الباروكات ووصل الشعر [١].

ثالثًا : الحجاب بمعنى الالتزام وآداب الاختلاط :

يقصد به عدم الخلوة الكاملة لغير محرم مع امرأة في بيتها ؛ لأنَّ ذلك غالبًا يكون بعيدًا عن الرقابة مما قد يؤدي إلى الفاحشة ، كما يقصد به حماية المرأة من أن يطلع على عوراتها غريب ، والعورات هنا يقصد بها مواطن الزينة والفتنة وأيضًا المواطن والمواضع التي تستحي المرأة أن يراها عليها أحد حتى أقرب الأقربين .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة الأجنبية - أي : التي يحل للرجل نكاحها فقال ﷺ : « **لا يخلون أحد بامرأة إلا مع ذي محرم** » [٢] وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان** »[٣] ، وعن جابر أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تلجوا على المغيبات - اللاتي يكون أزواجهن غائبين عنهن - فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم** » [٤].

ونظرًا ؛ لأنَّ القرابة من نسب ومصاهرة أو صداقة قد تؤدي إلى سهولة الخلوة فقد شدد الرسول ﷺ على الخلوة بالأقارب ، فعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحمو؟ قال : « **الحمو الموت** » [٥]، والحمو هو قريب الزوج .

(١) المرجع السابق ص (٢٥٣) .
(٢) متفق عليه : من حديث ابن عباس ﷺ .
(٣) رواه أحمد في « مسنده » .
(٤) رواه الترمذي .
(٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

أصناف الرجال المباح لهم الدخول على النساء والاطلاع على زينتهن :

هذه الأنواع أوضحتها الآية (٣١) من سورة النور ، وهم :

* الزوج ، الأب ، أبو الزوج ، الأبناء ، أبناء الأزواج من نساء الأخريات ، الإخوة، أولاد الإخوة ، جميع النساء ، ويلاحظ أن كل هذه الأنواع هي التي لا تطمع في النساء ومحرم عليهم الزواج بهن .

* **ما ملكت أيمانهن** : المراد النساء من العبيد والإماء ، وإن رأى البعض أيضًا الرجال من العبيد والإماء .

* **التابعين غير أولي الإربة من الرجال** : أي : الذين لا يشتهون النساء لأسباب كالعنة، البلاهة ، الجب ، الجنون ، وسائر ما يمنع الرجل أن تشتهي نفسه المرأة .

* **الأطفال** : الذين لم تثيرهم بعد مفاتن النساء ، ولم يصلوا لمرحلة البلوغ والشهوة.

آداب الاستئذان لدخول البيوت وفي داخل البيوت :

من وسائل الحجاب الشرعي : الاستئذان قبل دخول البيوت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** ﴾ [النور : ٢٧ : ٢٩] ، والهدف عدم تعرض البيوت بما فيها من أسرار عامة أو عورات خاصة للتكشف حتى لو عن غير قصد ، ومن هذه العورات الطعام والشراب ، والتحرر من لبس المعتاد من الثياب ، وكل ما لا يحب الإنسان أن يراه أحد عليه ، وكذلك قطع طريق الغواية التي قد تحدث من انفراد المرأة بالرجل الأجنبي والاستئذان بإلقاء السلام وسماع الرد والإذن بالدخول .

الاستئذان داخل البيت :

هناك أوقات يكون فيها الزوج وزوجته في البيت في فترة راحة وسكون أو قيلولة أو متعة ، وفيها قد يكون الإنسان متحررًا من بعض ملابسه أو في أوضاع زوجية لا يجب أن يراه عليها أولاده أو الآخرون ، فيجب الاستئذان قبل الدخول على الزوج أو الزوجة داخل البيت ويستوي في الاستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا سن البلوغ ، والعبيد ، والإماء ، وهذه الأوقات ثلاثة : قبل صلاة الفجر ، وعند القيلولة ظهرًا ، وبعد صلاة العشاء ،

ويلاحظ أنها أوقات السكون والراحة ، وأوقات مزاولة العلاقة الزوجية الخاصة .

وينبغي القول والتنبيه أن للمرأة مباشرة كل مهامها الاجتماعية والإنسانية داخل منزلها في حدود الآداب الإسلامية ، وخارج منزلها في حدود ما أوجبه الشرع من تعاليم سامية في هذا الشأن .

فالحجاب في الإسلام لا يهدف إلى تقييد حرية المرأة ، ولكن إلى صيانة عرض المرأة وحفظ كرامتها [١].

وهكذا يتضح أن آداب الحجاب بلغت الكمال في الإسلام .

هـ ـ البعد عن الغيبة والنميمة والتدخل فيما لا يعنيها :

الوقت هو عمر المرء على الأرض ، وهو عمر الإنسانية كلها في الحياة الدنيا ، وإهدار الوقت فيما لا طائل له أو منه ، هو إهدار لأعز ما يملك المرء وهو عمره الذي سيحياه في الدنيا ثم يحاسب عنه يوم القيامة لقوله ﷺ : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عمره فيما أفناه ، وشبابه فيما أبلاه ...** » .

والزوجة كعاملة مجدة في بيتها متعددة الوظائف متنوعة المهام لا ينبغي لها أن تضيع وقتها فيما لا جدوى منه وتحرم أسرتها منه ، ولن يحدث ذلك إلا إذا كان هناك فراغ ممل نتج عن عدم تفرغها لمهامها المختلفة ، فتلجأ النساء المهملات لملء هذا الفراغ بالثرثرة فيما لا ينفع ثم التطرق إلى ما يضر ظنًا منهن أنه على سبيل التسلي والتندر والتفكه .

وقد نهانا القرآن الكريم عن ذلك فقال تعالى : ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

يقول ابن كثير في « تفسيره » : إن امرأة دخلت على عائشة ﵂ فلما قامت لتخرج أشارت عائشة ﵂ بيدها للنبي ﷺ أي : أنها قصيرة ، فقال النبي ﷺ : « **لقد اغتبتها** »[٢] والغيبة محرمة بالإجماع .

فإذا كانت إشارة بيد هي غيبة محرمة ، فأين نساء اليوم اللاتي يتكلمن بالساعات في نقد غيرهن والنيل من كرامة وربما عفاف وشرف بعضهن ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (٢٥٦ ، ٢٥٧) .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (ج ٤ ص ٢١٥) .

والغيبة والنميمة عادتان سيئتان من احترف الأولى ، كان سالكًا طريق الثانية ، فبداية النميمة غيبة ، وقد نهانا الله عن ذلك ، فقال : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [ن : ١١].

ووصف النميمة من النساء كمن تشعل النيران، فقال تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد : ٤ ، ٥] ، فكم من بيوت خُرِبَتْ وأعراض انْتُهِكَتْ من حصائد الألسن كذبًا وزورًا وبهتانًا .

وقد أمرنا الله بالاَّ نتدخل فيما لا يعنينا ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » [١].

وقد اعتبر الرسول ﷺ أن الكلام بكل ما نسمعه دون تمحيص أو تدليل أو تأكد هو من الكذب ، فقال ﷺ : « **كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع** » [٢].

ومعلوم أن الله سيحاسب المسلم عن كل كلمة قالها : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨].

فالسنة هي الإمساك عن الكلام فيما لا يفيد ؛ لأنَّ الكلام المباح ، قد يؤدي إلى حرام أو مكروه ، وذلك في الأعم الغالب من العادات ، حتى أن الرسول ﷺ يقول : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرًا أو ليصمت** » [٣].

وفي حديث طويل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الرسول ﷺ أخذ بلسانه وقال : « **كف عليك هذا** » ، قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « **ثكلتك أمك ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلاَّ حصائد ألسنتهم** » [٤] .

والكلام عن الغير في غيابه لابد أن يكون إثمًا ، قال الرسول ﷺ : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول ، فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » [٥] .

---

(١) عن أبي هريرة ، رواه الترمذي وغيره ، والمرء هنا الذكر أو الأنثى .

(٢) عن أبي هريرة ، رواه مسلم .

(٣) عن أبي هريرة ، متفق عليه .

(٤) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه مسلم ، وذكرناه مختصرًا .

فما أحوجنا اليوم للابتعاد عن الثرثرة وفضول الكلام رجالاً ونساء أو أطفالاً ، وأن يكون صمتنا فكرًا ، ونطقنا حكمة وعبرة .

و ـ الكرم :

المرأة في بيتها الملكة والمالكة لزمام كثير من الأمور ، فهي تعلم خباياه ، وتدرك أسراره ، وتحيط بما لم يحط به الرجل علمًا ، فهي تخبر ما فيه من خير وأين مكانه ، فإن أرادت منعت ، وإن شاءت منحت ، فإذا جاءتها ضيف يمكنها إكرامه وتقديم كل عزيز مُدَّخر ، كما يمكنها إهماله وتقديم فضلات طعام لا يُدَّخَرْ ، أو نسيانه كما لو لم يغش البيت ضيف .

وإكرام الضيف أدب إسلامي رفيع وخلق إيماني قويم ، أوضحه الكريم المتعال في قوله : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ** ﴾ [الذاريات : ٢٤ : ٢٧] .

فقد أتى إبراهيم عليه السلام« بعجل سمين للذبح » ، وامرأته قامت بالتجهيز والطبخ وتقديم باقي الخير من فاكهة وغير ذلك .

أما في أيامنا هذه ، فلم يعد يستطاع ذلك وغالبًا لا تقدم المرأة ما لديها للضيف ، إلا إذا استحسنته ورغبت في إكرامه ، وإن كرهت وفادته ورغبت عن إكرامه أتت باليسير الهزيل الزاهدة فيه ، وقد لا تأتي له بشيء ، ولكن رسول الله ﷺ : أمرنا بإكرام الضيف ليكون البيت عنوانًا لا للكرم وحسب ، ولكن للإيمان فقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ..** » (١) .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه كانت فينا امرأة ، وفي رواية : كانت لنا عجوز ، تأخذُ من أصول السلق تطرحه في القدر ، وتكركر حبات من شعير ، فإذا صلينا الجمعة ، وانصرفنا، نُسَلِّمْ عليها ، فتقدمه لنا » (٢) .

وعن الشعبي قال : دخلنا على فاطمة بنت قيس فأتحفتنا (٣) ، برُطب ابن طاب (٤)

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) أتحفتنا ، أي : ضيفتنا .

(٤) رطب ابن طاب : نوع من الرطب .

وسقتنا سويق سُلْت [١] فسألتها عن المطلقة ثلاثًا أين تعتد [٢] ؟ قالت : طلقني بعلي ثلاثًا وأذن لي النبي ﷺ « **أن أعتد في أهلي** » [٣].

هذا ، وقد بلغ من حُسن ضيافة الأسرة لزوارها ، أن الزوجة يُمكن أن تقوم بخدمة الأضياف ، إذا أمنت الفتنة .

عن سهل قال : لما عُرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه ، فما صنع لهم طعامًا ولا قربه منهم إلا امرأته أم أسيد ، بلت تمرات في تور [٤] من حجارة . . فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أماثته [٥] له فسقته [٦] تتحفه [٧] » .

فتبادل الزيارات العائلية وحُسن القيام بواجب الضيافة من أسباب زيادة أواصر الصداقة والمحبة بين الأصدقاء وصلة الأرحام بين الأقرباء والأصهار .

ثانيًا : صفات حُسن التبعل والقيام بمهام الزوجية :

إن تعلم وإكتساب هذه الصفات ليس من الأمور اليسيرة الهينة ، ولكنها تحتاج إلى تعلم وتوجيه وتدريب في البيت ، بل وفي مراحل التعليم المختلفة ، ومن هذه الصفات :

١ ـ رعاية البيت :

إن رعاية المرأة لبيتها سواء كانت زوجة أو أم أو أخت أو ابنة ، هي الغاية الأولى ، والهدف الرئيسي من خلق المرأة ، والأسرة هي بداية المجتمع ، فإن أحسنت النساء بناء البيوت بحسن التبعل للزوج والوفاء بواجب تربية الأبناء ، والمساعدة في إدارة البيت وتنشئة الإخوة ، أصبحت الأسرة هي اللبنة الأولى ، والأساس القويم القوي لبناء المجتمع ، فالأمة ثم الحضارة ، والعكس .

وقد أمر الله النساء بالقرار أي : الاستقرار في البيوت فقال تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الاحزاب : ٣٣] ، هذا ، وقد نسب الله البيوت للنساء وكأنها ملك لهن لا ملك

(١) سويق سُلْت : نقيع نوع من الحبوب يشبه القمح .
(٢) أعتد : أقضى مدة العدة .
(٣) الحديث رواه مسلم : كتاب الطلاق (ج ٤ ص ١٩٨) .
(٤) تور : إناء .
(٥) أماثته : أذابته .
(٦) تتحفه : تحتفل به .
(٧) الحديث رواه البخاري ومسلم ، كتاب النكاح ، كتاب الأشربة .

للزوج ، فالبيت كبناء من طوب لا قيمة له إلا إذا أدارته ورعته المرأة ، فلا فلاح لبيت بلا امرأة صالحة تديره وترعاه .

وقد فضل رسول الله ﷺ عمل المرأة في المنزل عن الجهاد في سبيل الله ، أتت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ـ خطيبة النساء ـ النبي ﷺ وهو في أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم،وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا في الجمع، والجماعات ، وعيادة المريض ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا ، أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الأجر ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، قال : « **هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه ؟** » فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت النبي ﷺ إليها فقال : « **افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله** » فانصرفت وهي تهلل [1].

ولا شك أن عمل المرأة في بيتها أهم من الجهاد ، فالجهاد له دواعيه ورجاله وهو ليس في كل وقت ، أما وظيفة المرأة في منزلتها فهي في كل الحيظة ـ تصغير لحظة ـ وهي المهمة التي أعدها الله لها ومنحها من المزايا الجسدية والنفسية ما لم يؤته الرجل ، يقول الأستاذ «عباس محمود العقاد » ـ رحمه الله ـ : ومن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل ؛لأنَّ ملازمة الطفل الوليد لا تنتهي بمناولة الثدي وإرضاعه ، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعي شيئًا كثيرًا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرًا في أطوار حياتها ، من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل في الرضا والغضب ، وفي التدليل والمجافاة ، وفي حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان في مثل سنها أو سنِّ أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها ؛ إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية .

(١) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » للبيهقي (٢ / ١٥٣) ، وذكره ابن عساكر في « تهذيب تاريخ دمشق الكبير » (٧ / ٤٤) .

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة » (١).

قد يظن البعض أن رعاية المرأة لبيتها قاصرة على الزوج والأبناء فقط ، والواقع أن هناك أقارب قد يكلف الزوج برعايتهم كأبويه أو أحدهما أو الجد والجدة أو أحدهما أو الأخت التي لم تتزوج أو الأرملة أو المطلقة أو الأخ القاصر الصغير أو حتى أقارب الزوجة، كأبويها أو الربيبة « ابنة الزوجة من زوج سابق » أو ابنها لقوله تعالى : ﴿ **وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ** ﴾ [النساء : ٢٣] .

فالبيت في الإسلام مؤسسة اجتماعية وإنسانية تقوم على دعائم قوية من صلة الأرحام، والتكافل الاجتماعي بينهم .

والأصل في تكليف المرأة بالعمل في البيت هو القرآن والسنة حيث يقول الحكيم الخبير : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [الأحزاب : ٣٢ : ٣٣].

والأمر لنساء النبي ؛ لأنهن القدوة ، ونساء المؤمنين أحق باتباعهن كما يقول الرسول ﷺ .

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الأمير راع والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده » (٢).

أ ـ تعريف ربة البيت في الإسلام :

من الحديث السابق يتضح أن ربة البيت هي المسؤولة عما به من أعضاء للأسرة يحتاجون السكن والمودة والرحمة بما تحمله تلك الكلمات النيرات الثلاث من دلالات لغوية ومعاني خلقية وعلاقات إنسانية ، إضافة إلى ما يحتاجه هؤلاء من رعاية وتربية وتيسير لأمور معيشتهم ، ويتساوى في ذلك الزوج والأبناء وكل من ترعاه الأسرة من أقارب الزوجين .

---

(١) الشيخ « محمد الغزالي » : « قضايا المرأة » ص (١١٧) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٤) عن ابن عمر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **خير نساء ركبن الإبل الصالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده** » (١).

عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا اعتكف يدني إلى رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان (٢).

لقد بلغت المحبة والمودة بين الزوج وزوجه أنها كانت تقوم بالعناية بشعره ﷺ من تهذيب وتسريح .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى (٣) .

لقد بلغ من خدمة ابنة النبي ﷺ لبيتها أن أثرت الرحى في يدها من مشقة وطول العمل .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : هلك أبي وترك سبع بنات ، أو تسع بنات ، فتزوجت امرأة ثيبًا ، فقال لي الرسول ﷺ ، « **تزوجت يا جابر** » ، فقلت : نعم ، قال : « **بكرًا أم ثيبًا** » قلت : بل ثيبًا ، قال : « **فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك** » قال : فقلت له : إن عبد الله - أباه - هلك وترك بنات وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن ، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن ، فقال : « **بارك الله لك** » ، وقال خيرًا » (٤) .

عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي ، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : « **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** » (٥).

ب ـ أهمية وظيفة ربة البيت :

وعن أهمية وظيفة المرأة كربة بيت يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تحت عنوان : « لا

---

(١) الحديث أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٤) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الحيض ، حديث رقم (٦) في بابه .

(٣) رواه البخاري ، تحت رقم (٥٠٤٦) .

(٤) رواه البخاري تحت رقم (٥٠٥٢) .

(٥) رواه البخاري تحت رقم (٥٠٤٩) .

تهونوا من وظيفة ربة البيت » [1] :

هل دور الحضانة تغني عن جوِّ البيت ، وصدر الأم ، واستقرار الأسرة ؟ ذلك بعيد ، وما نقبل هذه الدور إلا لضرورات مُلْجِئة ، وطبيعة الضرورة التوقيت ، حتى تعود المياه إلى مجاريها ، وتنبت الزروع في مغارسها . .

والإسلام عندما أوجب على الرجل نفقة البيت ، كان في الحقيقة يعطي المرأة عوضًا عن تفرُّغها لحسن تَبَعُّله ، وتنشئة أولاده ، واتجاهها الكامل إلى أداء رسالتها الطبيعية ، والذين يَزْدَرون وظيفة « ربة البيت » جهال بخطورة هذا المنصب وآثاره البعيدة في حاضر الأمم ومستقبلها الأخلاقي والاجتماعي .

وأعباء هذا المنصب داخل البيت تكافئ أعمال الرجل الشاقة خارجه ، وقد وجهت الشريعة كلا الجنسين إلى ما يليق به ، ويتفوَّق فيه . .

والقدرات الخاصة لبعض النساء لا تلغي هذا التخصص .

إن صفية بنت عبد المطلب نزلت من الحصن الذي أوى إليه النساء ؛ لأنها رأت يهوديًا يطيف به وقد يَدُلّ الأعداء عليه ، فهاجمته وقتلته ! فهل نجنِّد النساء كلهن لمثل هذه الحادثة؟ كلا! يقول الأطباء : كل واحد من الجنسين له دوره في الحياة الذي يتفق أحيانًا مع دور الطرف الآخر ، أو يختلف عنه .

ولا ريب أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل، فقد بُنِيَ جسم المرأة على نحو يتلاءم ووظيفة الأمومة تلاؤمًا كاملاً ، كما أن نفسيتها قد هُيِّئت لتكون ربة الأسرة وسيدة البيت ، وبالجملة فإن أعضاء المرأة الظاهرة والخفيّة ، وعضلاتها وعظامها ، وكثيرًا من وظائفها العضوية ، مختلفةٌ إلى حد كبير عن مثيلاتها في الرجل .

وليس هذا البناء الهيكلي والعضوي المختلف عبثًا ؛ إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون كله شيء إلا وله حكمة ، وهيكل الرجل قد بنى ليخرج إلى ميدان العمل كادحًا مكافحًا ، أمّا المرأة فلها وظيفة عظمى هي الحمل والولادة ، وتربية الأطفال ، وتهيئة عش الزوجية ليسكن إليها الرجل بعد الكدح والشقاء .

---

(١) « قضايا المرأة » : ص (١١٦ : ١١٧) .

جـ ـ دور المرأة في الأسرة والمجتمع وأهميته :

تقول الشيخة عائشة مبارك الصباح « خبيرة التنمية البشرية » [(١)]:

للمرأة دور عظيم وخطير في المجتمع أخطر من دور الرجل فهي الأم والأخت والزوجة والبنت والصديقة .. إلخ ، وهي نصف المجتمع وتلد لنا النصف الآخر ؛ لذلك إذا صلحت المرأة صلح المجتمع من هنا يأتي عظم دور المرأة المناط بها ، فالمرأة هي التي تربي الأبناء ، وبالتالي إذا صلحت الزوجة صلح الأبناء ، وبالتالي صلحت الأسرة ، والمجتمع عبارة عن مجموعة من الأسر ،وبالتالي ينصلح حال المجتمع بأسره .

وقد عرف أعداء الأمة خطورة دور المرأة ؛ لذلك نجد أن أحد المستشرقين يقول « غانية وكأس خمر » يفعلان في أمة محمد ما لا يفعله ألف مدفع ودبابة .

لذلك مطلوب من المرأة أن تهتم ببيتها ، فتعمل على بناء بيت مسلم بمعنى الكلمة ولها دور تجاه أهلها ومجتمعها ووطنها وأمتها العربية والإسلامية ؛لأنَّه كما قال ﷺ : «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » ؛ لذلك فالمرأة هي العمود الفقري للمجتمع .

٢ ـ الحرص على الاستمتاع العاطفي والجنسي المتبادل :

أ ـ مفهوم الاستمتاع العاطفي والجنسي :

قد يعتقد البعض ـ خطأ ـ أن العلاقة الخاصة بين الزوج وزوجته تقتصر فقط على العلاقة الجنسية التي يتشارك فيها كافة خلق الله من ذكر وأنثى ، مع اختلاف طرقها وأساليبها وأنماط الأداء .

ولكن الإنسان ككائن اجتماعي عاقل تحركه العواطف ، وتؤثر فيه الأحاسيس ، يحتاج إلى كم هائل ومتنوع وفياض من العواطف الإيجابية الأخرى ـ غير الجنسية ـ التي يرى فيها احترامًا لوجوده وتقديرًا لإنسانيته .

ويقول تعالى موضحًا تلك العواطف : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم : ٢١] .

والسكن من السكون ، وهو الاطمئنان والقرار في المكان وعدم الحركة ، فإشباع الرغبة الجنسية وتفريغ الشهوة ـ في حدود ما أحل الله ـ يؤدي إلى الإحساس بالسعادة والهناء والرضا والراحة الجسدية والنفسية أي : سكون النفس .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي ، العدد (٤٠١) المحرم (١٤٢٥) .

أما المودة [١] : فهي تعنى مبادلة المحبة والحرص عليها ، والودود : اسم من أسماء الله تبارك وتعالى ، فالمودة : علاقة حميمية خاصة ومتبادلة بين الزوج والزوجة يحرص فيها كلاهما على الحب المتبادل والفناء في الآخر وبين العطاء المتبادل ، والإخلاص الدائم والتضحية المستمرة ، والإحسان الوافر .

والرحمة فيقصد بها : المغفرة المتبادلة ، وتحمل عيوب الآخر ،وعدم إظهار الأخطاء أو تضخيمها ، حتى تتحقق السعادة العائلية ، وتستمر الحياة الزوجية رغم ما قد يعترضها من : عقبات وصعاب .

وقد أوضح الحق ذلك فقال : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١١٩].

ويقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ : « والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصفة بين الجنسين ، وتدفع خطاهم ، وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلطة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة ، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا ، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقرارًا للحياة والمعاش ، وأنسًا للأرواح والضمائر ، واطمئنان للرجل والمرأة على السواء .

والتعبير القرآني اللطيف الرقيق يصور هذه العلاقة تصويرًا موحيًا ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس : ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر ، مُلبيًا لحاجته الفطرية : نفسية وعقلية وجسدية ، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار . .[٢].

ب ـ أهمية الاستمتاع العاطفي والجنسي وقضاء الشهوة :

يقول العلي القدير : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

---

(١) أصل الفعل : ودد ، ويوده ، ودًا ، ووداداً : أحبه ، ويقال وددته : تمناه ، ووداده ، ووداد : يا دله المودة أي : المحبة . « المعجم الوجيز » مادة : « وده » ومختار الصحاح مادة : « وده » .

(٢) « في ظلال القرآن » : الشهيد « سيد قطب » ص (٣٧٦٣) ج (٥) ، دار العلم للطباعة والنشر بجدة .

[الأعراف : ١٨٩]، كما يقول : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

واللباس هنا يعني الستر ، فالعلاقة الجنسية المشروعة التي تؤدي إلى الإشباع العاطفي والجنسي « السكن » هي السبيل للوقاية من الوقوع في الزنا واقتراف الخطايا ، وقد عبر عنها القرآن الكريم لقوله تبارك اسمه : ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء : ٢١] .

والمعنى : ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ أي : استمتع كل منكما بالآخر استمتاعًا جنسيًا كاملاً ، بحيث لم يعد جسد ومفاتن كل منكما للآخر سرًا محجوبًا [١].

وقد أوضح القرآن حرية الزوج والزوجة في الاستمتاع الجنسي بأي طريقة كانت أو وضع يحقق السعادة طالما كان الجماع في الفرج فقال : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٢٣] .

ويفسر ويوضح الشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ هذه الآية فيقول :

« وبعض الناس فهموا خطأ أن قوله تعالى ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ معناها إتيان المرأة في أي مكان ؛ ذلك خطأ ؛ لأنَّ قوله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ** ﴾ يعنى : محل لاستنبات الزرع ، المكان الذي ينجب الولد على أي جهة شئت » [٢].

وليس في العلاقة الزوجية « الجماع » ما يعني إهانة المرأة أو انتقاص قيمتها الإنسانية أو الجنسية « كأنثى » أو الاجتماعية ، أو ينال من كرامتها وعرضها وشرفها ، ذلك ؛ لأن كل مخلوق خلقه الله أعده لوظيفته وجعله مناسبًا لها ، كما جعلها توائمه .

جـ ـ واجبات الزوجة الجنسية لزوجها :

من الحقائق المؤكدة التي أوضحتها تجارب البشر منذ آدم وحواء حتى اليوم وغدًا وإلى نهاية الحياة الدنيا ، أن التوافق العاطفي والجنسي والنجاح في قيام علاقة جنسية سعيدة ، هو الأساس القوي والصرح الشامخ الذي يكفل نجاح الزواج ، ويضمن دوام استمراره .

ومن تعريفات عقد الزواج أنه : عقد يبيح الاستبضاع ، أي : المعاشرة الجنسية ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء : ٢١] ، وقول الرسول ﷺ :

---

(١) « زكي علي السيد » : « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان ودعاة التحرر » ص (٢١ ، ٢٢) ، دار الوفاء بالمنصورة .

(٢) المرحوم الشيخ محمد المتولي الشعراوي ، « فقه المرأة المسلمة » ص (٢٨ ، ٢٩) .

«واستحللتم فروجهن بكلمة الله » ، وعلى ذلك فمن واجبات الزوجة ألا تمنع نفسها عن زوجها متى أرادها .

قال رسول الله ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح** »(١).

وفي رواية لهما: « **إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**»(٢).

كما قال ﷺ : « **إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ، وإن كانت على التنور** » (٣).

وهذه الأحاديث الشريفة ، قد يرى البعض أنها قد تذهب بحرية المرأة في جسدها ، كما يدعي بعض دعاة التحرر ، والكثير من مقلدي العادات والتقاليد الغربية ، ولكن هذه الادعاءات تتبخر سريعًا دونما أثر ، لو علمنا أن الإسلام أوصى الزوج أيضًا بمنح المرأة حقها في الاستمتاع العاطفي والجنسي ، فجعل إتيان الزوج لزوجته فضيلة يثاب عليها فقال ﷺ: « **وفي بضع أحدكم صدقة** » .

كما جعل الانصراف إلى العبادة وهضم حق الزوجة في الفراش رذيلة يعاقب عليها ، فقال الرسول ﷺ : « **ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ، إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء ، فمن رغب ـ ترك ـ عن سنتي فليس مني** » .

وقد أوضحت الأحاديث النبوية ضرورة إعداد الزوجة عاطفيًا وجنسيًا ، فجاء عن الرسول ﷺ : « **لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول** » ، قيل : وما الرسول يا رسول الله ، قال : « **القبلة والكلام**» ، كما قال ناصحًا رجال المسلمين : « **إذا جامع أحدكم أهله ، فليصدقها ، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها ، فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها** » .

وقال جابر بن عبد الله : نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة (٤).

---

(١) الحديث عن أبي هريرة ، وهو متفق عليه .

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٨٩٨) .

(٣) عن أبي علي طلق بن علي ، ورواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، والتنور : هو الفرن .

(٤) يقصد بالملاعبة : الغزل العاطفي بالكلام المعسول الذي يرضى أنوثة المرأة ، وأيضًا الغزل العقلي بالتلامس والتقبيل وغير ذلك .

وقد بلغت تعاليم الرسول ﷺ عنان السماء عندما نصح المسلمين بمنح المرأة الفرصة الكاملة للزينة والتزين قبل لقاء الزوج .

عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة فلما قفلنا [١] كنا قريبًا من المدينة تعجلت على بعير لي قطوف فلحقني راكب من خلفي ، فنخس [٢] بعيري بعنزة كانت معه فسار بعيري كأحسن ما أنت راء من الإبل فالتفت ، فإذا برسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله : إني حديث عهد بعرس ، قال : « **أتزوجت** » قلت : نعم ، قال : « **بكرًا أم ثيبًا** » قلت : بل . . . ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل ، فقال : « **أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً** » أي : عشاء لكي تمتشط الشعثة[٣] وتستحد المغيبة » [٤] .

د ـ حُسن لقاء الزوج :

العلاقة الزوجية تقتضي المعاشرة لمدة طويلة قد تصل لسنوات طوال ، وحتى لا يعتريها الخمول وتصاب بالسأم ، لابد لها من أساليب خاصة تهدف إلى المحافظة على المودة والرحمة ، ومن هذا حُسن لقاء الزوجة لزوجها ، وأيضًا حسن معاملة الزوج للزوجة، ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [النساء : ١٩].

وإذا كان حُسن لقاء المسلم لأخيه المسلم من البر المستحق للثناء حتى لو كان بكلمة طيبة ، فحسن لقاء الزوجة لزوجها أولى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : «**والكلمة الطيبة صدقة** » [٥] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال :قال لي رسول الله ﷺ : « **لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق** » [٦] .

ومن حسن لقاء الزوجة لزوجها ، أن يراها دائمًا جميلة نظيفة متزينة ، قال الرسول ﷺ : « **خير النساء من تسر إذا نظرت وتطيع إذا أمرت**» [٧].

---

(١) قفلنا : رجعنا .

(٢) نخس بعيري بعنزة : ضغط على البعير بعصا ، ليحضها على السير بسرعة .

(٣) الشعثة ، أي : غير مهذبة الشعر والهندام ، وعليها آثار التعب .

(٤) تستحد المغيبة : تقوم بإجراءات النظافة الداخلية من نتف وغيره .

(٥) الحديث : متفق عليه .

(٦) رواه مسلم .

(٧) أخرجه الحاكم (٢ : ١٦١) ، والزبيدي في « الإلتحاق » .

وهناك آداب إسلامية رفيعة لمساعدة المرأة على حسن لقاء الزوج ، منها استئذان الرجل قبل دخول بيته بأن يطرق الباب ويسلم على أهله ، ولا يقتحم البيت اقتحامًا .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أطال أحدكم الغيبة ، فلا يطرقن أهله ليلاً** »[1].

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً .

هـ ـ المشاركة الوجدانية :

الحياة سلسلة من الأفراح والأتراح ، فيها المسرات والمنغصات ، واليسر والعسر .

والدنيا متغيرة الأحوال ، فإذا زانت شانت ، وإذا كست أوكست ، وإذا أفرحت أترحت ، وربما تسعد ثم تشقى ، فداوم السعادة من المحال .

وعلى ذلك ، فالحياة الزوجية تتفاعل مع تقلبات الدنيا ، ولابد لأطرافها من المعاناة ـ أحيانًا ـ التي لا تنقشع ضبابها ، وتزول آلامها إلا بالمشاركة الوجدانية والتكافل العاطفي ، والإنسان في حاجة لهذا الإحساس في الشدة والضيق أكثر منه في الفرج والسعة ، ومن واجب الزوجة مشاركة زوجها في السراء والضراء على السواء ، ومن الشدائد ما قد يزول أثره كالمرض المرجو الشفاء منه ، ومنها ما لا يزول أثرة كالأمراض المزمنة أو الموت .

ومن الإيمان أن نعبر عن كل موقف بما أمر به الإسلام ، فنصبر في الشدة ونحمد في الرخاء ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ،﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥] ، ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [فاطر : ٣٤] .

وقد كان الرسول ﷺ ، وسيظل القدوة في الحمد صابرًا ، وزوجاته ﷺ القدوة في المشاركة الوجدانية والقلبية له في الضراء .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه [2] ،

(٤) الحديث متفق عليه .

(٢) الحديث رواه البخاري برقم (٥٤١٩) .

بالمعوذات [١]، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن ، فأمسح بيد نفسه لبركتها ، فسألت ابن شهاب كيف كان ينفث قال : ينفث [٢] على يديه ثم يمسح بهما وجهه [٣].

فقد كانت السيدة عائشة مرافقة له لم تتركه في مرضه وعندما لم يستطع أن يفعل ما يخفف عنه حرارة الحمى ، كانت تفعل هي ذلك .

وكانت ابنته السيدة فاطمة الزهراء تخفف عنه ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما ثَقُلَ النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب[٤] ، فقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه ، فقال : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** » فلما مات ، قالت : يا أبتاه أجاب ربًا دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه [٥] ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه [٦] ، فلما دفن قالت : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب » [٧] .

وهذه الكلمات على اختصارها تحوي من أحاسيس العزاء والرثاء والنعي ما تنفطر منه القلوب لصدق كلماتها وشدة بيانها .

وليس ذلك بغريب على آل بيت النبوة الذي شاهدوا الرسول ﷺ يبكي حزنًا لوفاة صبي صغير .

عن أسامة بن زيد وابن حبة رضي الله عنهم قالا : أرسلت بنت النبي ﷺ : إن ابني قد احتضر[٨] فاشهدنا ، فأرسل يُقرِئ السلام ويقول : « **إنا لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل ، فلتصبر ولتحتسب** » ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه من الصحابة ، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي فأقعده في حجره ونفسه تقعقع « تتحرك وتضطرب » ، ففاضت عيناه « بكى بشدة » فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : « **هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده** » [٩].

---

(١) قبض فيه : لحق بالرفيق الأعلى ، وتوفى أثناءه .
(٢) كان يقرأ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ .
(٣) نفث على يديه : ينفخ في يديه ، وكان يبرد يديه بالماء ويمسح بهما وجهه .
(٤) يتغشاه الكرب : يعاني من شدة وألم سكرات الموت .
(٥) مأواه : منزله وبيته ومستقره .
(٦) ننعاه : نرفع خبر موته إليه (حيث سينقطع الوحي عنه ﷺ) .
(٧) رواه البخاري .
(٨) احتضر : أوشك على الموت .
(٩) الحديث متفق عليه .

إن الملوك والعظماء يستحون من البكاء ، ولكن رسول الله ﷺ لم يستح من البكاء رحمة بإنسان .

وقد نظم الإسلام آداب وأحكام التعبير عن الأحزان والمشاركة ، بحيث لا تكون مظاهرة للنفاق والرياء والمبالغة في التعبير من عواطف قد لا تكون صادقة .

عن أبي هريرة [١] بن أبي موسى، قال: وجع أبو موسى وجعًا فأغشى عليه[٢]، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فصاحت امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال : أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة » [٣] .

والحديث نفسه جاء بلفظ آخر عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي بردة بن أبي موسى قالا : أغمى على أبي موسى وأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح برنة [٤] ، قالا : ثم أفاق ، قال : ألم تعلمي « وكان يحدثها » أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا بريء ممن حلق وسلق**[٥] **وخرق** [٦] » .

لقد كان الصحابة ﷺ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى وهم في سكرات الموت ، وهذا سبب سيادتهم للدنيا .

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية** » [٧].

عن أنس ﷺ قال : مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال : « **اتقي الله واصبري** » فقالت : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » [٨] .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٧) .

(٢) أغشى عليه : أغمى عليه .

(٣) الصالقة : التي تبكي بصوت مرتفع عند المصيبة .

(٤) الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة .

(٥) برنة : بصوت شديد حزين « أي : صراخ وعويل » .

(٦) سلق : رفع الصوت عند المصيبة .

(٧) خرق : حمق وجهل .

(٨) الحديث متفق عليه .

والحديث يوضح الفرق بين الصبر عند الصدمات وبين كيفية إظهار الحزن ، وواجب الرد الجميل لمن يتلقى العزاء ، فكان يجب على المرأة الدعاء بالخير لمن يعزيها في مصابها سواء الرسول أم غيره .

٤ ـ مساعدة الزوج كلما أمكن :

إن العلاقة بين الزوج وزوجته في الإسلام ليست علاقة تنافس قد يؤدي إلى تشاحن ثم كراهية ، ولكنها علاقة تكامل وتكافل وتعاون ليس للمنافسة فيها نصيب إلا أن كانت للسباق نحو الفضائل والمسارعة لعمل الخيرات ، إيمانًا بقوله جلّ وعلا ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢] .

وأوجه مساعدة الزوج ماديًا واقتصاديًا كثيرة منها :

أ ـ المساعدة في النفقة على البيت من مالها :

قد تكون الزوجة أغنى مالاً وأوفر إيرادًا من الزوج ، وهي تريد عن رغبة وحُب ، لا عن رهبة وكراهية أن تنفق على زوجها وأولادها فما أتاها الله من فضله ، والإسلام يبيح لها ذلك ويعطيها الأجر إن فعلت .

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعنها قالت : تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن ، قالت :فرجعت إلى عبد الله بن مسعود ، فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته ، فاسأله ، فإن كان يُجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل ائتيه أنت فانطلقت ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها ، وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال ، فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فاسأله . فقال رسول الله ﷺ : «**لهما أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة** »[1].

عن أم سلمة ، قلت : يا رسول الله هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا ، وهكذا إنما هم بنيّ ، قال : « **نعم ، لك أجر ما أنفقت عليهم** »[2].

---

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٠٥٤) .

ب ـ المساعدة المالية والاقتصادية للزوج :

للزوجة كشريكة فعالة وفاعلة في الحياة الزوجية ، أن تساعد زوجها وفقًا لإرادتها الكاملة ومشيئتها الحرة في تطوير أعماله ، عن طريق تحويله بما تراه مناسبًا من مال لتحسين تجارته أو تطوير صناعته ، أو زيادة استثماراته ، ويستوي في ذلك أن يكون هذا المال من مهرها أو مالها الخاص .

يقول تعالى : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾ [النساء : ٤] .

فهنا شرط المساعدة الأول هو بذل المرأة للمال أو بعضه عن طيب نفس أي : متمنية قبول الزوج المساعدة ، بلا ضغط أو إكراه حتى لو بسيف الحياء ؛ ولذلك يقول العليم الحكيم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ** ﴾ [النساء : ١٩].

يقول ابن كثير في تفسير الآية : « إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوجوها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها» فنزلت هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا** ﴾ .

وعن قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ** ﴾ ، ذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد صداقها « مهرها » فأحكم الله تعالى عن ذلك أي : نهى عن ذلك [1]، أي : لا تضاروهن في العشرة لتترك ما أصدقتها أو بعضه أو حقًا من حقها عليك ، أو شيء من ذلك على وجه القهر لها والإضرار ﴿**وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا** ﴾[البقرة : ٢٢٩] [2]» .

وقد كانت أم المؤمنين السيدة خديجة القدوة الحسنة في مساعدة الزوج « الرسول » بمالها في نشر الدعوة .

جـ ـ عدم إرهاق الزوج بكثرة المطالب والاعتدال في النفقة :

الإسلام هو دين الوسطية فلا طغيان للماديات على الروحانيات ولا إسراف حتى البذخ ، أو تقطير لدرجة الشُّح ، وعلى كل مسلم مهما كان مستواه ألا يكلف نفسه إلا طاقتها ، ولا يكلف غيره بما يجهده أو ينال منه أو يشقه .

(١ ، ٢) تفسير ابن كثير (ج ١ ص ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

وفي العبادات ، وهي غاية الخضوع لله وتنفيذ أوامره وشريعته لم يطالب الله عباده ببذل ما لا يستطيعون من جهد حتى لو كان في سبيل الحصول على رضاه ، فقال :العليم الخبير ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦]،كما قال: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن:١٦] ، فمن باب أولى ألاَّ يكلف المرء نفسه ما لا يستطيعه في شؤون الدنيا .

يقول تعالى : ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

فإذا أمرنا الله ألا ننفق في الصدقة إلاَّ قدر الاستطاعة ، ورأى في ذلك تبذيراً واتباعًا لنهج شيطاني هو من الكفر ، فكيف تسول لنا أنفسنا أن نبذرَ في ما لا طائل منه في غير العبادة ، قال تعالى موضحًا ذلك :

﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق:٧].

كما قال آمراً بالاعتدال في النفقة .

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

فالاعتدال في النفقة على البيت بحيث يتوازن المنفق « المنصرف » مع ميزانية الأسرة «الوارد » هو من الدعائم القوية لاستمرار الحياة الأسرية ، وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك لهند بنت عتبة زوج أبى سفيان عندما سألته هل يجوز لها أن تأخذ من مال أبى سفيان للنفقة على البيت دون علمه ، فقال لها : « **خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** » (١).

د ـ الرضا برزق الله والزهد فيما في أيدي الغير :

الناس درجات في الغنى والفقر ، والصحة ، والمرض ، والعلم ، والجهل ، والإيمان، والعصيان ، وغير ذلك ،وتطلع الإنسان لحياة أفضل ولبلوغ أعلى درجات كل شئ أمر لا يشينه ، ولكنه يزينه إذا كان التطلع مصحوبًا بالعمل الجاد والكسب الحلال فيما أمر به الله عز وجل ، وقد ينجح المرء أو لا ينجح ، وفي جميع الأحوال ، لابد للإنسان

---

(١) الحديث : رواه البخاري برقم (٥٠٤٩) .

الرضا بما قسمه الله ، ويقول الرزاق ذو القوة العليم: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٨]، فالله يرضى عن عبده إذا أطاعه ، ولكن العبد يرضى عن ربه إذا رضي بما قسمه الله له من رزق ، وحتى نصل لهذه الدرجة العظيمة ، نصحنا رسول الله ﷺ فقال : « **انظروا لمن هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدردوا نعمة الله عليكم** » (١).

وفي رواية للبخاري : « **إذا نظر أحدكم إلى من فُضلَ عليه في المال والخَلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه** » .

سأل رجل الرسول ﷺ : يا رسول الله دُلَّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : « **ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** » (٢).

فعلى كافة النساء من زوجات وأخوات وبنات الرضى بما قسمه الله للأسرة من رزق ، وألا يلعن رب الأسرة أو الزمن أو الأيام أو غير ذلك ، لضيق الرزق ، وإيلام رب الأسرة على ذلك ، مما قد يسبب له أذى نفسي أو يضطره إلى التحايل على الرزق بالسرقة أو الاختلاس أو غير ذلك من المحرمات .

والقدوة الصالحة في ذلك بيت النبوة .

عن عائشة أم المؤمنين ؓ، قالت : توفى رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي ، فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلته ففني »(٣) .

وعنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض»(٤).

وعن أنس ؓ قال : « لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات ، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات » (٥) .

عن عمرو بن الحارث ، أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ؓ ،قال : « ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ، ولا أمة ، ولا شيئًا ، إلاَّ بغلته البيضاء التي كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة » (٦).

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم .
(٢) حديث حسن صحيح : رواه ابن ماجة وغيره .
(٣ ، ٤) الحديث متفق عليه .
(٥ ، ٦) رواه البخاري .

لقد كان رسول الله ﷺ يستطيع أن ينفق على زوجاته نفقة واسعة من حصته ﷺ من الغنائم ، ومع ذلك لم يفعل ليكون لنا ولنسائنا القدوة في الزهد ، وعلى ذلك لم يكن من قلة إيمان زوجاته مطالبته بزيادة النفقة لقدرته على ذلك ، إلاَّ أن الله أمره أن يخبرهم بين الحياة والآخرة فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً . وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] .

ولكنهن جميعًا فضلن شظف العيش مع الرسول ﷺ ، على الدنيا وزينتها :

هذا وقد أوضح القرآن الكريم في سورة القصص تمنى زينة الحياة الدنيا بلا سعي أو كد أو عمل في قول قوم موسى عن قارون : ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [القصص : ٧٩] .

كما خَلَّدَ حكمه الراضين بما قَسَمَ الله لهم ، القانعين برزق ربهم في قولهم عن تمني زينة الحياة الدنيا : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ** ﴾ [القصص : ٨٠] .

هذا ، وقد أوجز رسول الله في الرضى بالرزق والقناعة به ، حيث جاء عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافًا ، وقنعه الله بما آتاه** » [1] .

ونحن الآن في عالم فيه من وسائل الرفاهية والترف والزينة ما لا حصر له ، وتتزايد هذه الوسائل كل دقائق وثوان ، ولو أن الأسرة ملكت مال قارون لما استطاعت تلبية حاجات أفرادها من نساء وأطفال ، فيجب علينا جميعًا ترتيب أولويات الإنفاق وفقًا لأهمية الحاجات الأساسية الملحة ،وفي حدود ما نملك من دخل وما ندخر من مال ، وهذه وظيفة الزوجة الصالحة الآن .

٥ ـ التمسك بآداب الحجاب والزينة :

استعراض الجمال ، وإظهار المفاتن طبيعة نسائية خالصة ، وهي تبدأ منذ الصغر مع بداية الوعي ، والإدراك في مرحلة الطفولة وتتزايد وتتنامى في مرحلة البلوغ والشباب ، فالمرأة تعرف بالفطرة أن جمالها هو أعظم كنز لديها ، ولو خيرت النساء بين الجمال والعقل

(١) الحديث رواه مسلم .

لأخذن جميعًا بلا تردد أن يَحُزْنَ الجمال .

والإسلام ـ والأديان السماوية الأخرى ـ نظم قواعد ومبادئ وأصول وأحكام لباس « زي » المرأة وزينتها حتى لا تكون مثيرة لشهوة الرجال وموطنًا لنظراتهم ، أو داعية لجرأتهم والطمع في افتراسهم ، فتكون المرأة بذلك طريقًا للشيطان يبتدئ بها وينتهي إلى الرجل .

ولكي لا يكون خروج المرأة من بيتها وعملها هو السبيل لانحدار المجتمع الأخلاقي والديني ، مما قد يسبب ضياع مفاهيم العفة وآداب الفضيلة يجب التمسك بآداب الحجاب والزينة كما أمر بها الإسلام ومنها :

أ ـ الالتزام بآداب الحشمة والوقار في الملبس والزينة :

الأصل أن خروج المرأة للعمل لضرورة ، وليس لإظهار مفاتن واستعراض جمال بحجة واهية عابثة فاسدة مفسدة وهي إظهار الشخصية ، والأناقة ومسايرة الموضة ، ولكن إثبات الوجود وإظهار الشخصية يكون بإتقان العمل ومراعاة الأمانة فيه « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » .

وزي المرأة الواجب ارتداؤه يجب أن لا يصف « أي : لا يكون ضيقًا جدًا حتى يوضح تفاصيل جسد المرأة وكلها عورة ، ولا يشف أي : لا يكون رقيقًا شفافًا بحيث لا يستر جسدها ، ويدخل في ذلك ألا يكون الملبس عاريًا يكشف أجزاء من الجسم علانية » .

والمناسب للمرأة العاملة إظهار الوجه والكفين فقط وذلك يعد ـ من وجهة نظرنا ـ ضروريًا لمعرفة شخصية المرأة ، حتى لا يستغل الحجاب الكامل في عدم معرفة الرؤساء للمرؤوسات ، مع عدم التزين من مكياج أو كوافير ، أو رفع صوت بميوعة مصطنعة ، وغض بصر » [(١)].

وهذه الآداب السامية أوضحها جل شأنه في قرآنه الكريم فقال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣١] .

(١) المرأة بين الشريعة : « قاسم أمين » ص (٣٤١) .

كما قال جلّ وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩].

ب ـ الالتزام بآداب الزينة في الإسلام :

لم يحرم الإسلام المرأة من حق التزين الذي قد يكون للزوج أو لغيره :

*** الزينة المشروعة للزوج :**

يجيز الإسلام للمرأة التزين والتجميل للزوج ، بأنواع الحلي من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، واللؤلؤ ، والمرجان والتجمل باللباس الطيب ، وإن شف أو رف أو أظهر مفاتن أو عرى مواضع ، والإسلام لا يمنع الكحل والتخضب بالحناء ، والتعطر بأنواع العطور . . ، وهذه الزينة وغيرها مما تظهر جمال وأنوثة المرأة لزوجها ، فتقر به أعين الأزواج ، وترضي رغبات النساء ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] ، ولكن لا يجوز فصل الشعر « الباروكة » .

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إن لي ابنة عريسًا ، أصابتها حصبة فتمرق شعرها ، أفأصله ؟ فقال ﷺ : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة** » (١).

وفي لفظ آخر : « أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت : إني زوجت ابنتي ، فتمرق شعر رأسها ، وزوجها يستحسنها ، أفأصل يا رسول الله ! فنهاها » (٢) .

عن صفية عن عائشة : أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها ، فجاءت النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقالت : إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها ، فقال : « **لا ، إنه قد لعن الموصلات** » (٣) .

إذن الباروكة ووصل الشعر حرام ، حتى لو كان للتزين للزوج .

ويجب التنويه أن تغيير الشكل بلا مبرر علاجي كتفليج الأسنان أو تقصيرها أو تعمد جراحات التجميل التي لا تعالج عيبًا خلقيًا ، ولكن تهدف إلى مسايرة الموضة أحيانًا ، وغالبًا لإبراز الأعضاء الأنثوية كزيادة حجم النهدين ، أو ملء واستدارة مناطق الأرداف

(١ ، ٢) رواه مسلم ، رقم (٢١٢٢) ، وتمرق شعرها أي : سقط شعرها وتقصف .
(٣) رواه البخاري برقم (٤٩٠٩) .

والإلية ، وشفط الدهون من مناطق خاصة كمنطقة الوسط أو ما بين الفخذين ، ليس من الزينة المحللة للزوج أو لغيره [١] ، فذلك يُعد تغييرًا لخلق الله ، الذي افتخر الله بإبداعه على أحسن حال ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

ثم بين الخالق البارئ المصور أن هناك من البشر من لم يرتض بخلقه كما أراد الله فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ ـ ٨] .

وأي صورة ، أي : في أجمل صورة ، وهي افتخار من الله بخلق الإنسان سويًا معتدلاً جميلاً .

*** الزينة المشروعة لغير الزوج :**

الإسلام يرى في التزين وتعمد إظهار الجمال لغير الزوج رذيلة هي من آفات الجهل الأخلاقي والديني ، ودليل التخلف الفكري والحضاري فقال تعالى : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الاحزاب : ٣٣] .

التبرج ومعناه :

التبرج : هو إظهار الجمال ، وإبراز محاسن الوجه والجسم ومفاتنها ، يقول الإمام البخاري : « التبرج أن تخرج المرأة محاسنها » ، والأصل مأخوذ من البروج ، وهي القصور العالية ، البينة الارتفاع ؛ فالمرأة المتبرجة تعلن عن محاسنها بإبرازها أو تحديدها ، ويقول تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور : ٦٠] .

ولا شك أن طبائع النساء لإظهار الجمال والمنافسة بينهن في إخفاء عيوبهن ، جعلت للزينة والتزين ، والبهرجة والتحرر نصيبًا مفروضًا عليهن ، وكأنه جزء منهن ، فالمرأة لن تسمح بأن تكون أخرى أكثر جاذبية أو أكثر إظهارًا لجمالها أو إخفاء لعيوبها منها ، ومن هنا سارعت النسوة إلى ركوب كل انحلال ـ في الغالب وحيث إن إبراز مفاتن المرأة وعورتها « الأنوثة » دعوة صريحة للرجال للنظر والتشهي والتمني ثم تيسير السبل إلى

---

(١) موضة جديدة اخترعتها المغنيات والراقصات والممثلات ، لإبراز المفاتن وغواية وإغراء وإغواء البشر ، وقد تبعهن الكثيرات في ذلك ، حيث أصبحت الساقطات العاهرات ـ مهما كان المسمى ـ هن القدوة غالبًا .

طريق الغواية والفحشاء والزنى ، فقد أمر الله جل شأنه عباده بغض النظر للذكر والأنثى وحفظ الفروج للذكر والأنثى ، ثم أمر الأنثى فقال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] .

ويقصد بالخمار : ما يغطي الرأس والوجه ، **والجيب** : هو فتحة الصدر ما بين بداية العنق حتى الثديين .

ويقصد بالزينة : كل ما يضفي حُسنًا وبهجة من حُلي وجواهر وثياب « غير شرعية » وأصباغ وأدهان وروائح إضافة إلى تعمد إظهار الأعضاء المثيرة في المرأة أو التي حرم الله كشفها لغير محرم أو لغير الزوج .

ووصلت دقة التعبير القرآن لإخفاء أعضاء المرأة ﴿ **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ ، فهنا الأمر بعدم إتيان أي فعل ، ولو كان تعمد هز أسوار الأرجل « الخلاخيل » ، الذي قد يشير إلى نية المرأة السيئة لجذب انتباه الرجال وعرض نفسها عليهم كحرم يمكن اجتياره .

وليس من الإسلام ما نراه اليوم من ملابس ترتديها النساء كالبدل وهي تشابه بصورة كبيرة ملابس الرجال ، تثير شهوة الرجال حيث إنها تبرز وتجلي وتوضح وتحدد معالم المرأة ومفاتنها التي يجب حجبها ، بل أن هناك بعض التصميمات تعمدت إظهار عورات النساء وكأنها عارية للرجال !!

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » [1] .

ومن مظاهر إبداء الزينة أيضًا ، تعمد ترقيق الصوت وتنعيمه وليونته ، وهذا يؤدي أيضًا لسوء الظن بصاحبته ، وأنها تبغي هوى في النفس ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي**

---

(١) رواه البخاري .

فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الاحزاب : ٣٢]، وتحرم هذه الزينة حتى في المسجد ، عن عائشة ﵂ قالت : بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل [٢] في زينة لها في المسجد ، فقال النبي ﷺ : « **أيها الناس ، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد ، فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد** » رواه ابن ماجة [١].

ومن ذلك أيضًا التعطر ، يقول الرسول ﷺ : « **أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية** » ، كما يقول ﷺ عن أبي هريرة : « **أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهدن العشاء** » أي : الآخرة . رواه أبو داود والنسائي .

ومن إبداء الزينة أيضًا : ارتداء ما يشف أو يرف أو يجسم؛ لقول الرسول ﷺ لأسماء بنت أبي بكر : « **يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا** » [٢] وأشار للوجه والكفين .

ويقول تعالى آمرًا كل نساء المسلمين بلا استثناء مهما عظم قدرهن وتعالى شأنهن لإرتفاع القيمة الإجتماعية أو سمو القيمة الدينية : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الاحزاب : ٥٩].

إذن لا خلاف بين الفقهاء على ضرورة الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة ، ولكن الخلاف في الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾ ، ومن آراء العلماء في ذلك : قول القرطبي في معنى وتفسير إلا ما ظهر منها : « فلا تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها . . وقال بعض العلماء : إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة ، فعليها ستر ذلك ؛ وإن كانت عجوزًا أو مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها ، والزينة على قسمين ، خلقية ومكتسبة : فالخلقية وجهها ، فإنه أصل الزينة وجمال الخلق ، وأما المكتسبة فهي ما تحاول المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **خُذُوا زِينَتَكُمْ** ﴾ [الاعراف : ٣١] ، ومن الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب ، وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية ، أو حل محلهم ، واختلف في السوار: فقالت عائشة : هي من الزينة الظاهرة ؛ لأنَّها في اليدين ، وقال مجاهد : هي

---

(١) ترفل : تمشي في زهو وخيلاء .

(٢) « فقه السنة » (٢ / ٢٥٩) .

من الزينة الباطنة ؛ لأنَّها خارج عن الكفين ، وقال ابن العربي : وأما الخضاب فهو من الزينة الباطنة إذا كان في القدمين » (١).

أما فيما يختص بإبداء الزينة لمن تم استثناؤهم في الآية فيقصد منها : « أمر الله سبحانه وتعالى النساء ألا يبدين زينتهن للناظرين إلا ما استثناه من الناظرين في باقي الآية حذار الافتتان ،ثم استثنى ما يظهر من الزينة : واختلف الناس في قدر ذلك ، فقال ابن مسعود : ظاهر الزينة هو الثياب ، وزاد ابن جُبير الوجه ، . .والأوزاعي : الوجه والكفان والثياب ، وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفَتَخَ ، ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى الذراع حديثًا عن النبي ﷺ ، وآخر عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت أن تظهر إلا وجهها ويديها إلى هاهنا** » وقبض على نصف الذراع .

وعلى ذلك فالاختلاف في مفهوم الزينة وما يجب ظهوره منها محل خلاف بين فقهاء وعلماء المسلمين ، وهذا الخلاف أساسه الرحمة ، حيث إنه متسع يسع عادات وتقاليد كل مجتمع أو أفراد ، فالمتساهل يجيز له كشف الوجه والكفين وشديد الغيرة يجوز له إخفاء ما شاء منهما وفقًا لدرجة الجمال والخوف من الفتنة وطبقًا لدرجة غيرته .

ويقول الشيخ « محمد الغزالي » عن أهمية غض البصر وعدم إبداء الزينة ومداها : «من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تولد وتتحرك وتقوى في سنّ اليفاعة ، أي: حوالي الخامسة عشرة من العمر ، أي : قبل اكتمال القدرة العقلية ، واستطاعة النهوض بأعباء الزواج ، ورعاية الأسرة ، ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف . .

إن الزواج ليس تنفسيًا عن ميل بدني فقط ! إنه شركة مادية وأدبية واجتماعية تتطلب مؤهلات شتى ، وإلى أن يتم استكمال هذه المؤهلات وضع الإسلام أسس حياة تكفل الطهر والأدب للفتيان والفتيات على سواء . .

وأرى أن شغل الناس بالصلوات الخمس طول اليوم له أثر عميق في إبعاد الوساوس الهابطة ، ينضم إلى ذلك منع كل الإثارات التي يمكن أن تفجر الرغبات الكامنة .

إن الحجاب المشروع ، وغض البصر ، وإخفاء الزينات ، والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

النساء في أي اختلاط فوضوي ، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمي والاجتماعي والعسكري - عند الحاجة - كل ذلك يؤتي ثمارًا طيبة في بناء المجتمع على الفضائل [١].

كما يقارن بين الحجاب الإسلامي والحجاب عند الراهبات والأوربيين فيقول : « إن الأوروبيين يعرفون ملابس الفضيلة في أزياء الراهبات عندهم، وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعي عندنا ، وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا ، وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه ! أما إخفاء الأيدي في القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النُّقُب ، وجعل المرأة شبحًا يمشي في الطريق معزولاً عن الدنيا ، فذاك لم يأمر به دين!»[٢] .

٦ - حفظ شرفها والمحافظة على شرف الزوج :

الإسلام دين أخلاق قويمة ، وصدق الرسول ﷺ حين قال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »، والإسلام كباقي الأديان السماوية لا يؤمن بالأفكار الإباحية الشاذة والتي تدعي حرية المرأة في جسدها تفعل به ما تشاء ، فتفرط في بكارتها ، وتذهب بعذريتها تحت مفهوم الحرية والحق في التمتع بالحياة ، أو تزاول الجنس مع آخرين مع الزوج تحت نفس المفهوم الحقير الدنيء الذي لا يسمح به الحيوانات الراقية .

ويقول الحق جل وعلا : ﴿ **وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

والآية توضح حفظ الأعضاء الجنسية للرجال والنساء ثيبات وأبكارًا ، كما أمر الله الثيبات المتزوجات بحفظ عفتهن فقال :

﴿ **وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ** ﴾ [الممتحنة : ١٢].

وفي تفسيره لهذه الآية يقول ابن عباس : « لا يلحق بأزواجهن غير أولادهن » [٣] ، وحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة** » [٤].

هذا ، وقد تعددت الأحاديث النبوية التي يؤدي اتباعها للمحافظة على العوامل والأسباب التي قد تسهل اللقاءات بين الذكور والإناث والاختلاط الذي قد يذهب بالعفة والكرامة والشرف .

---

(١) الشيخ محمد الغزالي : « قضايا المرأة » ص (٤١) ، مكتبة الأسرة .
(٢) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » ص (٢٧٩ / ٢٨٣) .
(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٣٥٤) .
(٤) الحديث رواه جابر ، وأخرجه مسلم في « صحيحه » برقم (٢١٧١) .

قال رسول الله ﷺ : « **ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم**».

عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « **إياكم والدخول على النساء** » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الحمو ؟ قال : « **الحمو الموت**» (١).

سمعت الليث بن سعد يقول : « الحمو في الزوج ، وما أشبهه من أقارب الزوج ، ابن العم ونحوه » (٢).

والإسلام لم ير في جريمة الزنا جريمة شخصية تتعلق بأطرافها فقط ، ولكنه يراها جريمة اجتماعية يتأثر بها المجتمع كله ، حيث إن نتائجها تؤثر في المجتمع جميعه ؛ ولذلك فقد أوجب حق القصاص على مرتكبيها حتى لو تمت برضاهم ، وجعل تنفيذ العقوبة معلنًا عنه وتحت سمع وبصر بعض المسلمين؛ليكون في ذلك العظة والموعظة لكل أفراد المجتمع، قال تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٢ ، ٣] ، ويلاحظ أن قوله تعالى : ﴿ **وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ أخرج الزنا من مفهوم الحرية الشخصية ، وجعله دليل كفر ، حيث لا يجب على مؤمن أن يفعله (٣).

والأمهات والآباء والمجتمع مطالبون حاليًا بإعادة تأهيل الأبناء من ذكور وإناث للتمسك بمفاهيم الشرف والأمانة ، خاصة أن أعداء الأديان ، وليس الإسلام فقط ، ينادون اليوم بالإباحية المطلقة والشذوذ الجنسي حتى أصبح الحفاظ على عذرية الفتاة أمر يسيء لأنوثتها ويقلل من كرامتها ، وقد وصف الله هؤلاء الدعاة في قرآنه فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١].

٧ ـ حفظ أسرار البيت :

السر : ما حدث به الإنسان غيره في خفاء أو أخفى منه ، ما أضمر في نفسه ما لم يحدث به غيره (٤).

(١) رواه مسلم : الحديث رقم (٢١٧٦) .

(٢ ، ٣) المصدر السابق رقم (٢١٧٢) .

(٤) تعريف ابن عباس الوارد في « تفسير الطبري » .

فإذا حدّث الإنسان غيره بسره وأطلق عليه ، فقد خان نفسه ، حيث أصبح كتم السر مهمة غيره ، إن شاء كتم ، وإن رغب أذاع ، ودائمًا السر يحوي ما يخشاه صاحبه ، وإلاَّ لما خاف من إذاعته ومعرفة الغير له .

وقال الإمام الغزالي : قال الحسن البصري : « إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك » .

وقال الرسول ﷺ : « **الحديث بينكم أمانة** » [١].

وقد استعاذ الرسول ﷺ من جار السوء فقال : « **استعيذوا بالله من جار السوء الذي إذا رأى خيراً ستره ، وإذا رأى شراً أظهره** » [٢].

والحياة الزوجية لن تخلو من مشاكل زوجية هي من الأسرار المقدسة للبيت، والتي إن خرجت منه، ولم تعد أسرار وشاعت أدت إلى مناقشة الأهل والأصهار والأصدقاء، وكلٌّ يتحيز لقريبه، فاختلفت وجهات النظر ثم تباعدت، وحتمًا ستؤدي في النهاية إلى تباعد الأزواج.

ويقول الإمام الغزالي ناصحًا كل من الزوجين بعدم إفشاء الأسرار ، وتحمل العيوب المتبادلة .

إنك تعلم أنك لو طلبت منزهًا عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ، ولن تجد من تصاحبه أصلاً ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوئ ، إذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية والمنتهى ، فالزوجة الكريمة البارة الصالحة تضع في قلبها محاسن زوجها، لتثبت فيه الود والاحترام والتوقير ، والزوجة الفاسدة هي التي تبحث عن نقائض وعيوب زوجها الظاهرة ، فتضخمها ، والباطنة فتظهرها وتجليها ثم تنشرها بين المحب لهما والكاره فتسيء لسمعتها أولاً ثم لزوجها معها ، فتتزايد الكراهية وتتفاقم الخلافات ويصبح من المحال إصلاح ما أفسده اللسان [٣].

وحفظ السر لا يتضمن المشاكل والعيوب فقط ، ولكنه يشمل أمور أخرى كثيرة ، منها حفظ أسرار ودقائق العلاقة العائلية الخاصة بين الرجل وزوجته أو غير زوجته :

عن أبي سعيد الخدري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشر الناس عند الله**

(١) رواه ابن شهاب مرسلاً ، وأخرجه ابن أبي الدنيا .

(٢) أخرجه البخاري في « التاريخ » عن أبي هريرة ، ومرجعنا « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي (ج ٢ ص ٦١١) .

(٣) « إحياء علوم الدين » : للإمام الغزالي (ج ٢ ، ٦١١) .

منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها » (١).

ومن حفظ السر أيضًا حفظ أسرار الغير عن الأزواج من صديقات أو أقارب .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها** » (٢).

وقد سجل القرآن الكريم إذاعة سر عائلي طرفاه رسول الله ﷺ وبعض أزواجه ، حيث جامع الرسول ﷺ ساريته « مارية القبطية » في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت (٣) حفصة ، فقالت : يا نبي الله لقد جئت إلي شيئًا ما ، جئت إلى أحد من أزواجك في يومي ،وفي دوري وعلى فراشي ، قال : « **ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها** » قالت : بل فحرمها ، وقال لها : « **لا تذكري ذلك لأحد** » ، فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عليه (٤)، فأنزل قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ . إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [التحريم : ٣ ، ٤].

إفشاء السر ذنب يستوجب العقوبة إن لم يُبادر بالتوبة ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ** ﴾ .

وحفظ السر لا يكون بين الزوجة وزوجها فقط ، بل يجب أن يتربى عليه الأبناء ويتخذوه خلق قويم وأدب رفيع .

عن عائشة رضي الله عنها أتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فرحب بها ، وقال : « **مرحبًا يا بنتي ، ثم أجلسها ..، ثم سارها ، فبكت بكاءً شديدا ، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت** » ، فقلت لها : « أي : عائشة » خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين ! فلما قام رسول الله حتى سألتها : ما قال لك رسول الله ﷺ قالت : « ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره . . » (٥).

وهكذا يتضح أن حفظ السر يجب أن يكون فضيلة إسلامية يتمتع بها كل فرد في الإسلام .

---

(١) رواه مسلم ، « يفضي إلى المرأة يطلع على جسدها ويعاشرها » .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٩٤٢)، « تنعتها لزوجها أي: تصفها لزوجها، وتوضح مفاتنها وكأنه يراها » .

(٣) وجدت حفصة : غضبت .

(٤) « تفسير ابن كثير » (ج ٢ ص ٣٨٧) .

(٥) الحديث متفق عليه ، واللفظ لمسلم .

٨ ـ النصح والإرشاد المتبادل لحل المشاكل وإزالة العقبات :

أ ـ استشارة الزوج فيما تراه من شؤونها الخاصة :

إذا كان من حق الرعية أن يستطلع الحاكم رأيها فيما يجد من أمور ، ولو كان الراعي والرئيس هو النبي ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ؛ مصداقًا لقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، فإن من حق الزوج على زوجته أن تشاوره وتستطلع رأيه فيما يخصها من أمور هامة ، تؤثر في مستقبلها هي وأولادها وربما الأسرة كلها .

عن أم المؤمنين أم سلمة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة ، ولم تستأذن النبي ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه ، قالت : أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي ؟ قال : « **أو فعلت؟** » ، قالت : نعم ، قال : « **أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك** »[1] .

ولا شك أن الرسول ﷺ كان يعلم بحاجة أخوال زوجه إلى خادم .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : « . . فجاءني رجل فقال : يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك ، قالت : إني إن رخصت [2] لك أبى ذلك الزبير [3] فتعال فاطلب إلي والزبير شاهد ، فجاء فقال : يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك ، فقالت : ما لك بالمدينة إلا داري ! فقال لها الزبير : ما لك أن تمنعي رجلاً فقيراً يبيع » [4].

لقد أرادت أسماء ألا تتصرف في مال تملكه ولها حرية التصرف فيه دون موافقة زوجها إعلاء لقدره وحرصا على رضاه وحتى تقطع طريق الشيطان إلى غيرته ، فقد يظن أنها سمحت للرجل بالتجارة بالقرب من بيتها لشيء في نفسها ، وهذا درس عملي لكافة نسائنا أن استشارة الزوج لا تنقص من حرية وقيمة الزوجة .

ب ـ نصح وإرشاد الزوج لحل بعض المشاكل :

قد يهب الله بعض النساء من الحكمة والتعقل ما يمكنهن به نصح وإرشاد الغير من

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) رخصت لك : منحتك الإذن .

(٣) أبى الزبير : رفض زوجي الزبير .

(٤) رواه مسلم : « كتاب السلام » (ج ٧ ص ١٢) .

زوج وغيره لتذليل بعض العقبات وحل الكثير من المشاكل ، وقد يكون الزوج أحكم وأعقل ،ولكن وقت الغضب تغيب عنه بعض الأمور فتستطيع الزوجة تنبيهه لذلك ، وذلك يُعد من جمال واكتمال العقل ، فالجسد له جمال والعقل له كمال ، وهنيئًا لزوج ظفر بزوجة حسنة الجسم والعقل ، وقد ضربت أم المؤمنين أم سلمة القدوة في نصح الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، وتقول « د/ بنت الشاطئ » عن ذلك : « لم تلق هدنة الحديبية قبولاً من الصحابة حتى أنهم رفضوها ، فأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يقوموا لينحروا ويحلقوا شعرهم ، فما قام منهم رجل بعد الأمر ثلاث مرات ، فغضب الرسول ﷺ ، ودخل على زوجه أم سلمة شاكيًا أصحابه ، فقالت له : يا رسول الله ، اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك « أضحيتك » وتدعو حالقك ليحلق لك ، ونفذ الرسول ، وهنا تدافع الصحابة ليقتدوا به (١) .

٩ ـ عدم الطغيان « المبالغة في الخصام » :

الحياة الزوجية كشركة لها طرفان على الأقل ، قد يعتريها بعض الفتور ، وتصيبها بعض الآفات ، التي يكون بدايتها الغضب ونهايتها الخصام ، الذي إن لم يعالج بعقل وحكمة قد يؤدي إلى انفصام الحياة الزوجية بالهجر الطويل أو الطلاق البغيض .

وقد نهانا القرآن الكريم عن المبالغة في الخصام ، فقال تعالى : ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ [الزخرف : ١٨] ، فالآية تحثنا على تربية بناتنا تربية صحيحة لا يكون عمادها التحلي بالذهب والفضة وغيرها من الحلي التي قد تورث التبات .

فالاهتمام بالزينة الخارجية ونبذ الأخلاق الفاضلة والزينة الداخلية للعقل ، يجعلها كزوجة في المستقبل شديدة العناد ، طاغية الخصام ، فلا ترى في التسامح حسن خلق ، ولا في المغفرة جمال فضيلة ، وإذا كان المسلم مأمورا بالتسامح والمغفرة لمن يسيء إليه حتى لو كان مسيئًا ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور : ٢٢] ، فالزوجة أحق بذلك ، والصبر على اختلاف الطباع وتباين العادات الذي لابد أن تعاني منه كل أسرة في بداية تكوينها هو السبيل القويم لاستمرار الحياة الزوجية ، يقول الحكيم الخبير : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] .

وإذا كان التسامح وعدم المبالغة في الخصام كفيل بتحويل العدو إلى صديق ، ألا

(١) ابن هشام : « السيرة النبوية » (٣ / ١٢) عن كتاب « نساء النبي » د/ عائشة عبد الرحمن ص (١٥٣) ، مكتبة الأسرة ، وانظر : كتابنا « المرأة بين الشرعية وقاسم أمين » ص (٣٩٢) .

يكون ذلك كفيل بتحويل الخصام إلى صلح وبر ومحبة ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

لذلك فالرسول علمنا أن الفجور في الخصام دليل نفاق ، فقال : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** »[1].

والمبالغة في الخصام إذا صحبه الغضب الشديد والعناد قد تؤدي إلى الإساءة إلى الزوج، وذكر ما تؤخذ عليه ، وحجب ما يُحسب له ، وقد نبه الرسول ﷺ ، وأوصى بتجنب ذلك فقال عن ابن عباس : « **رأيت النار .. ورأيت أكثر أهلها النساء** » قالوا : لم يا رسول الله ، قال : « **بكفرهن ، قيل : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط** »[2].

عن عبد الله بن عمر ﵄ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » فقالت امرأة منهن ،جزلة : وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟! قال : « **تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ..** »[3].

فإذا أريد دوام إعمار البيوت ، فلابد من كتم الأسرار داخل الصدور ، لتتحول نيران الغضب إلى رماد تذروه عواطف المحبة والوفاق .

١٠ ـ طاعة الزوج « حق القوامة » :

القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣٤] ،وله معنى الملازم والمحافظ إلا ما دمت عليه قائمًا ، أي : ملازمًا ومحافظًا .

إذن القوامة التي تستلزم الطاعة ، ليست بمعنى التسخير ـ كما يظن البعض ـ ولكنها حق واجب على المرأة نحو زوجها ، وهي طاعة عطاء وبذل متبادل بين الزوج والزوجة ، ولا تنافس فيها ولا شحناء ، ولكن توجيه وتقويم ، فالقائد هو الرجل والقوة العاملة الفعالة هي المرأة التي لو أرادت المخالفة لتقوض بناء الأسرة .

وأصل القوامة وتشريعها هو القرآن والسنة،فقال العليم الخبير : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

---

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو متفق عليه .

(٢) رواه البخاري : حديث (٤٩٠١) .

(٣) رواه مسلم : حديث (١٣٢) .

النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤] ، كما يقول جلَّ شأنه : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة:٢٢٨] .

وهذه الدرجة مرجعها الفطرة وحكمة الله في خلقه ، فهو تعالى شاء أن يخلق المرأة من الرجل ، فآدم أصل حواء ، والأصل ـ دائمًا ـ هو الأقوى وهو سبب الفرع .

والدرجة تعنى : حق قيادة الأسرة بمشاركة المرأة باعتبار الرجل الربان والمرأة الجهاز التنفيذي الذي لا غنى عنه ، وهي لا تعني : الحط من قيمة المرأة بسبب أنوثتها ، وإعلاء قيمة الرجل بسبب ذكورته ، فالدرجة الواحدة لا تؤدي إلى ذلك ،ولكنه تفضيل بين الأفضل ودونه في الفضل ، وهذا التفضيل قائم على التشاور والتراضي والمشاركة في اتخاذ القرار ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ولعل كلمتي « تراض وتشاور » بينهما ، تظهرا المساواة والديمقراطية في اتخاذ القرارات ، ولكن في حالة الخلاف ، فالرأي للرجل ، بلا استبداد أو ظلم أو قهر .

فالرجل والمرأة في الإسلام كطرفي دائرة يكمل كل منهما الآخر ، وعلى هذا الأساس تقوم الأسرة ،وتقوى أركانها ، وتثبت دعائمها ، وتزدهر المجتمعات ، وتعلو الحضارات .

ولا يعقل أن تقاد دفة حياة الأسرة بقائدين متساويين ،ولكن بقائد واحد ، وهيئة استشارية تنفيذية هي المرأة ، فالقوامة هي توزيع مسؤوليات ، وحق الطاعة هو تنفيذ واجبات ، فيحال على الرجل القيام ببعض أعمال المرأة الهامة المخلوقة لها ، وأيضًا من الصعب على المرأة النهوض ببعض مهام الرجال ، فلاختلاف الجنس ، ووظائف الأعضاء تجعل كليهما قد ينفرد بخصائص ويقوم بوظائف لا يمكن أن ينازعه فيها الآخر ؛ ولذلك يقول الخالق البارئ المصور: ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء : ٣٢] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة** » (١) .

وليس للزوج أمر الزوجة بما يفسد حال الأسرة ، أو ينال من خلقها ودينها ، وله النصح والإرشاد والقيادة التي تؤدي إلى الصلاح ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] ، كذلك الأمر بالصلاة ﴿ وَأْمُرْ

(١) متفق عليه .

أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ، فالداعي والقائد المستوجب الطاعة يجب أن يكون قدوة .

وطاعة الزوجة لزوجها ليست على سبيل استعلاء الرجل على المرأة ، ولكن هدفها هو التعاون والتكامل ، وليس الإرهاب والإجبار ﴿ **فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً** ﴾ [النساء : ٣٤] .

والطاعة وتنظيمها ليس مقصورا على الحياة الزوجية فقط ، فكافة أنظمة الحياة تقوم على الطاعة ، وكل إنسان مطاع تارة ، ومطيع أخرى ، ويقول الشيخ « محمد الغزالي » رحمه الله : « إن الذي يتدبر القرآن الكريم يُحس بالمساواة العامة في الإنسانية بين الذكور والإناث ،وأنه إذا أعطى الرجل حقًا أكثر فلقاء واجب أثقل لا لتفضيل طائش ، وقوامة الرجل في البيت لا تعني ضياع حق المساواة الأصلية ، كما أن طاعة الشعب للحكومة لا تعنى الطغيان والإذلال » (١) .

والإسلام لا يمنع طاعة الرجل للمرأة ، إذا كانت في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو كانت على سبيل النصيحة والإرشاد ، فقد أطاع الرسول ﷺ نصح أم سلمة عندما عصى المسلمون الرسول في صلح الحديبية .

ولحق الطاعة أحكام كثيرة نذكر منها :

أ ـ ألا تدخل بيته من لا يرغبه :

نظم الإسلام أحكام الأسرة ، فأوضح واجبات الزوج والزوجة والأولاد والأقارب أيضًا ، وجعل أساس العلاقة العائلية هو السكن والمودة والرحمة ، وأساس العلاقات الإجتماعية ، العدل والإحسان ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ** ﴾ [النحل: ٩٠] .

ومن السُبل الداعية لإشاعة السلام العائلي والأمن الأسري أن تراعي الزوجة ألا تُدخل بيتها من لا يرغبه الزوج ، وهذا الخلق العظيم الذي لا يجب أن تستهين به نساؤنا اليوم هو من الوصايا النبوية القويمة .

عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها**

(١) انظر كتابنا :« المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » ص (١٦٢ ، ١٦٣) .

شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه ، وما أنفقت نفقة عن غير أمره ، فإنه يؤدي إليه شطره »[(١)] .

عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث ، فقال المخنث لأخى أم سلمة .. إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال النبي ﷺ : « **لا يدخلن هذا عليكن** » [(٢)] .

وهذا الحديث القويم يوضح أن كبير السن أو العنين أو الخصي أو الخنثى إذا كان ما زال يشتهي النساء ، ولو لم تكن لديه القدرة على الاستمتاع الجسدي والجنسي ، فلا يجب أن يختلط بالنساء ويدخل البيوت ، وعن عائشة ﵂ أنها قالت : جاء عمي من الرضاعة، فاستأذن علي وأبيت أن آذن له حتى أسأل رسول الله ﷺ .. فقال : إنه عمك [(٣)]، وهنا يظهر حرص الزوجة ألا يدخل عليها غير المحارم إلا بعلم زوجها ، وأن العم من الرضاعة محرم كالعم من النسب .

هذا ، وقد ضربت السيدة أم حبيبة بنت أبى سفيان « أم المؤمنين » المثل الأعلى والقدوة الصالحة في حفظ كرامة ومراعاة شعور الزوج حتى في غيبته ومع أقرب الأقرباء ، ولو كان من المحارم .

فقد ورد في سيرة ابن هشام : أنا أبا سفيان بن حرب قَدِمَ للمدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة « زوج الرسول ﷺ » ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذ الفراش [(٤)] ، أم رغبت به عني ؟[(٥)] قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش الرسول ﷺ [(٦)] .

---

(١) رواه البخاري : حديث (٤٨٩٩) .
(٢) المرجع السابق : حديث (٤٩٣٧) .
(٣) المرجع السابق : حديث (٤٩٤١) ، استأذن علي :أراد دخول البيت في غيبة الرسول ﷺ .
(٤) يقصد : هل رأيت الفراش لا يليق بي لعظم شأني .
(٥) يقصد : هل وجدتني لا أستحق الجلوس على الفراش .
(٦) « السيرة النبوية » لابن هشام : (جـ ٣ ، ٤) ، صـ (٣٩٦) ، مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، بجدة .

ب ـ السفر بإذن الزوج :

يرى الإسلام والمسلمون في المرأة سواء كزوجة أو أم أو أخت أو ابنة ، جوهرة يجب صيانتها ، لا بحجبها وسجنها ـ كما يظن البعض ـ ولكن بحمايتها وصيانة عرضها من كل معتد أثيم يحاول النيل منها ، ومن أساليب هذه الحماية عدم السماح للمرأة بالسفر بمفردها بلا محرم أو على الأقل صحبة آمنة تحميها من مخاطر الطريق ، ووحشة الغربة .

ويكفي المسلمون فخرًا بدينهم والمسلمات تيهًا بعقيدتهم أن الإسلام فضل صحبة المرأة وحمايتها في السفر عن الجهاد في سبيل الله ، فعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم** » فقام رجل ، فقال : يا رسول الله امرأتي خرجت حاجَّة واكتتبت في غزوة كذا ،قال : « **ارجع فحج مع امرأتك** » (١).

كما قال الهادي البشير ﷺ : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر ثلاث ليال إلا ومعها محرم** » ، وفي رواية أبي داود : « **ألا تسافر بريدًا ـ أي : مسيرة نصف يوم** ».

كما قال ﷺ : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها** » (٢).

ومعنى الأحاديث مجتمعة : أن أقل مدة لسفر المرأة بلا محرم هي نصف اليوم ، وتكرار تعبير « لا يحل » يوضح التحريم الكامل الشامل ، وتعبير « تؤمن بالله واليوم الآخر » يوضح أن هذا الحكم من شروط الإيمان ، وأنه غير قابل للتغيير .

وهذا العبء على الزوج أو المحرم هو من قبيل الجهد والمشقة ، حتى تهون في سبيل المحافظة على المرأة كجسد يجب ألا يمس ، وعلى كرامتها وعفتها كشرف يجب صيانته ، وهو ليس أسلوب دكتاتوري للتحكم في المرأة ، ولكنه حكم تشريعي تكريمي لحمايتها مما يعرض لها من ذئاب بشرية أو حيوانية ، وقد أفتى الكثير من علماء المسلمين بجواز سفر المرأة مع من توفره الدولة لحمايتها من مشرفين ومشرفات صالحين ، هذا وقد أثبتت التجارب الفعلية تعرض المسافرات بلا حماية للسرقة والاعتداء الجنسي « الاغتصاب » .

وجدير بالذكر أن بعثات مصر الأولى لأوروبا ، وكان أعضاؤها من الرجال كانت

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥) .

(٢) رواه الترمذي ، وابن ماجة، والدارمي .

الدولة توفد معهم من يراقبهم ويشرف عليهم ويرعاهم ، حتي لا ينبهروا بأضواء الغرب ويضيعوا في خضم أهوائهم الثقافية والفكرية والدينية ، ولما أهملنا ذلك رجعت بعثاتنا العلمية ، بالبعض من علم الغرب ، والكثير من فكر الغرب ، الذي أبعدهم عن ثقافتهم ودينهم ، فكانت النتيجة ضياع الانتماء الحقيقي للدين والوطن .

ثالثًا : صفات الأمومة الصالحة :

١ ـ النجاح في مهمتها كأم وصانعة الأجيال :

لقد خلق الله المرأة لتكون زوجة وأم ، وتلك أسمى مهمة لها في الحياة ، وقد جاء بموسوعة القرن العشرين : « للمرأة في الحياة الإنسانية وظيفة سامية للغاية ، وهي حفظ النوع البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل أن يشاركها فيها ؛ لأنها تتعلق بشكل التركيب الجسمي ، الأمر الذي لا يمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة لها جملة أدوار تتعاقب عليها ، ولكل دور منها لوازم لا تزايلها يجب الإلمام بها لندرك قيمة هذه الوظيفة وخطورتها ، فهي تستلزم الحمل والوضع والإرضاع والتربية ومن يتأمل في هذا الوجود البديع تأملاً بسيطًا يتجلى له أن لكل كائن فيه وظيفة يتوقف كماله الشخصي والنوعي على حسن أدائها .

وقد يحصل أن كائنًا من الكائنات يخرج عن حدود وظيفته ، ولكن يبعد عن الكمال بقدر بعده عنها ، ويؤثر على مجموع نوعه على نسبة ذلك ، وحينئذ يجب أن يعتبر ذلك التحول منه عن وظيفته الخاصة فسادًا يستدعي الملافاة بالطرق الحكيمة .

هذه هي وظيفة المرأة ، وهذا هو كمالها ، فيجب علينا أن نعمل كل ما يمكننا ، لتتقرب المرأة من كمالها ، وتدخل إلى حدود وظيفتها ، وأن نعتبر كل ما يبعدنا عن هذه الوظيفة داء اجتماعيًا ، يجب التألب على ملاشاته وبذل الجهد في حصره في محله وأن نصرح على رؤوس الأشهاد بأن كل امرأة مهما قيل : إنها مكتشفة لنجم أو بحاثة في الميكروبات أو معلمة لعلم التشريح ، أو غير ذلك ناقصة وعاصية للطبيعة وخارجة عن حدود وظيفتها ، وأن نكره النساء في احتذاء مثالها لا أن نضرب بها الأمثال ونتخذها للكمال [١].

---

(١) محمد فريد وجدي : ص (٥٩٨) ، « ما هي وظيفة المرأة » ، وانظر : كتابنا « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » ص (٣٢٢ ، ٣٢٣) ، دار الوفاء بالمنصورة .

أ ـ المرأة والحمل والولادة والرضاعة :

إن هذه المهمة المحببة إلى قلوب النساء،وهي غاية مناهن منذ الصغر ، فالبنت الصغيرة تلعب بعروستها وتمشطها وتحميها وتحتضنها كأن بنتها في الكبر ، وذلك من الفطرة وطبيعة المرأة ، ولو اجتمع العشرات من الرجال لما استطاعوا القيام بهذا الأمر كالمرأة ، يقول تعالى موضحًا مشقة هذا العمل : ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ [لقمان : ١٤] .

كما يقول جل شأنه : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، كما يقول : ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [الاحقاف : ٢٥] ، والآيات توضح مدة الحمل والولادة والرضاعة الطويلة ، وما فيها من مشقة .

ورحمة من الله تبارك وتعالى بخلقه من النساء ، فقد أجل لهن أداء بعض العبادات ، وأسقط عنهن بعضها ، وذلك في حالات الحيض والولادة « النفاس » والرضاع .

فللحائض والنفساء والمرضعة التي يخشى عليها من الصيام أن تؤجل ما أفطرته من صوم الفريضة في رمضان لأيام أُخَر ، كما رفع عنها فريضة الصلاة في حالة الحيض والنفاس نهائيًا أي : لا تؤدي بعد زوال الحيض أو النفاس ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل والدين ، والذي يقصد به سيادة العواطف الحانية الرقيقة على العقل الداعي للراحة وعدم المبالاة ببذل جهد لحمل أو حنان لإرضاع أو تحمل وجلد لتربية ، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج الرسول ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء ، فقال : « **يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** » قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « **أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل** » قلن :بلى ، قال : « **فذاك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم** » قلن : بلى ، قال : « **فذاك من نقصان دينها**»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله : نقصان العقل ، أي : قليلات الضبط « الحفظ » ليس معنى ذلك أنها أحط قدراً من الرجل بل هناك في المقابل لا تعتبر شهادة الرجل في الأمور التي تخص النساء ، فالمرأة إن نقصت في غير ميدانها واكتملت في شؤونها ، فكان ذلك نقصًا يعوضه كمال آخر ، وكان تركها الصلاة والصيام في الحيض والنفاس نقصًا في أعمال الدين لا تلام عليه ولا تؤاخذ فيه » [2] .

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ٦٧) .

ويقول العقاد : « نحن نعتقد أن المرأة لا يعيرها « يسوء إليها » هذه المفاضلة في الخصائص العقلية بين الجنسين ؛ لأنها لم تحرم ما يقابل هذه الخصائص في مجال الحس والعطف والبداهة الفطرية ، وحباها من مزايا جنسها ما اشتملت عليه من كنوز غالية ترشحها ، و« الأمومة » الإنسانية كلها [1].

فإذا كان الإمام النووي يرى في الأمومة كمال للمرأة ، وإن نقصت في ميدان العقل وعلت في ميدان العواطف ، والعقاد يرى في أنوثتها كنز غال لأداء وظيفة الأنوثة ، فها هو « محمد فريد وجدي » يرى أن الأنوثة هي تكريم للمرأة ورغم النقصان في العقل والدين بسببها إلا أن الرجال جميعًا عاجزون عن منافستها في هذ المجال فهي السباقة .

وقيام المرأة بوظيفتها هو عين التكريم لأنوثتها ، وعن ذلك يقول المرحوم « محمد فريد وجدي » : « المرأة كائن شريف أعدته القدرة الإلهية لتكثير النوع الإنساني ، فوظيفتها من هذه الجهة سامية جدًا ، ولا يستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه ، وقد متعها الله تعالى لحسن أداء هذه الوظيفة بكل ما تحتاج إليه من الأعضاء ، وناسب بين تركيبها وتلك الوظيفة ، بحيث ترى أن كل شيء فيها يدل على أن القدرة الإلهية قصرتها عليها ؛ ولذلك ترى بين جسمها وجسم الرجل من الاختلاف والتباين ما ينطق بالبداهة أنهما لم يخلقا ؛ لأنَّ يتسابقا في مجال واحد » [2].

ب ـ الرضاعة الطبيعية وأهميتها للطفل :

الحمل والولادة وإرضاع المولود من ثدي أمه لبنًا طبيعيًا هو الأساس الصحي لبناء جسد قوي للأبناء ، يعد من مهام المرأة الأساسية التي خلقت من أجله ، فهي شريكة أساسية في إعمار الأرض .

وقد أوضح الإسلام بتفصيل دقيق مهام المرأة هذه وحدد مدة الرضاع فقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، والفصال هو الفطام ، وجاء في القرآن العظيم : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ،وجاء أيضًا : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فإذا ما أسقطنا ـ في عملية حسابية بسيطة ـ مدة الرضاعة الكاملة التي هي حولان

(١) عباس محمود العقاد : « المرأة ذات اللغز » صـ (٥٨) .

(٢) محمد فريد وجدي : « موسوعة القرن العشرين ، ما هي المرأة » صـ (٥٩٥) .

«أي: ٢٤ شهرًا » التي هي مدة الحمل والرضاعة الكاملة ، فإنه يبقى للحمل ستة أشهر ، وهي أقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيًا إذا ولد بتمامها ، وقد دلت التجارب فعلاً على أن الجنين الذي يكون عمر إخصابه أقل من (٢٢) أسبوعًا نادرًا ما يعيش .

وعن هذا الإعجاز العلمي يقول : « د/ عبد العزيز إسماعيل » : « فقد كان أغلب الأطباء ينصحون بالرضاعة مدة تسعة أشهر فقط ، ولكن آخر تقرير في سنة (١٩٩٠) م، عن فائدة الرضاعة الطبيعية للجسم والأسنان يذكر أن : مدة الرضاعة يجب أن تكون فوق السنة ، ويستحسن مما لا شك فيه أن تكون سنتين كاملتين » .

اقرأ على مهل قوله تعالى : ﴿ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وهما آيتان كريمتان تشيران إلى أن المدة المثلى للرضاعة هي عامان ، ثم أخبرني عن أي خلاف بين تقرير القرآن في القرن السابع الميلادي ، وتقرير العلم في القرن العشرين !!

ومن شمول وكمال وجمال الإسلام أنه أوجب على المطلقة إرضاع طفلها ولها حق الأجر لإرضاعه، فقال العلي القدير: ﴿ **وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:٦]، وهذه الآية الكريمة شرعت وأوجبت على الآباء أن يعطوا لمطلقاتهم أجرة إرضاعهن؛ لأنَّ الأم في هذه الحالة لا تجب لها نفقة لانفصام العلاقة الزوجية، فإن رفضت أو كانت عديمة اللبن للأب أن يستأجر من ترضعه طبيعيًا (١) .

ويلاحظ أن العرب كان لديهم من الألبان الأخرى للحيوان الكثير ، فكان لديهم الجمال والبقر والأغنام وما يتوافر من بهائم في بيئة رعوية ، ولكن التوجيه الإلهي كان نحو الرضاعة الطبيعية ، وذلك لفوائدها .

مزايا الرضاعة الطبيعية :

١ ـ لا يحتاج لبن الأم للتخفيف بالماء ، الذي يجب أن يتناسب مع نوع اللبن الصناعي ، وإلا أدى إلى عُسر الهضم أو الإسهال .

٢ ـ لا يحتاج لبن الأم للغليان للتخلص مما به من تلوث ميكروبي أو بكتيري أو غيره، مما يؤدي إلى فقد بعض عناصره الهامة الغذائية ، كما لا يحتاج إلى إضافة سكر أو فيتامينات كيماوية أو غير ذلك .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي : عدد شهر ذي القعدة (١٤١٩) هـ .

٤ ـ معلوم أن ألبان كل أنثى من الحيوانات تناسب أولادها الرضع ، ولا تناسب الطفل الآدمي ، وعلى ذلك استعمال الإنسان لها لن تكون لها الفائدة المرجوة .

٥ ـ الألبان المجففة عمومًا يتم إعدادها قبل تناول الطفل لها مباشرة،فإن لم يتناولها ، أو تناول جزء وترك آخر ،لم تعد تصلح للتناول مرة أخرى ، وإلا أدى ذلك لأمراض هضمية كثيرة .

٦ ـ تغيير نوع اللبن الصناعي للطفل يؤدي إلى مرضه .

٧ ـ لبن الأم فيه من المضادات الحيوية الطبيعية والعناصر الغذائية ما يقوي الطفل صحيًا، كما يقوي جهاز المناعة .

فالرضاعة الطبيعية لها فوائدها البدنية والنفسية ، أما من الناحية العلمية التي لا يختلف عليها الباحثون والعلماء والأطباء ، أنه ليس هناك غذاء يمكن أن يقوم مقام لبن الأم، وقد أكدت التجارب التي أجريت بهذا الشأن ، أهمية لبن الأم ، وفائدته البدنية والنفسية للطفل ، إضافة إلى أنه لذيذ الطعم ومعتدل الحرارة ، دون زيادة ولا نقصان .

كما أنه تبيَّن أن لبن الأم ، يناسب جنس المولود ، ونوعه ، وعمره وأن مكوناته تختص بنمو المخ والأعصاب ، والقدرات الذهنية بالدرجة الأولى ، ثم العضلات والجهاز الحركي في المرتبة الثانية .

وأما من الناحية النفسية : فمن المعروف أن الأم عندما ترضع طفلها ، فإنها تضمه إلى صدرها ، فيشعر بالدفء والحنان ، وقد لاحظ العلماء أن الطفل عند الرضاعة ، يسمع دقات قلب أمه ، مما يحدث له نوعًا من الاطمئنان والراحة ، وقد أوصى العلماء القائمون على دور الحضانة ، بأن تسجيل هذه الضربات على جهاز تسجيل ، ليسمعها الطفل حين الرضاعة الصناعية ، فتحقق له راحة نفسية ، تقارب تلك التي يشعر بها الطفل الرضيع من أمه ، كما قيل إن هزات القلب المنتظمة ، تؤدي إلى نمو خلايا معينة في مخ الطفل تجعله أكثر سلامة من الناحيتين الصحية والنفسية .

فالأم تحمل بين جوانبها عاطفة فياضة ، إنها عاطفة الأمومة التي لا غنى للطفل عنها، وهي تظهر وتكون أكثر وضوحًا في أثناء الرضاعة ؛ إذ تضم الأم الطفل إلى صدرها ، فيشعر بالدفء والحنان والحب ، مما يهدئ من أعصابه .

ولنعلم أن الرضاعة الطبيعية رحمة من الله للأم والطفل معًا .

وثبت أن الأمهات اللواتي يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية كن أقل عرضة للإصابة بسرطان الثدي .

٤ ـ وثبت أيضًا أن الاستقرار النفسي للأم والطفل والعلاقة بينهما تكون أكثر في حال الرضاعة الطبيعية التي تزيد من الارتباط بين الأم وطفلها [١].

٢ ـ النجاح في حضانة وتربية النشء :

أ ـ أهمية الحضانة للطفل :

الحضانة في اللغة من الفعل الثلاثي « ح. ض. ن » بمعنى جعل الشىء في الحضن ، وهو الصدر مما دون الإبط إلى الكشح، يقال : حضن الطائر البيض إذا رقد عليه للتفريخ.

ويقال : حضنت المرأة الصبي إذا ربته ورعته ، والحضانة هي الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شؤونه [٢].

المربي : الشخص الذي يتولى تربية النشء ليهذب غرائزه وينمي مواهبه ويقوم فكره وخلقه .

الوالدان هما أول من يتلقى الطفل بالتربية الجسمية والخلقية معًا ، ودورهما كبير جدًا في هذه الناحية ، ودور الأم أعظم فوقتها مع طفلها أطول ، وحنانها وبرها أظهر وأكبر ، فالطفل يولد عجينة طرية في يد والديه، يستطيعان أن يشكلا منه ما يشاءان، وذلك بتهذيب غرائزه واكتشاف ميوله ووضعها في الخط الذي يرسمانه، فقلب الطفل جوهرة نفيسة وساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ومائل إلى كل ما يمال به إليه .

والوقت الذي يقضيه الطفل مع والدته أكبر مما يقضيه في المدرسة .

فالبيت هو المدرسة الأولى للطفل والأم هي المعلمة الأولى له ، والمديرة المدبرة لحياته كلها علميا وعمليا .

ودور الأم الخطير المؤثر في تربية النشء أمر معترف به اجتماعيًا وتاريخيًا ، وقال أحمد شوقي عن ذلك :

قُم ابن الأمهات على أساس ... ولا تبن الحصون ولا القلاعا

---

(١) مقال : الخضري عبد المنعم السيد ، « الوعي الإسلامي » ، العدد (٤٣٠)، جمادى الآخرة (١٤٢٢) مع الاختصار .

(٢) « المعجم الوجيز » صـ (١٥٨) ، « مجمع اللغة العربية » .

فهن يلدن للقصب المذاكى[١] وهن يلدن للغاب السباعا [٢]

وأهمية الأم في التربية تتزايد وتتعاظم عن الأب لعدة أسباب :

١ ـ ملازمة الأم للطفل أكثر من الأب الذي ينشغل بعمله خارج البيت لساعات طوال ثم لراحته داخل البيت .

٢ ـ شدة حنو الأم على ولدها لإحساسها بأنه قطعة منها لم تنفصل عنها بالولادة ، فهي أشد التصاقًا بولدها ، وهو إليها أشد ميلاً ، وأكثر استماعًا لتوجيهاتها .

٣ ـ ما جبلت عليه المرأة من الصبر الشديد، ومناسبة ذلك لخدمة الطفل والسهر عليه، فالأم حاملة وواضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فجهدها في ذلك يفوق العصبة من الرجال .

إن الأبوة والأمومة غريزة فطرية أودعها الخالق في قلب كافة مخلوقاته العاقلة وغير العاقلة ، فهي طبيعة لكل شيء حي ، ومن عظمة القرآن الكريم أنه أوصى الأبناء بالوالدين ولم يوص الوالدين بالأبناء ، حيث إنهما ليسا في حاجة إلى وصايا كتابية .

فقال جلّ من قائل : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]، كما قال : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

ب ـ مهام تربية الأبناء :

١ ـ الحفاظ على حياة الطفل ونموه :

يقول الشيخ « عبد المعز عبد الحميد الجزار » : « الدين الإسلامي حافل بمجموعة من المبادئ الكلية للحفاظ على حياة الطفل منها قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء:٢٩]، وقوله : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] ،وورد في الحديث

---

(١) للقصب المذاكى : يريد الشاعر الفرسان والأبطال الرياضيين الذي يفوزون في كل سباق وينتصرون في كل رياضة .

(٢) الشيخ عطية صقر : موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام صـ (٢٧٧ ، ٢٧٨) ، الدار المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى (١٩٩٠) .

الشريف : « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول** » ، وقال تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة : ٣٠] ، ويرى الإسلام أن الإنسان خليفة الله في أرضه ، وإن كل ما يضر أو يسيء إلى معنى الخلافة ، أو يضعف من قوته محرم شرعًا ليظل محتفظًا بمكانته وقوته كخليفة الله في الأرض [1].

٢ ـ توفير الأمن والأمان والسعادة :

الطفل في سنيه الأولى لا يعي مفهوم الخطر الحقيقي ، ومن هنا كان على الأم وقاية صغيرها من الأخطاء المهددة لحياتهم ، أو الأمراض التي تهدد نموهم .

وهناك فترة سيئة يحاول فيها الطفل العبث بكل شيء ، ليكتسب خبرات عن هذا الشيء ، وهذا قد يعرضه لأخطار جسام ، فهو يحاول فتح زجاجة لتذوق ما فيها ، وقد يكون فيها شراب ضار أو مبيد حشري أو سم ؛ ولذلك فتفريغ الأم لمراقبة الطفل هو خير أمن وأمان له . . كما أن إظهار عواطف الرحمة والبر والحنان هي من دواعي تحقيق الأمن للأطفال ؛ ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا** » ، كما قال ﷺ : « **من أصبح منكم آمنًا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها** » [2].

٣ ـ تلقين النشء التعاليم الدينية والمبادئ الأخلاقية :

مرحلة الطفولة هي مرحلة الحفظ والتثبيت لكافة المعلومات ، ويقال : التعليم في الصغر كالنقش على الحجر « أي : ثابت لأطول مدة ممكنة » .

وواجب الأسرة بقيادة الأم زرع التعاليم الدينية والخلقية وتلقين النشء مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وكذلك الإجابة عما يسأل الأطفال من أسئلة ، وتلقينهم مبادئ العلوم النافعة ، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك ، فقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم : ٦] .

والآية توضح أن مهام الأسرة ، خاصة الأم لا تقتصر على التربية الصحية والبدنية والثقافية ،ولكن الأهم هو التربية الإيمانية السليمة ، التي جزاؤها جنة الله ورضوانه ، وليس نار الله وغضبه وعقابه .

---

(١) الإسلام ورعايته للطفولة : صـ (١٨) ، هدية مجلة الأزهر لشهر صفر (١٤٢٠) .
(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن محصن .

كما قال الرسول ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »[١].

٤ ـ متابعة التحصيل المدرسي والعلمي للنشء :

بالرغم من أهمية دور الحضانات والمدارس في نشر العلم ورفع المستوى التعليمي والفكري والثقافي للنشء ، إلا أن دور الأسرة والأم بصفة خاصة هام جدًا في مراقبة استذكار الأبناء لما تلقوه من علم في المدارس ، عن طريق توفير المناخ المناسب لهم أو مراجعة الدروس المدرسية حتى منتهى علم الأم أو الأب، فالتفوق لا يتم عن طريق المدرسة وحدها ، ولكن عن طريق المدرسة والبيت معًا .

٥ ـ مراقبة التحصيل الثقافي الإعلامي للنشء :

لقد أوجد التطور التكنولوجي والتقني وسائل لم تكن معروفة من قبل للإعلام والإعلان ونشر الثقافات ، مثل التليفزيون ، والكمبيوتر وشبكات الإنترنت ، وغير ذلك ، وللأسف فكلها بلا استثناء تهدف إلى بث الثقافات اللاأخلاقية البعيدة عن تعاليم الأديان ، حتى أنها تدعو للسفور والفجور والشذوذ الجنسي ، فألغت مفاهيم الحلال والحرام ، وأمرت بالمنكر ونهت عن المعروف ، وخوفًا من دمار أفكار النشء وخشية من زرع أفكار ومبادئ وعادات جديدة مُنكرة نهى عنها الله في كافة أديانه السماوية وجعل عقاب مرتكبيها الجلد والقتل والخزي في الدنيا وفساد الحياة ، وأيضًا الطرد من رحمة الله في الآخرة ، فيجب على الوالدين وخاصة الأم مراقبة النشء ، وهو يشاهد وسائل الإعلام الحديثة التي تبث كل خبيث وتدعو لكل قبيح وتروج لكل شاذ ، وهذه المهمة لم تكن موجودة في عهد الآباء والأجداد ، الذين كان دورهم في هذا المجال يقتصر على اختيار الأصدقاء الصالحين ومراقبة التصرفات ، ولكنها مهمة هامة جديدة خلقتها العولمة اللعينة .

٦ ـ متابعة مشاكل المراهقة ومحاولة حلها :

قد يعتقد البعض أن مشاكل وقضايا النشء تنتهي ببلوغه سن البلوغ وبداية الشباب ، ولكن الواقع يقول : إن مشاكل البالغين في سن المراهقة أكبر وأخطر وأكثر تنوعًا ، خاصة بعد زيادة متوسط سن الزواج والذي كان يتم حتى عهد قريب في سن المراهقة تقريبًا (١٢ :

---

(١) الحديث : رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، ومعنى يمجسانه ، أي : يكون من الملحدين أو عبدة النيران والأوثان .

٢٠) سنة ، فالزواج المبكر كان يقضي على مشاكل المراهقة الجنسية ، حيث تتحول أحلام العذارى الوردية إلى واقع حقيقي يتم فيه التبادل العاطفي والجنسي ، فما نراه اليوم من قصص حب أغلبه أوهام ، وكثيراً منه كذب ورياء ، ونادرة عواطف إيجابية عذرية ، هي نتيجة حتمية للحرمان من الزواج المبكر .

ويجب على الأسرة خاصة الأم ، مراقبة سلوك النشء العاطفي خاصة في سن البلوغ والمراهقة ، وأيضًا في سن العنوسة وتعدى أو تأخر سن الزواج ، ومعرفة ما يخبئه النشء من أسرار لمعرفة ما ينتج عنها من مشاكل قد تحتاج توجيه أو تأديب ، أو حلول أكبر وأشد من ذلك ،وقد قيل: البنت سر أمها ، وإذا كبر ابنك خاويه « اجعله كالأخ » ، وإذا أهملت الأسرة ذلك ، فكم باسم الحب سيضيع شرف فتاة ، وكم باسم الغرام سيجهض جنين في خفاء ، أو يوأد وليد في ظلام .

٣ ـ أمهات صالحات ذكرهن القرآن :

من النساء الفضليات اللاتي ذكرهن القرآن الكريم ، زوجة عمران أم السيدة مريم العذراء ، التي كانت هي وابنتها مثالاً صادقًا لحسن العبادة وقدوة يقتدى بها في العفاف والطهارة والنقاء .

*** زوجه عمران « أم مريم العذراء البتول » :**

أوضح القرآن الكريم حق المرأة الصالحة في التكريم والمساواة بالرجل حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران :٣٣ ، ٣٤] ، ثم قال عن أم مريم بعدها مباشرة ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران : ٣٥ ، ٣٦] ،فالله جل وعلا وضع أم مريم وهي امرأة من ضمن آل عمران ، وهم من المصطفين الأخيار .

فأم مريم نذرت أن تهب وليدها لعبادة الله وخدمة دينه ، وهذا دليل على صلاحها وتقواها ، هذا الصلاح وتلك التقوى تمنتها لابنتها الوليدة ولذريتها من بعدها ، فقالت : ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران : ٣٦] ، وهذا الدعاء يوضح لنا أن مهمة الأم ـ كما يظن البعض اليوم ـ ليست التربية والتعليم فقط ، ولكن غرس الصلاح والتقوى وعبادة الله في نفوس الأبناء وتربيتهم على ذلك .

ولإخلاص النية في النذر ، وصدق الدعاء ، تقبل الله دعاء أم مريم ، وأوفى لها بنذرها فجعل ابنتها آية للعالمين .

*** السيدة « مريم العذراء ، أم المسيح عليه السلام » :**

لم تكن زوجة(١)، وكانت أما بلا زواج وبلا أي معاشرة جنسية ، فكانت آية للعالمين، فقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا .فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم:١٦ - ٢١] .

اتخذت السيدة مريم ، مكانًا شاسعًا منعزلاً ، كي تستتر في عبادتها ، فتكون خالصة لوجه الله ، فأرسل الله لها جبريل عليه السلام ، على صورة إنسان كامل تام ، فظنت أنه يبغي لها سوءًا ، فاستعاذت « طلبت نصرة الله » منه مُذكرة إياه بضرورة تقوى الله ، ولعل كلماتها ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾ توضح لنا الحقائق التالية :

- أول أسلحتها للدفاع عن نفسها الاستعانة بقوة الله .

- توسمت في «جبريل» تقوى الله،فذكرته بها وهي تراه في صورة إنسان ولا تعرفه .

فكان جواب « جبريل » إنما وأنا رسول ربك ، فأزال عنها الخوف ، فهو حامل رسالة من الله ، فحواها مولد غلام طاهر مطهر ، ولكن عظم البشرى وقوة المفاجأة أدى إلى تساؤلها في دهشة : كيف ألد وأنا العذراء ولم يمسسني بشر ، ولم أكن صاحبة هوى أو لذة محرمة ؟ فكان الجواب ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم : ٢١] .

فالقرآن الكريم شهد بصلاح وتقوى وطهارة وقداسة وعفاف السيدة مريم ، فجعل ولادتها الإعجازية هي المكملة لدائرة معجزات الله في خلقه (٢).

---

(١) حسب المفهوم الإسلامي ، أما في المسيحية ، فالبروتستانت وبعض الطوائف يرون أنها تزوجت من يوسف النجار ، وأنجبت منه !!

انظر: كتابنا « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » صـ (٧٩، ٩٠) .

(١) خلق الله آدم بلا أب أو أم ، وخلق حواء من أب « آدم » بلا أم ، ووهب الله العجوز العاقر الولد ، كسيدنا زكريا ، كما جعل من يشاء عقيما ، أما المسيح فهو ولد من أم بلا أب ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

هذا ، وقد شهدت الملائكة بعفاف مريم وصلاحها كعابدة لله فقالت : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢ ، ٤٣] .

*** أم موسى عليه السلام وأخته وزوجة فرعون مصر :**

أنهن أمثلة حية باقية ، فالأم مثال الرعاية والحنان والخوف على الرضيع ، والبنت «الأخت » الراعية والحامية والمراقبة لأخيها الذي لا حول له ولا قوة ، وامرأة فرعون هي المربية الفاضلة ، فكم من أم ربت وإن لم تلد .

« كان اليهود في عهد موسى عليه السلام ، وقبل ذلك أمة مستضعفة لفرعون والمصريين ، فكان منهم الخدم والعبيد بعد أن كانوا في عزة في حمى يوسف عليه السلام ، خاف منهم فرعون وقومه، وخشوا كثرة عددهم، فقد كانوا يتناسلون بسرعة عجيبة وقدرة متزايدة، فقرر فرعون قتل مواليد اليهود الذكور عامًا، واستبقاءهم آخر حتى يحد من عدد الرجال مستقبلاً، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٤].

وقد ولد موسى عليه السلام في عام قتل المواليد الذكور ، فخافت عليه أمه القتل ، فأوحى الله إلى أمه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] .

وجاء في تفسير الجلالين عن ذلك: ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾ وحي إلهام أو منام ﴿ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ ، وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته إلا أخته ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر أي : النيل ، ولا تخافي غرقه ولا تحزني لفراقه ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في البحر .

وهذه الآية الكريمة هي قمة البلاغة وآية البيان ، فهي تشتمل على أمرين ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ ، ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ ، وعلى نهيين ﴿ وَلا تَخَافِي ﴾ ، ﴿ وَلا تَحْزَنِي ﴾ ، وعلى بشرتين ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ ، ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وشاءت حكمة الله أن يؤتي فرعون من مكمنه ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص : ٨] .

فعثرت عليه امرأة فرعون ، فاستبشرت به خيرًا ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٩] .

ومن الآية يتبين أن امرأة فرعون « آسيا » عرفت أنه « عبري » ، « يهودي » ، ولكن ما في فؤادها من حنان وحب له ولغيره ، طلبت ألا يقتل ، كما اتخذته كولد ، وأن فرعون لم يرتض أن يتبناه ، أما الأم الحقيقية التي حملت ووضعت وذاب قلبها لفراق وليدها الغير مأمون العواقب فقد وصفها الله تعالى ، فقال : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠] .

وهنا بالرغم من وحي الله لها بنجاته وإرساله كنبي ورسول إلاَّ أن حنان المرأة كأم لا يدانيه حنان ، ولولا تقوية الله لقلبها ومنحها الشجاعة من عنده لصرخت قائلة : هذا وليدي !!

ثم جاء دور المرأة الحانية الرؤوف الأخرى ، وهي الأخت ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ١١] ، راقبت مسار الوليد وعلمت مثواه، ثم ذهبت ناصحة لأهل القصر : إني أعلم مرضعة عظيمة له سوف يقبل لبنها ، وإن لم يتقبله من أخريات ، وهكذا عاد الوليد إلى أمه في ظل حماية عدوه الأول ، وهو فرعون.

وهكذا تبدو شجاعة المرأة المملوءة بالحنان والعطف والرحمة لوليدها كأم ، وشجاعة الأخت وتعرضها للخطر في سبيل رعاية الأخ الأصغر ونجاته .

وهذه هي مهام المرأة الأساسية فى الحياة ، فهي خلقت من الرجل لتكون منه ، لا لتكون ندًا له[١].

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » صـ (١١٨ ، ١١٩) .

المبحث الرابع
شروط وضوابط عمل المرأة في الإسلام

توطئة :

إن حكمة الله في خلق الإنسان هي عبادته وإعمار الأرض : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وحتى تتحقق غاية الله في خلقه ؛ فلابد من النهوض بعملين هما العبادة والعمل ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] ، والمراد بالمشي ليس التجوال ، ولكن السعي والعمل الدؤوب فيما أحل الله .

وحيث إن الإنسان يتكون من ذكر وأنثى ، فإن مهمة العمل للعبادة وللإعمار لابد أن يشارك فيها كل من الذكر والأنثى .

ففي مجال العبادة وجزاء الأعمال وكلاهما متساوٍ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥].

وفي مجال العمل والكد والسعي والمشقة ، فكل مُيسر لما خلق له : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ، فإعمار الأرض بالعمل هو مهمة الرجل الأولى والذي سلحه الله من أجلها بالقوة والفتوة والصبر على المشقة ، ومهمة المرأة الأولى هي إعمار الأرض بحمل الذرية وولادتها ورعايتها حتى تستطيع أن تكمل دورة الحياة ، وتبلغ سن البلوغ والقدرة على الإنجاب ، ومن الأمور التي يتميز بها الإنسان عن سائر مخلوقات الله من حيوان وطيور : إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يرعى الأبناء طوال عمره وليس لنهاية فترة الاعتماد على النفس أو البلوغ ، والمرأة لا يتوقف عملها على ذلك ، بل هي ترعى زوجها وتدير شؤون منزله حتى يتحقق لهما : السكن والمودة والرحمة [1].

وعلى ذلك فعمل المرأة خارج بيتها هو استثناء من الأصل ، وكل استثناء لابد له من تنظيم وتقنين وشروط تحقق الفائدة المرجوة منه .

ويمكن تلخيص هذه الشروط وتلك الضوابط فيما يلي :

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » صـ (١٩٧) .

أولاً : عمل المرأة لا يكون إلا لضرورة شخصية أو اجتماعية .

ثانيًا : موافقة ولي الأمر على عمل المرأة .

ثالثًا : مناسبة العمل لطبيعة المرأة .

رابعًا : غرم الاختلاط والتمسك بآداب الحجاب والزينة .

خامسًا : ألا يضر العمل بالأسرة والمجتمع .

سادسًا : ضرورة مساعدة الأسرة والمجتمع للمرأة العاملة .

سابعًا : نماذج من عمل المرأة في الإسلام .

***

أولاً : الضرورات المبيحة لعمل المرأة في الإسلام :

الإسلام يؤمن بضرورة مشاركة المرأة في التنمية ، ويجب أن تكون تلك المشاركة حقيقية وفاعلة وفعالة ، لا تؤدي إلى بطالة الرجال ، ولا تكون مبررًا لمغادرة البيت بلا ضرورة ، أو لنشر التحرر والإباحية والفسوق والفجور بلا داع .

وضرورات عمل المرأة في الإسلام منها ما يخص المرأة بصفة شخصية ، ومنها ما يتطلبه المجتمع كضرورة اجتماعية مُلحة وهامة ، قد لا يستقيم المجتمع بدونها .

يقول الأستاذ « عبد الحليم أبو شقة » : « يجب على المرأة القيام بعمل مهني في حالين : أولهما : حال حاجتها لإعالة نفسها وأسرتها عند فقدان العائل أو عجزه (الوالد أو الزوج أو الدولة) ، وثانيهما : حال أداء ما يكون من الأعمال من فروض الكفاية على النساء لحفظ كيان المجتمع المسلم ، وعليها التوفيق قدر الإمكان بين أداء هذه العمل الواجب وبين مسؤوليتها عن بيتها وأطفالها » [1].

١ ـ عمل المرأة لضرورة شخصية :

قد تضطر المرأة لإدارة أموالها بنفسها ، وهذا يُعد من الأعمال كما قد يوجد في المجتمع الإسلامي عددًا من النساء لم يتزوجن ، وأخريات تزوجن وانفصلن بالطلاق أو يموت الزوج ، وانقطع العائل ، أو كان قليل الكسب محدود الدخل لا يستطيع أن يفي بحاجات من يعولهم الضرورية :

---

(١) « عبد الحليم أبو شقة » : « المرأة في عصر الرسالة » (ج ٣ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

أ ـ عمل المرأة لإدارة أموالها :

الإسلام يُؤَمِن للمرأة حياتها الاقتصادية ، فسمح لها بالذمة المالية المستقلة ، والحصول على الأموال بالإرث أو المهر أو الهبة أو الكسب من نتاج عملها أو أملاكها ، وفي سبيل المحافظة على الأملاك وعروض التجارة والأموال ، قد تضطر المرأة لإدارة أموالها للحفاظ عليها وتنميتها .

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : «طلقت خالتي ، فأرادت أن تُجدَّ نخلها[1] فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبي ﷺ فقال : «**فَجُدِّي نخلك، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفًا**»[2] .

ومعلوم أن أم المؤمنين السيدة « خديجة بنت خويلد » كانت تدير أموالها بنفسها عن طريق الإشراف على من تستعمله للتجارة بحالها .

ب ـ عمل المرأة لإعالة نفسها أو غيرها :

قد تضطر المرأة للعمل بهدف كسب المال للإنفاق على نفسها ، وعلى من تعول من أطفال تيتموا أو غادرهم الأب ، ولا عائل لها ولهم ، وقد يكون العائل من أب أو أخ أو ولي لا يستطيع إعالتها ، وهناك من تعمل عملاً يناسبها في المنزل رغم وجود العائل .

عن عائشة ﷺ قالت : « جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة ، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها »[3] .

ألا يكون أشرف وأكرم لتلك المرأة لو أنها قدرت على العمل وأطعمت نفسها وابنتيها من كسبها الحلال الطيب ، بدلاً من سؤال الناس والأكل من الصدقة التي قال عنها رسول الله ﷺ : « **إنما هي أوساخ الناس** » .

عن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت : « فكانت أطولنا يدًا زينب (بنت جحش) ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق »[4] .

عن عائشة ﷺ : « ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب (بنت جحش) وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به لله تعالى »[5] .

---

(١) تجد نخلها : أي تجمع ثماره .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري .
(٤ ، ٥) رواه مسلم .

فأم المؤمنين السيدة زينب كانت تعمل بالحرف اليدوية للتصدق في سبيل الله ، أي : إعالة الفقراء ، وكانت تسمى أم المساكين رغم إعالة الرسول ﷺ لها كزوجة له .

وقد سألت السيدة : زينب امرأة عبد الله بن مسعود وأخريات بلالاً أن يسأل الرسول ﷺ : أيُجزى عني أن أنفق على زوجي وأيتام في حجري ؟ . . فقال الرسول ﷺ : «**نعم ولها أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة**» [(١)].

وفي رواية : « زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم » ، فنعم هذا المال الذي تكسبه المرأة من العمل المهني المندوب ، إذا كان يوفر لها ولأسرتها مستوى أفضل من الحياة .

جـ ـ عمل المرأة لمساعدة الولي لضرورة مُلحة :

قد تضطر المرأة للخروج للعمل ـ بصفة مؤقتة ـ حيث لا يوجد من يؤتمن أو يصلح للقيام به ، كما أن العمل يحال تأجيله ، ومن ثَم أصبح من الواجب عليها أداؤه فمثلاً لو شب حريق فمن الواجب على الجميع المشاركة في إخماده طالما كانت هناك حاجة .

وقصة موسى مع ابنتي الرجل الصالح « شعيب » هي المثال الحي لعمل المرأة لضرورة تقضى بانقضائها .

يقول المرحوم الإمام الشيخ « الشعراوي» :

« إن عمل المرأة في الإسلام بينه لنا القرآن الكريم في قصة ابنتي « شعيب مع موسى عليه السلام » .

خرج موسى عليه السلام من مصر إلى فلسطين . . وبعد أن عبر صحراء سيناء، وصل إلى بئر مَدْيَنَ ، فوجد جمعًا من الناس يسقون ماشيتهم ، كل يزاحم ليسقي ماشيته أولاً ، لاحظ موسى عليه السلام ، أنه يقف بعيدًا عنهم امرأتان تريدان السُقيا ولا تستطيعان ، تمنعان ماشيتهما من أن تذهب إلى البئر لترتوي ، فسألهما ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٣] .

اتضحت له الصورة التي دفعت بهما للخروج من البيت، والاختلاط بالرجال عند البئر:

---

(١) رواه مسلم : وهو حديث طويل اختصرناه ، والمقصود « أيجزئ » : هل أنال ثواب الصدقة ويقبلها الله ؟ ولفظ أيتام في حجري يوضح أنها كانت تتبنى أطفالاً أيتام ، إما من زوج سابق أو من ذوي القربى أو غيرهم .

١ ـ فأبوهما شيخ كبير ، لا يستطيع أن يسوق الماشية إلى البئر للارتواء .

٢ ـ لا عائل لهما يستطيع القيام بالعمل، ولذلك اضطرتا إلى أن تقوما بالسقيا بأنفسهما [١].

ومعلوم أن موسى عليه السلام قد تزوج إحداهن وكان صداقها « مهرها » العمل (١٠) سنوات عند والدها ، حتى يعفي الأب الابنتين من العمل ، ويقضي على بطالة رجل ، ويقضي على عنوسة « قد تكون متوقعة » لامرأة .

د ـ حماية الإسلام للمرأة المعيلة :

والأصل في الإسلام رعاية الدولة لهؤلاء النسوة عن طريق إعانات بيت المال .

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « **أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا فعليَّ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته** » وفي رواية : «**ومن ترك كَلاًّ** [٢] **فإلينا** » [٣].

قال الحافظ ابن حجر : « .. أراد المصنف بإدخال « الحديث » في أبواب النفقات الإشارة إلى أن من مات وله أولاد ولم يترك لهم شيئًا ، فإن نفقتهم تجب في بيت مال المسلمين» [٤].

ـ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس فهو راع وهو مسؤول عنهم** » .

والحديث يوضح مسؤولية الدولة عن فرض أعطيات « رواتب » لكل محتاج ولا يجد فرصة عمل أو لا يستطيعه .

ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارًا ، والله ما يُنْضجون كُرَاعًا [٥] ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، فوقف معها عمر ولم يمض ، ثم

---

(١) « المرأة في القرآن الكريم » صـ (١٠٣ ، ١٠٤) .

(٢) كلا : الكل من لا يستقل بأمره ، أي : من تُرِكَ ومن لا عائل له » .

(٣) الحديث رواه البخاري .

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم .

(٥) ما يُنضجون كُرَاعًا : الكراع هو ما دون الكعب من الشاة ، معناها : أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلون .

انصرف إلى بعير ظَهير[١] كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غَرارَتين[٢] ملأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها بِخِطامه [٣] ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير [٤].

وقبل أن نغادر المقام يجب أن نوضح أن الإسلام جعل خروج المرأة من البيت لإعالة نفسها أو عائلتها في أضيق الحدود ، وبشرط ألا يؤدي إلى مفسدة ، وعن ذلك يقول «محمد فريد وجدي » : يقول معترضا : وماذا نعمل إذا كان حال الوجود يقضي بأن يوجد عدد من النساء لا عائل لهن، أنتركهن يمتن جوعًا ولا يزاحمن الرجال في الأعمال ؟ نقول : إذا علمت أن اشتغالهن خارج بيوتهن خلل اجتماعي خطير فالواجب يقضي علينا ألا نسعى في زيادة انتشاره بتسهيل سبيله ، بل توجب علينا الإنسانية أن نعمد إلى مداراته بكل وسعنا وبجهد استطاعتنا .

فلننظر الآن إلى مدنية الديانة الإسلامية لنرى هل فيها ما يضمن حياة هذا الجنس من مخالب الجوع والفاقة ؟ نعم إنها ضمنت ذلك بقولها إنه لو مات زوج المرأة ولم يكن لها عائل من أقاربها كافة وجب على بيت المال أن يقوم بنفقاتها في كل ما تحتاج إليه ، هذا ما تقوله المدنية الإسلامية .

« وفي حالة عدم وجود زوج ولا أقارب يجب على الهيئة الاجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة إما في مقابل عدم استقلالها الذي لا يمكنها أن تتجنبه ، وإما على الخصوص بالنسبة إلى وظيفتها الأدبية الضرورية ، وإليك في هذا الموضوع المعنى الحقيقي للرقي الإنساني : يجب أن تكون الحياة النسوية منزلية على قدر الإمكان ، ويجب تخليصها من كل عمل خارجي ليمكنها على ما يرام أن تحقق وظيفتها الحيوية » [٥] انتهى .

وهنا يجب الإشارة إلى أن الأستاذ « محمد فريد وجدي » كعالم إسلامي موسوعى قد دعا إلى تقنين عمل المرأة ومحاولة حصره في أضيق حدود وأوضح دور المجتمع والدولة في ذلك ، وهذا واجب اجتماعي لابد للدولة من أدائه ، وللدولة نشاط ملحوظ في ذلك يتمثل في معاش السادات ومعاش مبارك ويجب إعادة النظر في زيادة هذه المعاشات حتى تناسب الأحوال الاقتصادية الحالية .

---

(١) بعير ظَهير : أي قوى الظهر .

(٢) غِرارَتين : وعاء من خيش ونحوه .

(٣) خِطامه : الخطام هو الحبل يشد على رأس البعير .

(٤) الحديث رواه البخاري .

(٥) « محمد فريد وجدي » : « موسوعة القرن العشرين » صـ (٦١٣ ، ٦١٤) .

ولا يجب أن ننسى ضرورة الإشادة بنظام التأمين والمعاشات للعاملين بالدولة، والذي يكفل معاشًا محترمًا يتناسب مع دخل العائل المتوفى ، ويستفيد منه ورثته من زوجة وأبناء لم يعملوا بعد .

٢ ـ عمل المرأة كضرورة اجتماعية :

شاءت إرادة الخالق جلت قدرته وتعالت مشيئته أن يجعل من الأعمال ما يناسب المرأة وتنجح في مزاولته أكثر من الرجال ، حتى لا يستهين البعض بأهمية المرأة للمجتمع الإنساني .

والواقع يؤكد لنا أن هناك بعض النساء النادرات يملكن من المواهب العقلية والفكرية عالية المستوى ما ينافسن به عظماء الرجال ، ومن ثم يكون التفريط في استغلال هذه المواهب هو ضياع لمواهب كان يمكن للمجتمع الإفادة منها ، وتوظيفها التوظيف الأمثل في خدمته ، حيث إن المكاسب التي سيحققها منهن أعلى بكثير من مضار تركهن البيوت ، التي يمكن تداركها لو تم مساعدة هؤلاء النساء مساعدة إيجابية للتوفيق بين العمل والبيت ، وهؤلاء النابغات قلة معدودة ومحدودة وليست كلهن [١].

ويجب التنويه أن الأعمال التي يجب أن تزاولها المرأة لضرورة اجتماعية أو لمواهب نادرة ذاتية ، ينبغي أن تكون في أضيق الحدود وبقدر حاجة المجتمع التي لا تؤدي إلى بطالة الرجال ، أو شيوع عمل النساء ، وعنوستهن .

والهدي النبوي الشريف يوضح هذه الحقيقة ، فقد نادى الرسول ﷺ للجهاد لغزوة بدر الكبرى ،وهي أول وأهم غزوة في الإسلام فجاءت أم ورقة إلى الرسول ﷺ قائلة : ائذن لي أن أخرج معكم ، أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله تعالى يهدي إلى الشهادة ، فقال لها الرحمة المهداة ﷺ : « **إن الله يهديك الشهادة وقري « الزمي » بيتك ، فإنك شهيدة** » [٢] .

فلو أن هناك ضرورة لعملها في الجهاد لما منعها الرسول ﷺ ، كما لم يمنع أخريات في غزوات أخرى ومواقف أخرى .

---

(١) من أمثال هؤلاء عالمة الذرة المرحومة الشهيدة : « سميرة موسى » ، والدكتورة : « زينب السُبكي »، والدكتورة : « عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ » ، وزينب الغزالي ، وغيرهن .

(٢) مجلة الوعي الإسلام ، مقال عبد الله بدران ، عدد شوال (١٤١٨) هـ .

أ ـ أعمال يجب على المرأة القيام بها :

هناك بعض الأعمال التي يجب على النساء مزاولتها وتعد من فروض الكفاية ، «والفروض الكفاية على النساء ـ في مجال العمل المهني ـ هي الأعمال التي تفرضها حاجة المجتمع المسلم على مجموع النساء ، وتكون بمثابة ضرورات اجتماعية ، سواء كانت تلك الأعمال هي في الأصل من اختصاص النساء وحدهن أو مما يحتاج فيها إلى مشاركة النساء، أو كانت تلك الأعمال في الأصل من اختصاص الرجال لكن حدث عجز في جهد الرجال ، واحتيج إلى جهد النساء لتحقيق حاجة المجتمع ، ومن أمثلة النوع الأول تعليم وتطبيب وتمريض النساء وحضانة وتعليم الأطفال ، ورعاية اليتامى والأحداث الشاردين ، وكذلك بعض مجالات الخدمة الاجتماعية .

يندب للمرأة العمل المهني ـ بشرط توافقه مع مسؤوليتها الأسرية [١].

*** مهنة تربية الأطفال وتعليمهم :**

هذه المهنة العظيمة لا خلاف على ضرورة مزاولة النساء لها ولن يستطيع أي معارض أن يدعي عدم نجاح المرأة فيها ، وهي مهنة شريف تسمو بالمرأة وتسمو بها المرأة ، والمرأة أكثر استعدادًا لها من الرجال ، وأدرى منهم بطرق وأساليب كسب ود الأطفال ،ودراسة نفسياتهم ومراقبة عواطفهم وملاحظة صحتهم البدنية والعقلية وتغيرات عواطفهم وتغيرات نموهم ، فحنان النساء ورقتهن في ذلك أفضل من قوة الرجال وعضلاتهم .

وكافة المجتمعات الإسلامية بحاجة شديدة لعمل النساء في هذا المجال ، خاصة الحضانات والمراحل الأولى من تنشئة وتعليم الأطفال ، وإيمان المجتمع بذلك ورغبة النساء في العمل بهذا المجال أدت إلى أن نسبة العمل في التعليم وتربية الأطفال تعد من أكبر النسب مقارنة بغيرها من الأعمال .

*** مهنة الطب والتمريض :**

أطلق على العاملات في هذه المهنة لقب « ملائكة الرحمة » وهو تكريم تستحقه العاملات في هذا المجال، الذي يجب أن يكون خاصًا بعلاج وتمريض النساء دون الرجال.

فالقابلات « المولدات » يجب أن يكون من النساء ، وطبيبات الأسنان ، والباطنة ، والجراحة ، وإن أمكن ـ وأمراض النساء ـ وكل فروع الطب الخاصة بالنساء يجب أن يكن

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » صـ (٣٢٦) .

نساء ، لنأمن كشف العورات ، والدعوة للفتنة وتيسير الطريق لاقتراف المحرمات (١).

كذلك تمريض النساء يجب أن يكن مهنة نسائية ويمكن أن تعالج النساء الرجال عند الضرورة فقط .

*** القيام بأعمال الدعوة الإسلامية :**

الدعوة إلى الله أي : لدين الله واجب كفائي ، إذا قام به ما يكفي لتحقيقه سقط عن الآخرين .

والقرآن الكريم والسنة المطهرة أوضحا أن الدعوة إلى الله وتبليغ ما أنزل إلى الرسل وتعليمه للنشء وكافة الناس ، هو من واجبات الرجل والمرأة على حد المساواة ، بلا أي تفرقة ما دامت شروط الداعية متحققة ، ويقول جلّ شأنه : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

كما يقول : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، فالآية الأولى « سورة يوسف » أوضحت تكليف كل من اتبع الرسل بتبليغ منهجهم « دعوتهم » ، و« من » هنا للتبعيض ، وليست للتخصيص لفئة أو جنس معين ، وعلى ذلك يستوي المرأة والرجل في هذا الأمر ، طالما كان مسلمًا مكلفًا عدلاً قادرًا .

وكلمة « أمة » في آيتي آل عمران معناها : مجموعة من الناس تكفي لتحقيق الغرض، ويؤيد ذلك قول الرسول ﷺ : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » (٢).

هذا ، وقد أوضح الله في قرآنه المساواة الكاملة بين الرجال والنساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة : ٧١] .

---

(١) هناك أكثر من فضيحة أعلنتها الجرائد والمجلات في أكثر من بلد إسلامي عن علاقات غير شرعية بين مريضات نساء وأطباء رجال بعضهم أقام علاقات جنسية مع عشرات النساء في وقت واحد .

(٢) رواه الطبراني والحاكم .

*** مهن أخرى تصلح للنساء :**

هناك أعمال يمكن أن تمتهنها النساء ، وهي مرتبطة بخدمة النساء ، ومنعًا للاختلاط ودرءًا لمفاسده ينبغي ألا يقوم بها الرجال ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

- شرطية تقوم بتفتيش النساء أو الإشراف على سجون النساء .
- سائقة سيارات تحمل النساء لأعمالهن كالمدارس والمستشفيات وغير ذلك .
- مُزَيِّنة للنساء لإبراز جمالهن لأزواجهن .
- أعمال حياكة الملابس النسائية وما يرتبطها .
- بائعات لأحذية النساء وباقي أغراضهن .
- إدارة الأعمال من تجارة وصناعة وزراعة وفقًا لأحكام الإسلام .
- محصلات في وسائل النقل العام لعربات النساء فقط .
- باحثة اجتماعية في دور الحضانة والمدارس ودور الإصلاح المختلفة الخاصة بالنساء .

وفي جميع الأعمال والأحوال يجب مراعاة أولويات لتنظيم عمل المرأة ، وعن ذلك يقول « الشيخ الغزالي » : « ولا شك أن تعاون المرأة في خدمة المجتمع تعاون عظيم يسد ثغرة كبيرة في مجال البر والإحسان والتربية والتطبيب والمواساة ، هذا فضلاً عن القيام بأمور المرأة التي هي في حاجة إلى جهود رائدات من جنسها حفاظًا عليها ، وعلى إسلامها وعفتها وطهرها »(١).

ولهذا اتسعت مجالات المرأة في الخدمة الاجتماعية ، ولا ينبغي أن يفهم من كلامنا هذا أن هناك تجاوزًا للأولويات التي لابد منها .

بل لابد من ترتيب الأولويات حتى لا تختل الموازين في البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، وعلى سبيل المثال في تحديد الأولويات نقول إن أول الواجبات التي يجب أن تقوم بها المرأة هي طاعة الزوج ورعايته جسديًا ونفسيًا وماليًا ، ثم رعاية الأولاد والأقارب، ثم حقوق الجارة وحقوق الله المتعلقة بذلك ، ثم ما يحتاجه العمل للدعوة إلى الله تعالى ، ثم تتدرج الأعمال حسب أهميتها للإسلام والمسلمين بشرط أن تكون في حدود التعاليم الإسلامية التي يتقيد بها الرجل والمرأة على السواء كدستور للفضائل والأخلاق :﴿ وَاللَّهُ

---

(١) « قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة » صـ (١٧٠) ، مكتبة الأسرة ، سنة (١٩٩٩) .

يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٦] .

كما لا يجب أن تكون تلك الأعمال الخارجية التطوعية نابعة من عصيان الزوج ، وعدم موافقة الولي أو الزوج ، اللهم إلا فيما يؤدي إلى معصية الله تبارك وتعالى ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

أما عمل المرأة بدون أولويات ، فهذا ضرب من العبث الذي لا يقع فيه النساء فقط ، بل قد يقع فيه أيضًا كثير من الرجال ، وقد جنح كثير من النساء إلى تخريب البيت في سبيل أشياء تافهة كبعض المال ، أو في سبيل الرياسة ، أو مظهر اجتماعي أو جسدي أو غرور أو إثبات لقدرات موهومة أو لمحاكاة الرجال في بعض الأعمال الخاصة بهم .

ب ـ ضرورة الاستفادة من المواهب النسائية النادرة :

الإسلام لا يرى في المرأة ذكاءً أقل من الرجل بسبب ذكورة الرجل وأنوثة المرأة رغم اختلاف التكوين الجسدي ، ولكنه يرى أن اختلاف الوظائف الأساسية لكليهما يكفل للرجل أولوية العمل خارج البيت بما يقتضي ذلك من سعي وكد ومشقة .

ولكن المشيئة الإلهية قد تمنح بعض النساء من المواهب العقلية المتمثلة في الذكاء النادر، والقدرة الفائقة على الحفظ والاستيعاب والمقدرة الهائلة على التحليل والتنظيم ، ما لا يملكه إلا صفوة الرجال ، وهنا تظهر حاجة المجتمع الجلية للاستفادة من مواهب هؤلاء التي لو استغلت وساعد المجتمع هؤلاء بتيسير الوقت والجهد لإدارة البيت والعمل ، لكسب الكثير ، ولنا القدوة الحسنة لكثيرات من النساء ومن هؤلاء :

ـ السيدة عائشة ﵂ روت عن رسول الله ﷺ ألف حديث رواية مباشرة ، وهناك أكثر من (٧٠٠) امرأة روين عن رسول الله ﷺ أو عن الثقات من أصحابه ، وعنهن روى أعلام الدين وأئمة المسلمين .

ـ وهناك الشيخة « شهدة » وكانت تلقب بـ « فخر النساء » ، واستمع عليها خلق كثير من تلاميذها الإمام ابن تيمية الحرّاني الذي سمع منها الحديث والإمام ابن قيم الجوزية ، روى عنها كثيرًا من الآثار .

ـ وهناك فاطمة بنت جمال الدين سليمان الأنصاري ، وكانت عالمة محدثة ، وممن أخذ عنها الصفدي ، والإمام الخطيب قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية ، وقد أسهمت بنصيب كبير في تكوين هذا العالم الجليل .

وقد عد ابن عساكر أساتذته وشيوخه ، الذين تلقى عنهم العلم ، وكان من بينهم إحدى وثمانون امرأة .

وروى الإمام مسلم أنه روى عن (٧٠) سيدة في عصره .

وترجم ابن حجر حياة (١٥٤٣) محدثة ، وقال عنهن : إنهن كن ثقات عالمات ، ورغم أن الإمام الحافظ اتهم أربعة آلاف من المحدثين ، إلا أنه قال عن المحدثات : « وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها » (١).

وما زالت أرحام النساء تنتج الكثيرات من النابغات اللاتي لا يجب حجب نبوغهن ، فعالمة كالدكتورة « سميرة موسى » (٢)، والدكتورة « عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ »، والدكتورة زينب السبكي والسيدة « زينب الغزالي » ، وغيرهن كثيرات يجب تشجيع أمثالهن من المتقدمات والنابغات في التعليم واللاتي يعتبرن من النادرات ، في استكمال التعليم ، والاستفادة بهن فيما يناسبهن من أعمال تتفق والشريعة الإسلامية .

ثانيًا: موافقة ولي الأمر على عمل المرأة :

ولي أمر المرأة قد يكون الأب أو الأخ أو الزوج أو غير ذلك ، وهو المكلف شرعًا برعايتها والإنفاق عليها ، وله حق الطاعة والقوامة ، وهذه الواجبات ،وتلك الحقوق تنشئ لولي الأمر الحق في الموافقة على عمل المرأة من عدمه .

يقول تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء : ٣٤] .

ويقول الرسول ﷺ : « **ولا تخرج المرأة من بيتها إلا بإذنه (الزوج) ، وإن فعلت لعنها ملائكة السماء وملائكة العذاب حتى ترجع** » (٣).

وهذه الموافقة مرجعها أن الولي من زوج وغيره هو الذي سيعاني من آثار عمل المرأة التي قد تمثل ضررًا على أسرتها وأطفالها ، فقد لا تستطيع ـ وهو الغالب ـ أن تنجح المرأة في أداء وظيفتها الأسرية ووظيفتها العملية .

---

(١) انظر : كتابنا « المرأة في الشريعة وقاسم أمين » .
(٢) عالمة ذرة نابغة قتلت غدرًا حتى تحرم مصر من أمثالها .
(٣) رواه الطبراني .

ولا شك أن هذه الموافقة ـ إن تمت ـ ستعطي المرأة بعض الحقوق منها : حرية الخروج للعمل دون إذن كل مرة ، ضرورة مساعدة الولي لها مساعدة إيجابية ، فتخفيف بعض الأعمال المنزلية عنها أو مساعدته الفعالة لها في الكثير من أعمال المنزل ، أو حق الاستعانة بآخرين للمساعدة في إدارة المنزل وتربية الأطفال رغم مضاره ، وينبغي قبل الموافقة الاتفاق على مدى مساعدة المرأة للأسرة ماليًا ،وما هي النسبة المناسبة من الدخل المهني أو الوظيفي التي يجب عليها التضحية بها للأسرة ، مقابل تضحية الأسرة بحقها فيما أنفقته المرأة من وقت للعمل خارج البيت .

ثالثًا : مناسبة العمل لطبيعة المرأة [1] :

إن اختلاف البشر في المواهب العقلية والقوى الجسدية لهو حقيقة مؤكدة ثابتة راسخة لا خلاف فيها أو عليها ، فلا يمكن تطابق شخصين بالكامل في كل شيء ، وإن تطابقا في الشكل واللون والطول والعرض ، ومظاهر الجسد المرئية ، فإذا كان ذلك حقيقة مؤكدة بين أفراد الجنس نفسه ، فكيف ينكر وجوده بين الذكر والأنثى ؟

ومن ثم كانت حكمة الإسلام بالغة في أن : « تصان المرأة عن مزاولة أعمال مهينة تتعارض مع طبيعتها وخصائصها البدنية والنفسية وهذه الأعمال نوعان : نوع حظره الشارع حظرًا مطلقًا ونص عليه نصًا قاطعًا ، ونوع يجتهد المسلمون في تقريره » .

النوع الأول : ما حظره الشارع من الأعمال المهنية :

ـ عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » ، رواه البخاري .

هذا النص ـ كما يقول الدكتور « مصطفى السباعى » : « يقتصر المراد من الولاية فيه على الولاية العامة العليا ؛ لأنه ورد حين أبلغ الرسول عليه الصلاة والسلام أن الفرس ولوا للرئاسة عليهم إحدى بنات كسرى بعد موته ؛ ولأن الولاية بإطلاقها ليست ممنوعة عن المرأة بالإجماع بدليل اتفاق الفقهاء قاطبة على جواز أن تكون المرأة وصية على الصغار وناقصي الأهلية وأن تكون وكيلة لأية جماعة من الناس في تصريف أموالهم وإدارة مزارعهم ، وأن تكون شاهدة ، والشهادة ولاية كما نص الفقهاء على ذلك ؛ ولأنَّ أبا حنيفة يجيز أن تتولى القضاء في بعض الحالات والقضاء ولاية ، فنص الحديث كما نفهمه

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » صـ (٣٣١ : ٣٤٠) .

صريح في منع المرأة من رئاسة الدولة العليا ، ويلحق بها ما كان بمعناها في خطورة المسؤولية ، أما سائر الوظائف الأخرى ، فليس في الإسلام ما يمنع المرأة من توليتها لكمال أهليتها ، ولكن يجب أن يتم ذلك وفق مبادئ الإسلام وأخلاقه » [1].

وهذه آراء بعض الفقهاء التي توضح جواز عمل المرأة في شتى الأعمال ما عدا الإمامة العظمى ، وهي رئاسة الدولة : « وقال القاضي ابن رشد بخصوص تولي المرأة وظائف القضاء : « اختلفوا في اشتراط الذكورة فقال الجمهور : هي شرط في صحة الحكم ، وقال أبو حنيفة : يجوز أن تكون المرأة قاضيًا في الأموال » ، قال الطبري : يجوز أن تكون المرأة حاكمًا على الإطلاق في كل شيء ، فمن رد قضاء المرأة شبهه بالإمامة الكبرى ، ومن أجاز حكمها في الأموال ، فتشبيها بجواز شهادتها في الأموال ، ومن رأى حكمها نافذًا في كل شيء ، قال : إن الأصل هو أن كل من يأتي منه الفصل بين الناس ، فحكمه جائز إلا ما خصه الإجماع من الإمامة الكبرى .

النوع الثاني : ما يجتهد المسلمون في صيانة المرأة عن مزاولته :

ومن أمثلته الأعمال البدنية الشاقة التي تتطلب جهدًا بالغًا متصلاً يثقل كاهل المرأة ، وكذلك الأعمال التي تتطلب جهدًا نفسيًا مؤلمًا وتقتضي قسوة وغلظة ترهق مشاعرها ، وتنسيها أنوثتها وأمومتها .

إذن مراعاة الوظائف المناسبة للمرأة واجبة ، ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله في ذلك: « في جنون المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في ميادين الأعمال ، وقعت قصة تستحق التسجيل،فقد رأى البعض تشغيل الفتيات محصلات في الحافلات العامة! و«الباصات » في القاهرة تغص بحشود من البشر يزحم بعضها بعضًا ، فلا يكاد الرجل الجلد يجد طريقًا بينها ، فكيف بالفتيات ؟

وعاشت التجربة يومًا ولم تتكرر . . .

ورأيت في عاصمة عربية «شرطية» تنظم المرور، فقلت:هذا عمل شاق، ما كان ينبغي أن تُدفَع النساء إليه ! قد تشتغل المرأة شرطية لتفتيش النساء مثلاً ، وما يشبه هذه الأعمال الخاصة ، أما الوقوف في الحر والبرد ، ودَوَرَان البصر وراء قوافل السيارات والمشاة فلا . .

وعندي أن الرجل أقدر على العمل في الطائرات من المرأة ، وأن وظيفة « مضيفة »

---

(١) عبد الحليم أبو شقة : « تحرير المرأة في عصر الرسالة » (٣ / ٣٦٨) .

ينبغي أن تختفي ، لاسيما في الرحلات البعيدة التي تفرض المبيت في الفنادق ، والبعد أيامًا عن الأهل . . .

وحكى لي صديق قادم من « موسكو » ، قال : إن النساء هناك يغسلن الشوارع في الصباح ، ويشتغلن بالأعمال كلها ، وإن خصائص الأنوثة من نعومة ورقة تكاد تختفي مع قسوة الواجبات التي تفرض على طوائف العاملات . . بل حكى لي أنه رأى عجوزًا تصعد مساء إلى السيارة ، قافلة إلى بيتها ؛وهي تترنح لا أدري أهي سكرى أم من الإعياء . .

إنني أرفض هذه المساواة في الأعمال ، وعندما كنت شابًا رأيت في قريتنا رجلاً وزوجته يديران « الطمبور » يرويان أرضهما ! قلت : هذا عمل شاق ، وقد جربته فأتعبني! لأن المرء يكلف في كل دورة برفع عدة « جالونات » إلى أعلى .

يمكن للمرأة الفلاحة أن تبذر الأرض مثلاً ، أما الأمومة والأنوثة فلا ينبغي تعريضها للمشاق المعنتة . .

من أجل ذلك وافقت وأنا مستريح الضمير على ما نشرته منظمة الصحة العالمية ، شرق البحر المتوسط ، في تقريرها الأخير ، قال : وفي جميع الأحوال لا يليق بالمرأة أن تعمل في المجالات التي لا تلائم طبيعتها ، وأن تدخل في أي ضرب من ضروب الصناعة والحرف المضنية ، فالمجالات التي تحسنها المرأة وتتناسب معها كثيرة ومتعددة ، كميدان التعليم والطب والتمريض ، والرعاية الاجتماعية ، والكتابة والنشر ، وبعض الوظائف غير المرهقة ، وتستطيع فوق كل ذلك أن تغشى الأسواق في حشمة ووقار فتبيع وتبتاع .

أما أن تعمل المرأة كل أعمال الرجال ، كأن تكون شرطية وميكانيكية ؟ وعاملة في المصانع ، ومنظفة في الشوارع ، وسائقة للعربات وأدوات النقل ، وما شابه ذلك ، فلا يليق بها ولا يجوز لها أن تزاوله ، وقلما تساوى الرجل في هذا المجال . .

والدول الصناعية لم تنظر إلى عمل المرأة على أنه مساوٍ لعمل الرجل . . ولذلك اختلفت الأجور التي يتقاضاها الرجال عن الأجور التي يتقاضاها النساء كما يلاحظ ذلك من بعض الإحصائيات العالمية ، حيث نجد أن هذه تتراوح ما بين (٥٩ ٪ - ٧٠ ٪) من

الأجور التي يتقاضاها الرجال في الأعمال المتماثلة [١] .

ويقول رحمه الله عن بعض أعمال النساء :« أرفض مع كل مسلم أن تؤلّف فرق للمجندات على النحو الذي يقع في أوربا ، فإن هذه الفرق يتم تكوينها لغايات دنيئة ، ومعروف أن الأوربيين ينظرون إلى الشهوات الجنسية نظرة رضا واستباحة كما ينظرون إلى حاجات أجسامهم لها . .

ومن الممكن أن يكون للنساء المؤمنات وجود شريف في ميدان الجهاد الإسلامي أساسه علاج الجرحى ، وإعداد الأدوية ونقل الموتى إلى الجبهات الخلفية ، وتهيئة الأطعمة والأشربة ، وكتابة بعض الرسائل والنهوض ببعض الأعمال الإدارية [٢] . .

ولا بأس أن يكنّ مُسلّحات مدرّبات ، فقد تقتضي الضرورة بأن يشتبكن مع العدو ، فلا يجوز أن يقعن في يده لقمة سائغة . .

روى مسلم عن أنس أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خِنْجَرًا فكان معها ـ تحمله باستمرار ـ فرآها أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ! فقال لها رسول الله ﷺ : « ما هذا الخنجر ؟» فقالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ بطنه ! فجعل رسول الله ﷺ يضحك !!

وأخرج الطبراني عن مهاجر أن أسماء بنت زيد ـ وهي من المبايعات في العقبة ـ قتلت في معركة اليرموك تسعة من الروم بعمود خيمتها . . !!

وروى البخاري عن الرُّبيِّع بنت معوِّذ قالت : كنا مع النبي ﷺ نغزو ، فنسقي القوم ونخدمهم ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة .

وروى مسلم عن أم عطية الأنصارية ، قالت : غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على الزَّمْنَى ، أصحاب الأمراض الطويلة .

ومن الممكن لأجهزة الهلال الأحمر أن تضع نظامًا إسلاميًا دقيقًا للانتفاع بجهود

(١) محمد الغزالي : « قضايا المرأة » صـ (٣٨ ، ٣٩) .

(٢) أرى أن ذلك يكون ضروريًا عند الحاجة فقط ، وينتهي بانتهائها وليس كمهنة احتراف يتكسب منها .

المجاهدات المسلمات تلاحظ فيه حدود الله ، وترعى آداب العفاف والتقوى التي ينشدها الدين [١] !

ولعل المرأة تكون أصبر وأقدر في مجال التمريض من غيرها . . ونحن نلاحظ أن الإسلام اليوم في معارك دفاع عن وجوده وتعاليمه وأن جبهة القتال ممتدة في قارات كبيرة أي : أن المسلمين مغزوون في عقر دارهم وليسوا غزاة » .

وقد أباح الرسول العظيم لأم حرام أن تطلب الغزو في البحر ، وقد ركبت سفينة مع زوجة معاوية عندما اتجه إلى فتح قسطنطينية ، وماتت ودفنت في قبرص [٢].

وجهاد النساء عسكريًا واجتماعيًا معروف في تاريخ السلف الصالح ، ولكن البعض يصيبه مَسٌّ عندما يسمع به ! وإذا بقى قياد الإسلام الثقافي في يد هؤلاء المتطيِّرين القاصرين ، فإننا سنلقي هزائم شتى في ميدان الدعوة الإسلامية [٣].

إننا أوفياء لسنة نبينا ، ونحب أن نوفّر كل الضمانات لتطبيقها على خير وجه ، ونأبى كل الإباء أن نأخذ تعاليم الإسلام من جهلة بمصادره عبيد لتقاليدهم [٤].

ويقول « محمد فريد وجدي » عن أهمية مناسبة العمل للمرأة : « إن من أقبح مظاهر أسر المرأة في الأفراد والأمم ترك حبلها على غاربها ، وقذفها بذلك الجسم اللين والعواطف الرقيقة والفؤاد المملوء رحمة والمهجة المتشبعة بالشفقة تزاحم الرجال في معترك الحياة كتفًا بكتب لسد رمقها قاضية طول نهارها وجزءًا من ليلها بين لهيب المعامل ودخانها أو على قارعة الطرق بين هيجاء تلك الحركة المفزعة ، ولو تسنى لك يوم من الأيام أن تزور أكبر معامل أوروبا وأمريكا مما جمع إلى فخامة المبنى وضخامته سعة لا يكاد يحيط بها البصر رأيت في داخلها أمرًا عجيبًا ، رأيت جماعة من ذلك الجنس الرقيق مكلفات بأشق الأعمال ، وأقسى المحاولات اليدوية واقفات أو ذاهبات آيبات يعانين أوصاب الحياة ومرارة العيش تقرأ على وجوههن التي ضوحتها الإرهاقات هذه الجملة الجملة التي لا تذهب من مخيلتك

---

(١) المشكلة الحقيقية أن ما يتم الآن هدفه الذهاب بالعفة إلى غير رجعة .

(٢ ، ٣) يجب مراعاة أن أم حرام صاحبت الأسطول ليس كمحاربة بالسيف والرمح ، ولكن للمساعدة الإدارية ، بلا راتب أو مقابل مادي سوى طلب الشهادة ، ولم تكن كافة النساء المسلمات المجاهدات يعملن في الجيش كل الوقت كمهنة للتكسب والعمل خارج البيت والاحتكاك بالرجال ، ولكنهم كن متطوعات .

(٤) « قضايا المرأة » صـ (١٧٠ ، ١٧١) .

أبدًا «هذا منتهى أسر الرجل للمرأة » (١).

رابعًا : عدم الاختلاط :

إن الاختلاط بين الرجال والنساء في شتى مناحي الحياة داخل البيت وخارجه هو أسهل طريق لإثارة الغرائز الجنسية ، كما يعد أيسر سبيل لإعانة ومساعدة الشيطان في إغراء وإغواء البشر لارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، مع اختلاف مسمياتها وتباين أفعالها التي قد تبدأ بنظرة وتنتهي بفاحشة .

وإذا كان الرسول ﷺ نهانا عن الاختلاط داخل البيوت ، فقال : « **لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم** » ، وأكد ذلك القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، فإنه ﷺ حذرنا من الاختلاط العابر السريع الذي قد لا يستمر دقائق أو ثوان معدودة .

قال رسول الله ﷺ: « **إياكم والجلوس في الطرقات** » ، قالوا ـ الصحابة: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها فقال ﷺ : « **فإذا أبيتم إلا المجلس ، فأعطوا الطريق حقه** » ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « **غض البصر ..** » (٢).

فمن باب أولى ألا نسمح باختلاط الرجال بالنساء في أماكن العمل والنوادي والمنتديات وغيرها من أماكن اللهو واللعب خاصة إذا كانت هذا الاختلاط متكرر اللقاء ، ومستمر لمدة طويلة ، مما قد يؤدي إلى مضار عديدة ، لا يمكن بأي حال تجنبها أو مقارنتها مهما ادعينا أن سمو الأخلاق وحُسن التربية يحولان دون ذلك (٣).

١ ـ مضار الاختلاط والخلوة بلا محرم :

نود الإشارة قبل أن نخوض غمار ومعترك هذ المضار ، أن رسول الله ﷺ عندما قال: « **لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم** » (٤)، فإنه ﷺ قصد أن من يخاف على المرأة وعلى شرفها وعفتها ويجب أن يجاهد ويضحي للحفاظ عليها من يهمه أمرها « المحرم » وليس أن رجل آخر ولو كان زميل أو صديق أو جار، بمعنى أن وجود المرأة في مكان عمل

(١) « موسوعة القرن العشرين » صـ (٦٠٩) .

(٢) عن ابن عباس ، وهو متفق عليه .

(٣) الانهيار الخلقي والجهل بأحكام الأديان ـ حاليًا ـ لم يعد يرى في الفاحشة جريمة إذا تمت برضا طرفيها، فالدعوة للفسق والفجور أصبحت كالهواء الذي نتنفسه !!

(٤) سبق تخريجه .

واحد مع أكثر من رجل لا يوفر لها الحماية من مضار الاختلاط، كما يظن البعض ، فكم من امرأة أقامت علاقة مع أكثر من رجل في مكان عملها ؟! وكم من صديق حول الصداقة البريئة إلى حب ثم عشق ثم زنا ؟ وكم جار أذاب الجدران والعواطف .

*** تهيئة الفرصة الكاملة لإقامة علاقات غير سوية :**

نقصد بالعلاقات الغير سوية ، نظرات الإعجاب سواء بشهوة أو بدونها ، وتبادل الكلام الذي قد يكون بتكلف وتصنع وميوعة من المرأة ، وبسوء نية من الرجل ، الذي يبدأ بينهما بالتلميح من وراء حجاب ، ثم يصبح بالتعريض بلا حجاب ، ثم تشهى الرجل والمرأة كلاهما للآخر سواء بالقلب والتمني أو بالجوارح والعقل .

قال رسول الله ﷺ : « **كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مُدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[1] .

والحديث على اختصاره يمثل منهجًا لما نراه ونسمعه من واقع أليم نتج عن الاختلاط السافر الفاجر ، الذي يتم بلا ضوابط إسلامية ، فالبداية نظرة في صمت ، ثم كلام مسموع ، ثم تمنى وتشهى بالقلب ، وقد يُسفر ذلك عن زنا فعلي أو قد لا يؤدي إليه .

وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

*** ضياع فضيلة وخلق وأدب الحياء :**

إن الاختلاط ـ دون ضوابط إسلامية ـ قد يكون بداية لذهاب حياء المرأة ، ومعلوم أن تعدد اللقاءات وطول زمن اللقاء وإدامة النظر ، والكلام والسلام ، كفيل برفع الكلفة بين الرجل والمرأة ، ومن ثم الذهاب بفضيلة الحياء التي تُعد من أهم آداب المحافظة على العفة والفضيلة ؛ ولذلك يقول ﷺ : « **الحياء لا يأتي إلا بخير** »[2]، كما قال : « **الحياء من الإيمان** »[3].

---

(١) رواه أبو هريرة ، متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم ، ورواية البخاري مختصرة .

(٢) رواه عمران بن حصين ﷺ ، والحديث متفق عليه .

(٣) عن ابن عمر ﷺ ، متفق عليه .

وفي قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب يتضح آداب عدم الاختلاط بصورة جلية واضحة .

*** حياء موسى عليه السلام :**

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ ﴾ [القصص : ٢٤].

لم يستغل موسى محادثته مع الأختين لإنشاء علاقات عاطفية من تلك التي تبدأ بنظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ، فضياع عفة ، والذهاب بشرف تحت مسمى الحب والغرام ، وحرية الجنس وخلافه .

*** حياء ابنتي شعيب :**

لم تستغل ابنتا شعيب العمل - مع ضرورته - للاختلاط بالرعاة من الرجال ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ [القصص : ٢٣]، وعندما عادت إحداهما لاستدعاء موسى عليه السلام للقاء أبيها خافت أن يفسر موسى عليه السلام عودتها له تفسيراً غير أخلاقي وغير حقيقي مما قد يُسيء إليها، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك حيث قال تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص : ٢٥]،إن التعبير القرآني ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ليضعنا في موقف المشاهدين بأعيننا لهذه الفتاة التي تملكها الحياء ، وكادت الأرض أن تميد بها من شدة الكسوف ، حتى أنها لم تعد تشعر أنها تسير على الأرض .

وقد أوجزت الرسالة في كلمات معدودة مختصرة حتى لا تدع مجالاً لرفع الكلفة بينها وبين هذا الغريب فقالت:﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص : ٢٥].

لذلك تحرم الخلوة أثناء العمل حفاظًا على المرأة وكرامتها وعلى الأسرة والمجتمع ، ويمنع عمل المرأة إذا تعارض مع مصلحة الطفل أو مصلحة الأسرة ، أو كان سببًا في الانحراف ، أو كان سببًا في أن تصبح المرأة أداة لتسلية الرجال أو ترويج البضاعة وحال ذلك دون عمل الرجال أو تسبب في مشكلة البطالة بينهم ، وهم المكلفون بأعباء الأسرة ، وليست المرأة المكلفة بذلك .

يقول الدكتور « سعيد رمضان البوطي » في كتابه « إلى كل فتاة تؤمن بالله » (ص٦٢) ما يلي : « إن عمل المرأة في اكتساب الرزق يعد في جوهره من المباحات التي لا فرق فيها بين الرجل والمرأة ، ولكنه يكتسب بعد ذلك حكم الحرمة إذا ترتب عليه محرم ، وإنما يترتب عليه ذلك من وجهين : الأول : أن تفقد المرأة بذلك قدرتها على الاحتجاب

عن الرجال على النحو الذي أمر الله تعالى به وتشيع بينها وبينهم الخلطة الفاحشة ، الثاني: أن يتسبب عن ذلك الاضطراب ، فيختل بذلك الميزان الشرعي الذي يسير عليه قانون الزواج (كأن تصبح المرأة طالبة وكافلة بعد أن كانت مطلوبة ومكفولة) » .

يقول الدكتور « محمد محمد حسين » في كتابه « حصوننا مهددة من داخلها » (ص١٣٩) ما يلي : « إن اتخاذ عمل المرأة أصلاً من أصول التنظيم الاجتماعي يخالف روح الشريعة ويناقض كثيرًا من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضًا واضحًا » [(١)].

خامسًا : ألا يضر العمل بالأسرة والمجتمع :

إن اتخاذ عمل المرأة أصلاً من أصول التعليم الاجتماعي يخالف روح الشريعة ، ويناقض الكثير من نصوصها ويتعارض مع الكثير من أحكامها تعارضًا واضحًا جليًا ، ومرجع ذلك أنه من النادر أن توفق المرأة وتجيد في كلا العملين ، ولن تكون المرأة مشاركة في تنمية المجتمع وتقدمه ورُقيه إلا إذا كان ما تؤديه من عمل خارج بيتها تزيد فوائده وتغلب مزاياه عن الضرر الواقع على الأسرة والمجتمع لمزاوليه .

ويوضح الفيلسوف الفرنسي الكبير رائد علم الاجتماع « أجوست كونت » هذه الحقيقة المؤكدة فيقول : « ينبغي أن تكون حياة المرأة بيتية ، وأن لا تكلف بأعمال الرجال ؛ لأنَّ ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية ، ويفسد مواهبها الفطرية ، وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملاً ماديًا ، كما ينفقون على الكتاب والشعراء والفلاسفة ، فإذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لإنتاج ثمرات قرائحهم ، كذلك يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية : من حمل ووضع وتربية ، ومن جهة أخرى ، فإنه لو سمح للنساء ، على ضعفهن، أن يشتغلن خارج بيوتهن ، تعرضن لمنافسة قوية من جانب الرجال ، فلا ينلن بجانبهم إلا الحثالة التي يعفون عنها ، فيقمن في الفاقة، ولا يجدن القوت إلا تبلغًا .

يحيق بمجتمعاتهن من جراء خروجهن على نظام الطبيعة ، وعصيانهن لنواميس الحياة الصحيحة » [(٢)].

---

(١) محمد سعيد مبيض : « إلى غير المحجبات أولاً » صـ (٥٦) ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى (١٩٨٨) .

(١) محمد فريد وجدي : « موسوعة القرن العشرين » .

يقول عبد الحليم أبو شقة : « إن للرجل والمرأة والأطفال الحق الكامل في عش هادئ جميل يجدون فيه - جميعًا - السكن والطمأنينة والصحبة المؤنسة السعيدة فضلاً عن الرعاية الحانية .

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال : « **والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسؤولة عنهم** » [1].

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولده في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده** » ، رواه البخاري .

أما الرجل .. فينبغي أن يجد في البيت الراحة النفسية والعصبية ، في ظل المودة الغامرة مع زوجه ، وصدق الله العظيم : ﴿ **لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، كما يجد السعادة خلال مداعبة أطفاله ، وإن الراحة وتجديد النشاط لهما الأثر الكبير في زيادة إنتاج الرجل فضلاً عن إحسان الإنتاج والإبداع فيه أيا كان مجال هذا الإنتاج .

وأما الأطفال ، فينبغي لهم الرعاية الأسرية الطيبة في مختلف مراحل النمو ومنها الرضاع من الأم ثم الحظوة منها - دون غيرها - بحضانة أقلها ثلاث سنوات ، اللهم إلا عند الضرورة القصوى ، ثم التربية الرشيدة من الوالدين معًا حتى يبلغوا درجة النضج ، كل ذلك في جو يفيض بمشاعر الحب والحنان مع تقوى الله تعالى .

وهكذا يكون البيت جنة الرجل والمرأة والأطفال ، وهذه الجنة لا يمكن أن تتفتح براعمها ويفوح شذاها وينعم بها الجميع ، بغير عقل المرأة وقلبها ويدها ؛ ولذا ينبغي أن تمضي المرأة - حين تمارس عملاً مهنيًا - في اتزان وخطوات محسوبة ، حتى لا يطغى هذا العمل على حق البيت ، ولا يصرفها النجاح المهني مطلقًا عن هذا الموقف المتزن ، ولا يلهيها عن حياتها الأصيلة ودورها الأساسي مشاغل عارضة أو بعض زخارف ومباهج سطحية للعمل المهني .

كما لا ينبغي أن يؤثر العمل على الإنجاب ، قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾ [النحل : ٧٢] .

وصدق رسول الله ﷺ حيث يحرضنا على طلب الولد : « **تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم** » رواه النسائي .

(١) رواه البخاري ومسلم .

فيجب أن يظل البيت هو جنة المرأة التي تنعم فيها بالراحة وتجديد النشاط ، وذلك في الرعاية الحانية من الزوج ، ومن خلال سعادتها بحب أطفالها ، وذلك مما يزيد من إنتاجها الأسري والمهني ويبلغ به درجة الإحسان والإبداع » [١].

ويقول المستشار « سالم البهنساوي » : « والإسلام عندما يمنع المرأة من العمل ، لا يكون ذلك مرده إلى أن عملها حرام في ذاته ؛ بل لأن ضرراً آخر سينجم عن هذا العمل يكون خطرًا عليها أو على أطفالها أو مجتمعها .

وهذا المنطق أدركه الناس بفطرتهم ، ومنهم بعض السيدات غير المسلمات ، لقد طالبت بعض سيدات أوربا بعودة المرأة إلى عمل البيت ، وفي هذا كتب « أنا فرويد » : إن تربية الأطفال في الملاجئ والمحاضن ، يولد الاضطرابات العاطفية ، والخلل النفسي والانحرافات الشاذة ، مما لا يستطيع أن يعوضه علم النفس » .

ويعلق الشهيد « سيد قطب » على ذلك بقوله : « من أول ما أثبتته تجربة المحاضن أن الطفل في العامين الأولين من عمره يحتاج حاجة نفسية فطرية إلى الاستقلال بوالدين له خاصة ، وبخاصة الاستقلال بأم لا يشاركه فيها طفل آخر ، وفيها بعد هذه السن يحتاج حاجة فطرية إلى الشعور بأن له أبًا وأمًا مميزين ينسب إليهما ، والأمر الأول متعذر من المحاضن ، والأمر الثاني متعذر في غير نظام الأسرة ، وأي طفل يفقد أيهما ينشأ منحرفًا شاذًا مريضًا مرضًا نفسيًا على نحو من الأنحاء .

وحين تكون هناك حادثة تحرم الطفل إحدى هاتين الحاجتين تكون ولا شك كارثة في حياته ، فما بال الجاهلية الشاردة تريد أن تعمم الكوارث في حياة الأطفال جميعًا ؟ .

ثم يزعم أناس حرموا أنفسهم نعمة الإسلام الذي أراده الله لهم ـ أن هذا هو التقدم والتحرر والحضارة » ؟ [٢].

ويسترشد المستشار « عزت البهنساوي » بقول الإمام الشهيد حسن البنا : « وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجئ المرأة إلى مزاولة عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها

(١) عبد الحليم أبو شقة : « تحرير المرأة في عصر الرسالة » (٣ / ٣٥٩) .
(٢) « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية »، ص(٩٧)، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الاولى، (٢٠٠٣) م .

(الأسرة والطفل)، فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل، وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها بقدر ضرورتها، لا أن يكون نظامًا عامًا من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه، والكلام في هذه الناحية أكثر من أن يحاط به، ولاسيما في هذا العصر (الميكانيكي) الذي أصبحت فيه مشكلة البطالة وتعطل الرجال من مشاكل المجتمعات البشرية في كل شعب وفي كل دولة؛ لذلك وجب تفضيل توظيف الزوج المتزوج أو الذي يعول أسرة عن المرأة التي لا تعول أحدا ، فلقد أوجب الإسلام على من يتولى أمرًا من أمور المسلمين العامة أن يكون له عمل يكفيه ،وزوجة تعفه وخادم يعينه وسيارة يركبها ؛ إذ روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: « **من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، وليست له زوجة فليتزوج ، وليس له خادم فليتخذ خادمًا ، وليست له دابة فليتخذ دابة ، ومن أصاب شيئًا سوى ذلك فهو غال** » .

والحديث النبوى يؤمن هذه الأمور للمسئولين عن الأعمال العامة ، فمن أخذ زيادة عليها فهو سارق ،فالواجب على الحكومات فى البلاد الإسلامية أن تراعى هذه الأمور ؛ إذ لو اتبعت هدى الرسول ﷺ فى تقديم المتأهلين ـ المتزوجين ـ فى الوظائف العامة لسارت أمور الناس ومصالحهم خيرا مما هى عليه الآن منالتعطيل والإهمال (١) .

سادسًا : ضرورة مساعدة الأسرة والمجتمع للمرأة العاملة :

إذا تحققت شروط صحة عمل المرأة طبقًا لأحكام الإسلام ، وكان المجتمع في حاجة ماسة وشديدة الإلحاح لعمل المرأة ومشاركتها في التنمية الفعلية ، التي لا تؤدي إلى بطالة الرجال وتحرر النساء وخلق فوضى اجتماعية وانهيار اقتصادي وضياع أخلاقي .

كان من حقها أن ييسر لها الأسرة والمجتمع سُبل نجاحها في كافة ما تقوم به من أعمال داخل بيتها وخارجه ، وهذا الحق مصدره الدين والعدالة الاجتماعية حيث إن المرأة في هذه الحالة تقوم بأداء رسالتين ،وليس رسالة واحدة كالرجل ، مما قد يعرضها ـ إن لم يساعدها المجتمع والأسرة ـ للفشل في النجاح في وظيفتيها أو إحديهما ، وإذا أرهقت نفسها لإثبات وجودها ونجاحها في كليهما ، فلن يتوفر لها الوقت الكافي للاستمتاع بحياتها ، أو المحافظة على صحتها ، أو أسرتها ، فإذا كان الخالق جل وعلا لم يكلف نفسًا ما لا وسعها في العبادة ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فالأولى ألا تكلف المرأة فوق طاقتها في العمل إن اضطرت إليه أو اضطرها المجتمع إليه .

---

(١) «المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية»، ص(٩٦، ٩٧)، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى، (٢٠٠٣م).

وهذه المساعدة هي حق المرأة العاملة، وليس تفضلاً عليها، فإذا كان الرسول ﷺ يقول: « **وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة** » (١)، فالمرأة أولى وأحق بالمساعدة التي هي من قبيل رد الجميل لها ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل معروف صدقة** » (٢).

وهذا من الخير للمرأة والمجتمع ﴿ **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

فإذا تقاعس المجتمع عن إعانة المرأة ومساعدتها فسوف يعاني حتمًا من مساوئ ومضار عمل المرأة ، ولن يتحقق دعاء المسلمين ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

أ ـ مساعدة الزوج للزوجة العاملة :

كان رسول الله ﷺ الأسوة في ذلك، فقد كان يُرى «أي يراه » الناس في خدمة أهله .

عن الأسود بن يزيد : سألت عائشة ﵂: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ قالت: « كان يكون في مهنة أهله « خدمة أهله » ، فإذا سمع الأذان خرج » (٣).

وروى أحمد في « مسنده » أن رسول الله ﷺ كان يحلب شاته ويخدم نفسه (٤)، كما كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم (٥).

فإذا كان الرسول ﷺ يفعل ذلك وزوجاته لا تمتهن مهن وظيفية خارج بيتها ـ عدا السيدة زينب ـ فرجال المسلمين أحق بمساعدة نسائهن العاملات .

يقول «عبد الحليم أبو سنة»: «إن من حسن رعاية الرجل لبيته ووفائه بمسؤوليته أن يعين زوجه بصفة عامة شئون البيت والأطفال ، ويتأكد هذا العون إذا ثقل عليها العمل المهني حتى يتحقق العدل في مجموع الجهد المبذول من الطرفين داخل البيت وخارجه ، فضلاً عن المودة والرحمة المرجوة بين الطرفين ، وإذا كان رسول الله ﷺ « يحلب شاته ويخدم نفسه » ، وكان « يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم » ، وذلك مع تفرغ زوجاته لشئون البيت ، فكيف يكون الأمر عند اشتغال المرأة بعمل مهني؟(٦).

---

(١) الحديث عن أبي هريرة ﵁ متفق عليه .

(٢) رواه البخاري ، وجاء في مسلم عن حذيفة ﵁.

(٣) رواه البخاري : كتاب النفقات : باب خدمة الرجل أهله .

(٤ ، ٥) « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٦٧١) .

(٦) كانت تعمل داخل بيتها ، وسبق ذكر أحاديث ذلك .

ب ـ مساعدة غير الزوج للمرأة العاملة :

أوضح القرآن الكريم هذه المساعدة في قصة موسى مع ابنتي شعيب ، يقول الشيخ الشعراوي عن ذلك : « إن موسى عليه السلام عندما وجدهما امرأتين بلا رجل اضطرتا للعمل ، قام هو بالمهمة ، فأخذ الماشية وسقاهما بدلاً عنهما ، وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي ، إنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل ، على الرجل أن يقضي لها مهمتها بسرعة ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٤][1]، وأوضح أن مساعدة موسى لهما مجانًا .

جـ ـ مساعدة المجتمع « الدولة » للمرأة العاملة :

إذا كان المجتمع « الدولة » في حاجة ملحة لعمل بعض النساء للضرورة ووفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية ، وليس تنفيذًا لتعاليم وأوامر غربية ، أو استجابة لضغوط علمانية تحررية تريد جعل المرأة هي السبيل لهدم المجتمع وتقويض أركانه ، فإنه يجب على الدولة توفير مزايا خاصة وضمانات لتساعد المرأة العاملة في التوفيق بين العمل داخل وخارج البيت وتحقيق النجاح فيهما معًا ، ومن هذه المزايا والضمانات .

١ ـ أن تبدأ عملها في وقت متأخر قليلاً ولو بساعة عن مواعيد العمل الرسمية ليتسنى لها تأمين صغارها إن كان عندها صغار أو تحضير وجبتها أو العمل في بيتها قليلاً أو حتى النوم للراحة قبل عناء اليوم الشاق الطويل .

٢ ـ أن تعطي ساعات عمل أقل كأن ينتهي يومها العملي قبل الرجل حتى يتسنى لها الذهاب إلى المنزل قبل الزوج والأولاد لتحضر نفسها ووجبتها وتنتظرهم بنفس راضية مرتاحة .

أن تخصص أماكن خاصة منعزلة للنساء أثناء تأدية العمل بعيدًا عن الرجال لدرء الاختلاط بينهم ، ولتأخذ المرأة المسلمة راحتها أثناء العمل ولتتحاشى المزالق الشرعية والنفسية التي من الممكن أن تصاب بها لو كانت تجلس مع الرجال في غرفة واحدة أو تشاركهم المكاتب .

٤ ـ ألا تعطى أعمالاً تنجز في الليل ، فإن استغنت الأسرة عن الأم نهارًا ، فمن المستحيل أن تستغني عنها ليلاً (كخفارات الطبيبات ـ والممرضات ـ والشرطيات ، ما دامت

(١) « المرأة في القرآن الكريم » صـ (١٠٥) .

الشرطة النسائية قد بدأت في بعض بلاد المسلمين) ، ولتحفظ نفسها فقد مر علينا كيف أن بريطانيا قد سيَّرت حافلات خاصة للنساء العاملات ليلاً بعد أن كثرت الاعتداءات الخلقية عليهن .

٥ ـ ألا تعطي أعمال الرجال فتزاحمهم وتأخذ مكانهم (إلا إن كانت من الموهوبات اللاتي بلغ ذكاؤهن مبلغًا كبيرًا والمشتغلات في الوظائف العلمية الراقية) .

٦ ـ أن تنشأ لها الحضانات الملحقة بمكان عملها إن أمكن لتطمئن على أطفالها الصغار إن كانت لا تستطيع توفير من يرعاهم ، ووجودهم في الحضانة بقربها خير لهم ألف مرة من وجودهم في البيت بمفردهم مع الخدم .

٧ ـ أن تمنح إجازات طويلة بعد الولادة بنصف الأجر أو حتى ربعه لتتفرغ لتربية أطفالها الصغار ، وهذا يحدث في البلاد الأوربية المتقدمة فالسويد تمنح الأم الإجازة سنتين براتب كامل .

٨ ـ أن تعطي فرصة للرضاعة إن كانت مرضعًا ، فكثير من النساء تركن الرضاعة الطبيعية واتجهن إلى الرضاعة الصناعية بالرغم من معرفتهن بمضارها ، وذلك لأنهن لا يستطعن ترك العمل أو الاستغناء عنه لإرضاع أطفالهن ، وكلنا نعلم أن للرضاعة مواعيد معينة يجب أن تلتزم بها الأم ، والدول المتقدمة كلها توفر ذلك للأم الحديثة بعد أن عرفت أهمية الرضاعة الطبيعية في تكوين العلاقة العاطفية بين الأم والابن .

ألا تعطي الأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي شديد مما يعرضها للإجهاد والمرض، فتكوين جسم المرأة لا يسمح بالجلوس أما الآلات الضخمة أو تشغيلها [1].

---

(٢) « خولة عبد اللطيف العتيقي » : « وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم » صـ (٧٩ ، ٨٠) .

المبحث السابع

نماذج من عمل المرأة في الإسلام (١)

تعددت المهن التي زاولتها المرأة في الإسلام ، وليس معنى اقتصار عمل المرأة على مهن معينة في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ألا يجوز لها العمل في أي مهن أخرى قد يأتي بها التطور الصناعي والتجاري والحضاري ، ولكن يجب أن تتوافق هذه المهن مع الأحكام الشرعية المنظمة لأحكام عمل النساء .

هذا ، وقد قامت المرأة بالعمل في أكثر من مجال نذكر منه :

أولاً : الرعي :

عن سعد بن معاذ أن جارية ،كانت ترعى غنمًا ، فأصيب شاة منها فأدركتها فذبحتها بحجر ، فسئل النبي ﷺ فقال : « **كلوها** » (٢) .

والحديث يوضح أن الراعية كانت بمفردها ، ولم يكن معها رجال وسبق أن أوضح القرآن الكريم ضرورة الصحبة الآمنة للراعيات من النساء ، ويقول الإمام الشعراوي - رحمه الله - مفسرًا خروج ابنتي شعيب .

أولاً : خرجت الفتاتان معًا ، ولم تخرج واحدة منهما بمفردها فقط ، مع أن أباهما شيخ كبير .

إن من المنطقي بأن تخرج واحدة منهما ، وتبقى الثانية مع أبيها كبير السن لتخدمه وتلبي طلباته في البيت ، ولكنهما خرجتا معًا لتراقب كل منهما الأخرى ، حتى لا تخرج واحدة بمفردها ، وتذهب إلى أي مكان ، ثم تعود وتقول كنت أسقي الماشية ، ورغم أنهما ابنتا نبي ، إلا أن ذلك لم يشفع لهما في الثقة الزائدة التي تفتح الباب لإغواء الشيطان .

ثانيًا : أنهما عندما اضطرتا إلى الخروج للعمل لم تزاحما الرجال ، بل وقفتا بعيدًا تمنعان ماشيتهما من السقيا حتى ينصرف الرعاة « الرجال» (٣) .

وعملهما كان لضرورة ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص : ٢٤]،

---

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » صـ (٣٤٢ :) .

(٢) رواه البخاري .

(٣) الإمام محمد متولي الشعراوي : « المرأة في القرآن الكريم » صـ (١٠٥) .

فإن لم تشرب القطيع مات وهلك ، ولا يوجد عائل آخر يستطيع الوفاء بالعمل ، والولي مُسن ضعيف عاجز .

وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : « وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي ، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ،صككتها [(١)]،فعَظُمَ على ذلك ، فأتيت رسول الله ﷺ ، وقلت : أفلا أعتقها؟ قال : « **ائتني بها** » ، فأتيته بها ، فقال لها : « **أين الله ؟** » قالت في السماء ، قال : « **من أنا ؟** » قالت : رسول الله ، قال : « **أعتقها ، فإنها مؤمنة** »[(٢)].

الحديث يوضح أن الراعية كانت مسؤولة مسؤولية كاملة عن القطيع ، ولم يشاركها في عملها رجل آخر ، وفيه من الرحمة والبر وحسن معاملة الجواري ،والخدم ما يفوق البر ويصل لدرجة الإحسان .

وجاء عن كريب مولى ابن عباس : أن ميمونة بنت الحارث ﵂ أخبرته أنها أعتقت وليدة ، ولم تستأذن النبي ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه ، قالت : أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي ؟ قال : « **أو فعلت؟** » قالت : نعم ، قال : « **أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك** » [(٣)].

وفي رواية النسائي ، قال الرسول ﷺ : « **أفلا فديت بها بنت أخيك من رعاية الغنم**».

والحديث يوضح أن الحرائر من النساء كُن يعملن راعيات ، ولم يقتصر ذلك على الإماء .

ثانيًا : الزراعة :

عن جابر بن عبد الله ، قال : طلقت خالتي ، فأرادت أن تجد نخلها [(٤)] فزجرها رجل أن تخرج فأتت النبي ﷺ فقال : « **بل فجدي نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفًا** » ، رواه مسلم ، وعنه أن النبي ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال : « **من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟** » فقالت : بل مسلم ، فقال : « **لا**

---

(١) ضربت وجهها بيدي ، وهي مبسوطة « أي : بكفه » .
(٢) عَظُمَ على ذلك : حزنت حزنًا شديدًا على ضربها ، وإهانتها رغم خطئها .
(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي .
(٤) تجد نخلها : تجمع ثماره .

يغرس مسلم غرسًا ، ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»[١] .

ويلاحظ أن عمل المرأة بالزراعة لم يكن شائعًا كعملها في الرعي ، حيث إن الزراعة تحتاج مجهود أكبر ووقت أطول ، ولابد لها من الصحبة في العمل ، ومقارنة وإشراف الرجال ؛ ولذلك لم يعمل بالزراعة من النساء إلا الفقيرات ، أو من تساعد زوجها وعائلتها ، فالفلاحة دائمًا في صحبة من الأقارب ، وعند ظهور غريب تسدل حجابها أو تحتجب في أي مكان .

ثالثًا : الصناعات المنزلية وتجارتها :

ورد في « طبقات ابن سعد » أن امرأة عبد الله بن مسعود ، أم ولده كانت امرأة صناعًا ، فقالت : يا رسولُ الله ، إني امرأة ذات صنعة أبيع فيها وليس لي ولا لزوجي ، ولا لولدي شيء ، وسألته عن النفقة عليهم ، فقال : **« لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم»**[٢] .

وعن سعد بن سهل ﷺ قال : جاءت امرأة ببردة ، قال : أتدرون ما البردة ؟ فقيل له : نعم ،هي الشملة منسوخة في حاشيتها ، قالت : يا رسول الله ، إني نسجت هذه بيدي »[٣] .

وورد في « الطبقات الكبرى » : أن عبد الله بن أبي ربيعة كان يرسل لأمه أسماء بنت مخربة أم أبي جهل بعطر من اليمن ، كانت تعيد تعبئته في زجاجات وتبيعه بالأجل ، حتى يحصل المشترون على أعطياتهم « مرتباتهم » أيام عمر بن الخطاب ﷺ .

ومما سبق يتبين أن النساء كن يزاولن مختلف أنواع الصناعات المنزلية وتجارتها الشائعة في عصرهن ، ولم يكن ارتيادهن وتجوالهن في الأسواق شائعًا ، وأغلب العمل والمعاملة مع نساء في المنزل ، والاختلاط بالرجال نادر جدًا جدًا .

رابعًا : الإدارة والإشراف على العمال :

أي تكون « سيدة أعمال » بالمعنى الحديث ، عن جابر بن عبد الله :أن امرأة من

(١) رواه مسلم .

(٢) « تحرير المرأة في عصر الرسالة » (٢ / ٣٤٤) ، والحديث ورد في البخاري و مسلم ، وسبق تفصيله وتخريجه .

(٣) رواه البخاري .

الأنصار ، قالت لرسول الله ﷺ : « . . إن لي غلامًا نجارًا » [١].

وفي رواية أنها اقترحت على الرسول ﷺ أن تعمل له منبرًا من الخشب ، فأمرت عبدها فقطع من « الطرفاء » [٢] فصنع منبرًا .

وقد ثبت أن السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ كانت تشرف على تجارتها، وتعين وتراقب وتحاسب المشرفين عليها .

جاء بسيرة ابن هشام : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه ، بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجارًا ، فلما قدم الرسول ﷺ مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبًا [٣].

وورد عن أبي حازم عن سهل ، كانت لنا عجوز ، تأخذ من أصول السلق فتطرحه في قدر وتكركر [٤] حبات من شعير ، فإذا صلينا الجمعة ، انصرفنا ونسلم عليها فتقدمه لنا ، فنفرح من أجله ، وما كنا نُقيل ، ولا نتغدى إلا بعد الجمعة [٥]:

وهذا العمل من أعمال الفنادق أو المطاعم ،ولكنه كان تطوعي ، وتعامل المرأة كان مع مسلمين فضلاء .

وما يحدث الآن في الفنادق من مخازي بين النزلاء خاصة غير المسلمين الذين تعودوا الفواحش وألفوها يجعل عمل المرأة في الفنادق ، وكثير من مجالات السياحة حرام !! فحيث توجد الفضيلة يجوز عمل المرأة ، وحيث تشيع الرذيلة فلا عمل للمرأة .

خامسًا : العمل كطبيبة وممرضة :

عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل « عرق في الذراع » ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده عن قريب ، وقال ابن إسحاق : كان رسول الله ﷺ جعل سعدًا في خيمة رفيدة عند مسجده ، وكانت امرأة تداوي الجرحى ، فقال :

(١ ، ٢) الحديث رواه البخاري ، الطرفاء : نوع من الشجر .

(٣) « السيرة النبوية » لابن هشام : مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، صـ (١٨٧ ، ١٨٨) .

(٤) تكركر : تطحن ، رواه البخاري .

(٥) رواه البخاري ، تقيل ، أي : تنام بعد الظهر .

«اجعلوه في خيمتها لأعوده عن قريب » [(١)].

عن خارجة بن زيد بن ثابت : أن أم العلاء « بايعت الرسول في العقبة » أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكن حين اقترعت الأنصار على سكن المهاجرين ، قالت أم العلاء : فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفى . . » [(٢)].

وعن أنس بن مالك ﷺ ، قال : أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار أن يَرْمُوا من الحُمة « سم العقرب » ، والأذُن أمراض الأذنين [(٣)].

وهذه الأحاديث مجتمعة توضح مشروعية علاج المرأة للرجل طالما أعد مكان صالح لذلك ، وكان عندها العلم والخبرة المؤهلة لعملها ، ولم يخش من الفتنة ، ومجال العلاج والتطبيب واسع يشمل كل أنواع التخصصات الطبية الحديثة ، ولكن هناك بعض الأمراض، ينبغي ألا تعالج فيها المرأة الرجل ، كالمسالك البولية ، والأمراض التناسلية ، والأمراض التي قد تجبر المرأة على معاينة أعضاء الرجل التناسلية .

سادسًا : العمل معلمة وأستاذة وداعية إلى الله :

السيدة « عائشة » أم المؤمنين ، روت عن الرسول ﷺ أكثر من (١٠٠٠) حديث رواية مباشرة ، وهناك أكثر من (٧٠) امرأة روين عنه ﷺ أو عن الثقات من الصحابة ، وعنهن روى أعلام الدين وأئمة المسلمين .

ومن الأمثلة : الشيخة « شهدة » ، وكانت تلقب بـ « فخر النساء » ، واستمع إليها خلق كثير ، ومن تلاميذها الإمام ابن تيمية الحراني - شيخ الإسلام ، والإمام ابن القيم الجوزية .

والشيخة كريمة بنت أحمد المروزية ، قرأ عليها « تعلم منها » الإمام الخطيب صحيح البخاري ، وأسهمت في تكوين هذا العالم الكبير .

وقد عد ابن عساكر شُيوخه من النساء وكن (٨١) امرأة ، وروى الإمام مسلم عن (٧٠) امرأة في عصره .

وترجم « ذكر تاريخ وحياة وأعمال » (٥٤٣) محدثة ، قال عنهن : إنهن كن ثقات

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المغازي .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

عالمات ، ورغم أنه اتهم (٤٠٠٠) من المحدثين ، « أي : ضعف أحاديثهم » ، إلا أنه قال عن المحدثات : وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها [١].

إذن الإسلام يبيح للمرأة أن تعلم الرجل العلوم المفيدة الدينية وغيرها ، ما دامت تتبع آداب الإسلام في الحجاب والزينة وشرائعه الأخلاقية .

سابعًا : العمل كمفتشة تموينية في الأسواق :

من المعلوم أن الفاروق عمر استخدم الشفاء العدوية على سوق المدينة كمفتشة تموين «بالمفهوم الحديث » ، ولكن لم تكن قاضية كما يظن البعض أو يدعي .

وكانت مهمتها الأساسية هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي : حث الناس على صدق المعاملة ، والوفاء بالوزن والقياس، والكيل ، والبعد عن الغش والخداع والتدليس ، وغير ذلك ، ولم يثبت أنها كانت تحرر مخالفات أو تقضي بأحكام .

فمهام الشفاء العدوية كانت بعيدة كل البعد عن مهام مفتش التموين الآن بالمفهوم العصري الحديث ، وربما كان تعيين الفاروق لها لقربها من أهل المدينة ومعرفتهم لصلاحها.

سابعًا : العمل كخادمات في البيوت :

قد يفضل البعض عمل النساء في البيوت من عمل الرجال ؛ لأنَّ المرأة قد تكون آمن على أهل البيت من الرجال الخدم ، كما أنهن أقل كلفة ، وأكثر التزامًا بالأوامر .

عن أم سلمة ﵂ أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة سواد مشرب بحمرة ، فقال : « **استرقوا لها ، فإن بها النظرة** » [٢].

وعن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : تزوجني الزبير . . ، حتى أرسل أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس ، **فكأنما أعتقتني** [٣].

وعن معاوية بن سويد قال : لطمت مولى لنا فهربت ثم جئت قبيل الظهر ، فصليت خلف أبي فدعاه ودعاني ثم قال : امتثل منه [٤]، فعفا ثم قال : كنا بني مقرن على عهد

(١) الشيخ « موسى صالح شرف » : منار الإسلام ، المحرم (١٤٢٠) هـ ، إبريل (١٩٩٩).
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم وسبق الإشارة إليه في « العمل في خدمة الزوج والأبناء » .
(٤) أي : خذ بثأرك ، فافعل به كما فعل بك .

رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادم واحدة ، فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «**أعتقوها** » ، قالوا : ليس لهم خادم غيرها ، قال : « **فليستخدموها ، فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها** » [١].

ثامنًا : في الجهاد والدفاع عن الأوطان :

لا يمنع الإسلام عمل المرأة كمقاتلة أو كمساعدة ومعينة للجنود في مجال إدارة الأعمال أو الطب ، أو غيرها طالما كانت هناك ضرورة ملحة لذلك ، وذلك على سبيل الاستثناء لا على سبيل الإلزام ، فالقتال أساسًا فرض كفاية على المسلمين ؛ بمعنى إذا قام بعضهم بمباشرته وكانوا أكفاء لذلك ، ولا حاجة لآخرين لتحقيق أهداف القتال ، فإنه يسقط عن الباقين ، ومن ثم ففرضيته على الرجال أولاً ، فإن لم يكفوا ، يجوز إشراك النساء .

قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقالت الربيع بنت معوذ : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ : نسقي القوم ونخدمهم ، ونداوي الجرحى ، ونرد القتلى إلى المدينة » [٢].

وقالت أم عطية الأنصارية : « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم طعامهم ، وأداوي الجرحي ، وأقوم على الزَّمْنَي » [٣].

وقد اشتركت أم حكيم بنت الحارث [٤] ، في معركة بين الروم والمسلمين ، وهي عروس .

وفي غزوة أحد شغل المسلمون بالغنائم وجمعها ، ففاجأهم كفار قريش من الأمام والخلف،فهزم المشركون المسلمين وهاجمت جماعة منهم رسول الله ، فسقط من دافعوا عنه من المسلمين، فجاءت نسيبة بنت كعب ، وبدأت تعطي الرسول السهام ، فيرميها بقوسه ، ودافعت عنه بسيفها حتى أصيبت كما قاتلت مع ولديها : حبيب بن زيد ، وعبد الله ، مسيلمة الكذاب حين أعلن النبوة الكاذبة ، واستشهد ابنها حبيب بن زيد ، وقطعت ذراعها

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه مسلم ، والزمني : جمع زمين ، وهو المريض الشديد الإصابة التي قد تخلف إصابته عاهة .

(٤) زوجة : عكرمة بن أبي جهل .

فأعطت سيفها لابنها الثاني عبد الله الذي حارب به وقتل به مسيلمة الكذاب ، ورجعت نسيبة من اليمامة بذراع واحدة بعد أن كان لها ذراعان ، وابن واحد بعد أن كان لها ابنان ، وسيف ملوث بدم مسيلمة الكذاب (١).

ويلاحظ : كانت مهمة النساء تطوعية أغلبها مرافقة الجنود وعلاجهم وحثهم على القتال ، ولم يكن من النساء محاربات بالسيف والرمح ، حيث إن الرجال ليسوا بحاجة إلى ذلك ، فالضرورة هي التي تجيز عمل المرأة كمقاتلة ، وعلى قدرها تكون الحاجة ، وليس من أحكام الإسلام تجنيد النساء في الجيش ، وعملهن مقاتلات على سبيل الاحتراف، ولسنوات طويلة أسوة بالرجال ؛لأنَّ نساء المؤمنين المجاهدات كن يحضرن غزوات لمدة أيام قليلة ثم يرجعن لبيوتهن ، وربما تمر أشهر وأعوام دون عودة للقتال مرة أخرى .

نساء خدمن في جيش الرسول ﷺ (٢) :

يتضح من بعض الأحاديث النبوية الشريفة أن هناك بعض النساء اللاتي خدمن في جيش الرسول ﷺ ، وخدمتهن كانت كمتطوعات ، للقيام ببعض الأعمال الإدارية في مؤخرة الجيش ،ولم يكن مقاتلات يحملن السيف والرمح ، كما أن مشاركة هؤلاء النساء في الغزوات ، لكل واحدة على حدة ـ معدودة ومحدودة . ونذكر من هؤلاء النسوة :

١ـ أم سليم بنت ملحان :

هي أم أنس بن مالك رضي الله عنه خادم الرسول ﷺ ، وتزوجت بعد مالك بن النضر ، الصحابي الجليل أبا طلحة ، وكان عند خطبتها مشركًا ، فوافقت على الزواج منه ، على أن يكون صداقها « مهرها » الإسلام ، فأسلم وحَسُنَ إسلامه .

* مشاركتها في الجيش :

شاركت في غزوة أحد ، وكانت هي والسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ينقلان قِرَب الماء ، ويسقيان العطشى ويداويان الجرحى .

كما شاركت أيضًا « أم سليم » في غزوة خيبر .

أما في غزوة حنين، فقد تمنطقت ـ تحزمت ـ خنجراً، فلقيها زوجها وسألها: «ما هذا» .

(١) محمد عطية الإبراشي : « عظمة الإسلام» (٢ / ١٩٨) مكتبة الأسرة .

(٢) نساء خدمن الرسول ﷺ ، عبد العزيز الشناوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة .

قالت الرميصاء : « خنجر إذا دنا مني بعض المشركين بقرت بطنه » .

فقال أبو طلحة ذلك للرسول ﷺ ، فضحك ﷺ ، فقالت أم سليم : « اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه ، أو أقتل به من بعدنا من الطلقاء الذين فروا ، فكانوا أول من انهزموا » .

فقال الهادي البشير ﷺ : « **إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم** »[1].

هذا ، وقد حضرت أم سليم « الفتح الأعظم » فتح مكة ، ومن ذلك يتبين :

- شاركت أم سليم في أربع غزوات .

- وهي من النساء المبشرات بالجنة .

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **دخلت الجنة فسمعت خشفة** - سير بسرعة - **فقلت : ما هذا ؟** » فقيل : « الرميصاء بنت ملحان » .

٢- نسيبة بنت كعب :

وهي أنصارية من بني مازن بن النجار ، تشرفت هذه المرأة بأن كانت إحدى امرأتين بايعتا الرسول ﷺ ، مع سبعين رجلاً ، وكانت المرأة الأخرى أسماء أم عمرو بن عدي .

* مشاركتها في جيش رسول الله ﷺ :

* يوم أحد : شهدت أحد حيث كانت تسقي الجند ، وتداوي الجرحى ، وثبتت للدفاع عن النبي ﷺ ، هي وأبناؤها وزوجها زيد بن عاصم ، فكانت تباشر القتال بالسيف ، وترمي بالقوس ، وقد ولي الناس عن رسول الله ، وقد حاول المشركون قتلها ، ولكنها تترست منه ، وضربت كعب عرقوب فرسه ، فسقط على الأرض ، فأجهزت عليه ومعها ابنها .

وقد أصاب مشرك ابنها في عضده اليسرى ، فبادرت بتضميد جرحه ، ثم انتقمت لابنها بأن أصابت من أصابه ثم قتلته بمساعدة بعض المسلمين .

دافعت عن الرسول واعترضت ابن قميئة الذي أصاب عاتقها بجرح أغور ، ولكنها تحاملت وأكملت القتال .

ضمدت جراح (١٣) جريحًا .

حضرت صلح الحديبية ، وشهدت يوم عمرة القضاء ، وشهدت يوم فتح مكة ،

(١) نساء خدمن الرسول ﷺ ، عبد العزيز الشناوي ، صـ (٦) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة .

وغزوة حنين ، وحصار الطائف ، أرسل الرسول ﷺ ابنها حبيب بن زيد بن عاصم رسولاً لمسيلمة الكذاب الذي طلب منه إعلان كفره أو قتله ، فرفض التصريح بالكفر ، فقتله مسيلمة وقطع أعضاءه جزءاً جزءاً ، فاقسمت أمه نسيبة أن تنتقم لولدها ، فحضرت قتل مسيلمة يوم اليمامة .

٣ـ أم عامر الأشهلية :

هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس ، وهي أول من بايع الرسول ﷺ وشهدت غزوة خيبر مع الرسول ﷺ .

شهدت معرمة اليرموك ، قال خالد بن الوليد لعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو والزبير بن العوام ، والحارث بن هشام : « سلموا السيوف لنساء المسلمين وأمروهن بالوقوف خلف صفوف المسلمين من كل جانب وقولوا لهن : « من يولي هاربًا . . فاقتلنه، ولما دار القتال ، وقاتلت النساء في جولة ، وقتلت أسماء بنت يزيد بن السكن تسعة من الروم بعمود فسطاطها « خيمتها » .

ومعلوم أنها كانت وافدة النساء لدى الرسول ﷺ .

٤ـ بركة بنت ثعلبة :

هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة ، وكنيتها « أم أيمن » وكانت مولاه الرسول ﷺ .

شهدت أم أيمن غزوة أحد ، فكانت تسقي المسلمين .

كما شهدت غزوة الخندق ، وكذلك يوم خيبر وفتح مكة ، وغزوة حنين .

٥ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق :

هي أم المؤمنين زوج رسول الله وابنة الصديق .

شهدت غزوة أحد .

كما حضرت غزوة بني المصطلق كمرافقة للرسول ﷺ ، وليست كمحاربة بالسيف والرمح .

وكانت ﵂ من المؤيدين والمعضدين لمعاوية بن أبي سفيان في معركة « الجمل » ، ولم تكن محاربة .

٦ـ أم عطية الأنصارية :

هي نسيبة بنت الحارث .

كانت مهنتها « تغسيل الموتى في المدينة المنورة » .

حضرت يوم الحديبية مع أم المؤمنين « أم سلمة » .

كما شهدت فتح مكة ، وغزوة خيبر التي سمح فيها الرسول ﷺ لعشرين من النساء بالخروج مع الجيش ، لمساعدة المحاربين وإغاثة الجرحى والأعمال الإدارية من سقاية ماء ، وإطعام طعام وغير ذلك .

ومعلوم أنها شهدت مع الرسول ﷺ سبع غزوات ، فقد قالت :« غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، فكنت أصنع لهم طعامهم وأخدمهم في رحالهم ،وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى » .

٧ـ أم المؤمنين سلمة ﵂:

هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله .

حضرت يوم الحديبية ، وشهدت فتح مكة .

٨ ـ صفية بنت عبد المطلب :

هي عمة النبي ﷺ ، وأخت أسد الإسلام « حمزة بن عبد المطلب » ، وعندما خرج الرسول ﷺ ، وقد خلف نساؤه وترك معهن عمته « صفية » في أطم ـ بناء مرتفع ـ يقال له قارع عند المسجد ، فأدخلن فيه شاعره حسان بن ثابت ، فرقي « تسلل » يهودي حتى أطل عليهن ، فقالت صفية لحسان بن ثابت : قم إليه فاقتله .

فقال حسان : لا والله ، لا أستطيع القتال ، فقامت صفية إلى اليهودي ، وقطعت رأسه ، ثم قالت لحسان بن ثابت : خذ رأسه وارم به إليهم ، فلما رأى اليهود رأس صاحبهم انكشفوا ،وقالوا : لقد ظننا أن محمدًا لم يكن ليترك أهله خلوًا لا رجل معهم.

هذا ، ولما انهزم المسلمون يوم أحد جاءت صفية وبيدها رمح ، فراحت تضرب به وجوههم ، وتقول : « انهزمتم عن رسول الله ﷺ ؟» .

صفية يوم الخندق : كما حدث يوم أحد ، تكرر نفس الحادث يوم الخندق ، وقتلت صفية يهودي بعمود خيمتها .

هذا ، وقد شهدت صفية يوم خيبر .

ومما اختصت به صفية ـ لقتلها من حاول النيل من أعراض نساء المسلمين ـ أن الرسول ﷺ منحها سهمًا من الغنائم أسوة بالرجال .

٩ـ زينب بنت جحش :

هي أم المؤمنين بُرة بنت جحش بن رئاب بن يُعمر .

شهدت غزوة الخندق .

١٠ـ أم منيع :

هي أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي ، وقيل : إنها أم معاذ بن جبل .

بايعت العقبة ، حضرت يوم الحديبية .

وشهدت غزوة خيبر حيث كانت تسقي وتداوي الجرحى .

١١ـ رفيدة الأنصارية :

هي رفيدة الأسلمية .

شهدت الخندق ، وهي أول طبيبة في الإسلام .

رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ سيد الأوس ، فأصاب أكحله ، عرق وسط الذراع ، فقال الرسول ﷺ : « **اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب** » .

وشاركت رفيدة في جيش الرسول يوم خيبر ، وكانت لها خيمة تداوي فيها الجرحى[1] .

١٢ـ أم كرز الخزاعية :

شهدت يوم الحديبية .

وغيرهن كثيرات ،ولكنهن جميعًا متطوعات متفرغات للعمل داخل بيوتهن ، ولا يغادرن البيوت ، إلا عند الحاجة الشديدة وبقدرها ، فلم يكن القتال حرفتهن .

---

(١) « نساء خدمن في جيش الرسول ﷺ » صـ (٨١ / ٨٢) .



الباب الثانى

عمل المرأة في الفكر الحديث

الفصل الأول : العوامل التى أدت إلى عمل المرأة حديثا .

الفصل الثانى : عمل المرأة بين المعارض والمؤيد .



الباب الثاني

عمل المرأة في الفكر الحديث

توطئة :

العقل فضيلة وموهبة منحها الله جل شأنه للإنسان بكمال ونضوج لم ينله كائن آخر ، وذلك ليسمو بتفكيره ، فيعلم أولاً أنه لا إله إلا الله ، الخالق لكل شيء ، والقادر على كل شيء ، والذي له صفات الكمال والجلال والعزة ، فلا نقص يعتريه ولا ضعف يعاني منه ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]، كما يقول جل شأنه : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الانعام : ١٨] ، أي : صاحب الأمر الذي لا يرد والمشيئة التي تنفذ كما أرادها الله ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٨٢ ، ٨٣] .

ومن صفات الإنسان التي خلقه الله بها ، وجعلها من طبيعته التمرد ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ [الإسراء : ٨٣]، ومن صفاته أيضًا التسرع والتعجل ظنًا أن ذلك يحقق سعادته ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء : ١١]، وهذا من ظلم الإنسان لنفسه ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الاحزاب : ٧٢] ، فكلما تطور العقل وزاد الفهم ، ولم يعصم الله من شاء بالحكمة ، زاد طغيان الإنسان ، وننسى أن الله لم يُنزل شرائعه ويسن أحكام أديانه السماوية إلا لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة [١] ، فلجأ الإنسان الجاهل إلى علمه الذي لم يؤت منه إلا القليل ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وادعى ارتفاع حضارته وتعالى خبرته ، ونسى أن الله هو « العليم الحكيم » ، « العليم الخبير » ، « العزيز الحكيم » ، فضاعت حكمته « الإنسان » وتضاعف غباؤه ، فلجأ إلى سن قوانين لنفسه لإدارة شؤون حياته، ظانًا أنها تحقق سعادته في الدنيا،وهي حتمًا لن تحقق إلا تعاسته في الدنيا والآخرة.

---

(١) بعض الفرق اليهودية لا تؤمن بالبعث والثواب والعقاب منهم طائفة الصديقين .

والواقع أن دعاة عمل المرأة وتحررها بلا ضوابط دينية الذين ينادون بالتحلي عن أحكام الأديان ، فئات عدة :

البعض قد يسوقه جهله للادعاء بعدم وجود إله ، وآخرون يدعون أن الله خاص بهم فقط وإنهم دون سائر البشر شعب الله المختار ، الذي لن يعذبه الله - ما دام في طاعته[1] ، فلجأوا إلى إضلال وغواية البشر ، وهناك فئة تؤمن بوجود الله ، ولكن حمى قلوبهم جعله ينادون بأن أحكام الأديان لم تعد تناسب العصر الحديث ، وقد يكون بعضهم حَسَن النية عن جهل أو نقص علم ، وهؤلاء قال عنهم ربهم ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ [الكهف : ١٠٣ : ١٠٥] .

وفي هذا الباب سنعرض - إن شاء الله - للفصول التالية :

الفصل الأول :

العوامل التي أدت إلى عمل المرأة حديثًا .

الفصل الثاني :

عمل المرأة بين المعارض والمؤيد .

---

(١) يعتقد اليهود ذلك ، فيدعون أن الله اختارهم دون خلقه ليعبدوه ، وأنهم اختاروه ربًا وإلهًا ، وبعضهم يعتقد أن عذابه سيكون لأيام قليلة ، وهي مدة عبادة عجل الذهب ﴿ **وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** ﴾ [البقرة : ٨٠].

الفصل الأول

العوامل التي أدت إلى عمل المرأة حديثا

المبحث الأول : ظهور الحاجة الفعلية لمشاركة المرأة فى التنمية .

المبحث الثانى : الاستغلال الاقتصادى للمرأة .

المبحث الثالث : التنفيذ الدقيق لبروتوكولات حكماء صهيون .

المبحث الرابع : التمرد على تعاليم المسيحية الخاصة بالمرأة .

الفصل الأول

العوامل التي أدت إلى عمل المرأة حديثًا

توطئة :

منذ بدء الخليقة وحياة الإنسان على الأرض كانت وظيفة المرأة الأساسية هي العمل المنزلي كربة بيت ، ثم كمساعدة لأسرتها ومجتمعها من خلال الأعمال اليدوية التي يمكنها صناعتها في وقت الفراغ داخل البيت ، كأعمال النسيج اليدوي ، وتفصيل الملابس وغير ذلك، وكانت المرأة تعمل أيضًا خارج البيت في محيط الأسرة كالعمل في الرعي والزراعة، وبعض أعمال البيع والشراء في الأسواق ، هذا بخلاف القيام بأعمال تختص بالنساء كالختان للبنات ، وتوليد النساء وعلاجهن إضافة لأعمال التجميل للنساء وغير ذلك .

والحقيقة التي أكدها التاريخ ، والتي لا سبيل لإنكارها أو حجبها هي أن خروج النساء من البيوت وعملهن في المجتمع دون ضوابط أخلاقية أو دينية أدى إلى ضياع الأخلاق وفقد مفاهيم العفة والعذرية والشرف ، الذي أعقبه ضياع الأمم وفناء الحضارات .

ويقول « محمد فريد وجدي » موضحًا ذلك :

لما امتد ملك الرومانيين ونالوا بسطتي العظمة والتفوق على الأمم ولم يبق لهم في الأرض مُناظر [١] تداخلهم [٢] حب الترف والرفاهية وهما لا يتمان إلا باختلاط الجنسين معًا وساعدهم على ذلك ما كانت علقته أذهانهم من تعاليم ملحدة اليونانيين ومقلديهم من الرومانيين أيضًا فشرعوا في كشف الحجاب عن نسائهم وترقوا في ذلك شيئًا فشيئًا حتى صرن المسيطرات في الأمور السياسية وحصل في هذا الاختلاط من الدنايا والمقاذر ما أكره أن يكتبه قلمي هذا فماتت همتهم وخارت عزائمهم وتسفلت نفوسهم فوقعوا في التناظر والتسافك فازداد الفساد فيهم نشوبًا [٣] .

ونتيجة لخروج المرأة من بيتها للعمل ثم للهو والغزل والمجون والتسيب ، ضاعت

---

(١) مُناظر : منافس .

(٢) تداخلهم : تسلل إلى قلوبهم .

(٣) موسوعة القرن العشرين صـ (٦٢٢) ، ومحمد فريد وجدي : عالم إسلامي ، ومفكر قدير له مؤلفات كثيرة منها هذه الموسوعة .

الحضارة الرومانية .

والدارس لأسباب الحاجة لعمل النساء حديثًا ، يجدها تتنوع وتتداخل منها ضرورة المشاركة في التنمية والثورة الصناعية ، ثم الاستغلال الاقتصادي للمرأة ، فالاستغلال الجنسي ، وإن تعددت إشكاله وتباينت أهدافه .

وقد بدأ عمل المرأة في ظل الأخلاق حيث كان يُعد خدمة إضافية للأسرة والمجتمع والإنسانية ، ثم انسلخ عن الأخلاق وابتعد عن أحكام الأديان ، وصار نقمة على الأسرة ، وهدمًا للمجتمع ، وسوف يكون سببًا لغناء الحضارة الإنسانية (١) ، والواقع أن الحاجة المُلحة والشديدة لعمل النساء ، كانت نتيجة لعدة عوامل وأسباب ظهرت فجأة ، وفي توقيت متقارب وكأنها عقدت معاهدة وأبرمت اتفاقًا لا سبيل لنقضه ، وهذه الأسباب سوف نوضحها من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول : ظهور الحاجة الفعلية لمشاركة المرأة في التنمية .

المبحث الثاني : الاستغلال الاقتصادي للمرأة .

المبحث الثالث : التنفيذ الدقيق لبروتوكولات حكماء صهيون .

المبحث الرابع : التمرد على تعاليم المسيحية الخاصة بالمرأة .

---

(١) نقصد بذلك عمل المرأة دون التقيد بأحكام الأديان أو الأخلاق الفاضلة لمن لا دين لهم .

المبحث الأول

ظهور الحاجة الفعلية لمشاركة المرأة في التنمية

هناك أكثر من سبب أدى إلى ضرورة وحتمية مشاركة المرأة في العمل خارج بيتها شاءت أم أبت ، ومن هذه الأسباب :

أولاً : اكتشاف أمريكا والحاجة إلى عمل العبيد والأحرار :

الواقع يقول : إن الحاجة لعمل النساء ـ والأطفال أيضًا ـ بدأت ببداية اكتشاف أوربا للعالم الجديد « قارة أمريكا » ، حيث أصبحت الحاجة لعمال من الذكور والإناث لاستغلالهم في العمل الزراعي والصناعي شديدة ولازمة ، وقد بدأت باستقدام العبيد وسرقة الإنسان من أفريقيا ، وانتهت باستغلال المرأة والأطفال أيضًا ، وقد ساهمت الثورة الصناعية بعد اكتشاف الفحم والحديد وقوة البخار بنصيب وافر في فتح سوق العمل على مصراعيه .

ثانيًا : الثورة الصناعية :

بدأت الثورة الصناعية تاريخيًا من سنة (١٧٦٠) م ، وكان موطنها الغرب لا الشرق، حيث تم اكتشاف المعادن الهامة من حديد ونحاس وغيره ، كما تم اكتشاف مصادر جديدة للطاقة منها الفحم وقوة البخار الذي أنتج المحركات العملاقة ، وبدأ العالم يسير بخطى واسعة ثابتة وراسخة وقوية نحو الصناعات الحديثة ، فنزح الكثير من العمال من القرى والأرياف ، صعاليك وفلاحين ، إلى المدن طمعًا في فرص عمل جيدة تخلصًا من براثن الإقطاع الزراعي الذي أورثهم العبودية للأغنياء ، وورثهم الفقر والمرض والعوز ، فتلقاهم أصحاب الأعمال والأموال ، فاستغلوهم أسوأ استغلال وتحول الإقطاع من زراعي إلى صناعي .

وحيث لم يحقق العمل الصناعي أحلام الرجال ، اضطرت النساء للخروج للعمل ومساعدة الرجال ، لتحقيق الحياة الشريفة ـ في الأصل ـ ولو ملامسين لخط الكفاف ، وعلى ذلك هجر الرجال أوطانهم وقراهم ، ثم هجرت النساء ـ وأحيانًا الأطفال ـ لبيوتهن ومستقرهـ.

ثالثًا : فناء الرجال في الحروب :

خلفت الحرب العالمية الثانية المجاعات والأوبئة بعد أن راح ضحيتها (١٧) مليون جندي ، (١٨٧) مليون مدني ، وذلك خلال خمسة أعوام ونصف [١]:

ونتج عن هذه الحرب ملايين النساء بلا عائل ، فاضطرت المرأة للخروج من بيتها لإعالة نفسها وغيرها ، والمساعدة الفعلية الفعالة في إعادة إعمار ما خربته الحرب ، فعملت في الحقول والمصانع وفي كافة الأعمال ، فعملت ماسحة أحذية ، بائعة جرائد ، حمالة أمتعة ، حارسة ليلية ، جامعة قمامة ، نادلة في المطاعم والمقاهي ثم الملاهي ، واستغلت الجمال والفتنة للعمل في مجال الفن من رقص وغناء وتمثيل وغير ذلك .

وشجع العمل النساء على التعرف على رجال آخرين بدلاً من الذين عمروا القبور نتيجة الحرب بعد أن كانوا يعمرون الخدور في السلم .

ويؤكد ذلك الأستاذ « أنيس منصور » فيقول :

« وآخر التغيرات كان بسبب الحرب والتوترات الدولية ،والرجل يعلم أنه كلما ابتعد عن البيت ، تحررت منه المرأة ، واستقلت عنه ، والمرأة التي كانت فيما مضى تقاوم الحرب، قد استفادت منها .

فالحروب أعطت المرأة فرصة نادرة ؛ لأن تملأ مكان الرجل أثناء الحرب العالمية الأولى، وليس من الصدف أن تفوز المرأة بحق الانتخاب بعد الحرب العالمية الأولى ، أما أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد ذهبت ملايين النساء إلى المكاتب ليشغلن مكان الرجل ، والحرب إذا كانت قد هزت المجتمع وباعدت بين المحبين ، فإنها خلقت نوعًا من الحرية والتحلل من القيود العاطفية ، كما أن الحرب الحارة والباردة والتشنجات الدولية قد خلقت شعورًا عامًا هو :عش اللحظة التي أنت فيها » [٢].

رابعًا : جشع أصحاب الأعمال لاستغلال المرأة :

آمن أصحاب الأعمال ورجال المال والأثرياء بحكمة « مكافيللي » القائلة : « الغاية تبرر الوسيلة » فجعلوا غايتهم هي التربح باستغلال عمل النساء والأطفال دون الالتفات إلى البُعد الإنساني .

---

(١) عبد الرب نواب الدين : « عمل المرأة وموقف الإسلام منه » صـ (٤١) ، دار الزهراء بالرياض.
(٢) الأستاذ « أنيس منصور » صـ (٢٤٠) .

ويقول « جورج برنارد شو » [١] ، تحت عنوان « سوق العمل واللوائح المضنية»[٢]:

« إن ما يريده أصحاب الأعمال هو العمل ، ولا يعنيهم أبدًا سواء قام هنا العمل على أكتاف طفل أو امرأة أو رجل أو مريض أو سليم ، كل ما يعنيهم هو إنجاز العمل ، وهم يشترون من الأيدي العاملة أرخصها ثمنًا دون اعتبار لسن العامل أو جنسه ، فإذا نُظِرَ إلى هذه الأمور من زاوية مصلحته وحسب ، سينتهي إلى نبذ كل رحمة وشفقة ، وكل القيم والاعتبارات الإنسانية ، ما دام ذلك سيزيد ربحه » [٣].

هذا، وقد أوضح « شو » مثال عملي لذلك فيقول :

« سأذكر مثال ترام لندن أيام كانت عرباته تجرها الخيل ثم مثال بعض المزارع الإقطاعية في أمريكا قبل أن يلغي استرقاق الزنوج هناك ، يعلم مديرو الترام تكاليفه ونفقاته ، وبعد أن حسبوا الحسبة ، وجدوا أن أفضل الطرق ربحًا، هي أن يعاملوا الخيل ، بحيث تستهلك في مدة أربع سنوات في المتوسط .

ونفس الحِسبة عُملَتْ بالضبط في المزارع الإقطاعية الأمريكية ، فقد كان العبد - كالحصان - يساوى مبلغًا جسيمًا من المال ، فإذا ما أُرهق بالعمل إلى أن يخر صريعًا ، فإن موته السريع يصبح خسارة على صاحبه ، وقد انتهى الإقطاعيون الأذكياء إلى أن أفضل الطرق للاستفادة من العبيد ، هي أن يستهلكوهم في مدى سبع سنوات [٤] ويوضح «برنارد شو » سبب تشغيل النساء والأطفال بدلاً من الخيل والعبيد فيقول :

« إن الخيل والعبيد كان لهم ثمن ، وثمن غالٍ ، ولو قتلت حصانًا أو قتلت عبدًا ، فلابُد لك من دفع ثمنهما ، أو شراء ما يحل محلهما ، وهكذا تفتقت العقول عن خطة جهنمية أخرى أكثر ربحًا من هذه ، فبدلاً من تشغيل الخيل ، والعبيد قاموا بتشغيل الأطفال والنساء والرجال « الأحرار » ، وفي هذه الحالة يمكنك تشغيلهم حتى الموت ،

---

(١) جورج برنارد شو (١٨٥٦ : ١٩٥٠) ، كان متعدد المذاهب ، كاتب ، مسرحي ، أحرز شهرة مدوية كانت وما زالت ، وفيلسوفًا ، ومترجمًا ، ومفكرًا وناقدًا ، من ألمع نقاد الأدب الإنجليزي ، وهو من دعاة الاشتراكية في بلاده .

(٢) جورج برنارد شو : « دليل المرأة الذكية » صـ (٣٣٨) ، ترجمة د « عمر مكاوي » ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى (ج . م . ع) باختصار .

(٣) المرجع السابق : صـ (٣٣٩) .

(٤) « جورج برنارد شو » : « دليل المرأة الذكية » صـ (٣٣٩ ، ٣٤٠) .

ويمكنك الحصول عليهم بلا مقابل وفي أي وقت ، ولست بحاجة قط إلى الإنفاق عليهم ، وإطعامهم ورعايتهم ، فأنت إنما تستأجرهم بالأسبوع ، وإذا كسدت تجارتك ، قمت بفصلهم .

كان الأطفال الصغار يشتغلون حتى الموت ، وكانت النساء يُستخدمن في المناجم ، وفي أحوال مهينة [1].

---

(١) المرجع السابق : صـ (٣٤٠ ، ٣٤١) .

المبحث الثاني
الاستغلال الاقتصادي للمرأة

يُعد الاستغلال الاقتصادي للمرأة سِمة من سِمات الاقتصاد الحديث ، وهو لا يتوقف ـ كما يظن البعض ـ على استغلالها كعاملة بأجر زهيد أي : منتجة ، ولكن كمستهلكة أيضًا تدفع الشطر الأعظم من دخلها لإشباع حاجاتها الشخصية من ملبس وزينة وغير ذلك ، كما أن جسدها وجمالها وفتنتها تستغل في التجارة بأنواعها المشروعة وغير المشروعة ، ولولا حاجة رجال الأعمال للمرأة المستهلكة لما نودي بعملها .

أولاً : استغلال المرأة كعاملة زهيدة الأجر :

القواعد الاقتصادية الثابتة علميًا والمؤكدة عمليًا : أن زيادة العرض مع ثبات الطلب تؤدي إلى انخفاض سعر السلعة ، والعمل سلعة خدمية تخضع لظروف العرض والطلب مثل أي سلعة أخرى ، ودخول النساء سوق العمل ومنافستهن للرجال والتشجيع على ذلك سيؤدي إلى انخفاض أجور كليهما ، وقد أوضح المفكر والفيلسوف « جورج برنارد شو » ذلك تحت عنوان « النساء في سوق العمل » فيما قال :

« كان وطأة النظام الرأسمالي أشد وأقسى على المرأة منها على الرجل في بعض النواحي ، وذلك أنه لم يوجد صاحب العمل في أي صناعة من الصناعات ، الذي يقبل تشغيل امرأة عنده ، إذا ما وجد الرجل بنفس الأجرة ، وَلهذا لم تحقق النساء رغبتهن في العمل في المصانع ـ إذا كن يرغبن فيه ، إلا إذا عرضن القيام بأجور أقل من أجور الرجال، وكان هذا ممكنًا ، فمهما بلغت أجور الرجال من الانخفاض إلى ما دون مستوى الكفاف ، فقد كان هذا الكفاف كفاف أسرة كاملة ، لا كفاف فرد قائم بذاته ، فإن أجر الرجل الضئيل ، كان ينفق منه على الرجل وزوجته وأولاده ، ووجود الأسرة والأولاد شيء لازم لا غنى عنه للمجتمع الرأسمالي وبدونهم يتعرض النظام الرأسمالي إلى الانقراض والفناء المحتوم ؛ لأنَّ الأولاد هم المعين الذي لا ينضب من القوة البشرية ، من العمال الجدد ، ليحلوا محل الكبار إذا ما هلكوا أو استهلكوا ، فتبصّري يا سيدتي في كل هذا ، ثم ارجعي البصر فيه ، وسوف يتبين لك أن أجور الرجال ، وإن كانت في أسفل سافلين ، ما دامت هي الأحد الأدنى لبقاء رجل وزوجته وأولاده على قيد الحياة .

فلا شك أن المرأة ، وهي فرد واحد قائم بذاته ، يمكنها أن تقبل أجرًا أقل من أجر الرجل وتصبح في نفس الوقت أحسن حالاً من جاراتها المتزوجات اللائى يعشن في كنف الزوج وأولاد وأسرة ، ومن هنا نشأت أجور النساء المنخفضة وأصبح ذلك هو القاعدة المتبعة ، فإذا ما وثبت من بين صفوف النساء ، امرأة ثورية ، تطالب بأجور متساوية مع أجر الرجل ورفعت عقيرتها بهذا الشعار « أجر متساوي للعمل المتساوي » ، أسكتها صاحب العمل بحجتين : الأولى : لو رفضت الأجر الأقل ، فغيرك كثيرات يقبلنه ، والثانية: لو اضطررت أن أدفع أجر رجل لك،فإني أفضل أن آتي بالرجل يقوم بالعمل [١].

وما زالت أوربا وأمريكا والدول الغير إسلامية تمنح النساء أجورًا أقل من الرجال عن نفس العمل ونفس الوقت حتى لو تساوت الكفاءة أو تفوقت المرأة .

وقد أثبتت الدراسات الفعلية في « فرنسا » ما يلي :

« منذ عام (١٩٧٥) ما انفك تشغيل النساء يتزايد بينما يتناقص تشغيل الرجال ، ففي كل سنة يدخل إلى سوق العمل مليون وأربعمائة ألف امرأة مقابل أربعين ألف رجل فقط ، كما أن فارق الأجر بين الرجال والنساء لا يزال - رغم تقلصه مشكلة خطيرة - إذ يكسب الرجال إجمالاً رواتب أعلى بنسبة (٣٤ ٪) من رواتب النساء [٢].

وفي أمريكا استمر عدد كبير من أصحاب العمل في التمييز ضد النساء ، وعمد أصحاب العمل إلى وضع النساء في فئات من الوظائف منفصلة عن وظائف الرجال ، وحينما بدأ حوض الأسطول في « بروكلين » يستخدم النساء محل الرجال ، وصفهن بأنهن « مساعدات تحت التمرين » بدلاً من متعلمات ميكانيكيات وأعطاهن أجورًا أقل ، وهناك شركات أخرى استبدلت كلمة « عاملة ماهرة » بـ « خفيفة مترددة » لتنال أجرا أقل ، وكانت الأنثى العاملة كمفتشة مقاييس في مصنع تتقاضى (٥٥) سنتًا في الساعة ، وكان نظيرها الرجل يتقاضى (١,٢٠) دولارًا [٣].

وما زالت التفرقة في الأجر تشمل كل أوربا وأمريكا ، والقطاع الخاص أحيانًا في مصر وبلاد المشرق .

---

(١) « دليل المرأة الذكية » : صـ (٢٥٣) .

(٢) محمد رشيد العوير : « من أجل تحرير حقيقي للمرأة » صـ (١١٩) ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية (١٩٩٤) م .

(٣) وليام هـ . تشيف :« المرأة الأمريكية » ترجمة : نور الدين الزراري ، صـ (٩٢ ، ٩٣) ، مؤسسة سجل العرب ، سنة (١٩٧٩) ، والأجور المذكورة كانت منذ عدة عقود .

ثانيًا : استغلال الزوج والمجتمع ماديًا للمرأة العاملة :

قد يدعي البعض أو يظن أن عمل المرأة واكتسابها للأموال هو الضمان الكافي كارتفاع قيمتها وسمو مكانتها بالتهرب من قوامة الرجل ثم تسلبها منه ، ولكن الواقع يقول : إنها أصبحت أَمَةَ للرجل خارج بيتها ، وإن لم تكن كذلك داخله .

وهذه الحقيقة تنبأ بها « شو » حيث يقول : عن استغلال الأزواج للزوجات العاملات: « ففي اللحظة التي تتزوج فيها المرأة تصبح جميع ممتلكاتها ملكًا لزوجها بمقتضى القانون الإنجليزي ، وقد أدى هذا الوضع القاسي إلى إساءات بشعة ، وأعمال استغلالية شنيعة لحقوق المرأة ، مما اضطر طبقة الملاك أن تبتكر خدعة قانونية بارعة ، لتسوية النزاعات الزوجية في هذا الصدد فأمكنهم أن يتحايلوا لحفظ حقوق المرأة ، بنقل ممتلكاتها قبل الزواج إلى شخص أو أشخاص وهميين ، أو لم يولدوا بعد ، وبهذا الطريقة تصبح معدمة تمامًا ،ولكنها تستمر في الحصول على دخلها من ممتلكاتها طول حياتها ، وهكذا لا يتاح لزوجها أن يبدد أموالها وأملاكها كما يشاء ، ثم مضى زمن على هذه الحال، وجاءت الطبقة المتوسطة واضطر البرلمان إلى إصدار قوانين ملكية النساء المتزوجات، لحماية حقوق المرأة في ممتلكاتها ، وما زلنا نعيش في ظل هذه القوانين إلى اليوم ، وقد تسبب التباس الأمر في عقول الناس في أن هذه القوانين تجاوزت الحدّ المطلوب، وألحقت بالرجال الكثير من الظلم والإجحاف ، ولكن هذا على أية حال جانب آخر من القصة : أما ما يعنينا الآن ، فهو أن تقرر حقيقة واقعة ، وهي أن النساء في ظل الرأسمالية ، وجدن أنفسهن في مركز أسوأ من مركز الرجل ؛ ذلك لأنّ الرأسمالية قد جعلت من الرجل عبدًا رقيقًا ، ولما كان أجر المرأة يُدفع لها ضمن أجر الرجل [١] ، فقد جعلت المرأة أمةً للرجل ، أي : أمة للعبد الرقيق ، وتلك لعمري أسوأ أنواع العبودية [٢].

١ ـ الاستغلال الأمريكي للمرأة :

« كانت النساء المتزوجات في سنوات ما قبل عام (١٩٤٠) لا يحصلن على وظائف إلا إذا كانت دخول أزواجهن دون مستوى الفقر ، وعند حلول عام (١٩٥٠) ازداد عدد

(١) يقصد بذلك أن عمل المرأة زاد العرض لسوق العمل ، وبالتالي انخفض أجور الرجال بقدر ما يدفع للنساء من أجور .

(٢) « دليل المرأة الذكية » صـ (٣٥٣ ، ٣٥٤) .

العاملات من النساء بهدف شراء منازل عديدة ، أو تمويل تعليم صغارهن [١] » ، وما زال في الغرب يتم ظلم المرأة بواسطة الزوج والمجتمع .

٢ ـ الاستغلال الفرنسي للمرأة :

المرأة المتزوجة في فرنسا تندرج تحت أمرين :

الأول : الزواج مع السيادة :

ومعناه : أن تصبح المرأة بالزواج تحت سلطان وسيادة الزوج ، فإذا أبرم هذا النوع من العقود ، فكأنما قد اشترى الزوج هذه الزوجة وله عليها كل الحقوق ولا شيء لها .

الثاني : الزواج بلا سيادة :

مظاهره حرية المرأة ، ولكن الواقع أنه لا سيادة للزوج فقط ، وإنما لرب الأسرة أو من له السيادة على رب الأسرة ، أي : أنها في الحالتين فاقدة الشخصية والأهلية القانونية ، فالنظام المالي للزوجين يجعل المرأة تابعة للزوج ، كما أن القانون يجعلها تابعة له في اسمه، فالزوجة تفقد شخصيتها المستقلة وتتسمى باسم عائلة زوجها [٢].

وفي الميراث في إنجلترا مثلاً نظام الوصية هو المهيمن ، ليتمكن الرجل من أن يوصي بكل ماله لمن يشاء حتى القطط والكلاب .

لهذا أرسلت فرنسا وفداً من رجال القانون إلى السعودية لاقتباس الميراث الإسلامي وأحكامه بسبب دقته وعدالته.

لقد اعترف القانون المدني الفرنسي « المعدل » بأهلية المرأة المتزوجة ، ولكنه نص على أن النظام المالي للزوجين هو الذي يحدد الحقوق والالتزامات مادة (٢١٦) ، كما ألزم الزوجين بأن يوثقا معًا الإدارة المعنوية والمادية للأسرة مادة (٢١٣) ، ولكن النظام المالي للزوجة يندرج تحت أحد أنظمة ثلاثة :

أ ـ نظام الدوطة :

الدوطة : هي المال الذي تقدمه الزوجة لزوجها لتعينه على تحمل أعباء الزوجية

---

(١) « المرأة الأمريكية » صـ (١١٠) ، ولا ننكر أن الأمور قد تطورت ، وهناك العديد من النساء يعملن لإثبات وجودهن ، والاحتفاظ بمركز مالي خاص بهن للاستمتاع بمباهج الحياة .

(٢) أخيراً تعدل القانون الأمريكي ليسمح للمرأة عند الزواج أن تختار أن تحتفظ باسم عائلتها .

(١٤٥٢م) من القانون المدني الفرنسي ، ويسمح هذا النظام بأن يتم الاتفاق على أن تتناول الدوطة جميع الأموال الحالية ، والمستقبلة للزوجة وكل ما يتفق عليه ، وأموال الدوطة تخضع لسلطة الزوج وحده ، فهو الذي يستثمرها ويديرها وينفق منها ، ويجوز أن يتفق في عقد الزواج على تسليم الزوجة مبلغًا سنويًا لنفقاتها الشخصية أو لمعيشتها [١].

وهكذا ، نجد أن الدوطة استغلال لأموال المرأة .

ب ـ نظام اختلاط الأموال :

يجوز أن يتضمن عقد الزواج نصًا باختلاط أموال الزوجين ، ومن ثم تنشأ مشاركة رضائية أو اتفاقية ، وهو يجعل ما يملكانه وقت العقد ، وكذا ما يملكانه خلال الزواج ، خاضعًا لهذا المشاركة (مواد ١٣٩٣ ـ ١٤٠٠) .

والزوج وحده هو الذي يدير هذه الأموال المشتركة ، وله التصرف فيها بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون إذن الزوجة (المادة ١٤٢١) [٢] ، وهذا أيضًا استغلال لأموال الزوجة .

جـ ـ نظام استقلال الأموال :

يصبح هذا النظام هو المعمول به ، إذا خلا عقد الزواج من بيان خضوع الأموال لنظام الدوطة والمشاركة ، ولكن يجب أن يتضمن العقد أعباءهما في نفقات المعيشة ، فإذا لم يوجد اتفاق ، فالأصل العام هو المشاركة في النفقات ، كلٌّ حسب مقدرته المالية (المادة ٢٠٧) [٣].

وهكذا نرى الغرب يستغل عمل المرأة وإيرادها لصالح الرجل ، أما الإسلام فالرجل يعطي مهرًا ، ويلزم بالإنفاق على زوجته مهما كان غناها ، ولها حق إدارة أموالها كيفما شاءت ،ولها ذمة مالية مستقلة عن الزوج ، وهي ترثه كما يرثها .

ثالثًا : استغلال رجال الصناعة والتجارة للمرأة :

في عالم الاقتصاد ودنيا رجال الأعمال يُعبد المال من دون الله ، فتضيعُ المفاهيم الإنسانية وتموت القيم الروحية ، ويخلق الأغنياء والقادرون مفاهيم وقيمًا جديدة مادية

(١) المستشار « سالم البهنساوي » : « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » صـ (٥٥) ، دار الوفاء بالمنصورة .
(٢) المرجع السابق صـ (٥٦) .
(٣) المرجع السابق صـ (٥٦) .

يظلون لها عاكفين ، ويصبح شعار الغاية تبرر الوسيلة ، ورأس المال جبان لا قلب له ولا عواطف ، وغير ذلك من شعارات لا إنسانية ، هم آلهة عصر التحضر والتمدين والتكنولوجيا الحديثة ، فيذهب العدل والإحسان ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ٩٠] ، ويبقى الإنسان الوحش الكاسر الذي لا يعمل ليأكل ويعيش ، ولكن يعمل ليستغل ويكنز الأموال حتى لو قتل وسفك ليحقق أغراضه .

ورأى أباطرة الصناعة والتجارة والمال في المرأة منجمًا لا ينضب من الذهب واللآلئ ، فبعد استغلالها كمنتجة بأجر زهيد ، تم إعادة استغلالها كمستهلكة للسلع الكمالية وأدوات الزينة ، وما في حكمها التي تقتنيها النساء بأعلى سعر وبأعلى نسب ربح للصانع والتاجر.

١ ـ المرأة كمستهلكة :

إن خروج المرأة من بيتها وعدم التفرغ الكامل له يعني ضياع وقت كبير من وقتها صعب تعويضه إلا باستخدام الاختراعات والصناعات الحديثة الكفيلة بخدمة المرأة والحصول على أغلب دخل الأسرة ، يقول الأستاذ « أنيس منصور » عن ذلك :

« أما البيت فلم يعد مكانًا للإنتاج وإنما محطة للخدمات ، به غسالة ومطبخ وأطعمة محفوظة ، ومكنسة وتليفون وسيارة [(١)]،وأصبح الشباب من الجنسين ضحية للصناع والتجار ، حتى يكونوا عبيدًا لمطامع رجال الأعمال » ، يقول أ. « أنيس منصور » : «بعض رجال الأعمال يرى أنه من الأفضل أن يبقى هؤلاء الشبان بعيدين عن العمل معتمدين على آبائهم في الطعام والشراب حتى ينضجوا ، معناه زيادة الاستهلاك ، والشاب الذي لا يعمل مسرف في طلباته » .

وفريق يرى أنه من الضروري أن يتزوج الشبان في سن مبكر ، والزواج المبكر معناه بناء البيت الجديد بالثلاجة والسخان والتليفزيون .

وفريق ثالث يرى أن عدم زواج الشبان يؤدي إلى رواج السيارات الرياضية ، وشرب الشمبانيا والسجائر الفلتر والأطعمة المحفوظة ، بل إن أحد علماء الاقتصاد يؤكد أنه لا وسيلة لإنقاذ الاقتصاد الأمريكي ، إلاَّ أن يبقى الشبان بلا زواج عشرات السنين .

ومعنى ذلك أن الشبان ليست لهم أية قيمة إنسانية ، وإنما قيمة الشبان أنهم قوة شرائية من نوع خاص ، وأنهم ضحايا معركة تجارية صناعية مالية وحشية ، وأن هناك عشرات من

---

(١) الأستاذ « أنيس منصور » ص٢٣٤ .

أصحاب الملايين تسيل دماؤهم من أجل امتصاص دم هؤلاء الشبان [١].

هذا ، إضافة لما تحتاجه النساء من استهلاك ملابس وأحذية ، تتغير في العام أكثر من مرة بسبب تغيير الموديلات واتباع موضات جديدة ، فلم تعد الملابس والأحذية والإكسسوارات الحريمي تشتري لتستعمل حتى الإهلاك ، ولكن تستعمل لحين ظهور موديلات وموضات أحدث ، والأكثر تغيرًا وتقلبًا من ذلك هو أدوات الزينة من أصباغ وألوان وكريمات وباروكات وتسريحات . . إلخ ، التي لا غنى للنساء عنها لإظهار الجمال وإخفاء العيوب ، وبث الفتن في قلوب وعقول وجوارح الرجال .

٢ ـ المرأة كأداة لانخفاض تكاليف الإنتاج :

إن انخفاض أجور النساء ، خاصة في منشآت القطاع الخاص التي لا تلزم بالمساواة في الأجر بين الرجال والنساء ، أو في أوربا حيث تحصل النساء على نسبة (٦٥ ٪) تقريبًا من أجور الرجال ، منحت هذه التخفيضات للمنشآت التي تعتمد على عمل النساء بنسبة كبيرة، إمكانية تخفيض تكاليف الإنتاج والتي تمثل نسبة ليست بالقليلة من إجمالي المصروفات ، وبالتالي تحقق مزايا تحقيق أرباح إضافية بالنسبة لمنشآت أخرى تعتمد على الرجال في العمل ، فمثلاً يعتمد على النساء في أعمال أشغال التريكو والتفصيل والحياكة والملابس الجاهزة ، وهناك مصنع ومعارض (٩٠ : ١٠٠ ٪) من العاملات فيها نساء ، وبالتالي ، ونظرًا لانخفاض أجور النساء وكثرة العدد العامل ، فإن تكاليف الإنتاج المنخفضة تعني زيادة أرباحها مقارنة بمنشآت أخرى لنفس نوع النشاط ، ولكن تعتمد على عمل الرجال الذي من حقهم العمل أولاً لإعالة أسرهم قبل عمل النساء ، فهذا الربح أدى إلى بطالة الرجل بما تحمله من مشاكل جمة .

ومن ثم أصبحت المنشآت التي تعتمد على عمل المرأة تحقق ربحية أكبر من التي تعتمد على عمل الرجال .

وقد أوضح ذلك « شو » في بداية القرن العشرين ، فقال :« وقد جُمعت ثروات طائلة من تلك الأعمال الصناعية ، التي تشتغل فيها البنات ، مثال ذلك : صناعة أعواد الكبريت ، التي كانت تشغل البنات بأجر خمس شلنات ، مع العلم بأنهن يقمن مع أبويهن ويعتمدن في معيشتهن جزئيًا على الأب ،الذي ينال (٣٠) شلنًا في عمل آخر أو

(١) الأستاذ « أنيس منصور » ص٢٣٦.

(٤٠) شلنًا ، وبهذه الطريقة يحصل صاحب مصنع الكبريت ، على ثلاثة أرباع عمله ، بلا مقابل ، وعلى حساب الآباء العاملين في مصانع أخرى ، فإذا كان الأب يعمل في مصنع للبيرة مثلاً ، فإن صاحب مصنع الكبريت ينال ثلاثة أرباع عمله مجانًا ، على حساب صاحب مصنع البيرة ، وبهذا تعيش صناعة من الصناعات ، بالتطفل على صناعة أخرى ، وتستنزف جهودها ، أو جهود عمالها من باب أولى [1] .

٣ ـ المرأة كمنتجة للأعمال والفنون المخزية :

لم يكتف رجال الأعمال من رجال صناعة وتجارة ومال باستغلال المرأة كعاملة رخيصة ومستهلكة للكماليات بأنواعها ، ولكن امتدت أيديهم الآثمة إلى المرأة كجسد وروح وخلق، فمن خلال الآداب والفنون من غناء ماجن فاجر ، وتمثيل مغري مغوي ورقص خليع عاري ، ورسم وتصوير ، وغير ذلك تم استغلال جسد المرأة بصورة عالية للتجارة في جمالها ودلالها ثم جسدها وبدلاً من ذهاب كل راغب متعة إلى النوادي الليلية وأماكن الفسق والعري والفجور ، استخدمت وسائل الأعلام والإعلان من مكتوبة ومسموعة ومرئية في عرض الجنس الرخيص في الشوارع والميادين العامة ثم اقتحمت البيوت فصارت نوادي ليلية ، فمع اختراع السينما ثم التليفزيون ثم الفيديو وأخيرًا الكمبيوتر والإنترنت ، أصبحت الرذيلة تنقل إلى كل مكان ، وتغطي كل زمان ، وحيثما ترغب بلا ضوابط ، فتنفسنا الشهوات تنفسنا للهواء ، وعشقنا الموبقات عشقنا للماء والارتواء ، وتلذذنا رؤية أجساد النساء العارية وسماع أصواتهن الماجنة تلذذنا بأطايب الطعام ، فأصبحت الجميلات من النساء سلعة تُعرض على الجميع من أجل كسب أموالهم ، والحصول على مدخراتهم وتنال المرأة من عملها هذا القليل مهما كَثُرَ ، ويفوز المتاجرون بها بالكثير والكثير من أموال وضياع أخلاق .

ولم تقتصر التجارة على عرض الأجساد ،ولكنها تعدت ذلك إلى التجارة بالجسد نفسه في صورة تجارة الجنس والدعارة المنظمة والغير منظمة .

وقد أوضح « جورج برنارد شو » بداية التجارة بجسد المرأة مع الثورة الصناعية فقال :

« ولا شك أن مما لا يشرف المرأة أن تعيش على حساب رجل دون أن تكون زوجته.

---

(١) « دليل المرأة الذكية » صـ (٢٥٥) ، ويقصد الكاتب أن ما يوفره صاحب مصنع الكبريت من أرباح نتيجة لعمل النساء بثمن متدني ثلاثة أضعاف ما يحققه صاحب مصنع البيرة الذي يوظف الرجال بأسعار عالية .

ولكن ما قولك في امرأة معدمة جائعة بائسة لا عائل لها ولا حول ولا قوة يأتي إليها رجل فيقول : أنا غير مستعد لأن أتزوجك ، ولكن إذا رغبت في أن تصبحي زوجتي ـ بطريقة غير قانونية ـ حتى الصباح ، فسوف أمنحك ستة بنسات وكأسًا من الخمر ، أو على حسب الحالة ، شلنًا أو جنيهًا أو عشرة جنيهات ، أو مائة أو فيلا أو عقدًا من اللؤلؤ وفراء وسيارة؟! ، الأغلب أنها لن تمانع ، سهل جدًا أن تطالبي المرأة [1] بالفضيلة والشرف ، ولكن هذا ليس من المعقول أبدًا إذا كانت عقوبة الفضيلة ، الجوع والبؤس ، ومثوبة الرذيلة، التحرر منهما ، ولو أنك خيرت البنت الجميلة ، بين عمل في مصنع الكبريت ، بأجر في الساعة مقداره بنسان ونسف البنس مع احتمال تعرضها لخطر الإصابة بالتسمم الفسفوري ، الذي قد ينخر عظام فكها ويهرأ لحمها ، وبين أن تتاح لها فرصة العيش كفتاة مرفهة مدللة، في كنف شاب أعزب ثري ، فأنت بذلك لم تتركي للبنت في الواقع أي خيار في الأمر ، بل إنها قد ترى أن معيشتها مع السيد الأعزب الثري ستزيد من معلوماتها، وخبرتها بالحياة ، وستتيح لها الاختلاط بالمجتمعات الراقية المهذبة المثقفة ، فضلاً عن التمتع بكل ما في الحياة من جمال وتألق وبهاء ، إنها بلا شك ستبيع جسدها للسيد الأعزب للمتعة على أن تبيع جسدها لصاحب العمل للكسب ، إنها ستفضل أجر الخطيئة وتترك أجر العمل اليومي المرهق [2].

إن ما ذكره « شو » كان في بداية القرن العشرين ، ولكن ما تم بعد ذلك هو تطور للأسوأ فلم تعد المرأة متاعًا مباحًا للأغنياء من طالبي المتعة واللذة بالثمن المناسب فحسب ، ولكن أصبحت المرأة متاعًا مباحًا للجميع من فقراء وبسطاء يملكون تليفزيون بسيط رخيص، حتى أوشك أغلب الرجال ـ في الغرب بصفة خاصة في الزهد فيها حيث لم يعد إغرائها وإغوائها وجسدها يفتنهم لتعودهم عليه وانصرفوا إلى عشق الغلمان والولدان ، وصار الشذوذ الجنسي فضيلة بعد أن كان رذيلة ، وإذا استمر الحال سنصل إلى ما وصل إليه الغرب من بلايا .

---

(١) نود أن نذكر القارئ أن حديثه موجه إلى النساء .

(٢) « دليل المرأة الذكية » صـ (٣٥٦ / ٣٥٧) .

المبحث الثالث

التنفيذ الدقيق لبروتوكولات حكماء صهيون [1]

برئاسة زعيم اليهود الأول « هرتزل » وعضوية حوالي (٣٠٠) من أعتى اليهود الممثلين لعدد (٥٠) جمعية يهودية ، عُقد في بال بسويسرا عام (١٨٩٧) أول مؤتمر لوضع خطة سرية يهودية تهدف لحكم العالم ، سميت هذه الخطة « بروتوكولات حكماء صهيون » التي أمكن لسيدة فرنسية الحصول عليها .

ومن المعروف أن عدد هذه المبادئ الهدامة (٢٤) بروتوكول ، من أهمها الدعوة لعمل المرأة بلا مبرر وبدون ضرورة حتى تكون أداة لشيوع الرذيلة ولضياع المجتمعات ، ومن أفكارهم الهدامة :

أولاً : الدعوة لنبذ تعاليم الأديان وهجرها :

تعاليم الأديان هي العدو الأول والحقيقي لدعاة تحرر المرأة المنادين بهجرها لبيتها ، والداعين لعملها خارجة ، بادعاءات كاذبة منها : أن العمل المنزلي هو عمل ثانوي ، أما العمل خارجه فهو العمل الأساسي للمرأة حتى تشارك في التنمية ولتحقيق المساواة بينها وبين الرجال ، وتثبت وجودها . والحقيقة أن أهدافهم الحقيقية هي استغلال المرأة الذي بدأ ماليًا واقتصاديًا ، وانتهى إلى جسديًا وجنسيًا .

واليهود يؤمنون أنهم شعب الله المختار،وأن الله هو إلههم فقط وليس لغيرهم أن يعبدوه ، ولذلك كان دعاة نبذ الأديان والإلحاد والعلمانية هم اليهود ، فماركس هو القائل « الدين أفيون الشعوب » ومبادئه الاقتصادية الاشتراكية تقوم على إلغاء الدين من الحياة بكاملها،وغيره كثيرون وهم يبررون ذلك « لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله،وعلى الإخوة الإنسانية، نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضة مباشرة لقوانين الخلق، والتي فرضت التسليم، وأن الناس محكومين بمثل الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم - هيئاتهم الدينية - وسيعيشون فى هدوء واطمئنان وثقة إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض ، وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننزع فكرة الله

---

(١) انظر كتابنا : « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » صـ (٧٢ : ٨٥) ، دار الوفاء بالمنصورة .

ذاتها من عقول المسيحيين ، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية » [١].

ومن أسباب تحقيق هذا الهدف :

« لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنًا » [٢].

ثم الحط من شأن الدين ورجاله والاستهزاء بهما [٣].

« وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من رجال الدين من الأمميين في أعين الناس وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي يمكن أن تكون عقبة في طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يومًا بعد يوم ، اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية [٤] بددًا ، انهيارًا تامًا وسيبقى ما هو أيسر علينا التعرف مع الديانات الأخرى سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جدًا من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً مسيئًا على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لهم [٥] .

ثم يأتي بعد ذلك دور الإساءة للأديان وعلمائها والدعاية لذلك « سنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التي عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة جدًا لنقص في فهمها أي شيء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية ، ولبيحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الاجتماعية [٦].

« وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الأديان الأممية ، ولكن لن يحكم أبدًا على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة ، أو لن يستطاع لأحد أن يعرفها معرفة شاملة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها » [٧].

---

(١) « الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون » ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر ، صـ (١٧٧ ، ١٧٨) البروتوكول الرابع .

(٢) « المرجع السابق » صـ (١٨١) ، البروتوكول الرابع .

(٣) يطلق اليهود على غير اليهودي « أممي » أي : جاهل لا قيمة له .

(٤) قصدوا المسيحية لكثرة عدد المسيحيين في العالم وقوة تنظيمهم وعداوتهم الدائمة لليهود .

(٥) « الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون » ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر ، البروتوكول السابع عشر ، صـ (٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٦) « المرجع السابق » البروتوكول الرابع عشر ، صـ (٢٣٠) .

(٧) « المرجع السابق » البرتوكول الرابع عشر ، صـ (٢٣١) .

ويوضح د « عبد الحليم محمود » شيخ الأزهر السابق تغلغل هذا الفكر في جامعات العالم المتقدم ثم انتقاله عن طريق التعليم لغيره فيقول :

« ودخلت الجامعة ، وبدأت الدراسة في علم الاجتماع ، وعلم النفس ، ومادة الأخلاق ، وتاريخ الأديان ، وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الأساتذة اليهود ، وكانت هذه المواد كلها تسير في تيار محدد ، هو أنها « علوم مجتمع » أي أنها لا تتقيد بوحي السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع إلهي ، فهي تدرس على أنها ظواهر اجتماعية أو ظواهر إنسانية ، وبدأنا نسمع مختلف الآراء في نشأة الدين ، ومختلف الآراء في تفسير النبوة ، وينتهي الأمر برأي الأستاذ في الموضوع ، وليس في هذه الآراء ـ على اختلافها وتعددها ـ ما يتجه إلى أن الدين وحي من السماء ، أو أن النبي موصول الأسباب بالسماء .

لقد فسرت الجامعات الأوربية العلم على أنه القواعد التي تقوم على التجربة والملاحظة، والتزمت بأن تفسر وأن تشرح علم الاجتماع وعلم النفس،على هذا الأساس ، والتزمت ذلك أيضا فى تاريخ الأديان وهذه العلوم بالذات وفروعها تتعاون ـ في جامعات الغرب ـ لتقود الإنسان ـ متساندة إلى الإلحاد !! إن للدين ـ فيما يزعمون ـ نشأة إنسانية واجتماعية ، وإن للخُلُق ـ فيما يرون ـ نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه « فضيلة » وعلى سلوك آخر سموه رذيلة ، وليس للسماء في الدراسة من نصيب ، اللهم إلا الوصف لظاهرة نشأت في المجتمع .

والشاب الذي انتقل من الأقسام الثانوية إلى الجامعة يتأثر بأستاذه ، فإذا كان الأساتذة متعاونين على هدم القيم الثابتة والمُثل العليا التي يقررها الدين وتقررها الأخلاق ، إذا كان الأمر كذلك ، فإن الطالب الذي يعيش في أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ، ينتهي به الأمر ـ في الأغلب الأعم من الحالات ـ بأن تنهار هذه القيم من شعوره!

ومن هنا كانت الظاهرة التي تجدها في طلبة الجامعات في أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم ، وينتهي الطالب بالإلحاد ـ أو على تقدير ـ بالإيمان الكامن الذي لا فاعلية له ولا تأثير في سلوك الإنسان » [(١)].

وقد أثمرت هذه السياسات الفاسدة ما نراه ونسميه ونشاهده من أفكار وممارسات غريبة عجيبة لا تتفق مع الذوق السليم أو الأخلاق الفطرية للبشر ، وذلك لبعدها عن الأديان

(١) د « عبد الحليم محمود » شيخ الأزهر السابق ، « المشكلة الأخلاقية والفلسفة » صـ (٥٧ : ٥٩) تأليف / أندريه كريسون ، مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠٤) .

والشرائع السماوية ، ويعبر عن ذلك الأستاذ « أنيس منصور » فيقول : « حدث تغيير في المثل العليا والمعتقدات الدينية ، وفي المزاج القومي العام ، فعدد الذين يترددون على الكنائس لم ينقص عددهم ، ولكن رجال الدين هم الذين يحرصون على أن يكونوا «مودرن » فهم يسمحون بموسيقى الروك أند رول في داخل الكنيسة ويسمحون باللوحات السريانية ، ويسمحون ببناء الكنيسة على أحدث نظام معماري لا يتناسب مع وقار الكنيسة، أما الاكتشافات العلمية والجيولوجية والفضائية فقد هزت الإيمان في أمريكا ، ولأول مرة نجد أن الشبان يتأثرون بأناس آخرين خارج الأسرة ، فليس الأب هو الشخص الوحيد الذي يقوم بتطوير وتشكيل أفكار أولاده ، وإنما هناك أناس آخرون : الأدباء ، والصحفيون والممثلون [(١)].

والأمر لم يتوقف على الغرب فقط بل تعداه للشرق المسلم حيث لم يعد لرجال الدين أو المؤسسات الدينية هيبتها لدى الحكام أو الشعوب ، وبدلاً من قياداتها الروحية للشعوب أصبحت تقاد سياسيًا، وتحكمها السياسة ويتحكم فيها الساسة ، ثم السياسيون والعسكريون الغربيون الذين نبذوا أحكام أديانهم أولاً ثم يستخدمون الحرب والدمار والقوة الغاشمة في فرض سيطرتهم الثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية على الشعوب تحت مسمى قد سبق أن زاولوه وما زالوا؛ لأنهم مخترعوه،وهو الإرهاب ، ونسينا تحذير الله لنا ونصحنا في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وقد حذرنا الرسول ﷺ من اتباع بلايا غيرنا ، فقال : « **لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه** » [(٢)].

ثانيًا : نشر الفساد السياسي بين الشعوب ومستويات الإدارة والحكام :

يؤمن اليهود بأن الفساد يسرى في المجتمع من القمة إلى القاع ، فإذا صلح الأمراء صلحت الرعية ، والناس على دين ملوكهم ، وقد يستلزم ذلك إفساد النظام الاجتماعي .

وعلى ذلك فالعمل على اختيار القيادات الفاسدة للإدارة هو المحور الأساسي لإفساد الأمم : « سنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ولن يكونوا مدربين

---

(١) الأستاذ « أنيس منصور » ص٢٣٧ ـ ٢٣٩ .
(٢) « صحيح الجامع الصغير » (٤٩٤٣) .

على فن الحكم ، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء ، الذين دربوا خصيصًا على حكم العالم منذ الطفولة المبكرة » واختيار الإداريين والمسئولين الفسدة سيؤدي إلى كثرة الاضطرابات والمؤامرات والفتن ، خاصة إذا أعدت الشعوب المنقادة لذلك .

« إن الناس جميعًا كانوا ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الله ، كانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم ، ولكن منذ اليوم الذي أوحينا فيه إلى العامة بفكرة حقوقهم الذاتية، أخذوا ينظرون إلى الملوك نظرهم إلى أبناء الفناء العاديين ، ولقد سقطت المسحة المقدسة عن رؤوس الملوك في نظر الرعاع ، انتقلت القوة إلى الشوارع فصارت كالملك المشاع ، ولا شك أن تدخل الرعاع في الإدارة ، وإن كانت سيئة ، سيؤدي إلى عواقب وخيمة [(١)].

ولا شك أن ذلك سيؤدي إلى سهولة سيطرة اليهود على العالم .

« إننا سننظم حكومة مركزية قوية ، وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة ، ستكبح كل حرية ، وكل نزعات تحررية يسمع بها الأمميون ، وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استعبادًا يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود [(٢)].

وحتى يمكن تحقيق الهدف المنشود ، من نشر الفساد في جميع المستويات الحاكمة والمحكومة فلابد من أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد ، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضًا .

إذن من مقتضى ذلك القضاء على الإبداع الحقيقي في كل مجال ، وعلى ذلك فلا يتوافر للمجتمع العناصر الجيدة للإدارة ؛ ولذلك يلجأون لليهود كوزراء ومستشارين ، فكلما احتاجوا إلى كفء لعمل من الأعمال في أي حال من الأحوال سقط في أيديهم وضلوا في خيبة أمل [(٣)].

---

(١) « الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون » ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر ، صـ (١٥٥) ، البروتوكول الثاني .

(٢) « المرجع السابق » صـ (١٧٩) ، البروتوكول الخامس .

(٣) « الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون » ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر ، صـ (١٨٥) ، البروتوكول الخامس .

هذا ، وقد نجح اليهود في ذلك ، وما نراه اليوم من سيطرة يهودية على السياسة الأمريكية والروسية والفرنسية والألمانية ، وجميع دول العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة هو دليل نجاح اليهود في مسعاهم .

ويوضح « بول فندلي » تأثير الساسة الإسرائيليين على اتخاذ القرار في أمريكا ، فيقول : « إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلي على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلاده ذاتها »[1].

وفي صحيفة « واشنطن بوست » (١٠ / ٦ / ١٩٨١) جاء في مقال عن تأثير اليهود في اختيار الرئيس الأمريكي :

« في عام (١٩٧٦) حصل كارتر على أصوات (٦٨ ٪) من اليهود ، ولكنه لم يحصل في عام (١٩٨٠) إلاَّ على (٤٥ ٪) منها ؛ لأنه قام خلال هذه الفترة ببيع شحنة طائرات طراز (إف ١٥) لمصر ، وشحنة طراز (O X) للسعودية ، ورغم تأكيده على أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدًا ضد إسرائيل .

واليوم نرى التنافس بين مرشحي الرئاسة الأمريكية « بوش ، وكيري » يقوم على أساس قوي من محاولة كسب رضا اليهود وإسرائيل .

وما تنادي به أمريكا والغرب اليوم ، بشرق أوسط جديد تتحكم فيه ، في القادة من ملوك ورؤساء ، وفي أحكام الأديان والثقافات ، هو نتاج عمل الصهيونية العالمية .

والمفروض أن الإسلام كآخر دين سماوي اكتملت أحكامه وتسامت آدابه ، هو الذي يقود العالم ، لا أن يُقاد ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

كما قال ناصحًا وآمرًا أهل الكتاب باتباع أحكام ديننا ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

---

(١) المرجع « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية » صـ (٩٢) ، ومرجعه كتاب « من يجرؤ على الكلام ؟ » روجيه جارودي .

وهكذا ، نرى أن الإنسانية جمعاء لو اتبعت أحكام الإسلام لما انتشر الفساد في الحكم والحكام ، وانتقل إلى الرعية والعالم كله .

ثالثًا : تملك وسائل الإعلام والتحكم فيها كمًا وكيفًا :

يؤمن اليهود والصهيونية بأن الصحافة والإعلام من الفنون الرئيسية التي تؤدي إلى إضلال الأمم والتأثير على سلوك الأفراد والجماعات والحكومات إذا خطط لذلك بعناية ، وأيضًا لكسب المال .

« الصحافة التي في أيدي الحكومة القائمة هي القوة العظيمة التي بها يحصل على توجيه الناس ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة ، فالصحافة تبين المطالب الحيوية للناس ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجر أحيانًا بين الغوغاء [1].

« فالأدب والصحافة هما لأعظم قوتين تعليمتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات « وسائل النشر المختلفة » الدور الذي تلعبه الصحافة في الوقت الحاضر ؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة في الناس ، وأحيانًا بإثارة المجادلات الحزبية النانية التي ربما تكون ضرورية لقصدنا ، وما أكثر ما تكون فارغة ، ظالمة زائفة ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك ، إننا سنسرجها وسنقودها بلجم حازمة ، وسيكون علينا أيضًا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى ، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا تزال عرضة لهجمات النشرات والكتب ، وسنحول إنتاج النشر الغالي في الوقت الحاضر موردًا من موارد الثروة والربح لحكومتنا » [2].

والتحكم في الصحافة ودور النشر ورجالهم سيمكن اليهود من التحكم فيما ينشر من عدمه ، من أخبار ووقائع ، وثقافات ، ثم تؤول وتفسر وفق مشيئتهم ومصالحهم .

ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إدارتنا ، فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة ، ولن ننشر إلا ما نختار نحن التصريح به من أخبار ، والقنوات التي يجد فيها التفكير الإنساني ترجمانًا له ستكون خالصة في أيدي حكومتنا التي ستتخذها هي نفسها وسيلة تربوية ، نحن أنفسنا سننشر كتبًا رخيصة الثمن كي نعلم العامة ونوجه عقولها

(١) « الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون » ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر ، البروتوكول الثاني ، صـ (١٦٧) .

(٢) « المرجع السابق » ، البروتوكول الثاني عشر ، صـ (٢١٥) .

في الاتجاهات التي نرغب فيها (١).

فهم أصحاب وتجار صناعة السينما ، ودور النشر العالمية ، وكالات الأنباء العالمية ، محطات الفضائية الكبرى ، النظريات الثقافية المبتكرة ، وشركات الإعلام والإعلان .

وقد استغلت الآداب في تحقيق هذه الغاية :

« وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبًا مريضًا قذرًا يغشى النفوس ، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب » .

والنتيجة النهائية المرجوة هي حكم العالم .

« حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ـ لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ، أي الدين المعترف بوحدانية الله، الذي ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم ؛ ولهذا السبب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ؛ وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين، فلن يدخل هنا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا واجب إخضاع الأمم تحت أقدامنا ، وهم يتوهمون أنه قد مضى الزمن الذي كانت الديانة فيه هي الحاكمة (٢).

ويستطيع اليهود مصادرة أي أفكار أو كتب بالحجة التالية :

« وسنعتذر عن مصادرة النشرات بالحجة التالية : سنقول النشرة التي صدرت تثير الرأي العام على غير قاعدة ولا أساس » (٣).

ومن أساليب التحكم في النشر والمصادرة :

« قبل طبع أي نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتمس من السلطات إذنًا بنشر العمل المذكور ؛ ولذلك سنعرف سلفًا كل مؤامرة ضدنا ، وسنكون قادرين على سحق رأسها بمعرفة المكيدة سلفًا ونشر بيان عنها » .

هذا ، وقد نجح اليهود وأعوانهم في السيطرة الإعلامية ، والإعلانية على العالم كله، وأثبتوا صحة المثل المصري القائل « الدوى على الودان أقوى من السحر » .

---

(١) « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » صـ (٢٢٨ ، ٢٢٩) ، والمرجع البروتوكول السابع عشر .

(٢) « المرجع السابق » .

(٣) يتم مصادرة الآراء الحرة تحت مسميات عدة منها العداء للسامية ، أو الاتهام بالإرهاب .

يقول د « محمد عبد القادر حاتم » :

« يعيش العالم اليوم في ثورة الاتصال الجماهيري التي يطلق عليها (- Mass Commu nication)، ولتصوير أثر هذه الثورة على الإنسان المعاصر ، يكفي أن نذكر أن الإعلام الموجه إلى الإنسان لا يتوقف الآن في أية لحظة من لحظات الليل أو النهار ، وأن هذا الإنسان يواجه منذ اللحظة التي يفتح فيها عينيه وينهض من قومه بمؤثرات إعلامية تتسابق للتأثير على عقله واتجاهاته وتظل تلاحقه طوال اليوم والليل حتى يتجه للنوم .

الإذاعة التي لا تكف عن بث إرسالها لحظة ، تستقبله ساعة نهوضه من نومه ، وصحف الصباح تنتظره قبل أن يخرج من بيته ، فإذا خرج إلى الشارع واجهته ملصقات لا حصر لها توجه إليه ألوانًا مختلفة من الدعاية والإعلام ، في الترام أو على جانبي الطريق أو جدران الأبنية العالية .

وفي وقت الفراغ تتاح للإنسان الفرص لمشاهدة العروض السينمائية والمسرحية ذات الأهداف المتباينة ، كما يستطيع أن يستمع إلى محاضرات ويشهد ندوات تتحدث في كل شئ ، وفي المساء وجد بعض المجلات التي تجذبه بإخراجها الجذاب ليطالع فيها ما تقدمه له ، حتى التليفزيون ببرامجه التي تستخدم كل الإمكانات البشرية والتكنولوجية يشد انتباهه من بداية الإرسال حتى نهايته .

ومن هذا العرض لموقف الإنسان الإعلامي ، ندرك أن المواطن المعاصر لا يأوى إلى فراشه ، قبل أن يقرأ أو يرى ويسمع كمّا هائلاً من المعلومات والمشاهد ، تستهدف كلها حصارًا محكمًا وتوجيهه إلى هدف من أهدافها ، وهي تحاصره حصارًا محكمًا لا سبيل إلى الإفلات منه ، حصارًا لم يشهده الإنسان في أي عصر [(١)].

ولا شك أن السيطرة الإعلامية القادرة على تغيير العقول وزرع ما يراد فيها ، هي من عناصر القوة المؤثرة على الأفراد والشعوب والرأي العام العالمي ، وقد أوضح ذلك الله ، فقال عن اليهود : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤ ـ ٦].

---

(١) د « محمد عبد القادر حاتم » « الإعلام في القرآن الكريم » صـ (٣٦) ، مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠٢) ،وسيادته كان وزيرا للإعلام في مصر .

ومعنى﴿ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾: أي صوتًا وإعلامًا وتأثيرًا على الناس بنشر كل ما هو كذب ورياء وفجور ومبادئ هدامة، ومن الإساءة إلى الإسلام واتهام المسلمين بكل خلق قبيح هم منه براء، وصدق تعالى حيث قال: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة : ٨ ـ ١٠].

رابعًا : بث أسلوب الإنفاق الاستهلاكي لدى الأمم :

من الأمراض الاجتماعية التي تعاني منها الدول المتخلفة على وجه الخصوص ، هو مرض الإنفاق الترفي ، الذي لا يتناسب مع مستوى الدولة الحضاري والمادي ، مما يجعل الدول والأفراد يستدينون للحصول على متع وترف لا تتناسب مع مستوى عملهم وجهدهم، وفي نفس الوقت تؤدي إلى انكماش وأحيانًا إلغاء الادخار البناء ، ومن ثم الاعتماد على المعونات والقروض ثم تدور الدولة في دائرة الفقر المفرغة ، ومن المؤسف له أن الحكومات تعتبر ذلك ميزة من مزايا الحكم ، وأسلوب قوي لإحساس الشعوب بالأمن والسلام ، وإن لم يكن هذا سوى سراب مهلك ، ومن المعلوم أن الترف الزائد الغير مناسب ، هو من عوامل فناء الأمم والحضارات القوية ، فما الحال مع الدول الصغيرة الفقيرة ، إنه ولا شك سيزيد الفقر والهوان وتطاحن الشعوب ، والمجتمعات على القتال للحصول على لقمة العيش .

« سنشيع حب الترف المطلق ، وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال ، سنرفع أثمان الضرورات الأولية ، كما سننسف بمهارة أيضًا أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، ونشجعهم على إدمان المسكرات في الوقت نفسه سنستعمل كل وسيلة ممكنة ، وسنطرد كل ذكاء أممي « غير يهودي » ولكيلا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان ـ سنستره برغبتنا في مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وإن الدعاية التي لنظرياتنا تعاون على كل ذلك بكل وسيلة ممكنة [1].

ويقول الأستاذ « أنيس منصور » موضحًا تأثير هذا على المجتمع .

وقد تباعدت البيوت وتباعد الناس في البيوت ، وفي البيت الواحد ، فالأب يذهب إلى عمله، والأم تبقى في البيت ـ حاليًا غالبًا تذهب أيضًا لعملها ـ والأطفال في المدرسة،

(١) « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » ، البروتوكول السابع عشر . صـ (١٨٨) من البروتوكول السادس .

ولا أحد يدري بأحد ، ولا أحد يستطيع أن يسيطر على الصغار إذا كبروا وخرجوا إلى الشارع ، وهذا الشعور بأن كل إنسان في حاله ، جعل الهيبز يكونون لأنفسهم قبائل وعشائر وجماعات ، تمامًا كالإنسان البدائي ، وهذا يدل على أنهم يحنون إلى الأسرة التي حُرموا منها ، والأسرة الأمريكية هي « الأسرة الذرية » أي التي تضم الأب والأم والأبناء فقط ، فهي صغيرة ومحدودة ، أما البيت فلم يعد مكانًا للإنتاج ، وإنما هي محطة للخدمات ، به غسالة ومطبخ وأطعمة محفوظة ، ومكنسة وتليفون وتليفزيون وسيارة ، ومن أهم التغيرات التي حدثت في تاريخ أمريكا أن المرأة المتزوجة تعود إلى الوظيفة ، وأن المرأة التي عندها أطفال لا تتوقف عن الاستمرار في عملها [١].

وقد وصف الكاتب الأمريكي « وليام هـ. تشيف » حال النساء أمريكا الترف في العشرينيات من بداية القرن السابق فقال : « وكانت المرأة الجديدة « العاملة » كأي شخص آخر تعتبر رمزًا للعصر ، وكانت تبدو مثيرة وغير قابلة للإثارة ، والسيجارة بين شفتيها وكأس الكوكتيل بيدها، وكانت الحرية الاقتصادية مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تحررها»[٢].

فإذا كان ما سبق منذ حوالي (مائة) عام ، فنحن الآن نعلم كيف وصل الآن الإنفاق الاستهلاكي للمرأة العاملة ، فقد أصبحت الكثيرات يدخن السجائر والشيشة في كل أرجاء العالم شرقًا وغربًا ، وبعضهن يدخن الحشيش وكافة المسكرات والمنبهات المدمرة ، إضافة إلى استهلاك الكثير من أدوات الزينة والملابس والأحذية والفراء وغيرها من أشياء ترتبط بحب النساء للترف وكل جديد « موضة » والنتيجة زيادة دخول أباطرة الصناعة من الغرب وأغلبهم يهود .

وتعدى الأمر النساء العاملات لغيرهن من طالبات وتلميذات ويسري على الرجال ما قد سرى على النساء ، والدول النامية الفقيرة تدفع ثمن الإنفاق الاستهلاكي من دم وعرق أبنائها ، ونسينا تحذير الله لنا من حب الترف لقوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ . قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران : ١٤ ، ١٥] .

---

(١) « أنيس منصور » صـ (٢٣٤) .
(٢) « المرأة الأمريكية » صـ (٣٢) .

خامسًا : صناعة وتجارة الفسق والفجور والدعارة :

ولما كان الهدف النهائي لليهود حكم العالم ، فلابد أن يلجأوا إلى كل وسيلة خسيسة وأدب نجس وفكر عقيم لزعزعة عروش غيرهم ، ومن ذلك تزيين طرق الغواية والشهوة للشعوب .

من المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر ، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات (١) ، والمجون المنكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا (٢) ، في البيوت الغنية وكتبنا ومن إليهم ، ونساؤنا في أماكن لهوهم .

وإليهن أضيف من يسمين نساء المجتمع « الراغبات من زملائهم في الفساد والترف» .

دعا اليهود وروجوا للانحلال الخلقي في العالم ، وجعلوا ذلك هدفًا تجاريًا ، وهدفًا فساديًا ، فهم تجار الخمور والمخدرات ومروجوها على مستوى العالم ، والهدف تغييب العقول وأيضًا زرع المجون والفسق والفاحشة بين شعوب العالم ، ويبدأ غرس الأفكار الشيطانية الهدامة ، بواسطة مربيات الأطفال في الأسر الراقية وتعليم الأطفال في سن مبكرة هي سن التشكيل والتعليم رذائل الأخلاق ، ومفاسد العادات ، ونبذ الأديان ، والعقائد ، والعبادات ، فينزعوا من شباب المستقبل كل عادة حميدة ، وعبادة قويمة ، وصلاح نفسي ، وتهذيب خلق ، وليس ذلك فحسب ، بل يزرعوا فيهم ما شاؤوا من موبقات ، وأفكار سامة ، وغالبًا هؤلاء الأطفال هم أولو الأمر في المستقبل ، والحكام ، وأصحاب الحظوة ، وسادة القرار ، وهذا يجعلهم يحكمون ويتحكمون من وراء ستار ، وأيضًا من أهم الوسائل في هدم الشعوب استخدام القانيات الراغبات في أماكن اللهو والعبث من بارات وملاهي ليلية بخلافه ، وإغواء نساء المجتمعات الراقية الراغبات في الرذيلة لمزاولتها ، ثم غلفوا فسادهم بألفاظ براقة من التقدم والرقي والحرية الشخصية ، وحق الحياة والتعبير عن النفس فجعلوا المومسات « ياسمين المجتمع » وجعلوا العاهرات فنانات ، فالراقصة والممثلة الخليعة ، والمخرجة الداعية للانحلال بكل معانيه ، أصبحن مبدعات ، وأطلق عليهن « النجوم » فخلع عليهن مستوى أعلى من مستوى البشر العاديين فهن نجوم في العلو والشموخ ، وكأنهن اللائي ينرن ظلمة الحياة ، حتى أصبحت الساقطات والعاريات والمومسات قدوة لكافة الشابات الصالحات ، وأصبح الحرام حلالاً ،

---

(١) يقصد بالكلاسيكيات : الدراسة الأدبية القديمة والفنون كالتراث اليوناني والروماني والهندي وغيره.

(٢) يقصد بالكهرمانة : مربيات الأطفال في البيوت الراقية .

والفساد صلاحًا ، والعفة تخلفًا ، وإظهار العورات هي الفضيلة والكمال .

والمتدبر لهؤلاء الساقطات ! ليجدن أغلبهن يتحكمن في كبار المسئولين وأصحاب القرار ، بل وأحيانًا الخلفاء والأمراء والحكام ، ومن ثم ينفذ عن طريقهن خطط شياطين اليهود لهدم البلاد وإذلال العباد خاصة ، وإن الدعاية والإعلان والإعلام صور بعضهن كأنهن أصحاب فضيلة وفكر وثقافة ، فأصبحن كأعلام في المجتمعات وأغلبهن جواسيس وتجار مخدرات ومروجات للجنس وداعين للرذيلة [١].

ويوضح الأستاذ « أنيس منصور » ما وصل إليه العالم من انحطاط نتيجة استقلال المرأة كداعية للفجور والجنس ، فيقول :

« وقد كانت المسيحية في عصرها القديم ترى أن المرأة هي مصدر الخطيئة ، وكان القديس « بولس » ينصح الناس بألاَّ يلمسوا المرأة ، وإذا تزوجوها فليكن لمسها معتدلاً أو معدومًا » .

وقد ساهمت المجلات الجنسية العادية في إشعال النار في ملابس الجنسين ، وهناك مجلات تنادي بعبادة الجسم ، جسم المرأة ، وتفننت هذه المجلات في الصور والألوان والأحجام ، وإذا كانت الصور عارية ، فإن الكلمات أكثر عُريًا [١].

وما أكثر الأمثلة التي توضح نجاح اليهود في تجنيد العاهرات للتحكم في مصائر زعماء وأمم ، ولعل أشهرها حاليًا قصة الرئيس الأمريكي « بيل كلينتون » مع « مونيكا » التي اتهمته بالتحرش الجنسي ومزاولة الزنا معها ، ولولا ما قدم من خدمات لليهود ، لما بقى في منصبه ، وقصة الممثلة « كاميليا والملك فاروق » ملك مصر ليست ببعيدة وغيرهن الكثيرات [٢].

---

(١) أنيس منصور، ص (٢٣٧ : ٢٣٩) .

(٢) سنعرض لذلك لاحقًا في مساوئ عمل المرأة ـ إن شاء الله .

المبحث الرابع

التمرد على تعاليم المسيحية الخاصة بالمرأة

آمنت التوراة والديانة اليهودية بحرية المرأة ، وأوضحت أن النساء عملن بكافة الأعمال - تقريبًا - حتى كان منهن القضاة العادلات « دبورة » ، ومنهن الملكات الصالحات « بلقيس » والصالحات « عثليا » ، وبعضهن كُن نبيات « مريم » أخت موسى وهارون وغيرها ، ومع ذلك فلم تسلم المرأة من إهانة الدين لها ، وبالرغم أن المسيحية كدين تستمد أحكام شريعتها من التوراة ، والمسيح عليه السلام لم ينقض أو يلغى الأحكام المنظمة لعمل النساء كما جاءت بالتوراة ، إلا أن « بولس » الرسول كان متعسفًا في تشريعه لأحكام النساء ، ومنها عمل المرأة فأوضح [١]:

* أن صوت المرأة عورة حتى لو كان للسؤال عن الدين في الكنيسة«(٣٤)**لتصمت النساء في الكنائس ، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن .. (٣٥) ولكن إذا رغبن في تعلم شيء فليسألن أزواجهن في البيت ؛ لأنَّه عار على المرأة أن تتكلم في الجماعة** » [١ كورنثوس ١٤] .

* أن المرأة لا يجب رياستها للرجل في أي عمل « **(١٢) لست أسمح للمرأة أن تُعلِم ولا تتسلط على الرجل** »[١ تيموثاوس ٢] .

ومن ثم فقد تم بناء على توجيهات « بولس » عزل المرأة عن المشاركة الإيجابية الفعالة والبناءة في الأعمال ذات القيمة الفكرية أو القيادية ، فنسخت هذه التعاليم أحكام التوراة إلى حد ما ، بشدتها وقسوتها في النظرة لقيمة المرأة .

وقد أدى ذلك إلى أن أغلب النساء الدارسات للكتاب المقدس ، العاملات في خدمة الكنيسة كُنَّ أول المتمردات على تعاليم الكنيسة المنظمة لعمل المرأة .

ويعبر عن ذلك د . القس « أنور زكي » فيقول :

« بحلول الثلاثينات والأربعينات شعرت كثيرات من نساء أمريكا بالحاجة إلى فهم جديد للنصوص الكتابية ، فأثارت سارة جريمك (Grimke) وهي محاضرة مشهورة تحارب الرق ، وكاتبة تدافع عن حقوق المرأة أن الانحياز للرجل عند تفسير الموضوعات

---

(١) النبية ، ليست صاحبة رسالة سماوية ، ولكن من يأتيها الوحي الإلهي بما يفيد التنبؤ بالمستقبل .

الكتابية كان يشكل جانبًا من مؤامرة متعمدة ضد النساء ، وطالبت عام (١٨٣٧) بثقافة جديدة تدعو للمساواة بين الجنسين ، وبعد ذلك بسنوات قليلة جاء « أنطونيت براون » وهي من أوائل النساء اللواتي درسن اللاهوت في كلية أوبرلين ، وفحصت الرسائل البوليسية من وجهة نظر المساواة بين الرجل والمرأة ، وعند رسامتها عام (١٨٥٣) وكانت أول امرأة يتم رسامتها في الكنائس المستقلة، ذكر الواعظ القس « لوثر لي » (Luther Lee) أن الرسول « بولس » وعد بمواهب جديدة للروح القدس بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء ، وتغاضى عن بعض نصائح معينة أدلى بها « بولس » فهمها البعض أنها ضد المرأة، واقتبس «لوثر لي » من رسالة غلاطية قوله : « ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر،ليس ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع » [غل ٣ : ٢٨]، وثمة فكر واع متزايد من جانب المطالبين بالمساواة بين الجنسين،يطالب بالتفرقة بين الأجزاء الكتابية التي كانت تمثل التعاليم العامة للكتاب المقدس، وتلك التي كانت تتعلق بثقافة وبيئة معينة.

وفي مستهل القرن العشرين شجعت الكنيسة الدراسات النسائية ، ودعت إلى ضرورة التجاوز عن الخلافات بين الجنسين والتشديد على النواحي الإنسانية المشتركة،والعدالة تقتضي ألا تُحجب المرأة في البيوت ولا يُنظر إليها باعتبارها أقل من الرجل ، فالرجال والنساء يشتركون معًا في كل ما مرّ بهم من أحداث وظروف ، وفي منتصف القرن العشرين جاء بعض المطالبين بحقوق المرأة يتساءلون عن السبب في عدم ذكر المرأة كالرجل في النصوص الكتابية ، وفي أحداث تاريخ الكنيسة ، وبدأ مناصرو حقوق المرأة في انتقاد الأسس التي وضعها الآباء الأقدمون ، بغية أن يجعلوا خبرات النساء وآراءهن متاحة للعالم بأسره [(١)].

ثم انتقلت العدوى من أمريكا إلى باقي دول العالم ، ومن هؤلاء :

ماري أسعد « مصر » [(٢)] :

« ورؤيتي هي أن نقيم مجتمعًا مثاليًا للنساء والرجال ، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلاّ عندما نشرع في تحليل كل العوامل ، وكل المفاهيم التسلطية في تعاليمنا الدينية ، ونظمنا التعليمية ومجتمعاتنا ، لكننا عندما نشرع في تحليل أسباب الظلم الديني نفاجأ برد فعل مباشر يتمثل في هجوم عنيف على المرأة » .

---

(١) « المرأة في الكنيسة المصرية » صـ (٨٢ ، ٨٣) د « أنور زكي » ومرجعه : (Russell Letty (6) -M. Feminist Interpreation Of The Bible P.P 21- 22) .

(٢) « المرأة تصحح موقفها » صـ (١٤٨) تأليف : (Ranjini Rebera) ، ترجمة كرم حبيب حلمي، من مطبوعات مجلس الكنائس العالمي ، دار نوبار للطباعة سنة (١٩٩١) .

مارجوس لويس كوبر « جاميكا » (Marjorie Leuis Cooper) :

« وهي عالمة لاهوت متمرسة تقول : ورغم أن كنيستي كانت تقدمة في نواح عديدة، فإن المفاهيم التقليدية لدور المرأة كانت مختفية تحت السطح ، إلى أن حان وقت أحسست فيه بحاجتي إلى الإعلان صراحة عما أراه بشأن نُظُم المؤسسة الدينية متمثلة في الكنيسة ، أدركت أنه ليس أمامي إلاَّ التخلي عن طائفتي ، وليس عن خدمة الرب » (١).

إيفافون هيرتزبيرج « جمهورية ألمانيا الاتحادية » (Eva Von Hertzberg) :

« وأنا اليوم أؤمن بشدة بضرورة المساواة بين الجنسين ، بعدما عملت داخل التنظيمات الكنيسية والمنظمات المسيحية والهيئات ذات التسلسل الإداري الهرمي ، التي تعتمد كلها على نظام لاهوتي تسلطي الطابع ، إنها الوصمة التي توصم بها كل امرأة التي جعلتني أصبح أحيانًا قائلة : ما هو المشين في جسد المرأة ويمنع الرجال من تناول العشاء الرباني(٢) من يدها؟ ، لكني تعلمت ألا أعبر عن غضبي بمهاجمة الكنائس ، وإنما أن أوجهه في طول أناة نحو التخطيط للسياسات ، والعمل على إشراك المرأة عند اتخاذ القرارات » (٣).

ويلاحظ أن هؤلاء الداعيات لا يجاهرن ـ غالبًا ـ بعداء تعاليم الإنجيل وآراء رجال الدين فيها ، ولكنهن يَدَعُون أن ما يَدْعون إليه هو من قبيل التفسير الجديد لأحكام وفقرات الكتاب المقدس ، أو أنه تعديل يناسب الزمن الحالي .

وللأسف، فقد انتقلت العدوى من الغرب إلى الشرق، من أهل الكتب المحرفة السابقة.

ونسينا تحذير الله لنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٤ ، ٤٥].

كما تناسينا أن العالم أجمع ينبغي أن يتبع شريعتنا ليحقق سعادته لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٤٨].

---

(١) « المرأة تصحح موقفها »، تأليف : (Ranjini Rebera) ، ترجمة كرم حبيب حلمي، من مطبوعات مجلس الكنائس العالمي ، دار نوبار للطباعة سنة (١٩٩١) ، صـ (١٥٠ ، ١٥١) .

(٢) عقيدة العشاء الرباني هي الإيمان المسيحي بأن من يتناول خبزًا لم يسبق تخميره وخمرًا، فكأنما أكل لحم وشرب دم المسيح حقيقة، حيث سيتحول ما تناوله إلى لحم ودم المسيح، وهي خرافة يعارضها البعض .

(٣) « المرجع السابق » صـ (١٥٨) .

الفصل الثانى

عمل المرأة بين المعارض والمؤيد

المبحث الأول : الآراء المعارضة لعمل المرأة .

المبحث الثانى : الآراء المؤيدة لعمل المرأة على إطلاقه .

المبحث الثالث : عمل المرأة فى فكر المتعلمات .



الفصل الثاني

عمل المرأة بين المعارض والمؤيد

توطئة :

اختلف المفكرون في الفكر العربي الحديث حول مسألة عمل المرأة ، فثمة من يرى أن عمل المرأة ينبغي ألا يتعدى حدود المنزل ، وهناك تيار آخر يرى أن عمل المرأة خارج المنزل قد تقتضيه ظروفها ، إذا كانت في حاجة إلى العمل للصرف على نفسها ، أو على أولادها إن كانت أرملة ، وثمة تيار ثالث يرى أن عمل المرأة ضروري لتحريرها من صلف الرجل واستبداده ، كما أن هذا العمل يعطيها القدرة على اختيار الزوج ، واختيار حياتها بشكل أفضل مما لو كانت غير عاملة .

ولم يختلف الأمر في الفكر الغربي الحديث ، وفي جميع الأحوال فالمعارضون أغلبهم يؤيد عمل المرأة بشروط خاصة سواء تقوم على أسس دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو غيرها ، والمؤيدون تتزايد نسبة المنادين لعمل المرأة المطلق دون ضوابط من أي نوع ، نتيجة للإعلام الغربي وما خلقه الغرب من منظمات حكومية وغير حكومية ، للنداء بمساواة المرأة بالرجل في كافة الأعمال ، وذلك خدمة لأغراضهم التجارية والاقتصادية والجنسية التي ترمي لهدم الأخلاق .

وفي هذا الفصل سنعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : الآراء المعارضة لعمل المرأة .

المبحث الثاني : الآراء المؤيدة لعمل المرأة على إطلاقه .

المبحث الثالث : عمل المرأة في فكر المتعلمات .



المبحث الأول
الآراء المعارضة لعمل المرأة[١]

المتتبع لآراء المعارضين لعمل المرأة خارج بيتها من المفكرين بصفة عامة أو علماء وفلاسفة الإسلام بصفة خاصة ، ورجال الأديان الأخرى ، يجد أن معارضتهم ليست مطلقة ، ولكنها ترتبط بشروط إنسانية منها : حاجة المرأة للعمل مع تباين الأسباب ، وأيضًا حاجة المجتمع لمشاركتها في تنميته الفعلية الضرورية اللازمة ،وليس منافسة الرجال لاغتصاب الأعمال منهم ، وتحقيق البطالة بأنواعها من مقنعة ـ زيادة حجم العمال بلا داع ـ أو حقيقية ، عدم وجود أعمال للراغبين في العمل المؤهلين له مع مراعاة الضوابط الشرعية في الحجاب والاختلاط ، وأيضًا ضرورة مساعدة المجتمع للمرأة العاملة لتستطيع النجاح بقدر المستطاع في مهنتين كلاهما شاق ، ومن هذه المساعدة ضرورة عمل المرأة فيما يناسبها من أعمال .

وتلك الضوابط وهذه الشروط لا ترجع لدونية المرأة ، ولكن لطبيعتها كأنثى ، وهبها الله من المزايا الجسدية والجنسية والعاطفية ما يؤهلها أولاً لوظيفتها العظمى والأساسية ، وهي الزوجة والأم ، التي هي الأصل وما بعدها الفرع والاستثناء .

أولاً : رأي علماء وفلاسفة الغرب :

الواقع أن رفض عمل المرأة ومساواتها بالرجل في كافة الوظائف في الغرب لا ينبع من الأساس الديني ، ولكن مرجعه هو الخوف من تبعات ونتائج هذا العمل التي يمكن أن تؤدي إلى نكسات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية على الأقل منها :

أ ـ النكسات الاجتماعية :

١ ـ الخوف من انهيار نظام العائلة :

يقول « وليام هـ. تشيف » في كتابه المرأة الأمريكية :

« فإذا تقلدت النساء وظائف على نفس مستوى الرجال، فلن يكون في استطاعتهن أن يتحملن وحدهن مسؤولية البيت ، إن النساء لا يستطعن تحقيق المساواة الاقتصادية إلا إذا

---

(١) نقصد عمل المرأة على إطلاقه دون اعتبار لشروط عمل المرأة في الإسلام .

حدث أحد أمرين هما : إما أن ينتهي وجود العائلة في تركيبها الحالي أو أن شخصا آخر يساعد فى العناية بأمر الأطفال ، ويعد الوجبات الغذائية ، ويحافظ على سلامة البيت ، إن التغيرات في كلتا الحالتين هددت التحديد التقليدي لمكان المرأة واستلزمت حدوث ثورة اجتماعية لم يكن معظم الأمريكيين مستعدين لتقبلها»(١).

٢ ـ الخوف من فشل العمل داخل وخارج البيت :

يستطرد الكاتب قائلاً : « إن الزوجة التي كانت تعمل خارج البيت وترى شؤون عائلتها كانت تضطلع بوظيفتين معًا كل الوقت ، ومن ثم فإن مسؤوليتها المزدوجة منعتها من أداء وظيفتها على نفس الأساس الذي يؤدي عليه الرجل وظيفته في عالم العمل والأشغال ، وبأبسط العبارات وجدت كثير من النساء العاملات اللاتي يعتبرن ربات بيوت كل الوقت أنه من المستحيل عليهن الاضطلاع بالوظيفتين بدون التعرض للإرهاق والاستهلاك أو الحصول على إجازات العمل ، فالنساء بعد أن يعملن ثماني ساعات ، عليهن أن يذهبن إلى السوق لشراء الطعام لهن ولعائلاتهن ، وإلى جانب ذلك تزيد مهام الطهو والتنظيف وكي الملابس من عبء المرأة العاملة (٢).

٣ ـ الرعب من ضياع مفهوم الأمومة :

يقول « وليام هـ. تشيف » :

إن ظاهرة الأمومة كانت بمثابة نقطة انطلاق للجدل حول دور النساء اللائق ، كان أول من أثار هذه الظاهرة أو المبدأ هو « فيليب ويلي » عام (١٩٤٢) ، وقد وصف هذا المبدأ جنون عبادة الأم في الولايات المتحدة ، كان الدبلوماسيون يشربون نخب الأم ويجري الاحتفال في عيد وطني والتغني بها بالأغاني ، كانت الفرق الموسيقية تتغنى باسمها في التشكيلات ، وكان الشباب يستخدمونها كمستوى لاختيار شريكات حياتهم ، ولما لم يكن هناك أي شيء يشغل النساء ، فإنهن كن يكرسن كل أوقاتهن لأطفالهن ويغمرنهم بالحب والحنان حتى يظلوا ملتصقين بالبيت (٣).

هذا، وقد تبدل الحال نتيجة عمل المرأة ومغادرتها البيت ومعها الأمومة الحقة ، ففي أثناء الحرب العالمية الثانية « أجرى الأطباء النفسيون اختبارات على الجنود ، وجدوا أن هناك

(١) « المرأة الأمريكية » صـ (٥٨) .
(٢) « المرجع السابق » صـ (٩٤، ٩٥) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (١١٤) .

معدلاً مرتفعًا مثيرًا للقلق والاضطرابات النفسية ، وقد أعفى ثلاثة ملايين بالاضطراب العاطفي ، وأنحى د « إدوارد ستريكر » المستشار النفساني لوزير الحربية باللائمة على النساء اللائي فشلن في وظيفة الأم الأولية ، وهي فطام صغارهن عاطفيًا وماديًا ، وقد أرجع «فرديناند لوند نبرج » هذه المشكلة إلى انهيار البيت كمؤسسة اجتماعية ، وقال : إن هذه المشكلة مرض عميق الجذور ، شجع الإناث على رفض غرائزهن الطبيعية المبنية على أساس الجنس ، وذلك في محاولة يائسة ليصبحن مقلدات للرجال [١].

كما يرى أنه لا يمكن للنساء أن يحققن الصحة أو السلامة العقلية إلا إذا عدن إلى اعتبار البيت هو المكان الرئيسي لوجودهن [٢].

ب ـ النكسات الأخلاقية :

يقول الكاتب عن حال أمريكا نتيجة عمل المرأة [٣]:

« إذا كان هناك من كانت تعتبر رمزًا للعصر الجديد ، فهي المرأة المتحررة لا المرأة العاملة ، والفرق بين الاثنتين كبير جدًا ، وخاصة بالنسبة لطبيعة « تحرير المرأة » ، ولما كانت المرأة قد لقيت دعاية في روايات « ف. سكوت فيتزجيرالد » وكانت مصدر قلق لمجلات مثل « أميركان ميركيوري » ومجلة « ليديز هوم جرنال » ، فقد استلفتت خيال الناس في السنوات من عام (١٩١٠ : ١٩٣٠) ، وسيطرت على الحديث عن السلوك والأخلاق ، ولقد ذكرت إحدى بطلات القصص القصيرة « أنني أعني أن أفعل ما يروق لي لي . . دون أي قيد » ، إن الحرية هي الجوهر العصري أي أن يحيا المرء حياته وبطريقته ، وأخذت المرأة المتحررة بشعرها المسدل على كتفيها وبنطلونها الضيق تنتقل من مجازفة إلى أخرى ، وتمارس التجارب من أجل التجارب ، ولقد أثار سلوكها الغريب من مدينة نيويورك إلى لونسييه بولاية إنديانا ، سخط وغضب هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بالأنثى الطيبة ، وليس ثمة سبيل لمعرفة عدد النساء اللائي سلكن السلوك الذي وصفته مقالات المجلات .

بيد أن هناك دليلاً قويًا على أن ثورة في السلوك والأخلاق حدثت في أمريكا ، فقد

---

(١) « المرأة الأمريكية » : صـ (١١٤ ، ١١٥) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١١٦) .

(٣) سيلاحظ القارئ أن ما حدث منذ مائة عام ما زال يحدث الآن مع زيادة درجة الانحطاط الخلقي والجنسي .

وصلت المناقشات الشعبية العامة حول الجنس إلى مستوى لم يسبق له مثيل خلال السنوات (١٩١٠ : ١٩٣٠) ، وارتفع عدد المقالات الخاصة بتحديد النسل والدعارة والطلاق والآداب الجنسية ارتفاعًا كبيرًا ، كما أن قليلاً من القصص القصيرة أظهر أنه في المدة بين عام (١٩١٥ : ١٩٢٥) ، أزيلت المحرمات المقرونة بالجنس عامة والخيانة الزوجية خاصة من عقل الطبقة المتوسطة في أمريكا ، والأهم أن الكلام عن الأخلاق الجديدة قد ترجم إلى عمل ، إن النساء اللائي ولدن بعد نهاية القرن قد مارسن الجنس قبل الزواج تمامًا مثل النساء اللائي ولدن قبل عام (١٩٠٠) ، وأن التغيير الحرج قد حدث في الجيل الذي وصل إلى سن النضج في أواخر العشرة الأعوام الثانية من القرن وأوائل العشرينات ، وقد زاد الجنس بعد الزواج خلال هذه المدة ذاتها مما يفند الرأي القائل بأن الخلائق الجديدة ليست سوى تقليعة من تقاليع الشباب لا تلبث أن تتلاشى بتحمل المسئوليات العائلية .

ولعل الأهم من ذلك كله أن زيادة في الحرية الجنسية لم تغير بالضرورة التوزيع الأساسي للأدوار بين الرجال والنساء ، ولم تتدخل التحولات في السلوك والآداب والأخلاق في استدامة الانقسام الجنسي للعمل حيث كانت النساء تضطلع بمسئولية البيت ، في حين أن الرجال خرجوا إلى العالم ليدبروا أسباب معيشتهم (١) .

جـ - النكسات الاقتصادية :

تتعدد تلك النكسات ، ويمكن تلخيصها (٢) :

١ - البطالة :

بدأ الرجال في أمريكا يخشون اكتساح المرأة لجميع ميادين العمل بشكل يهددهم بالبطالة ، ولوحظ أن نسبة العاملات ترتفع بشكل مخيف جدًا في كل عام .

وفي إنجلترا اقترحوا عدم قبول طلب المرأة المتزوجة للعمل إلا بعد الاكتفاء بالرجل أولاً ؛ لأنَّ توظيف النساء أدى إلى بطالة قسم كبير من الرجال (٣) .

٢ - انخفاض العائد الاقتصادي لعمل المرأة :

لا يكون ذلك إلا إذا احترفت المرأة أعمالاً لا تناسبها كأنثى ، فإذا عملت في

(١) « المرأة الأمريكية » : صـ (٥٦ : ٥٨) .
(٢) سنذكر البيانات التفصيلية في كتاب « مساوئ المرأة » حديثًا إن شاء الله .
(٣) د « سامية الساعاتي » : « علم اجتماع المرأة » صـ (٥٨) ، ومرجعها جريدة الأهرام المصرية ، والمرأة بين الفقه والقانون ، لمصطفى السباعي .

استصلاح الأراضي أو البناء والتشييد وما يماثلها من أعمال تستوجب طول فترة الغياب عن العائلة مع بذل الجهد العضلي الوافر ، فإن إنتاجيتها سوف تقل عن الرجل وبالتالي لو تساوت معه في الأجر ، لكان العائد الاقتصادي من عملها متدني ، ناهيك عما تناله من إجازات وضع وساعات رضاعة ، وسنوات لرعاية الأطفال سواء بأجر أو بنصف أجر ، إضافة للتفريط في العائد الاقتصادي الهام الناتج عن تفرغها لعملها في البيت .

٣ـ زيادة الطلب على سلع وخدمات المجتمع أحق بها :

نتيجة عمل المرأة ، لجأت إلى الرضاعة الصناعية ، وبالتالي حصلت على ألبان المجتمع في حاجة ماسة إليها ، كما أن نقص الرعاية للأطفال وعدم التفرغ لهم أدى لتعرضهن لأمراض كان يمكن تفاديها وتلك الأمراض تحتاج الكثير من الأدوية ، ومن ثم الكثير من المال ، وهي بتكرار الاستعمال ضارة بصحة الأطفال على المدى البعيد.

ولا ننسى أن خروج المرأة للعمل أدى إلى تمسكها بالزينة الصناعية والتمسك بموضات الملابس والأحذية وباروكات الشعر ، وغير ذلك الكثير ، مما أنشأ طلبًا متزايدًا على هذه الأشياء فرفع ثمنها فزاد الأغنياء غنًا ، وزاد الفقراء فقرًا .

ثانيًا : آراء علماء وفلاسفة الشرق والإسلام :

لا تختلف تلك الآراء عن آراء علماء وفلاسفة الغرب كثيرًا ، ولكن مرجع المسلمين في معارضة عمل المرأة ـ أحيانًا ـ هو التمسك بتعاليم الدين الإسلامي التي لم تنكر ضرورة عمل المرأة أحيانًا ،ولكن وفقًا لشروط خاصة وضوابط منظمة ، والواقع أن هناك شبه اتفاق فقهي على هذه الشروط ، وتلك الضوابط ، وهذا لا يمنع معارضة بعض غير علماء الدين لعمل المرأة خوفًا من مضاره .

١ ـ رأي العلامة « محمد فريد وجدي » :

عاصر النابغة والداعية الإسلامي الكبير « محمد فريد وجدي » بداية الدعوة لتحرير وتحرر المرأة في العصر الحديث ، والتي من أشهر أقطابها « قاسم أمين » ، وقد فند «محمد فريد وجدي » مطالب قاسم وأقرانه من الرجال والنساء في مقالات عدة ، وأيضًا في موسوعته العظيمة « موسوعة القرن العشرين » .

والواقع أن « محمد فريد وجدي » لم يحرم عمل المرأة إلا إذا كان غاية في حد ذاته وليس لضرورة ، وقد سبق عصره في التنبؤ بمضار عمل المرأة إذا لم ينظم وفقًا لأحكام الإسلام ، ومن آرائه في ذلك :

أ ـ صعوبة النجاح داخل البيت وخارجه والنجاة من مضار الاختلاط :

يقول مستدلاً على رأيه : « إني رأيت كثيراً من الذين يتكلمون عن المرأة يتخيلون امرأة كاملة في وسط رجال كاملين ، وفي وجود لا نقص فيه فيهبونها من الأوصاف والنعوت الجميلة ما يجعلها النموذج الخيالي المبرأ من شوب النقائض على وجه الإطلاق ، كأن تكون كاملة في جمالها وطبائعها قرة عين زوجها وأهلها مربية عارفة بواجبات وظيفتها، تؤدي أعمالها البيتية على أتم نسق وأقوم منوال ، ثم تهب جزءاً ثميناً من وقتها في تحسين حال الأمة من جهة الخارج بمشاركتها للعلماء في أبحاثهم وللفلاسفة في أخلاقياتهم وللرحالات في مكتشفاتهم، وفي الجملة تكون كل شيء سواء أكان في الداخل « البيت » أم الخارج « العمل خارجه » نعم حبذا لو كان الأمر كذلك ، ولكن لقوانين الحياة سيراً غير ما نظنه ، ولشؤون الوجود أدواراً قد لا تخطر لأعقلنا على بال » [١].

ب ـ النفس البشرية ضعيفة أمام فرص الاختلاط :

« فإذا تكلمنا عن المرأة مثلاً فيلزمنا قبل كل شيء أن نشبع أفكارنا بأنا نتكلم عن المرأة الآدمية ، الموجودة بين شعب كل أفراده « آدميون » لهم نزوات ونزعات وأهواء ونقائص ، وأننا في عالم أرضي غير مُبرأ من الشرور والمصائب [٢] وصدق تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

جـ ـ لا يجب تعجل السرور لنجاح بعض النساء :

إن الله جلّ شأنه قد وهب كل كائن من الأعضاء والقابلية ما يحتاج إليه في أمر معاشه ووظيفته الخاصة التي يرتبط بها كماله ، وأنه قد يستطيع ذلك الكائن أن يخرج عن دائرته الخاصة حيناً من الأحيان ، فتستحسنه العين برهة من الزمان لا لكونه مستأهلاً لذلك، ولكن لمحبة النفس رؤية الجديد من الأشياء ، ولكنها لما تعتاد رؤيته قليلاً وتقف على عصيانه لأحكام تركيب تمجه وترى سائر عيوبه مجسمة ، مثال ذلك : أنا إذا سمعنا أنه قد نبغت فينا امرأة سياسية تجد في أنفسنا من البشر والسرور ما يحملنا على تحبيذ تلك السياسة الجديدة واعتبارها مثالاً كاملاً في عالم النساء ونظل نترنح عجباً كلما رأينا خطبة من خطبها في الجرائد ، ولكن لو نبغ بعدها سياسية وسياسيات وطبيعية وطبيعيات وفلكية وفلكيات ومهندسة ومهندسات وأشعرتنا الطبيعة بلسان أحداثها أن هنا أمراً ستحدثه علينا

---

(١) « موسوعة القرن العشرين » : صـ (٦٣١) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٦٣١ ، ٦٣٢) .

من جراء هذا البدع الجديد يتغير في الحال فكرنا ونصبح قائمين على تلك المسترجلات غير راضين عنهن بوجه من الوجوه ! ولكن ماذا يغني تأسفنا في ذلك الوقت ؟

وذلك أننا بمجرد سماعنا أن هنالك مهندسات ودكتورات يأخذنا العجب ويداخلنا الفرح فينسيانا ما يجب أن نتذكره فنعمل على إحداث مثله حالاً غير حاسبين للمستقبل حسابًا طاعنين على كل ما يقاوم تلك الحركة ناسبين إليه التعصب والخضوع لسلطة الوهم والوراثة إن قلنا لهم يا قومنا إن أولئك الغربيين الذين تستشهدون بأحوالهم قد شبعوا من تلك الدكتورات والمهندسات وسئموا هذه الألقاب بالمرة وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من التمرد على أحكام الكون ، وإنهم قاموا يكتبون وينذرون[1] ويصيحون ، وها هي كتاباتهم وإنذاراتهم بوجوب تغيير تلك الحالة تغييرًا ذريعًا ، إن قلنا لهم ذلك قالوا : ذلك وهم باطل ، وضرب من ضروب المغالطة في المناظرة ويذهب بهم الإعجاب بما سمعوه عن نجاح النساء في ضروب المعيشة إلى تكذيب كل قائل كائنًا من كان [2].

د ـ النصيحة بعدم التقليد الأعمى للغرب فيما يضر :

ولكن ما العمل هذه سنة طبيعية ، وإن شئت فقل فتنة اجتماعية تؤثر في الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة تأثير السحر وأكثر ، حتى أن كثيرًا من صفات الشرقيين أصبحت تقليدية محضة لو سألتهم عنها لما وجدوا جوابًا ، أشيع مثال وأبسطه يمكنك أن تراه في كل لحظة سلام طائفة من الناس بعضهم لبعض بلغة أجنبية لا يدرون منها حرفًا واحدًا ولا يحسنون النطق بها لو تكلفوه ، هذا شأن العامة في كل أمة متأخرة ، ولكن الخاصة يجب أن يترفعوا عن هذ الحضيض وأن يكونوا أعلام هدى يؤوب إليهم التائه وأراكين تقي يعتصم إليهم الهارب من وجه الفتن [3] ، وهذه النصيحة الغالية التي كنت أتمنى اتباعها أوضحها الله تبارك وتعالى ، فقال : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

٢ ـ رأي العلامة « محمد رشيد رضا » :

إن ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعبادته محدود ، ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات ـ إن كان في

(١ ، ٢) « موسوعة القرن العشرين » : صـ (٦٣٦ ، ٦٣٧) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٦٣٧) .

بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ، ألم ترى أن تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيرًا على النساء في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، وقد صار الآن متوقفًا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة؟ أي الأمرين أفضل في نظر الإسلام : أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مَرِضَ أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته « أسراره »؟! وهل يتيسر على الزوجة أن تمرض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الأدوية .

وما قضى به النبي ﷺ بين بنته وربيبه وصهره عليهما السلام هو ما تقضي به فطرة الله تعالى ، وهو توزيع الأعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالأعمال فيه ، وعلى الرجل السعي والكسب خارجه ، وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة ، وهو لا ينافي « يتعارض » استعانة كل منهما بالخدم والأُجراء عند الحاجة ، ولمساعدة كل منهما للآخر في عمله إذا كانت هناك ضرورة .

يقول الله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ويقول الله تعالى أيضا : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [المائدة : ٢][(١)].

كما يقول العلامة رضا عن مهام الرجل والمرأة :

فعليه - الرجل - جميع الأعمال الخارجية في أصل الفطرة ، ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة في جميع الأعمال الداخلية المحضة ، قال رسول الله ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهـو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها** » متفق عليه[(٢)].

وهذا الرأي يوضح لنا ضرورة إعداد المرأة وتعليمها لتكون زوجة صالحة وأم بارة ، وأن مهمتها الرئيسية هي إدارة ورعاية البيت ، وعلى الرجل مساعدتها في ذلك كلما أمكن كما يجوز مساعدتها له خارج البيت بالعمل عند الضرورة .

---

(١) « السيد محمد رشيد رضا » : « حقوق النساء في الإسلام » : صـ (٤١ : ٤٣) هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة (١٤٢٤) هـ ، الجزء الأول .

(٢) حقوق النساء فى الإسلام ص (٤٦) .

٣ ـ رأي الشيخ « مصطفى الغلاييني » [1] :

يرى أن الرجل والمرأة قوام هذه الحياة ، وإن للرجال أعمالاً لا يجوز أن تعتدي عليه فيه المرأة ، وإن للمرأة أعمالاً لا يجوز للرجل أن يعتدي عليها فيها ، خص الله المرأة بأعمال تناسب طبيعتها ، وتربيتها فكانت ربة البيت تعني بشؤونه ، وتربي أولادها على صالح الأعمال ، وفاضل الأخلاق ، وتحوط مملكتها الصغيرة بما أوتيت من حنان ، وشفقة، وعطف ، ولكنها إذا خرجت عن هذه الدائرة مشى الرجل ووقفت هي ؛ لأنها قاصرة ، وعاجزة عن مجاراته في الأمور الأخرى ؛ ولهذا فالمرأة لدى الغلاييني لا تتعدى وظيفتها حدود المنزل ، وينبغي عليها أن تترك أعمال الرجال للرجال وبالتالي ، فإن من يسعوا إلى إخراج المرأة من بيتها ، فإنما يسعون إلى قتل مواهبها وأخلاقها وأنوثتها ، فلا تنخدعي بأقوال طغمة من فساق الرجال السفهاء ، الفاسدة الأخلاق الذين لا يروقهم إلا أن يروا المرأة بينهم ليتمتعوا لجمالها ولين حديثها كما أن خروج المرأة الغربية إلى العمل أضعف جسمها ، وأفسد أخلاقها ، وجعلها تهجر بيتها ، وتهمل أولادها .

واتهم « الشيخ الغلاييني » نظيرة بأنها تريد بدفع المرأة للعمل خارج منزلها أن تصبح المرأة رجلاً ، فيقول : أنت ومؤلفو كتابك ، وأنصاركم تريدون أن تخالفوا حكم الله ، وسننه في خلقه ، بتحريض المرأة على مباراة الرجل في أعماله الخاصة ، والقذف بها في معترك لا تقوى عليه فطرتها ، ولا يقف في وجه استعدادها على أن المرأة إذا اعتدت على الرجل في أعماله وزاحمته فيما هو من شأنه ، انثنى عن العطف عليها ، وحياطتها ، وحمايتها ، وكفايتها ؛ لأنها تصير رجلاً مثله ، بذلك تفقد سعادة الحياة البيتية ، ويضيع معنى الزوجية ، وتتساوى الرجولة والأنوثة .

ولا يغيب عن الذهن أن الشيخ « مصطفى » كان يعارض برأيه الداعين لعمل المرأة في شتى الأعمال دون نظر لأنوثتها وطبيعة العمل والآثار المترتبة على ظلمها بعملها داخل وخارج بيتها ، وهذا الرأي كان ردًا على آراء « نظيرة زين الدين » .

٤ ـ رأي الأستاذ « عباس محمود العقاد » :

يقول رحمه الله : « يحدث في المجتمعات الحاضرة أن تَحُول « تمنع » العوارض «العوامل والمستجدات » الكثيرة دون انتظام المجتمع على هذه السُنة القويمة من توزيع

(١) « المرأة في الفكر المعاصر » : صـ (٣٨٧ ، ٣٨٨) ، والشيخ الغلاييني أحد علماء الأزهر ، وقد تصدى للرد على الكاتبة ، « نظيرة زين الدين » في كتابها « السفور والحجاب » .

الأعمال وتقسيم الحقوق لاختلال أوضاعه السياسية والاقتصادية والنفسية ، فيما يعم الرجال من جميع الطبقات ولا يخص المرأة وحدها بين حياة الأسرة والحياة العامة ، فتضطر المرأة إلى الكدح لقوتها وقوت صغارها ، وتعجز عن تكاليف الأمومة ، وتدبير البيت ، والمشاركة بحصتها في الحياة الزوجية ، وهذه حالة خلل تتضافر « تتعاون » الجهود لإصلاحها وتبديلها ، ولا يصح أن تتضافر لإبقائها واستدامتها وإقامة الشرائع والقوانين لتثبيتها ، وعلى هذا النحو تضافرت الجهود من قبل على إصلاح الخلل الذي كان يدفع بالأطفال إلى العمل لمعاونة الآباء والأمهات في تحصيل أقواتهم .

وقد تلجأ المرأة غدًا كما تلجأ اليوم إلى كسب الرزق ودفع الحاجة ، والاعتصام بالعمل من الضنك والتبذل ، فإذا سيقت المرأة إلى هذه المآزق ، فليس في أحكام الإسلام حائل بينها وبين عمل شريف تزاوله ، وفي وسع المرأة المسلمة التي تحرم قوامة البيت «الزواج » أو عدم إنفاق الولي عليها « أن تزاول من العمل الشريف كل ما تزاوله المرأة في أمم الحضارة ، وذلك حقها الذي تملكه ، كلما سبقت إليه أو كلما اختارته لمصلحتها ، وذلك حقها الذى تملكه كلما سيقت إليه أو كلما اختارته لمصلحتها ، وذلك حقها في القرآن الكريم »[1].

والملاحظ أن العقاد أوضح أن خروج المرأة للعمل دون ضرورة هو عين الظلم لها ، ويجب أن تعمل المجتمعات على مقاومة هذا الفساد ، ولكن إذا اضطرت للعمل لظروف وحاجات شرعية ، فهذا من حقها الذي كفله الإسلام لها .

٥ ـ رأي فضيلة الشيخ « محمد الغزالي » :

يقول رحمه الله تحت عنوان : « مراعاة الوظائف واجبة » :

في جنون المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في ميادين الأعمال ، وقعت قصة تستحق التسجيل ، فقد رأى البعض تشغيل الفتيات محصلات في الحافلات العامة ! والباصات في القاهرة تغصّ بحشود من البشر يزحم بعضها بعضًا ، فلا يكاد الرجل الجلد يجد طريقًا بينها ، فكيف بالفتيات ؟

وعاشت التجربة يومًا ولم تتكرر . .

ورأيت في عاصمة عربية «شرطية» تنظم المرور، فقلت: هذا عمل شاق، ما كان ينبغي أن تُدفَع النساء إليه! قد تشتغل المرأة شرطية لتفتيش النساء مثلاً، وما يشبه هذه الأعمال الخاصة، أما الوقوف في الحر والبرد ، وَدَوَرَان البصر وراء قوافل السيارات والمشاة فلا . .

---

(١) « عباس محمود العقاد » : « المرأة في القرآن الكريم » صـ (٧٤ ، ٧٥) ، دار الهلال .

وعندي أن الرجل أقدر على العمل في الطائرات من المرأة ، وأن وظيفة « مضيفة » ينبغي أن تختفي ، لاسيما في الرحلات البعيدة التي تفرض المبيت في الفنادق ، والبعد أيامًا عن الأهل . .

وحكى لي صديق قادم من موسكو ، قال : إن النساء هناك يغسلن الشوارع في الصباح ، ويشتغلن بالأعمال كلها ، وإن خصائص الأنوثة من نعومة ورقة تكاد تختفي مع قسوة الواجبات التي تفرض على طوائف العاملات ، بل حكى لي أنه رأى عجوزًا تصعد مساء إلى السيارة قافلة إلى بيتها ، وهي تترنح لا أدري أهي سكرى أم من الإعياء إنني أرفض هذه المساواة في الأعمال ، وعندما كنت شابًا رأيت في قريتنا رجلاً وزوجته يديران « الطمبور » يَرْويان أرضهما ! قلت : هذا عمل شاق ، وقد جربته فأتعبني! لأن المرء يكلف في كل دورة برفع عدة « جالونات » إلى أعلى .

يمكن للمرأة الفلاحة أن تبذر الأرض مثلاً ، أما الأمومة والأنوثة فلا ينبغي تعريضها للمشاق المعنتة . .

من أجل ذلك وافقت وأنا مستريح الضمير على ما نشرته منظمة الصحة العالمية ، شرق البحر المتوسط ، في تقريرها الأخير ، قال : وفي جميع الأحوال لا يليق بالمرأة أن تعمل في المجالات التي لا تلائم طبيعتها ، وأن تدخل في أي ضرب من ضروب الصناعة والحرف المضنية ، فالمجالات التي تحسنها المرأة وتتناسب معها كثيرة ومتعددة ، كميدان التعليم والطب والتمريض ، والرعاية الاجتماعية ، والكتابة والنشر ، وبعض الوظائف غير المرهقة ، وتستطيع فوق كل ذلك أن تغشى الأسواق في حشمة ووقار فتبيع وتبتاع .

أما أن تعمل المرأة كل أعمال الرجال ، كأن تكون شرطية وميكانيكية؟ وعاملة في المصانع ، ومنظفة في الشوارع ، وسائقة للعربات وأدوات النقل وما شابه ذلك ، فلا يليق بها ولا يجوز لها أن تزاوله ، وقلما تساوي الرجال في هذا المجال . .

والدول الصناعية لم تنظر إلى عمل المرأة على أنه مساوٍ لعمل الرجل ، ولذلك اختلفت الأجور التي يتقاضاها الرجال عن الأجور التي يتقاضاها النساء ، كما يلاحظ ذلك من بعض الإحصائيات العالمية ، حيث نجد أن هذه تتراوح ما بين (٥٩ : ٧٩) ٪ ، من الأجور التي يتقاضاها الرجال في الأعمال المتماثلة [1].

---

(١) الشيخ « محمد الغزالي » : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، صـ (٣٨ ، ٣٩) ، مكتبة الأسرة (١٩٩٩) .

ويتبين أن الغزالي رحمه الله وافق على عمل المرأة فيما يناسبها من أعمال لا على إطلاقه ، وهذا من أحكام الدين الإسلامي ، وقد استدل فضيلته على صحة الرأي ، بما أوردته منظمة الصحة العالمية من آراء مسببة .

٦ـ رأي فضيلة الشيخ « محمد متولي الشعراوي » :

« الرجل والمرأة متشابهان ، ولكنهما مختلفان عند توزيع الطاقات ، الرجل محتاج إلى عقل لا يتأثر بالعاطفة ، والمرأة محتاجة إلى عاطفة لا يقبلها العقل .

ومن تمام كمال خلق المرأة ، أنها خلقت من ضلع أعوج ، لتحنو على طفلها وتربيه، وعندها الصبر الكبير الذي منحها الله إياه لتقدر على هذه المهمة الشاقة ، والعوج في الضلع ليس عيبًا ولكنه ميزة . .

ولو نظرنا إلى عمل المرأة لأشفقنا عليها ؛ لأننا سنجد أن عملها أصعب وأشق من عمل الرجل ؛ لأنّ عمل الرجل محصور في طلب الرزق ، ثم راحة بعد ذلك ، أما هي فعملها يبدأ عندما تعود إلى البيت بعد يوم عمل شاق في وظيفتها لتجد أمامها أطفالها وزوجها وبيتها ، كل منهما يطلب طلبًا قد يقال : إن المرأة في الريف تعمل في الحقل وفي المنزل ، نقول نعم ، ولكنها تعمل مع بنات جنسها ، أو أشقائها أو محارمها ، وكلهم يعمل معها ، فإذا كانت يومًا متعبة أعانوها ، وإذا كان العمل كثيراً ، فهي يمكن أن تعود إلى بيتها متى شاءت [(١)].

وهذا الرأي يوضح أن أصل عمل المرأة التي خلقت من أجله هو العمل في البيت كزوجة وأم ، كما يجلي حقيقة أن الجمع بين العمل المنزلي والخارجي هو عين الظلم للمرأة، حيث إنها ستحترف مهنتين كلاهما شاق .

كما أوضح ـ رحمه الله ـ طبيعة عمل المرأة في الريف .

هذا ، ولم ينكر فضيلة ضرورة عمل المرأة أحيانًا وأوضح شروط ذلك ، واسترشد رحمه الله ، بقصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب ، ومما أوضحه اختصاراً [(٢)].

أ ـ عمل المرأة لا يكون إلا لضرورة .

ب ـ مراعاة آداب الاختلاط .

---

(١) « محمد متولي الشعراوي » : « المرأة في القرآن الكريم » صـ (١٠١ ، ١٠٢) ، أخبار اليوم .

(٢) تم الاختصار والتصرف بواسطتنا ، وقد راعينا عدم المساس بالأفكار ، حيث عرضنا النص في موضع آخر .

جـ ـ إذا انتهت الضرورة رجعت لبيتها .

أ ـ ضرورة عمل المرأة :

يقول الحق جل وعلا في سورة القصص عن موسى عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] .

أما عن سبب الحاجة للعمل : أبوهما شيخ كبير ، لا يستطيع أن يسوق الماشية إلى البئر لترتوي ، ولا عائل لهما يستطيع أن يتولى السقيا عنهما ؛ ولذلك اضطرتا إلى أن تقوما بالسقيا بأنفسهما .

ب ـ مراعاة آداب الاختلاط :

يستفاد من القصة :

أولاً : خرجت الفتاتان معًا ، ولم تخرج واحدة منهما ، بمفردها فقط ، إن المنطق يقضي بأن تخرج واحدة منهما وتبقى الثانية مع أبيها كبير السن لتخدمه وتلبي طلباته في البيت ، ولكنهما خرجتا معًا لتراقب كل منهما الأخرى . .

ورغم أن الفتاتين ابنتا نبي أو رجل صالح ، فإن ذلك لم يشفع لهما في الثقة الزائدة التي تفتح الباب لإغواء الشيطان ، وسُعَار الجنس .

ثانيًا : أنهما عندما اضطرتا إلى الخروج للعمل لم تزاحما الرجال ، بل وقفتا بعيدًا تمنعا ماشيتهما من السقيا حتى ينصرف الرعاة ، وهذا يعطينا المبدأ الثاني ، وهو أنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل ، فلا يجب أن تزاحم الرجال « عدم الاختلاط بلا ضابط » .

ثالثًا : واجب المجتمع نحو المرأة العاملة : إن موسى عليه السلام عندما وجد امرأتين بلا رجل مضطرتين للعمل ، قام هو بالمهمة ، فأخذ الماشية وسقاها بدلاً عنهما ، وهذا هي مهمة المجتمع الإسلامي .

ويستطرد فضيلته ، فيقول موضحًا : عادت الفتاتان إلى الأب الشيخ ، ولم تكتما عنه قصة ما حدث ، ولو أنهما عشقتا الخروج ومغادرة البيت ، لأخفيتا عنه هذه القصة لتخرجا كل يوم لسقاية الماشية .

جـ - عودة المرأة للبيت إذا لم تعد في حاجة إلى العمل :

أرادت ابنتا شعيب الراحة وعدم مغادرة البيت ، فقالت إحداهما لأبيها ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص :٢٦] .

وهنا سارع الشيخ الكبير العاقل الخبير بشئون الدنيا والدين بانتهاز الفرصة وزواج إحدى كريمتيه حتى يضمن لكلتاهما العودة إلى البيت ، فقال لموسى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ [القصص:٢٧](١).

وهنا تم حل مشكلة بطالة رجل وعنوسة امرأة ، وتحقيق راحة أخرى .

٧ - رأي لبيبة هاشم (٢) :

إن على النساء أن يخلصوا لخدمة وطنهم العزيز الذي لا تقوم له قائمة إلا بأمثالهم ، ونساء متهذبات متثقفات قادرات على إرضاع الأولاد لبان التربية الصحيحة ، فيفاخرون بهم ويعتزون بآدابهم وفضائلهم ومن ثم فإن للزوجة واجباتها التي لا تتغير في حالتي الفقر والغنى بل هي دائمًا أبدًا في حاجة إلى تربية أولادها والسهر على راحة رجلها وتمريضه ، والحرص على أمواله ، إلى غير ذلك من الأعمال النسائية العظيمة الأهمية .

ويعلق د « أحمد محمد سالم » على هذا الرأي قائلاً (٣) :

« ومن ثم ، فإن تركيز لبيبة هاشم على قصر وظيفة المرأة على تربية الأولاد أعمال المنزل هو موقفها الفكري إزاء عمل المرأة ، وذلك لأنهما كانت ترى أن تربية الأولاد هي أخطر وظيفة يمكن أن تقوم بها المرأة ؛ لأنَّها بذلك تبني مجتمعًا بأكمله والعكس ، فإذا خرج الابن قاتلاً أو لصًا شريرًا ، فإن هذا لا يسمى مجرمًا بل شهيدًا ، شهيد الجهل ، شهيد التربية الفاسدة ، وما المجرم الحقيقي الذي يستحق الشنق سوى تلك المرأة التي قضى شؤم الطالع على ابنها أن تكون له أمًا ؛ وذلك لأن تشكيل الإنسان في بداياته الأولى يرجع إلى الأم ، فهي التي تبث فيه المبادئ والطباع بحسب ما توحي به فطرتها ، ومكانتها حتى إذا نما الطفل جسمًا وعقلاً نمت فيه تلك الأخلاق التي تأسس عليها ، وتأصلت فيه طباع

(١) « محمد متولي الشعراوي » : « المرأة في القرآن الكريم » ، صـ (١٠٢ ـ ١١٠) أخبار اليوم ، مع الاختصار والتصرف .

(٢) كاتبة معاصرة لها عدة مؤلفات منها : « كتاب في التربية » د « أحمد محمد سالم » « المرأة في الفكر العربي الحديث » صـ (٣٧٩) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠٠٣) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٧٩ ، ٣٨٠) .

أمه ، التي وكلت إليه الطبيعة أما للعناية به ، والاستئثار بتربيته ، فهي إذن المسؤولة عن سوء أخلاقه ، ممدوحة على حسن طباعه .

ونحن نقول : إن الكاتبة رأت في أمومة المرأة وتفرغها لبيتها هو الكمال لصناعة الأجيال، وأن التهاون في ذلك هو جريمة في حق الإنسانية .

ولا شك أن ما وصلنا إليه الآن من ضياع الجيل الحالي بأكمله هو نتيجة عمل المرأة بلا داع خارج بيتها .

٨ ـ رأي « عبد القادر المغربي » [١] :

يغلب في الأمم المتحضرة أن تكون وظيفة المرأة إدارة الأعمال البيتية كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجها ، فهو يشتغل ويتعب ، ويستثمر أتعابه ثم يلقى بهذه الثلاثة إلى زوجته ، ويتكل في هنائه العائلي ، وراحته المنزلية عليها ، فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل ، أما الزوج فهو بمثابة رئيس شرف لهم ، وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف ؛ إذ قال ﷺ : « **كل نفس من بني آدم سيد ! فالرجل هو سيد أهله ،والمرأة سيدة لبيتها** » ، فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة وخصها بها ، وإن كان للرجل سيادة أخرى لا تنكر ، فكان محمد ﷺ يرى أن الزينة وإدارة المنزل هي من أكبر الوظائف لها ، وكذا قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة** » ، فيرشد الشارع المرأة في الحديث إلى واجباتها في تربية أولادها ، وهي أجد بهذا الخطاب الشرعي من الرجل ! فهو يقول لها إن تركها الاشتغال بما لا ينفعها ، والعكوف على تربية أولادها في بيتها خير وسيلة إلى دخول الجنة » [٢].

من الواضح أن هذا الرأي يقوم أساسًا على أحكام الإسلام التي تعطي خير جزاء لحسن التبعل وسكن المرأة في بيتها .

٩ ـ رأى د « أحمد إبراهيم عبد الهادي » أستاذ إدارة الأعمال بتجارة بنها :

في الوقت الذي تتزايد فيه أعداد النساء بالقوى العاملة بالمنظمات المصرية، وبالإضافة إلى التوقعات الخاصة بتزايدهن بمعدلات سريعة في الإدارة بشكل عام ، وفي الإدارات الحكومية بشكل خاص ، فإن الاختلافات في التكوين البيولوجي والنفسي والقدرات العقلية

---

(١) كاتب ومفكر إسلامي له عدة مؤلفات منها :« الأخلاق والواجبات » .

(٢) « المرأة في الفكر العربي الحديث » : صـ (٣٩٣) .

بين النساء والرجال - في المتوسط - وأيضًا اختلاف العوامل الاجتماعية والتنظيمية ينتج عنها تأثيرات سلبية في مدى فعالية النساء في العمل أو الإدارة (١).

والواضح أن الفقرة السابقة على اختصارها تحوي الكثير من النقد لعمل المرأة من الناحية العملية (٢).

(١) « إمبراطورية النساء العاملات » : صـ (١٢٧) .
(٢) انظر : « فصل مساوئ عمل المرأة في العصر الحديث » .

المبحث الثاني
الآراء المؤيدة لعمل المرأة على إطلاقه

الواقع أن هذه الآراء كلها بعيدة عن الأديان، ونشأت في الغالب نتيجة لتقليد الغرب:

أولاً : رأي قدامى الدعاة :

١ ـ قاسم أمين يقول : « فإذا أراد المصريون أن يصلحوا أحوالهم فعليهم أن يبتدئوا في الإصلاح من أوله ، يجب عليهم أن يعتقدوا بأن لا رجاء في أن يكونوا أمة حية ذات شأن بين الأمم الراقية ومقام في عالم التمدن الإنساني قبل أن تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطًا صالحًا لإعداد رجال متصفين بتلك الصفات التي يتوقف عليها النجاح ، ولا رجاء في أن البيوت والعائلات تصير ذلك الوسط الصالح ، إلا إذا ترتب النساء وشاركن الرجال في أفكارهم وأعمالهم وآلامهم ، أن يشاركنهم في جميع أعمالهم » [1].

وهنا تلاحظ أن « قاسم أمين » رأى في عمل المرأة ومشاركتها للرجل في كافة الأعمال بلا استثناء هو السبيل لإعمار البيوت ورفعة الأمة .

والواقع الأليم أن تجربة عمل المرأة خارج بيتها أدت إلى خراب البيوت ، وستؤدي حتمًا إلى انحطاط الأمم .

هذا ، وقد بدأ « قاسم » رأيه معتدلاً ثم ختمه متطرفًا ، فيقول : « ويوجد حرفتان أود أن تتوجه نحوهما تربية البنات عندنا :

الأولى : صناعة تربية الأطفال وتعليمهم ، هذه الصنعة هي أحسن ما يمكن أن تتخذها امرأة تريد أن تكسب عيشها ؛ لأنها محترمة شريفة ، والمرأة أشد استعدادًا لها من الرجال وأدرى منه بطرق استمالتهم ، واكتساب محبتهم ، وبلادنا أشد البلاد حاجة إلى نساء يعرفن هذه الصناعة ، فإنه لا يكاد يوجد عندنا امرأة يوثق بها في تربية الأولاد ، والعائلات المصرية في احتياج إلى عدد من مربيات الأطفال حتى تستغني بهن عن المربيات الأجنبيات ، كذلك لا يوجد في مصر مدارس للبنات تتولى إدارتها والتعليم فيها مصريات، وهذا نقص كبير في بلادنا حيث إننا جميعًا مضطرون إلى تربية بناتنا في المدارس الأجنبية .

---

(١) « قاسم أمين » : « المرأة الجديدة » : صـ (١٣٢) .

والحرفة الثانية : هي صناعة الطب، كل رجل يعرف مقدار الصعوبة التي يكابدها عندما تكون إحدى النساء من أقاربه مريضة ويلح عليها أن تعرض نفسها على طبيب من الرجال خصوصًا إذا كان المرض من الأمراض الخاصة بالنساء ، فإذا وجد عدد من النساء يعرفن صناعة الطب فلا شك أن صناعتهن تروج رواجًا عظيمًا بما يجدنه من الحاجة إليهن في البيوت المصرية ، وهنا نقول أيضًا أن فن الطب هو من الفنون التي تلائم استعداد النساء الطبيعي ، وما نشاهده الآن في المستشفيات العمومية، وفي العائلات من الخدمات الجليلة التي تقوم بها النساء هي أعظم برهان على أن المرأة بما جبلت عليه من الرأفة والجلد والاعتناء الشديد صالحة لمثل ما يصلح له الرجال من معالجة الأمراض ، إن لم تكن أشد صلاحية لذلك منهم [١].

ولا شك أنه لا يوجد من يعارض هذه الآراء لاتفاقها مع أحكام الأديان السماوية ، وواقع الحياة ، ولكنه بدأ يتوسع في الرأي ، فنراه يقول : « كذلك يمكن للمرأة أن تشتغل بجميع الأعمال التي قوامها الترتيب والتنظيم ولا تحتاج إلى قوة العضلات والأعصاب كالتجارة ، فكم من بيوت تجارية ارتفعت بأيدي النساء بعد أن كانت سقطت من أيدي الرجال ، وكذلك يمكن للنساء مزاولة جميع الحرف الأدبية » [٢].

كما يقول : « ولا شيء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل المرأة الغربية بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة إلا جهلها وإهمال تربيتها ، ولو أخذ بيدها إلى مجتمع الأحياء، لصارت نفسًا حية فعالة تنتج بقدر ما تستهلك ،لا كما هي اليوم عالة لا تعيش إلا بعمل غيرها،ولكان ذلك خيرًا لوطنها،لما ينتج عنه من ازدياد الثروة العامة والثمرات العقلية فيه » [٣].

ويلاحظ أن قاسمًا لم يراع توافق عمل المرأة مع أحكام الإسلام ، كذلك اعتبر المرأة التي تعمل في بيتها « عالة » على الأسرة والمجتمع ، وهذا ليس بصحيح ، فالإسلام أوجب لها من الحقوق كحق المهر ، وحق النفقة ما يجعلها صاحبة مال ، ولها من الحقوق ما يناسب تضحيتها للعمل المنزلي .

---

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (٧٠ ، ٧١) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٢) .

(٣) « قاسم أمين » : « تحرير المرأة » : صـ (٣٣) .

٢ ـ رأي « ملك حفني ناصف » « باحثة البادية » [١]:

وترفض باحثة البادية مسألة تصنيف العمل ، وإعلاء شأن الرجل على المرأة ، فتقول: يقول لنا الرجال ويجزمون : إنكم خلقتن للبيت ، ونحن خلقن لجلب المعاش ، فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ، ومن أين لهم معرفة ذلك ، والجزم به ولم يصدر به كتاب ! نعم ، إن الاقتصاد السياسي ليأمر بتوزيع الأعمال ، ولكن اشتغال بعضنا بالعلوم لا يخل بذلك التوزيع ، وما أظن أن توزيع العمل بين الرجال والنساء إلا اختياريًا بمعنى أن آدم لو اختار الطبخ والغسل ، وحواء السعي وراء القوت ، لكان ذلك نظامًا متبعًا، ولما أمكن أن يحاججنا الرجال بأنا خلقن لأعمال البيت فقط ، فمسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا إجبار فيها ، وما ضعفنا عن ممارسة الأعمال الشاقة إلا نتيجة قلة ممارسة تلك الأعمال ، وتتهم باحثة البادية الرجل في أنه السبب وراء ضعف المرأة ، بعد أن استعبدها الرجل قرونًا طوالاً ، وحتى خيم على عقلها الصدأ ، وعلى جسمها الضعف ثم يتهمها بعد ذلك بأنها خلقت أضعف منه جسمًا وعقلاً ، ولا تنكر باحثة البادية أن الرجل متفوق في بعض الأعمال ، ولكن لو تركت للمرأة حرية القيام بهذه الأعمال لتفوقت مثله ، فتقول : « نحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشافات بعظيم أعمالهم ، ولكني لو ركبت المركب مع خريستوف كولومبس لما تعذر علي أنا أيضًا أن أكتشف أمريكا ، حقيقة أن النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ، ولكن كان منهن النابغات في العلوم السياسية والفنون الجميلة أي فيما سمح لهن بممارسته ، وبعضهن فقن الرجال في الفروسية والشجاعة .

وتعترف باحثة البادية بأن الأم مهما تعلمت ، وبأي حرفة اشتغلت فلا ينبغي أن ينسيها ذلك أطفالها ؛ لأنَّ تربية الأولاد أخص بها لضرورة معاشرتها لهم في الرضاع ، وما بعد الولادة ، تعرف أطوارهم ، وتقف على أحوالهم ، وكذلك فهي أشفق بهم من الرجل ، ومن الوظائف المستحبة للمرأة صناعة التمريض والطب ، وكذا يلزم للمرأة تعليمها كافة الصناعات الضرورية لبني جسمها كالتفصيل ، والتطريز ، والقيام على تربية الأطفال والخدمة ، حتى لا تحتاج الوطنيات إلى غيرهن من الأجنبيات ، ونحن نختلف مع هذا الرأي في أمور ونتفق معه في أخرى .

ونوضح لهذا الرأي ومتبعيه أن الله في كافة الأديان أصدر « فرمانه » بأن عمل المرأة

---

(١) د « أحمد محمد سالم » : « المرأة في الفكر العربي الحديث » : صـ (٣٧٧ : ٣٧٩) .

الأساسي والرئيسي الأول هو البيت ولا عمل لها خارجه إلا لضرورة وبقدر الحاجة ، وفي أضيق الحدود مع المحافظة على آداب الاختلاط والحجاب الشرعية .

أ ـ التوراة (١) وتحديد عمل الرجل والمرأة :

أوضحت التوراة أن عمل الرجل يكون بالمشقة والجهد خارج البيت فجاء فيها : **«(١٧) ، فالأرض ملعونة بسببك ، وبالمشقة تقتات منها طوال عمرك (١٨) .. (١٩) بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض »** [التكوين : ٣] .

وعن عمل المرأة في بيتها جاء بالتوراة : « (١٦) .. **أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك »** [التكوين : ٣] .

وجاء بالموسوعة اليهودية : « **وكانت الوظيفة الرئيسية للمرأة هي حمل الأطفال ، وكانت الزوجة الجيدة والأم الجيدة تتمتع بالمديح من زوجها وأولادها** » (٢).

ب ـ الإنجيل وتحديد عمل الرجل والمرأة :

آمن المسيحيون بما جاء في التوراة عن عمل الرجل ، وكذلك المرأة وها هو « بولس » ينصح النساء قائلاً : « **(٣) كذلك أن تكون العجائز ذوات سيرة موافقة للقداس ، غير نمامات ولا مدمنات خمر ، بل معلمات لما هو صالح (٤) لكي يدربن الشابات على أن يكن محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشئون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن ..**» [تيطس ٢ : ٣ : ٥] .

ويقول القديس « يوحنا ذهبي الفم » :

« إن حياتنا تدور في حيزين ، شؤون عامة وأمور خاصة أو كلاهما مرتب من قبل الله، فالمرأة متروك لها الإشراف على شؤون المنزل ، وأما الرجل فعليه الإشراف على كل شؤون الدولة والتجارة ، وتحقيق العدالة والحكم والشؤون العسكرية وكل المهام الأخرى ، والمرأة في الأغلب أكثر إلمامًا بشؤون المنزل من زوجها ، وتستطيع أن تربي الأطفال تربية صحيحة والأطفال هم ثروتنا الرئيسية (٣).

---

(١) نقصد بالتوراة : التوراة الحالية بغض النظر عن صحتها وتحريفها من عدمه .

(٢) « الموسوعة اليهودية » : فصل الحالة التي خلقت عليها المرأة .

(٣) إليزابيث أ. كلارك : « الآباء والمرأة » صـ (٣٢) ، دار الثقافة .

جـ ـ الإسلام وعمل المرأة :

الشريعة الإسلامية ترى أن أصل عمل ووظيفة المرأة هو البيت أولاً ، ولا استثناء إلا لضرورة ، وإذا لم يصلح عمل المرأة بالبيت لفسدت الأمم ، فالمرأة الصالحة في منزلها هي معيار ومرآة تقدم الأمم ، يقول تعالى : ﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق : ١] [1].

وقد نسب الله تبارك وتعالى البيوت للنساء ، فقال ﴿ **بُيُوتِهِنَّ** ﴾ ليوضح أن المرأة في البيت والسكن ، وأنه لا فلاح لبيت بلا امرأة صالحة فيه ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣]، كما قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا** ﴾ [النحل : ٨٠] ، وقد فضل رسول الله ﷺ عمل المرأة في المنزل عن الجهاد في سبيل الله ، أتت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية « خطيبة النساء » النبي ﷺ وهو في أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا في « الجمع ، والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم في هذا الأجر ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : « **هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه ؟** » فقالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت النبي ﷺ إليها فقال : « **افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء إن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله** » فانصرفت وهي تهلل [2].

ولا شك أن عمل المرأة في بيتها أهم من الجهاد ، فالجهاد له دواعيه ورجاله وهو ليس

---

(١) الآية وردت عن عدم إخراج النساء إذا طلقن طلاقًا رجعيًا ، فمن الأولى الاستشهاد بها في حالة الوفاق .

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » للبيهقي (٢ / ١٥٣) ، وذكره ابن عساكر في « تهذيب تاريخ دمشق الكبير » (٧ / ٤٤) .

في كل وقت ، أما وظيفة المرأة في منزلها فهي في كل لحيظة « تصغير لحظة » ، وهي المهمة التي أعدها الله لها ومنحها من المزايا الجسدية والنفسية ما لم يؤته الرجل ، يقول الأستاذ « عباس العقاد » ـ رحمه الله ـ : « ومن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل؛ لأنَّ ملازمة الطفل الوليد لا تنتهي بمناولة الثدي وإرضاعه ، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعي شيئًا كثيرًا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ، وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه ، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرًا في أطوار حياتها ، ومن صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل في الرضا والغضب ، وفي التدليل والمجافاة ، وفي حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان في مثل سنها أو سن أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها ؛ إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية .

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحسّ والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة (١).

وعمل المرأة في بيتها لا يقتصر على حُسن التبعل « مهام الزوجة الصالحة » ، ولكن الأهم منه هو القيام بأعباء وظيفة الأم ، تلك الوظيفة المحببة إلى قلوب النساء وهي الفطرة الخاصة التي حباها الله بها دون سائر الرجال الذين لو اجتمعوا ما أفلحوا في القيام بها وإن أفلحت بعض النساء ـ النادرات ـ في أعمال الرجال ، فالحمل هو وظيفة المرأة لا الرجل ، يقول الخالق : ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ [لقمان : ١٤] .

كما يقول عن الرضاعة والرعاية : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]،كما يقول:﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [الأحقاف : ٢٥]،والآيات توضح أن الرعاية المفروضة ، والتي تبدأ بالحمل وتنتهي بالرضاع مدتها سنتان ونصف،هذا بخلاف الرعاية حتى البلوغ بما فيها من إشراف وتربية جسمية وخلقية ودينية وغير ذلك (٢).

وقد قيد عمل المرأة فيشمل الزوج والأولاد ومن يُلْزَم الزوج بالإنفاق عليهم ورعايتهم

---

(١) « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » : صـ (١٩٨ ، ١٩٩) .

(٢) « زكي محمد السيد أبو غضة » : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » : صـ (١٩٨ : ٢٠٠)، دار الوفاء بالمنصورة .

ومشاركتهم البيت كالأب والأم وأم الزوجة والأخت ، وأولاد الزوجة من زوج آخر «الربائب » .

ويقول رسول الله ﷺ : « **والمرأة راعية على أهل بيت زوجها ، وولده ، وهي مسؤولة عنهم** »[١] .

وعلى ذلك فاختصاص كل جنس من ذكر وأنثى بوظيفة خاصة أساسية هو تشريع إلهي لا قانون وضعي أرضي .

ما نتفق مع الكاتبة فيما ذهبت إليه من رأي مع التحفظ .

نرى أن تعليم وتأهيل النساء للقيام بالكثير من أعمال الرجال في الطب والعلم بكافة فروعه سيخرج للإنسانية العديد من العالمات المخترعات اللاتي لا يقللن عن الرجال في شيء ، ولكن التكلفة الاجتماعية من انهيار المجتمع ستفوق ما يتحقق من مكاسب يستطيع الرجال القيام بها ، كما نوافقها أن هناك أعمالا تناسب النساء كالتمريض والطب والتدريس وينبغي أن تزاولها النساء .

٣ ـ رأي « هدى شعراوي » :

تقول :« **الشريعة الإسلامية لا تعارض عمل المرأة ، وليس في شرائعنا ما يميز بين الرجل والمرأة بخلاف ما هو جار في أوربا** » [٢].

وفي محاضرة لـ « هدى شعراوي » في كلية الأمريكان بمصر ، قالت : « تسير المرأة في طريق نهضتها للوصول إلى تحقيق غرضها ، ألا وهو إسعاد الأسرة البشرية ، وذلك منذ أدركت أن سعادة هذه الأسرة مرتبطة بسعادتها هي ، وأن بيدها مقاليد الأمور لما لها من السلطان على الرجل في كل أدوار حياته ، فهي مربيته طفلاً وعونه زوجًا ، وممرضته أيام مرضه وشيخوخته ، وهي مديرة البيت وقوام نظامه .

أيتها السيدات ، بينما الرجل يحترف حرفة واحدة ، تقوم المرأة الضعيفة ـ كما يزعمون ـ بأعمال شتى تندمج فيها كثير من الوظائف الرئيسية فلها شأن كبير في التربية والتدابير الاقتصادية والصحية والسياسية [٣].

---

(١) رواه البخاري .

(٢) « المرأة في الفكر العربي الحديث » : صـ (٣٨٠) .

(٣) « مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة » : « هدى شعراوي » : صـ (٣٧٩) ، « كتاب الهلال » : العدد (٣٦٩) سبتمبر (١٩٨١) .

وفي بعض ولايات أمريكا اتسع المجال أمام المرأة حتى صارت تشترك مع الرجل في جميع الحرف الحرة والمراكز العمومية ، وذلك بعد أن تقررت لها الحقوق السياسية كالرجل سواء بسواء ، ويوجد الآن في تلك البلاد عدد عظيم من النساء أعضاء في المجالس البلدية، ومجالس الأقاليم ، والمجالس النيابية ، وفي كثير من المحاكم الابتدائية والاستئنافية عدد قليل منهن بين قاضية ونائبة ومحامية ، ولتحقيق هذا الغرض الجليل ـ عمل المرأة في شتى المجالات ـ يجب أن تتضافر نساء العالم ، ولا أخال الطبقات المتعلمة في مصر يحجبن عن مديد العون ، وشرف الاشتراك في تحقيق هذه الغاية السامية (١).

وإذا كان من المحقق والمعروف أن المرأة تصف الخليقة البشرية ، فاعلمن أن السعادة والغنى في تلك البلاد قائمان على ساعد الرجل ونشاط المرأة (٢).

ومن الواضح أن رائدة تحرر المرأة ـ كما يقال ـ آمنت بالمساواة المطلقة في العمل وفقًا للأسلوب الغربي الذي لا ضوابط له ، وإن ادعت أن ذلك لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

وإذا كانت المرأة نصف الخليقة فأولى بها أن تشارك في تربية أطفال الخليقة حتي يستمر إعمار الأرض ، ولا تخرج للعمل وتترك ثمار الخليقة يعانون حرمان الأمومة الحقة .

٤ ـ رأي « نبوية موسى » :

وقد أعطت نبوية موسى اهتمامًا بالغًا لمسألة عمل المرأة ، وألفت كتابها الشهير (المرأة والعمل) عام (١٩٢٠) حللت المسألة من جميع جوانبها ، ورأت أن الأمة لا تنجح إلا إذا كانت نشيطة عاملة ، ولا تكون نشيطة ما دام نصفها أشل لا حياة فيها ، فإذا لم نعمل نحن النساء ، كان نصف الأمة المصرية مهملاً لا ذكر له ، ومن ثم فإننا إذا حببنا إلى بناتنا العمل أصلحن منازلهن ، بل أصلحن الأمة بأسرها ، فإن العمل سيصقل النفوس ويجلو عنها صدأ البطالة ، والعكس كما تجلو الحركة صدأ الآلات المعدنية ، فمن كانت منا فقيرة فلتسع فيما يصلح شأنها ، ومن كانت غنية فلتعمل لإصلاح غيرها من الفقيرات .

وترفض نبوية موسى قول البعض بأن الدين يحجر علينا تعاطي الأعمال الشريفة ، ولهذا فإن من الجهل أن نقول إن الدين الإسلامي لا يبيح عمل النساء ، ونحن نرى أن

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة » : « هدى شعراوي » : صـ (٣٨١) ، « كتاب الهلال » : العدد (٣٦٩) سبتمبر (١٩٨١) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٨٤) .

الفقراء في المدينة ، وفقراء الفلاحين ، ومتوسطي الثروة منهم تشاطرهم نساؤهم العمل ، فهل حكمنا على هؤلاء بالكفر مع أن هذه الأسر هي عماد مصر ، ونبع ثرواتها ، وأساس رقيها وهل يسمح لنا الدين تكفير هؤلاء [١].

ونحن نقول : إن عمل المرأة إذا كان لضرورة ولا يؤدي إلى بطالة الرجال ولم يشغل المرأة عن بيتها ـ وهذا لم يحدث مطلقًا ـ فهو نافع للمرأة والأسرة والمجتمع ، أما الادعاء بأن عملها يقضي على البطالة فهو ادعاء لا أساس له من الصحة ؛ لأن عمل المرأة في بيتها هو في حد ذاته أول أسباب القضاء على البطالة ، إلاَّ إذا كانت المرأة موسرة وتستطيع استخدام الغير في شؤون البيت والأولاد ، وأولئك نادرات في المجتمع .

وسبق الإيضاح أن عمل المرأة بإطلاقه دون ضوابط ليس من الدين .

ثانيًا : رأي دعاة عمل المرأة المعاصرين :

١ ـ رأي د « فاطمة أحمد الشربيني » أستاذ الاقتصاد المساعد :

تواجه المرأة المصرية في هذه الأيام حملة شرسة ، يعود بعض أصولها لبعض التيارات السلفية التي تريد أن يرتد المجتمع للتخلف متخليًا عن كل ما حقق من إنجازات ، والبعض الآخر يعود بشكل أساسي لفشل في تطبيق السياسات التنموية التي نجمَ عنها انخفاض في معدلات النمو الاقتصادي في القطاعات المنتجة الأساسية ، ونقصد بها القطاع الصناعي والزراعي مما أسفر عن ضآلة في حجم المعروض من فرص العمل وانتشار البطالة بأنواعها المتعددة .

وكانت المرأة هي كبش الفداء الذي بحث عنه المجتمع ، ليلقى على عاتقه فشله في إدارة موارده الاقتصادية ، وفشله في قدرته على خلق فرص للعمل ـ للنساء والرجال معًا .

وبدلاً من البحث عن سبل رفع إنتاجية المرأة وتحسين أدائها في مختلف المجالات الاقتصادية ، تتعالى الأصوات منادية بضرورة عودة المرأة ـ ونحن على أعتاب نهاية القرن

---

(١) مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة » : « هدى شعراوي » : صـ (٣٨٠ ، ٣٨١) ، ومرجعها كتاب « نبوية موسى، المرأة والعمل » : صـ(٣٣ ، ٣٤)، وكانت صاحبة عصمة وشرف ، آمنت بالفصل في العمل بين الذكور والإناث ، وطالبت النساء بالاحتشام ، وكانت أول ناظرة لمدرسة بنات في مصر .

العشرين ـ للمنزل ، وقصر دورها على مجال تربية الأبناء والأعمال المنزلية (١).

٢ ـ رأي « سناء المصري » :

تقول : لم يكن حدثًا فريدًا من نوعه حينما وقف الشيخ يوسف البدري ـ أحد نواب التيار الإسلامي ـ يطالب في مجلس الشعب : بعدم تعيين الإناث في الوظائف الحكومية من أجل القضاء على ظاهرة البطالة ، إن الدعاية الإسلامية التي صنعت من قبل أرضية واسعة لدونية النساء وتخلفهن الخِلقي والخُلقي والعقلي ، تدعي أن هؤلاء القاصرات، الضعيفات ، هن سبب البطالة ، وهن اللاتي يسرقن قوت الرجل ويزاحمنه في الحياة العامة ، ويتضح من تأمل معظم نصوصهم أنهم يفتحون ثغرة في نهاية الحديث يمررون منها تحليل عمل المرأة .

ولكن هل خروج المرأة إلى العمل هو الذي خلق حالة البطالة ؟ أم أن آليات النظام الرأسمالي الذي نزلت المرأة إلى سوقه هي المسؤولة عن البطالة وعن غيرها من الأزمات كارتفاع الأسعار والتضخم والركود (٢) .

والملاحظ أن رأي كلاً من « د. فاطمة ، وسناء المصري » يدور حول محورين :

الأول : أن تنظيم عمل المرأة وضوابطه ليس من أحكام الإسلام وهو بدعة لما أسموه بالتيارات السلفية ، والتيار الإسلامي ، وهما في ذلك مخطئتان ، فليس لهما من دراسة أحكام الدين قلامة ظفر .

الثاني : أن سبب البطالة هو النظام الاقتصادي وسياساته ، وقد ألتمس لهما العذر ـ ولغيرهما ـ للجهل بأحكام الدين ؛ لأنَّه ليس مجال دراستهما ، وقد تفشى هذا المرض في المجتمعات الإسلامية وأصاب المثقفين بنصيب أوفر من الجهلاء ، ولكن الحقيقة المُرة التي تعلمها أستاذة الاقتصاد وغيرها أنه لا يوجد نظام اقتصادي مهما بلغ تطوره وسمت سياساته استطاع القضاء على البطالة أو يستطيع، حيث إن الثورة الصناعية والتقدم العلمي والتكنولوجي والميكنة الهائلة أدت ، وستؤدي إلى الاستغناء عن ملايين العمالة على مستوى العالم ، وهذه حقيقة من ينكرها يصبح كالأعمى الذي يدعي رؤية الدقيق من المبصرات .

---

(١) « إمبراطورية النساء العاملات » : صـ (١٢٤) .

(٢) « سناء المصري » : « خلف الحجاب » : صـ (٤٩ : ٥١) ، سينا للنشر ، الطبعة الأولى ، يناير (١٩٨٩) .

٣ ـ رأي « إسماعيل مظهر » [1] :

ويرى إسماعيل مظهر أن الذين يقولون بعدم عمل المرأة ، فإنهم يريدون للمرأة أن تكون مجرد متعة للرجل ، ويرفض أن تظل فكرتنا عن المرأة أحد السبل إلى عطالتها ، وعدم عملها ، وبذلك فإننا نعطل نصف الأمة عن التطلع إلى الحياة ، وأن نجعل نصف الأمة لغوًا في منطق الحياة ، ونجاهد حتى تظل حبيسة بين الجدران التي أسرت فيها الأزمان الطوال ، ويتساءل « إسماعيل مظهر » كيف يرضى هؤلاء للمرأة المتعلمة أن تظل عالة على الرجل في حين أن المرأة الجاهلة تكاد تكون مستقلة بأعمال بيتها ، بل وتكاد تكون مستقلة بحياتها ، فإنها في اليوم التي ينبذها فيه الرجل تشمر عن ساعدها وتخرج إلى الحقل عاملة تكسب قوت يومها ؛ وذلك لأن طبيعة حياتها لم تفقدها قوة العضل ولا قوة الإرادة ، وبالتالي فإن المرأة إذا لم تعمل لتكون مستقلة اقتصاديًا ، ارتدت إلى تلك اللعبة التي يتلهى بها الرجل ، بل عادت ذلك الكائن الخاضع المستكين الذي يحتاج دائمًا إلى معونة الرجل مما يتنافى مع روح الإسلام ، بل يتنافى مع الحق الذي هو روح جميع الأديان .

وإذا كان أغلب أقطاب التوجه المحافظ يرفضون عمل المرأة بسبب أن طبيعتها من الناحية الجسمانية لا تقوى على العمل مثل الرجل ، فقد أثبتت الأيام أن آراء سلامة موسى بالذات كانت صوابًا ؛ لأنَّ المرأة العاملة تستطيع أن تختار زوجها بحرية أفضل ، كما أن فرصة اختيارها للزواج أفضل من غير العاملة ، وكذلك فإن مشاركتها الرجل في كافة الأعمال جعلها تسهم اقتصاديًا في أعباء المنزل ، وامتلكت حرية التعبير عن نفسها في إدارة شؤون المنزل ، كما أثبتت الإحصائيات المعاصرة بأن نسبة الطلاق بين النساء العاملات أقل من نسبة الطلاق بين النساء غير العاملات ، والمهم أن المرأة العاملة تستطيع أن تعول أسرتها حين وفاة الزوج ، وتستطيع أن تعول نفسها حين الطلاق ، ومن ثم فإن عمل المرأة غالبًا ما يؤدي إلى استقرار الحياة الأسرية ، والاجتماعية للمجتمع، وذلك بعكس أن تكون المرأة عاطلة .

ونحن نقول داحضين هذه الآراء :

أو ليست المرأة العاملة الآن مع وجود حرية الاختلاط متعة للرجل سواء بالهمس أو اللمس أو الآهات أو النظرات وأحيانًا بأكثر من ذلك ، ابتداء من السكرتيرة مرورًا بالمضيفة التي هي خادمة خارج بيتها وصولاً إلى المبدعات ـ حسب الموضة اللغوية الجديدة ـ من

---

(١) « المرأة في الفكر العربي الحديث » : صـ (٣٩١ ، ٣٩٢) .

راقصات وممثلات ـ غالبًا ـ ومغنيات وعارضات أزياء ، بل ومذيعات وفتيات إعلان وغير ذلك .

إن المرأة المتعلمة لا خير في تعليمها إذا لم تستفد منها أسرتها من زوج وأبناء أو أب وأم وغيرهم ، وإذا احتاجت للعمل أو احتاجها العمل ، فعملها هو كنزها الثمين .

إن الادعاء بأن عمل المرأة هو الضمان الاقتصادي لأمنها لهو لغو عاري عن الحقيقة مجرد من الحق ، فالإسلام عندما كفل للمرأة حق الإنفاق وحق المهر وحق إدارة أموالها قد كفل لها الأمان الاقتصادي ، وهذا الحق ليس على سبيل المنحة أو الهبة ، ولكنه حق تشريعي إلهي أصيل .

هذا ، وقد أثبتت السنون خطأ آراء « سلامة موسى » فكم من ملايين الشابات في مصر تتمنى زوجا حتى أصبح هذا حلما صعب المنال وأحيانًا محال التحقيق ، ألم يكف دعاة التحرر وجود (٩) ملايين عانس في مصر وحدها ، كلهن يلعن العمل ويحلمن بدفء الحياة الزوجية ، منهن الطبيبات والمحاميات وغير ذلك .

لقد أثبتت الإحصائيات زيادة نسبة الطلاق وارتفاع نسبة الخلع بين المتعلمات والعاملات، وليس كما يدعي دعاة عمل المرأة .

٤ ـ رأي د « نوال السعداوي » :

تنادي د « نوال » بعمل المرأة في شتى المجالات بغض النظر عن آراء الدين ، فالحرية المطلقة هدف أصيل لدعوتها ، فتقول [1] :

« والذين يقولون : إن المرأة تجد سعادتها في أن تكون عالة أو أنها تحقق ذاتها من خلال خدمة الآخرين ، أو أنها فاقدة للطموح الفكري والخلق ؛ لأنها تلد وعملية الولادة إنما هي خلق البشر ، أو أن طبيعة المرأة من حيث الطموح العقلي أقل من طبيعة الرجل ، كل هذه الأقاويل لا تستند إلى منطق أو علم » .

وتقول مُدَعِيَةً بعدم وجود فروق فطرية أو وظيفية بين الرجل والمرأة :

« إن النظرية العلمية الحديثة في تطور المجتمعات الإنسانية وعلاقاتها بفكرة الطبيعة البشرية تنكر وجود ما يسمى بالطبيعة البشرية الثابتة أو الدائمة ، وإنما الطبائع البشرية هي

---

(١) د « نوال السعداوي » : « توأم السلطة والجنس » : صـ (٨٦) .

ظواهر نسبية تتغير وتتكيف حسب البيئة التي يعيش فيها ، وقد أصبح معظم العلماء في الغرب ، وفي الشرق لا يحبذون اصطلاح « الغرائز البشرية» ويفضلون عليها اصطلاح «الدوافع البشرية » التي يتعلم الإنسان معظمها خلال سنوات الطفولة والمراهقة .

وهناك كثير من الأدلة العلمية ، والتي لا يمكن حصرها ، والتي تدل على أن الصفات التي يطلق عليها الصفات الطبيعية للمرأة أو الرجل ليست إلا صفات مكتسبة من البيئة والتربية ودور الشخص في المجتمع .

بل إننا نرى حتى اليوم رجالاً ونساء ممن يحملون الشموع ـ في مجتمعنا في هذا الربع الأخير من القرن العشرين ـ نراهم لا يرون المرأة ودورها في الحياة إلا داخل هذا الإطار الذي رسمه لها المجتمع الأبوي الطبقي الحديث .

ويحاول كثير من الرجال في دفاعهم عن رأيهم أن يلجأوا إلى الطبيعة ، فيقولون : إن طبيعة المرأة أو الأنوثة إنما هي التي فرضت هذا الدور على المرأة [(١)].

٥ ـ رأي « فريدة النقاش » :

تقول تحت عنوان استبداد الأساطير : « ورغم أن العلم قد أثبت منذ زمن بعيد أن الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة لا ترتب أي فروق ذهنية ، وهي ليست ولا يجوز أن تكون أداة تطمس إمكانات المرأة وقدراتها ، فقد بقيت الأساطير القديمة حية لا فحسب حول طبيعة المرأة وإنما ـ وهو الأهم ـ حول ارتباط جسدها بالخطيئة ، فهو جسد نجس ، وهي نجس مسؤولة عن إخراج آدم من الجنة ؛ لأنها أغوته بأكل التفاحة المحرمة ، وفتحت له أبواب الجحيم [(٢)].

ونحن نقول ردًا على كل من د « نوال السعداوي وفريدة النقاش » :

« إن المرأة فعلاً تجد سعادتها في الأمومة بما تحمله من تضحيات هي في خدمة النشء أولاً وثانيًا وأخيرًا ،وإذا كان الشهيد يقدم روحه مضحيًا فداءً لوطنه أو حتى لمبدأ يعتنقه ، وقد يكون ـ أحيانًا ـ لا قيمة له أو هدامًا ، فإن تضحيات المرأة براحتها وعنائها ، وبذل كل ما تملكه من حنان وبر ووفاء ورعاية لا يقل بحال عن بذل الدم في خدمة الوطن ، فلولا تضحيات الأم ما عَمُرَ الكون .

(١) وستناقش هذه الأفكار في فصل لاحق .
(٢) « فريدة النقاش » : « حدائق النساء » : صـ (٧٤) .

وأن ما تدعيه د « نوال » من عدم وجود فروق فطرية أو وظيفية بين الرجل والمرأة ، فتلك خطئة لا يمكن أن يثبتها علم ، إلا لو كان قائم على الفلسفة السفسطائية التي تؤول كل شيء ليحقق نظرياتها الفاسدة .

ونحن نتساءل هل البيئة - كما تدعي - هي التي تعطي المرأة أعضاءها التناسلية وصفاتها النفسية التي تفوق الرجل فيها والمتمثلة في العطاء بلا حدود والحنان بلا مقابل والرعاية بلا أجر .

إن صفات الرجولة والأنوثة لا يمكن اكتسابها من البيئة ؛ لأنَّها تخلق مع كل منهما ، ولكن يمكن للبيئة والعادات والتقاليد من إظهار المبالغة في بعضها، أو حجب اليسير منها ، دون إلغاء تام لأي صفة ، فقد تخشى الأم في بعض المجتمعات من تكرار الحمل والولادة نظراً لظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية خاصة ، ولكن هذا لا يمنع توافر صفة الأمومة فيها ، وإن لم تتوافر لسبب أو لآخر خارج عن الإرادة ، فهي حتمًا تحلم بالأمومة .

ومعلوم أن الطموح العقلي للأنثى الذي يهدف إلى نجاحها في وظيفتها كزوجة وأم ، لابد له من معارف وخبرات وعلوم جمة وتحتاج للدراسة والتعليم سواء عن طريق التلقي من الأسرة أو الدراسة في المدارس المتنوعة ، وكلما تطور العلم تطورت الحاجة لتعليم وتهذيب النساء ، فأم الأمس كانت تعلم أولادها مبادئ القراءة والكتابة ، أما أم اليوم فيجب أن تعلمهم الكمبيوتر .

والإسلام لا يعترف بدونية المرأة أو بخاستها بسبب خطيئتها في الجنة - كما جاء بالتوراة والإنجيل - ولكن أوضح مشاركتها لآدم في الخطيئة ، وحمل آدم المسؤولية ، باعتباره المسؤول عن قيادة المرأة « حق القوامة » ويمكن إيضاح ما جاء في الإسلام عن حقيقة خطيئة الخروج من الجنة ، فجاء الأمر لآدم - وليس لحواء - بعدم الأكل من الشجرة المحرمة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

وسوسة الشيطان لآدم وحواء والقسم لضلالهما ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الاعراف : ٢٠ ، ٢١] .

وقد كانت وسوسة الشيطان لآدم متكررة ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠].

وكان النتيجة هي معصية آدم وحواء معًا ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] .

ومع ذلك فقد ألقى الله اللوم على آدم بصفته القائد للمرأة ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] (١) .

فتكرر النداء لآدم وتعدد الوصايا يوضح أن حواء لم تكن سبب الخطيئة الأولى حسب الاعتقاد الإسلامي .

(١) انظر كتابنا : « المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام » : صـ (١٠٦ : ١١٠) .

المبحث الثالث

عمل المرأة في فكر المتعلمات

بعد أن أوضحنا عمل المرأة ما بين المعارض والمؤيد ووجهات النظر المؤيدة والمعارضة لكل منهما ، لنا أن نستطلع رأي المتعلمات بالرغم من انتشار التعليم بصورة كبيرة منذ قيام ثورة (٢٣) يوليو (١٩٥٢) ، وحتى اليوم ، ومن ثم نشوء الحق للمرأة المتعلمة للاستفادة بعلمها وشهادتها في التوظف والحصول على عمل يتناسب مع مؤهلاتها ، ويرفع من شأنها الأدبي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي ، إلا أن غالبية الحاصلات على مؤهلات يفضلن الزواج وتكوين أسرة سعيدة ، ولا يرون العمل خارج البيت إلا لضرورات متعددة .

والملاحظ أن هذه النسبة تتزايد بالنسبة للحاصلات على شهادات أقل من الجامعية ، وتتناقص كلما ازداد المستوى العلمي والمؤهل الدراسي .

وقد أجريت دراسة على عدد (١١١) طالبة، منهن (٧٨) طالبة من طالبات الصف الثالث بكلية البنات جامعة عين شمس، منهن (٥) طالبات أمهاتهن من العاملات، وعدد (٣٣) طالبة من طالبات الصف الثاني من المدرسة السنية الثانوية بينهن (٧) طالبات أمهاتهن عاملات :

وكانت عملية الاستفتاء والأسئلة تتناول الإجابة عن أسئلة خمسة هي :

السؤال الأول : هل من الأفضل أن تعمل الزوجة في مهنة أو وظيفة أم تتفرغ للمنزل، ولماذا ؟

السؤال الثاني : هل يمكن أن توفق المرأة في مصر بين عملها خارج المنزل ومسؤوليتها داخله ؟ ولماذا ؟

السؤال الثالث : أيهما أقدر على رعاية الأولاد المرأة العاملة أم ربة البيت ؟ ولماذا ؟

السؤال الرابع : هل من الأفضل توجيه الفتاة نحو نوع معين من أنواع الدراسة « كلية الطب ـ كلية التربية . . إلخ مثلاً ؟ ولماذا ؟

السؤال الخامس : هل من الأفضل توجيه الفتاة نحو نوع معين من أنواع العمل ،

مدرسة أطفال، طبيبة أطفال أو أمراض نساء مثلاً ؟ ولماذا ؟

هذا ، وقد تم تنظيم وتبويب الإجابات على هذه الأسئلة في جداول أعدتها الباحثتان د « بثينة أمين مرسي » ، د « أمينة محمد طاظم » [1] :

أولاً : آراء العينة في عمل المرأة أو تفرغها للبيت :

المؤيدون لأفضلية عمل المرأة ـ الزوجة ـ وفقًا للجدول التالي [2] :

وجهات النظر	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أ ـ من الأفضل أن تعمل الزوجة .	٣٣	٤٢,٣١ ٪	٢٢	٦٦,٦٧ ٪
ب ـ من الأفضل أن تعمل الزوجة بشروط .	٢٤	٣٠,٧٧ ٪	٣	٩,٠٩ ٪
جـ ـ من الأفضل أن تتفرغ .	٢١	٢٦,٩٢ ٪	٨	٢٤,٢٤ ٪
الإجمالي	٧٨	١٠٠ ٪	٣٣	١٠٠ ٪

الملاحظات :

حوالي نصف العينة كلها ترى من الأفضل عمل الزوجة (٥٥) فتاة بنسبة (٤٩,٥٥)٪ .

النصف الآخر وهن (٥٦) فتاة ، يرى (٢٧) منهن : الأفضل عمل المرأة ، ولكن بشروط خاصة ، كما يرى (٢٩) منهن من الأفضل التفرغ للبيت بالكامل .

أ ـ وبدراسة أسباب تفضيل عمل المرأة يتضح الجدول الآتي [3]:

---

(١) د « بثينة أمين مرسي قنديل»، د«أمينة محمد طاظم»، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى(١٩٧٦).

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٢١) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٢٣) .

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أسباب اقتصادية	١٨	٪ ٥٤,٥٤	٤	٪ ١٨,١٨	٢٢	٪ ٤٠
أسباب نفسية	١	٪ ٣,٠٣	٤	٪ ١٨,١٨	٥	٪ ٩,٠٩
أسباب اجتماعية	٤	٪ ١٢,١٢	٢	٪ ٩,٠٩	٦	٪١٠,٩٠
أسباب أخرى	١	٪ ٣,٠٣	١	٪ ٤,٥٤	٣	٪٣,٦٤
أسباب من بعض أو كل ما سبق	٩	٪ ٢٧,٢٧	١١	٪ ٥٠	٢٠	٪٣٦,٣٦
الإجمالي	٣٣	٪ ٩٩,٩٩	٢٢	٪ ٩٩,٩٩	٥٥	٪٩٩,٩٩

ويلاحظ من الجدول :

- (٤٠) ٪ ممن يفضلن عمل المرأة يعزون ذلك لأسباب اقتصادية .

- (٢٠) ٪ يريد عمل المرأة لأكثر من سبب .

وقد أوضحت الدراسة أن الأسباب الاقتصادية من أهمها :

* عمل الزوجة لرفع المستوى الاقتصادي للأسرة .

* عمل الزوجة لتساعد الزوج على أعباء المعيشة .

* عمل الزوجة لتؤمن مستقبلها .

وكلن من أهم الأسباب النفسية لعمل المرأة :

* إثبات الذات وتحقيق مكانة اجتماعية متميزة .

* الشعور بأهميتها كمساهمة في نفقات المنزل .

ومن الأسباب الاجتماعية لعمل المرأة :

* عمل المرأة يفيد في تربية الأولاد .

* عمل المرأة يفيد المجتمع ويزيد القوة العاملة ويحقق التنمية [١].

ب ـ الشروط الواجب توفرها لعمل الزوجة :

يوضح الجدول التالي أهم هذه الشروط :

الشروط	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الشروط الاقتصادية	٦	٪ ٢٥	ـ	ـ	٦	٪٢٢,٢٢
شروط تسهيل عمل المرأة	١٥	٪ ٦٢,٥	٣	٪ ١٠٠	١٨	٪٦٦,٦٧
شروط متنوعة	٣	٪ ١٢,٥	ـ	ـ	٣	٪١١,١١
الإجمالي	٢٤	٪ ١٠٠	٣	٪ ١٠٠	٢٧	٪ ١٠٠

يلاحظ من الجدول ما يلي :

الشروط الخاصة بتسهيل مهمة المرأة فى أداء العمل لها النصيب الأكبر أو تبلغ نسبتها ٪ ٦٦,٦٧ .

وقد أوضحت الدراسة أن من أهم هذه الشروط :

١ ـ مناسبة مواعيد العمل للمرأة .

٢ ـ ضرورة تخفيض عدد ساعات العمل عند الإنجاب .

٣ ـ مناسبة العمل للمرأة وطبيعتها .

٤ ـ يفضل ألا يكون لدى المرأة أطفال صغار .

(١) د «بثينة أمين مرسي قنديل»، د«أمينة محمد طاظم»، مكتبة الأنجلو المصرية ،الطبعة الأولى (١٩٧٦). صـ (٢٤ ـ ٢٦) .

٥ ـ توافر سُبل الراحة للمرأة العاملة من مواصلات، مكان توافر أدوات المنزل الحديثة.

٦ ـ لا يؤثر العمل على العمل المنزلي وواجبات الأسرة [١].

جـ ـ أفضلية تفرغ المرأة للبيت وعدم عملها خارجه :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أسباب متعلقة بالأسرة	١٥	٪ ٧١,٤٧	٧	٪ ٨٧,٥	٢٢	٪٧٥,٨٦
أسباب متعلقة بالمرأة	٢	٪٩,٥٢	١	٪ ١٢,٥	٣	٪ ١٠,٣٤
لا أسباب	١	٪ ٤,٧٦	-	-	١	٪ ٣,٤٥
أسباب متفرقة	٣	٪١٤,٣٩	-	-	٣	٪ ١٠,٣٤
الإجمالي	٢١	٪ ١٠٠	٨	٪ ١٠٠	٢٩	٪ ٩٩,٩٩

يوضح الجدول الآتي أسباب أفضلية عدم عمل المرأة خارج بيتها [٢]:

ويلاحظ من الجدول ما يلي :

أسباب أفضلية عدم عمل المرأة حتى تتفرغ للأسرة هي السبب الرئيسي ؛ إذ أن عدد (٢٢) أي نسبة (٧٥,٨٦) ٪ من العينة تمسكت به .

وقد أوضحت الدراسة أن هذا السبب يتضمن :

ـ تفضيل عدم عمل الزوجة لكي ترعى شؤون المنزل .

ـ لكي ترعى الزوج والأولاد .

ـ لكي ترعى البيت والأولاد .

ـ لكي تدير البيت .

ومهما اختلف التعبير عن السبب، فالهدف هو رعاية البيت والأسرة، أما عن الأسباب

---

(١) د « بثينة أمين مرسي قنديل»، د«أمينة محمد طاظم»، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى(١٩٧٦). صـ (٣٨) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣١) .

المتعلقة بالمرأة ، ويبلغ عددها (٣) ونسبتها (١٠,٣٤) ٪ فمنها :

* المرأة لا تتحمل إرهاق العمل جسمانيًا إضافة إلى البيت .

* أن العمل لا يلائم طبيعة المرأة .

ثانيًا : إجابة السؤال الثاني :

هل يمكن أن توفق المرأة في مصر بين عملها خارج المنزل ومسؤوليتها داخله ؟ ولماذا ؟

يوضح الجدول التالي آراء العينة :

وجهات النظر	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم ممكن التوفيق	٢٥	٣٢,٠٥ ٪	٨	٢٥ ٪	٣٣	٣٠ ٪
من الممكن إلى حد ما	٢	٢,٥٦ ٪	-	-	٢	١,٨٢ ٪
من الممكن بشروط	٢٢	٢٨,٢١ ٪	١٧	٥٣,١٣ ٪	٣٩	٣٥,٤٥ ٪
لا يمكن التوفيق	٢٩	٣٧,١٨ ٪	٧	٢١,٨٧ ٪	٣٦	٣٢,٧٣ ٪
الإجمالي	٧٨	١٠٠ ٪	٢٢	١٠٠ ٪	١١٠	١٠٠ ٪

ويتبين من الجدول :

أن من رأيي إمكان التوفيق بين العمل والبيت عدد (٣٣) فتاة بنسبة (٣٠) ٪ ، والباقيات رأين عدم التوفيق إلا بشروط وغيرهن (٤١) أي بنسبة (٣٧,٢٧) ٪ ، أما اللاتي رأين عدم التوفيق نهائيًا فعددهن (٣٦) وبنسبة (٣٢,٧٣) ٪ ، وباستقراء رأي من رأيي إمكان التوفيق بين عمل المرأة ومنزلها .

أ ـ وأسباب ذلك تتبين مما يلي من الجدول :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أسباب خاصة بالعمل	٥	٢٠ ٪	١	١٢,٥ ٪	٦	١٨,١٨ ٪
عوامل مساعدة بالمنزل والمجتمع	٧	٢٨ ٪	١	١٢,٥ ٪	٨	٢٤,٢٤٪
عوامل شخصية للمرأة المصرية	٩	٣٦ ٪	١	١٢,٥ ٪	١٠	٣٠,٢٠٪
بدون أسباب	٣	١٢٪	٤	٥٠ ٪	٧	٢١,٢١٪
عومل متنوعة منها بعض ما سبق	١	٤ ٪	١	١٢,٥ ٪	٢	٦,٠٩٪
الإجمالي	٢٥	١٠٠ ٪	٨	١٠٠ ٪	٣٣	١٠٠ ٪

والملاحظ أن عدد من رأين أن نجاح المرأة في التوفيق بين عملها وبيتها هو (١٠) طالبات ونسبتهن (٣٠,٣٠) ٪ ، وهذا العدد ، وتلك النسبة توضح إيمان المرأة المصرية بضرورة بذل جهد إضافي بذل جهد إضافي والتخلي عن مُتع كثيرة لتحقيق هذا النجاح .

ويأتي في المرتبة الثانية عدد من يرون ضرورة مساندة الأسرة والمجتمع للمرأة حتى توفق بين العملين ، وعددهن (٨) ونسبتهن (٢٤,٢٤) ٪ ، وهذا يوضح ضرورة مناسبة العمل للمرأة ، وضرورة تعاون الأسرة ، ومنها الزوج والمجتمع في تيسير سُبل راحتها وتوفير وقتها وجهدها ، ومن ذلك قرب العمل من المنزل ، توافر المواصلات ، تحديد وقت العمل ، ويجب ألا يطول ، بل وينبغي تخفيضه .

ب ـ أسباب عدم إمكانية توفيق المرأة بين البيت والعمل :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أسباب تتعلق بالمنزل والمجتمع	١٦	٥٥,١٧٪	٣	٤٢,٨٦ ٪	١٩	٥٢,٧٨٪
أسباب شخصية للمرأة	١١	٣٧,٩٣٪	-	-	١١	٣٠,٥٦ ٪
أسباب خاصة بالعمل	١	٣,٤٥٪	-	-	١	٣,٧٨٪
بدون أسباب	١	٣,٤٥	٤	٥٧,١٤	٥	١٣,٨٨٪
الإجمالي	٢٩	٪ ١٠٠	٧	٪ ١٠٠	٣٦	١٠٠٪(١)

ويلاحظ أن عدد (١٩) طالبة وبنسبة (٥٢,٧٨) ،أوضحن أن سبب فشل المرأة في التوفيق بين عملها داخل وخارج المنزل يرجع إلى المنزل والمجتمع، ومن أهم هذه الأسباب:

* مسؤولية المنزل تؤثر في العمل .
* مسؤولية العمل تؤثر في المنزل .
* مسؤولية المنزل تقع دائمًا على عاتق المرأة .
* العمل يؤدي إلى إهمال الأطفال .

(١) د . بثينة أمين مرسي قنديل»، «د.أمينة محمد طاظم»، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولى(١٩٧٦). صـ (٤١) .

ثالثًا : السؤال الثالث : أيهما أقدر على رعاية الأولاد المرأة العاملة أم ربة البيت :

يوضح الجدول التالي آراء الطالبات :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
المرأة العاملة أقدر على الرعاية	١٢	١٥,٣٨٪	١٣	٣٩,٣٩٪	٢٥	٢٢,٥٢٪
المرأة العاملة أقدر على الرعاية ولكن بشروط	١	١,٢٨٪	١	٣,٠٣٪	٢	١,٨ ٪
ربة البيت المثقفة أقدر على رعاية الأبناء	١٤	١٧,٩٥٪	١٢	٢٦,٣٦ ٪	٢٦	٢٢,٤٢٪
ربة البيت أقدر على رعاية الأبناء	٤٢	٥٢,٨٥٪	٤	١٢,١٢٪	٤٦	٤١,١٤٪
لا يمكن الجزم أيهما أقدر	٩	١١,٥٤٪	٣	٩,٠٩٪	١٢	١٠,٨١٪
الإجمالي	٧٨	١٠٠٪	٢٣	٩٩,٩٩٪	١١١	٩٩,٩٩٪[1]

ويلاحظ من الجدول :

أن عدد (٧٢) فتاة وبنسبة (٦٣,٥٦) ٪ من العينة أوضحن أن ربة البيت أقدر على رعاية الأطفال سواء مثقفة أو غير مثقفة .

ويوضح الجدول الآتي سبب ذلك :

(١) د « بثينة أمين مرسي قنديل » ، د « أمينة محمد طاظم » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى (١٩٧٦) . صـ (٤٦) .

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
عوامل خاصة بالوقت	٣١	٧٣,٨١٪	٢	٥٠٪	٣٣	٧١,٧٤٪
عوامل خاصة بالمرأة	٦	١٤,٢٩٪	-	-	٦	١٣,٠٤٪
عوامل خاصة بالمجتمع	١	٢,٣٨٪	-	-	١	٢,١٧٪
لا أسباب	٤	٩,٥٢ ٪	٢	٥٠٪	٦	١٣,٠٤٪
الإجمالي	٤٢	١٠٠٪	٤	١٠٠ ٪	٤٦	٩٩,٩٩٪[١]

ويلاحظ أن عدد (٣٣) طالبة نسبتهن (٧١,٧٤) ٪ يرون أن أهم أسباب نجاح ربة البيت في رعاية الأبناء مرجعه الأساسي التفرغ لذلك ووجود وقت كاف .

هذا ،وقد أوضحت ست طالبات وبنسبة (١٣,٠٤) ٪ أن هناك عوامل خاصة بالمرأة تجعلها أقدر على رعاية أولادها ، والعامل الأساسي هو عدم إجهاد ربة البيت بالعمل داخل البيت وخارجه .

رابعًا : إجابة السؤال الرابع :

هل من الأفضل توجيه الفتاة نحو نوع معين من أنواع الدراسة « الطب ، كلية التربية..» إلخ .

يوضح الجدول وجهات النظر للطالبات في ذلك :

(١) د « بثينة أمين مرسي قنديل»،د«أمينة محمد طاظم»،مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الأولى(١٩٧٦). صـ (٥٢) .

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ينبغي توجيه الفتاة نحو دراسة معينة	٤٤	٥٧,١٤٪	١١	٣٤,٢٨٪	٥٥	٥٠,٤٦٪
لا ينبغي توجيه الفتاة نحو دراسة معينة	٣٣	٤٢,٨٦٪	٢١	٦٥,٦٥٪	٥٤	٤٩,٥٤٪
الإجمالي	٧٧	١٠٠٪	٣٢	١٠٠٪	٩٩	١٠٠٪

يلاحظ من الجدول :

* حوالي النصف يرون توجيه الفتاة نحو عمل معين (٥٥) طالبة نسبتهن (٥٠,٤٦٪) .

* عدد كبير نسبيًا من طالبات الثانوي (٢١) ونسبته (٦٥,٦٢) ٪ يرون عدم توجيه الفتاة نحو تعليم معين ونسبته حوالي (مرة ونصف) زيادة عن طالبات الجامعة ، والتي بلغت (٤٢,٨٦) ٪ ، وربما يرجع ؛ لأنهن يفكرن جديًا في فتح مجال أوسع للاختيار للكليات المزمع الالتحاق بها بعد الحصول على الثانوية العامة .

ويوضح الجدول التالي أسباب وجهات النظر الداعية لتوجيه الفتاة نحو تعليم معين .

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ضرورة مناسبة الدراسة لطبيعة المرأة	٢٩	٦٥,٩١٪	٤	٣٦,٣٦٪	٣٣	٦٠٪
ضرورة مناسبة الدراسة لمستقبل المرأة كزوجة وأم	٧	١٥,٩١٪	١	٩,٠٩٪	٨	١٤,٥٥٪

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ضرورة مناسبة الدراسة لدورها في المجتمع	٥	١١,٣٦٪	٢	١٨,١٨٪	٧	١٢,٧٢ ٪
لا سبب	٣	٪ ٦,٨٢	٤	٣٦,٣٦٪	٧	١٢,٧٢٪
الإجمالي	٤٤	١٠٠٪	١١	٩٩,٩٩٪	٥٥	٩٩,٩٩٪

ويلاحظ باستقراء الجدول ما يلي :

ـ السبب الواضح هو مناسبة الدراسة لطبيعة المرأة حيث رأت عدد (٣٣) طالبة ، وبنسبة (٦٠) ٪ أهميته الفائقة .

ولا شك أن ضرورة مناسبة الدراسة لمستقبل الفتاة كزوجة وأم والذي شمل آراء (٨) طالبات وبنسبة (١٤,٥٥) ٪ يدخل في نطاق مناسبة الدراسة لطبيعة المرأة ، أي : أن مناسبة الدراسة للمرأة كأنثى لها وظيفة أساسية هي الزوجة والأم شملت (٦٠ ٪ + ١٤,٥٥ ٪ = ٧٤,٥٥ حوالي $\frac{٣}{٤}$ العينة ، وقد أوضحت آراء الطالبات كذلك) .

* الدراسة لمهنة التدريس أكثر ملائمة للمرأة عن غيرها .

* الدراسة لمهنة الطب تلائم طبيعة المرأة .

* يفضل الدراسة التي تساعد المرأة على تربية الأبناء .

خامسًا : إجابة السؤال الخامس :

هل من الأفضل توجيه الفتاة نحو نوع معين من أنواع العمل (مدرسة أطفال ـ طبيبة نساء . . إلخ)

يوضح الجدول التالي الآراء في ذلك :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الأفضل توجيه الفتاة نحو نوع معين يناسبها.	٥٨	٧٤,٣٦٪	١٥	٥٠٪	٧٣	٦٧,٥٩٪
لا يصح توجيه الفتاة نحو نوع معين يناسبها .	٢٠	٢٥,٦٤٪	١٥	٥٠٪	٣٥	٣٢,٤١٪
الإجمالي	٧٨	١٠٠٪	٣٠	١٠٠٪	١٠٨	١٠٠٪[١]

ويلاحظ من الجدول :

أن أكثر من ثلثي الطالبات يؤمن بضرورة مناسبة العمل للمرأة حيث بلغ العدد (٧٣) طالبة ، وبنسبة (٦٧,٥٩) ٪ ، كما يلاحظ أيضًا أن هذه النسبة أكثر بالنسبة لآراء طالبات الجامعة حيث بلغت (٥٨) طالبة ، وبنسبة (٧٤,٣٦) ٪ ، بينما كانت لدى طالبات الثانوى العدد (١٥) وبنسبة ٥٠٪ ومرجع ذلك أن طالبات الجامعة أوشكن على الزواج الفعلي وبالتالي ففكرة مناسبة العمل لهن كزوجات أكثر نضجًا وإلحاحًا .

أسباب توجيه الفتاة لعمل معين يناسبها :

الجدول التالي يوضح ذلك :

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العددد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
مناسبة العمل لشخصية المرأة .	٤٠	٦٨,٩٧٪	٥	٣٣,٣٣٪	٤٥	٦١,٦٤٪
مناسبة العمل للمرأة كأم وزوجة.	٧	١٢,٠٧٪	١	٦,٦٧٪	٨	١٠,٩٦٪

(١) د : بثينة أمين مرسي قنديل»، د«أمينة محمد طاظم»، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولى(١٩٧٦). صـ (٣١) .

الأسباب	طالبات الجامعة		طالبات الثانوي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
مناسبة العمل لدور المرأة في المجتمع	١٠	١٧,٢٤٪	٤	٢٦,٦٧٪	١٤	١٩,١٨٪
لا تعليق	١	١,٧٢ ٪	٥	٧٣,٣٣٪	٦	٨,٢٢ ٪
الإجمالي	٥٨	١٠٠٪	١٥	١٠٠٪	٧٣	١٠٠٪[1]

ويلاحظ باستقراء الجدول :

أن مناسبة العمل لشخصية المرأة « طبيعتها كأنثى » هو أهم سبب من أسباب توجيه المرأة لمزاولة أعمال تناسبها حيث بلغ العدد (٤٥) طالبة ونسبة (٦١,٤٥) ٪ .

كما أن مناسبة العمل لدور المرأة كأم وزوجة ، يدخل في نطاق مناسبة العمل كشخصية المرأة .

ـ كما يبين أن آراء الطالبات تضمنت :

* التدريس أكثر الأعمال التي تناسب طبيعة المرأة .
* الطب أنسب مهنة للمرأة .
* طب أمراض النساء هو أنسب الأعمال للمرأة .
* مُدرسة الأطفال مهنة مناسبة للمرأة .

ـ وعن مناسبة العمل لدور المرأة كزوجة وأم أوضحت الطالبات :

* ينبغي أن تعمل المرأة في عمل يناسب ظروفها الأسرية .
* أن التدريس من أكثر الأعمال مناسبة لظروف المرأة (الإجازات ، المواعيد) .
* ينبغى توجيهها إلى الأعمال المتصلة لممارستها فى الحياة الأسرية .

ـ وكانت آراء العينة بالنسبة للعمل الذي يناسب دورها في المجتمع أوضحت الطالبات:

---

(١) د « بثينة أمين مرسي قنديل »،د«أمينة محمد طاظم»،مكتبة الانجلو المصرية،الطبعة الاولى(١٩٧٦). صـ (٦٤) .

* يجب أن يخدم العمل المجتمع عامة والمرأة خاصة .

* يجب أن تحتاج الأعمال لحنان المرأة ومحبتها مثل التدريس والطب .

* يجب أن تحتاج الأعمال إلى القدرات الخاصة للمرأة مثل أعمال التدريس والطب والسكرتارية .

* توجيه الفتاة نحو أعمال معينة حتى لا تزاحم الرجال في وظائفهم الخاصة .

ومما سبق يتضح أن شروط وضوابط عمل المرأة في الإسلام هي ما تراه الفتاة المتعلمة اليوم ، ولم ينته حلم المرأة بالأمومة والأسرة ، رغم نداء الكثير من دعاة التحرر والعمل المطلق بنبذ العمل المنزلى .

الباب الثالث

تطور الدعوة لعمل المرأة وتحررها من المشروع إلى الممنوع



الباب الثالث

تطور الدعوة لعمل المرأة وتحررها من المشروع إلى الممنوع

توطئة :

بدأت هذه الدعوة كنتيجة طبيعية ومنطقية لمعاناة المرأة من ظلم المجتمع لها ، فكانت في الشرق والغرب مضطهدة محرومة من الحقوق الطبيعية للإنسان كأنثى ، فتخلى أهل الأديان السماوية عن أحكام شرائعهم المنظمة لحقوق المرأة ، وتمسكوا بالتعسف بدلاً من التوسط في منحها حق العمل لضرورة ، وكذلك آداب الحجاب كفضيلة، فمُنعت التعليم ، وحُرِمت إبداء الرأي ، فجفت منابعها الثقافية ، ونضبت معارفها الدينية ، فأصبحت زوجة جاهلة ، وأم أجهل ، وإن أجادت البذل والتضحية والعطاء .

ونظرًا لمعاناة الغرب قبل الشرق من هذه البلايا، فقد بدأت الدعوة لعمل المرأة وتحررها في الغرب قبل الشرق،ولكنها بدأت شبه معتدلة ثم جنحت إلى الإفراط والتفريط ، وساق الغرب بلاد الشرق إلى هذا التفريط ويوضح «حفني المحلاوي» حال المرأة في أوربا فيقول[1]:

« ظل وضع المرأة الأوربية يتأرجح بين الاهتمام والإهمال حتى القرن السادس عشر ، حيث بدأت تتاح أمام المرأة الفرص من أجل المشاركة في الحياة العامة ، وكان سبيلها إلى ذلك في البداية الحصول على قسط بسيط من التعليم . .

كما تميز القرن السادس عشر ، بوجود عدد من الملكات على عروش بعض الدول الأوربية ، ليس كزوجات لملوك ، ولكن كملكات ، منهن على سبيل المثال : « الملكة ماري الإسكتلندية » ، و« إليزابيث الإنجليزية » ، و« كريستين السويدية » .

أما في القرن السابع عشر فقد تطورت فيه مشاركة المرأة داخل المجتمع الأوربي ، واتسم بظاهرة « مَجُون الملكات » ، وكان التعليم وتوسيع نطاقه أحد أسباب زيادة ظهور المرأة في الشوارع والنوادي ، وفي القرن الثامن عشر ازداد استقلال المرأة وحريتها ، وفي جو هذه الحرية ، كانت قضية المرأة وطبيعة دورها والبحث عن حقوقها إحدى القضايا

---

(١) « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٤٧ ، ١٤٨) ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى سنة (١٩٩٢) .

الكبرى التي شغلت العديد من الفلاسفة ، وقد ألف المفكر الألماني « تيودور جوتليب فون جيبل » كتابًا بعنوان « عن التحسين المدني للمرأة » عام (١٧٩٤) ، وصادف نشر هذا الكتاب الثورة الفرنسية التى كانت صاحبة الرصيد الأكبر فى تفجير قضية «حقوق الإنسان » وبالتالي حقوق المرأة .

وجاء القرن التاسع عشر ، وقد حاولت نساء أُوربا استثمار المشاركة في ثورة (١٨٤٨) التي انفجرت في (فرنسا) للمطالبة بالعدالة الاجتماعية والسياسية ، فزاد عدد المجلات والجرائد النسائية التي تنادي بحقوق المرأة السياسية ، حتى بدا وكأن كل منطقة وكل حي يصدر مجلة نسائية .

وبعد نجاحها كقوة عاملة ـ نتيجة الثورة الصناعية التي بدأت في (إنجلترا) سنة (١٧٧٦) م ـ واصلت نجاحها في ميدان التعليم ، حيث سُمِحَ للمرأة ـ ولأول مرة عام (١٨٧٠) للتقدم للحصول على شهادة البكالوريا ثم دراسة الطب .

ومع انتهاء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين زادت أعداد النساء الأوربيات المهتمات بالشؤون السياسية ، والفضل في ذلك يرجع إلى الصحافة النسائية . .

نجحت المرأة الألمانية عام ١٩١٩م فى الحصولعلى حقها فى الترشيح والمشاركة فى التصويت فى الانتخابات العامة .

وفي عام (١٩٣٦) م ، أصبح مسيو « ليون بلوم » رئيسًا لفرنسا ، لم يستطع أن يتنصل من وعود حزبه بالنسبة لحقوق النساء ، ومن ثم قام بتعيين ثلاث نسوة لأول مرة في تاريخ فرنسا كوكيلات للوزارة الجديدة ، وفي سنة (١٩٣٨) استطاعت المرأة في فرنسا أن تخترق المجالس الشعبية في (٥٠) مدينة فرنسية [١].

وسنعرض في هذا الباب للفصلين التاليين :

الفصل الأول : أساليب الاستعمار للدعوة لعمل المرأة وتحررها .

الفصل الثاني : فكر دعاة التمرد من السفور للفجور،ومن العمل المشروع إلى الممنوع.

---

(١) « حنفى المحلاوي » : « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٥١ : ١٥٤) .

الفصل الأول

أساليب الاستعمار للدعوة لعمل المرأة وتحررها

المبحث الأول : العلاقة بين الغزو الفكري والعسكري .

المبحث الثاني : تجنيد الدعاة وحُسن اختيارهم .

المبحث الثالث: إنشاء مؤسسات الدعوة لعمل المرأة وتحررها.



الفصل الأول

أساليب الاستعمار للدعوة لعمل المرأة وتحررها

إن هدف الاستعمار هو تقويض دعائم البلاد الإسلامية ، وجعل المرأة معولاً لهدم المجتمع ، دينيًا وأخلاقيًا واقتصاديًا ، فإذا كانت الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع ، وسر تماسك هذه اللبنة هو المرأة الأم والزوجة والبنت والأخت ، فإن المناداة بخروج المرأة للعمل بلا داع أو ضرورة ، هو بداية هدم الأسر ، وإزالة دعائم المجتمع ، ونسف أسس بناء الدول والحضارات .

ولا شك أن إصابة أي مجتمع بأمراض التحلل الديني والعقائدي وأوبئة الانحلال الأخلاقي ،وبلايا الانهيار الاقتصادي ، والاجتماعي ، يُسهل على المحتل دوام الاحتلال بلا مقاومة تستحق إعادة التفكير في الجلاء .

ولذا نرى أصوات دعاة التحرر والانحلال تعلو وتتزايد قبل غزو البلاد العربية والإسلامية ، وتستمر وتتفاقم أثناء الاحتلال ، ثم تخبو بعد التحرير والجلاء .

يقول « مورو برجر » في كتاب « العالم العربي اليوم » (١) :

« إن نمو وضع النساء ومشاركتهن في الحياة العامة لهو من أخطر قوى التغيير ، لا في الأسرة العربية وحدها،بل في المجتمع بأسره،فإذا سُمِحَ للقوى التي شهرت سلاحها « دعاة العمل والتحرر » أن تبرز إمكانياتها لتغيير المجتمع العربي عميقًا بصورة أبدية ولا شك أن التغيير للأسوأ هو غاية الغرب وقد حذرنا الله من هؤلاء فقال : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

---

(١) « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : المستشار « سالم البهنساوي » : صـ (٩١) .

المبحث الأول

العلاقة بين الغزو الفكري والعسكري

تتميز الدول الغربية بصفة عامة وأمريكا بصفة خاصة ، بوضع برامج وسياسات بعيدة المدى يلتزم بتطبيقها الحكام مهما تعاقبوا والحكومات وإن تعددوا ، حتى لا يهدم اللاحق ما بناه السابق ـ كما يحدث في الشرق ـ وهذه السياسات يضعها كبار المثقفين وعتاة السياسيين، ومن ثم يُروج لهـا إعـلاميًا ، كما يُمهد لها دبلوماسيًا ، ويُستعد لتنفيذها قهراً ـ عسكريًا ـ عند اللزوم ، إذًا فالقوة في خدمة الفكر !!

أولاً : الغزو الفكري

١ ـ معناه ومفهومه :

مهاجمة الآخرين في ديارهم لقهرهم ، والقضاء على هويتهم الدينية والثقافية ، ومحاولة فناء القيم والعادات الخلقية الرفيعة ، وإحياء أخرى حقيرة [(١)].

وقد يكون للغزو الفكري أسماء براقة ، كالحداثة ، وإزالة أشكال التمييز ،والحرية المطلقة ، والعلمانية ، والتنوير ، والعولمة ، وأخيرًا نشر الديمقراطية . . إلخ .

وقد أوضح القرآن الكريم هذا في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وقد حذرنا الله من اتباع مفكري هذا الغزو ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا . مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٤٤ ـ ٤٦].

والآيات صريحة توضح أن غُزاة الفكر الإسلامي هم أهل الكتاب وغيرهم ، وهذا هو الواقع الملموس الآن .

---

(١) التعريف للمؤلف .

وقد تطور هذا الغزو في عصر العولمة من غزو أمة لأخرى ، إلى غزو شامل كامل من أمم « أمريكا والغرب ، والأمم المتحدة » إلى سائر العالم ـ إسلامي وغير إسلامي ـ وإن كان الهدف الرئيسي الأول هو الإسلام .

٢ ـ أسلحته ومعداته :

الفكرة البراقة الظاهرة ، المعتمة الباطن ، والكلمة الرقيقة النطق الفاسدة المفهوم ، والرأي والحيلة ، والنظريات ، والشبهات ، وخلابة المنطق ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، ولدادة الخصومة ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والكتاب ، والقصة ، والأغنية ، والمسلسل التليفزيوني ، والفيلم السينمائي ، وهذا وغيرها أقوى من الأسلحة النووية ، والصواريخ الموجهة ، فهي تذهب العقول لسنوات وعقود وربما قرون .

وقد نبهنا الحق جلّ وعلا لهذا النوع من الغزو الثقافي الديني ، فقال : ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، كما أوضح خطورة هذا الغزو الرامى للفتنة فى الدين ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ [الانعام : ٢١٧] ، وأوضح أساليب هذا الغزو فقال : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ [الانعام : ١١٢] .

كما أوضح إعانة البعض من المسلمين لهم في دعواهم ، فقال موضحًا خطأهم مبينًا خطئتهم : ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : ٨٠ ، ٨١] .

ولا شك أن الهدف من الغزو الفكري الخاص بإطلاق حريات المرأة التي تتعارض مع تعاليم الأديان والأخلاق القويمة ، هو بث الأمراض الاجتماعية والخلقية والصحية في المجتمع ، حتى لا يتقدم إلى الأحسن ، ويصبح أشل بلا حضارة علمية أو فكرية ، فيمكن هزيمته فكريًا وعلميًا ، وقد حذرنا ربنا من ذلك ، فقال تعالى ناصحا لنا : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** ﴾ [النحل : ٩٢] .

٣ ـ طرقه وأساليبه :

الواقع أن هذه الطرق وتلك الأساليب تحتاج إلى دراسات عديدة مطولة ، ولكننا نقول باختصار أن من أهم هذه الطرق :

أ ـ تجنيد الدعاة وتشجيعهم ، خاصة ذوي المكانة في المجتمع سواء العائلية ـ شهر العائلة ـ أو المالية ـ غناها ـ أو العلمية أو غيرها :

وقد استغل الاستعمار الكثير ممن تعلموا في جامعات الخارج لنشر دعواهم ، فما أيسر إعادة تشكيل عقل لم يكتمل نموه الثقافي في زرع ما يراد إنباته فيه من أفكار سيئة وقيم فاسدة ، والأمثلة يحال حصرها .

كما استغل الغرب في فترة الاحتلال الإنجيلزي لمصر الكثير من النساء الشهيرات في نقل فكره ، وساعده في ذلك أن حال المرأة حينذاك كان مترديًا للبعد عن تعاليم الإسلام المنظمة لحياتها وحيائها .

وقد ذكرت السيدة « هدى شعراوي » أنها تعارفت على مدموازيل « مارجريت كليان » التي سألتها : عما إذا كانت سيداتنا تتلقين محاضرات أو يحضرنها ، فلم يمكنني مصارحتها بالحقيقة ، وهو أن شيئًا من ذلك لم يحدث بعد ، وسألتها أن تلقى علينا محاضرة عن المرأة الشرقية والغربية في مسألة الحجاب ، وقد تمت المحاضرة بالجامعة الأمريكية الآن « منزل خيري باشا » [١].

كما تقول « هدى » : أنها ناقشت مع صديقتها الفرنسية تحسين حال المرأة المصرية ، وقد استقر رأينا على أن نبدأ مشروعنا بتوجيه المرأة إلى ممارسة الرياضة البدنية أولاً ، وتنبيهها إلى خوض الحياة الاجتماعية ، وترغيبها في دراسة الفنون والآداب ، وذلك بعقد اجتماعات تجمع بين الرياضة الفكرية والبدنية ، وقررنا أن نبدأ بإعداد ملعب للتنس في حديقة « مصطفى رياض باشا » [٢].

---

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : صـ (١١٥) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٩٩) ، ويراعى أن مصر كانت محتلة من إنجلترا ومقاومة الاستعمار ثقافيًا وعسكريًا « العمل الفدائي » كانت قائمة ، والفرنسية والمصرية يُردن تعليم النساء الفنون ولعب التنس . . !!!

ب ـ الترويج الإعلامي لأفكارهم :

من المعروف أنه لا قيمة لفكرة إذا كانت حبيسة في العقل ، ولكن قيمتها تظهر بإعلانها وإعلامها والدعوة إليها ـ سواء صالحة أم طالحة ـ ومن هذا المنطلق كان تكريس الإعلام بشتى صوره وأشكاله لخدمة تلك الأفكار التي لا تستقيم مع أحكام الأديان أو لا تتوافق مع الفطرة السوية ، وقد اتخذ هذا الإعلام عدة صور منها :

* التشجيع على الكتابة وإبداء الرأي :

الكتابة عن المرأة ومساواتها الكاملة مع الرجال في كل شيء من العمل حتى حق الطلاق والتعدد، بدأت كقطرات مطر خفيفة ثم أصبحت الآن كسيل عارم يكتسح كل شيء ويقضي على كل ما هو جميل .

* الكتب :

بدأت الكتابة الجادة بكتاب « المرأة بين المشرق والغرب » لـ « مرقص فهمي » المحامي، ثم « تحرير المرأة والمرأة الجديدة » لـ « قاسم أمين » ، و« المرأة المصرية والبرلمان » لـ « أماني فريد » سنة (١٩٤٧) ، و« المرأة المصرية من الفراعنة لليوم » لـ « درية شفيق » سنة (١٩٥٥) ، ومن قبله « تطور النهضة المصرية من عهد محمد علي إلى الفاروق ـ الملك فاروق ـ » لـ « درية شفيق » ، والدكتور « إبراهيم عبدة » سنة (١٩٤٥) ، و« المرأة والتعليم الجامعي » لـ « السعيد مصطفى السعيد » سنة (١٩٥١) ، و« ذكريات » لـ «فاطمة اليوسف » سنة (١٩٥٩) ، « المرأة كفاحها وعملها » لـ « أحمد طه أحمد » سنة (١٩٦٤) ، والعاصفة مستمرة .

* المجلات :

مجلة « السيدات » صدرت سنة (١٨٩٢) لـ « هند نوفل » ، « الهوائم » ، « المرأة في الإسلام » عام (١٩٠٠) ، مجلة « السفور » لـ « عبد الحميد حمدي » ، « شجرة الدر » سنة (١٩٠١)،« السعادة » سنة (١٩٠٢) ، « السيدات والبنات » سنة (١٩٠٣) ، « فتاة الشرق » سنة (١٩٠٦) ، « ترقية المرأة » سنة (١٩٠٨) ، و« فتاة النيل » سنة (١٩١٣) ، ومجلة « بنت النيل » ، و« المرأة الجديدة باللغة الفرنسية» . . إلخ .

* والمقالات :

تبنت جريدة الأهرام الدعوى لتحرير المرأة وأفردت صفحات طوال لنشر آراء دعاة التحرر المعتدل منهم ، والمتطرف ، كما عرضت لآراء الرأي الآخر في موضوعية وعدالة ، ومع ذلك فقد خدمت دعاة التحرر بنصيف أوفر (١) .

أما صحيفة « الجريدة » فكانت المبدأ الأساسي لمقالات « لطفي السيد باشا » الداعية لتحرر المرأة ، وكان من كتابها رجال حزب الأمة ، ومنهم « فتحي زغلول » رئيس محكمة دنشواي ، ومحامي الإنجليز فيها « الهلباوي » ، اللذان أدّنا وحكما بالإعدام على عدد من أهل دنشواي في حادثة دنشواي الشهيرة (٢).

وتعددت المقالات في مجلة « بنت النيل » .

وتوالت كتابة المقالات في ما لا يُعد ولا يُحصى من مجلات وجرائد ، ومن ذلك مجلة « روزاليوسف » للسيدة « فاطمة اليوسف » ، « حواء الجديدة » للسيدة « أمينة السعيد » . . . إلخ .

* الخطابة واللقاءات الصحفية والإعلامية :

بدأت الخطابة النسائية بصورة مؤثرة في المؤتمرات الداخلية والخارجية .

وقد كانت بداية الفكرة غريبة ، تقول عنها « هدى شعراوي » :

« حضرت من أوربا آنسة فاضلة تدعي مدموازيل « مارجريت كاليان » . . مندوبة من نادي السياحة المؤسسة « كازنيجي » وسألتها أن تلقى علينا محاضرة عن المرأة الشرقية والغربية في مسألة الحجاب ، فقبلت » (٣).

وفي سنة (١٩١٠) عقد مؤتمر للمرأة في مصر ألقت فيه باحثة البادية « ملك حفني ناصف » خطبة مطالبة بحق النساء في الحياة الإنسانية الكريمة .

كما كان للسيدة « هدى شعراوي » العديد من الندوات والمحاضرات والمقالات المطالبة

---

(١) د « نبيل راغب » : « هدى شعراوي وعصر التنوير » : صـ (١٠) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨) .

(٢) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨١) بتصرف .

(٣) « مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة » : هدى شعراوي :صـ (١١٤ ، ١١٥) مع الاختصار ، كتاب الهلال ، سبتمبر سنة (١٩٨١) ، والمذكورة كانت تعمل للدعوة تحت ستار السياحة !!!

بحقوق المرأة - من وجهة نظرها - في الداخل والخارج سواء في الاتحاد النسائي بمصر ، أو بالخارج بروما عام (١٩٢٣) ، وبباريس عام (١٩٢٦) ، وغير ذلك .

ولدرية شفيق نشاط وافر في الخطابة داخل حزب « بنت النيل » وخارجه .

وقد ساهمت وسائل الإعلام الحديث من راديو ثم تليفزيون ثم إنترنت وغير ذلك في الدعاية لتحرر المرأة وإطلاق عملها ، وجندت وسائل الإعلام لخدمة هذا الاتجاه ولا تخلو لحظة واحدة من لقاء مع هؤلاء الدعاة ، وتفرد وتفرض برامج خاصة لهذه الدعاوى ، يتحدث فيها كافة المؤيدين ويحجب رأي أغلب المعارضين .

* استغلال الفنون في الإساءة إلى الإسلام والمرأة المسلمة :

يقول « جال شاهين » الأستاذ بجامعة إلينوي ، والمستشار الإخباري السابق لدى محطة (C.B.S) الإخبارية لشؤون الشرق الأوسط: أنتجت هوليوود حوالي (٩٠٠) فيلم روائي من أيام السينما الصامتة حتى الآن ، توضح العربي إرهابي يثير الشفقة ، كسول ، همجي ذا لحية ، متخلف ، تاجر رقيق ، وخاطف نساء يسعى دائمًا للاعتداء على الأوربيات الشقراوات أو الاحتفاظ بهن كجاريات أو الزواج بهن بالقوة [١].

* تيسير مقابلة الزعماء وأصحاب الشهرة والاتصال بهم :

تقول السيدة « هدى شعراوي » أنها قابلت « موسوليني » ثلاث مرات :

الأولى : عندما ترأس جلسة الافتتاح ، والثانية : عندما أقام حفل شاي للمندوبات في الكابيتول ، والثالثة : بعد انتهاء أعمال المؤتمر « مؤتمر روما » ، وقد استقبلنا وصافح أعضاء المؤتمر واحدة واحدة . . » [٢].

هذا ، وقد أرسلت حرم الرئيس الأمريكي « روزفلت » برقية تأييد للمؤتمر النسائي العربي المنعقد سنة (١٩٤٤) ، ومما جاء فيها : « ويسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحادات النسائية في مختلف بلاد الشرق العربي ، والواقع أن نفوذ النساء ليتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم ، وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن

---

(١) مجلة « منار الإسلام » ذو القعدة (١٤٢٢) هـ ، يناير ، فبراير سنة (٢٠٠٢) ، والخبر ورد في كتاب « جاك شاهين » ، « عرب السينما الأشرار » .

(٢) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : صـ (٢٥٩) ، وموسوليني زعيم إيطاليا ورئيسها والكابيتول هو مقر رئاسة الحكومة الإيطالية .

بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في باقي بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم والسلم العالمي في المستقبل » [١].

جـ ـ مزاولة الضغوط الجبارة على الحكام لتيسير الدعوة :

ناشد المذيع البريطاني بمصر مستر « ناتريك سميث » بلاده في نداء إذاعي فقال ما ملخصه : « جاءتني الدكتورة درية شفيق زعيمة حزب بنت النيل ، وقد شكت إليّ من أن الجهات المسئولة في مصر تعارض بشدة مطالبتها بحقوق المرأة السياسية ، وكفاحها لأجل تمثيل المرأة داخل البرلمان وطلبت مني أن أناشد الصحف البريطانية كي تؤازرها بكل ما تستطيعه ، وأن تضغط على الدوائر المصرية حتى تكف عن معارضتها القائمة ثم أوصى حضرته في إذاعته بمؤازرة هذه الزعيمة في دعوتها إلى تحرير المرأة المصرية » [٢].

ولا يجب أن نتغافل عن حقيقة : أن دعوة الحركات النسائية لحضور المؤتمرات بالخارج يعطيها صفة الدولية وما ينتج عنها من حماية سياسية ودبلوماسية وإعلامية .

وقد رحبت الدوائر الأجنبية بهذه الحركات ، وأبرقت بذلك رئيسة الاتحاد الدولي إلى رئيسة بنت النيل ، ودعتها إلى حضور الجمعية العمومية للاتحاد في أثينا ، وأرسلت رئيسة الاتحاد الدولي في الوقت نفسه إلى وكيلة الاتحاد النسائي المصري تطلب بيانًا عن مظاهرة (١٩) فبراير ، ونتائجها ، والقرارات التي اتخذت بعدها ، وأبرقت السيدة « فيوليت إيفا » الصحفية الهندية إلى الهيئات النسائية المصرية تعلن اغتباطها ؛ لأنَّها بعد شهر واحد من مغادرتها القاهرة بلغتها أخبار المظاهرة وحثت سيدات الحركة النسائية على الاستمرار في عملهن الإيجابي .

وأبرقت جمعية « سان جيمس » النسائية بإنجلترا تهنئ الهيئات النسائية المصرية على كفاحها من أجل الحقوق السياسية وتعلن تأييدها لها ، وفي نفس الوقت سافرت رئيسة لجنة الحقوق الاقتصادية بالاتحاد الدولي إلى مصر ، فوصلتها في (٣٠) مارس (١٩٥١) لغرض الاتصال بالجمعيات النسائية والوقوف على مدى نشاطها واتجاهاتها ، وقد نزلت ضيفة على الاتحاد النسائي في مصر [٣]!

وما زال المسلسل مستمرا ، وتعددت المؤتمرات والتآمرات الدولية الداعية لتحرر المرأة

---

(١) « الحركات النسائية » : صـ (٨٥) ، وهذه السيدة كانت البرعون لمساعدة إسرائيل .
(٢) المرجع السابق: صـ (٩٦) .
(٣) المرجع السابق : صـ (٩٣) .

والتي تشرف عليها الأمم المتحدة لتعطي لهؤلاء الدعاة المصداقية الدولية والتأييد اللانهائي القادر على وأد أي دعوة للتصحيح الحقيقي لحال المرأة في الدول العربية والإسلامية .

د ـ المساعدات المالية المفتوحة :

من التعاريف الاقتصادية الهامة والمختصرة للنقود : النقود ما تفعله النقود .

إذن ، فكل دعوة أو فكر يُراد نشره والإعلام به لابد من الإنفاق عليه ، وحيث إن تلك الدعاوى غربية استعمارية ، فإن الغرب هو ما ينفق عليها .

هذا، وقد نشرت مجلة « روزاليوسف » في أبريل (١٩٥١)م ، بالعدد (١١٩٥) : « استقالت عضوة في إحدى الهيئات النسائية ،وأرسلت استقالة مسببة إلى رئيسة الهيئة تتهمها فيها بأخذ إعانات مالية من إحدى السفارات الأجنبية ، وقد قبلت الرئيسة الاستقالة دون عرض على مجلس الإدارة » (١).

وقد تأكد الخبر حيث جاء بالجريدة بعد ذلك .

تشترك كل من السفارة البريطانية والأمريكية بمبلغ (١٠٠٠) جنيه ، سنويًا في بعض المجلات التي يصدرها حزب بنت النيل (٢).

وحتى الآن يُنفق المليارات في سبيل الدعوى لتحرر المرأة ، ويقام العديد من المؤتمرات تحت إشراف الأمم المتحدة يحضره مئات الآلاف من النساء ، ويترك الملايين من الفقراء كي يموتوا جوعًا ومرضًا في أغلب الدول التي تقام فيها هذه المؤتمرات !!!

كما أن المعونات الأجنبية للدول المتخلفة يشترط فيها إنفاق الملايين للترويج لهذه القضية .

ثانيًا : الغزو العسكري :

١ ـ معناه :

الغزو في اللغة : القصد والطلب والسير إلى قتال الأعداء ـ من وجه نظر الغازي ـ في ديارهم وقهرهم والتغلب عليهم ، والقضاء على النسل بالقتل والأسر والسجن ، وإهلاك الحرث من أموال وزروع وممتلكات ، وسلب ما له قيمة من خيراتهم ، حتى لا يقام لهم بنيان ولا يعلو لهم مقام ، فيصبحوا مستضعفين في الأرض .

(١ ، ٢) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٩٠) .

والمعنى السابق يخص الغزو العسكري الغربي الغير إسلامي [1]، وقد أوضح الله في قرآنه هدف الغزو العسكري فقال تعالى على لسان ملكة سبأ «بلقي »: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤]، أي : أن هذه سُنة وطريقة ومنهج ثابت لا تغيير لها أو تبديل .

كما أجلى الله عز وجل حقيقة محاولة استعباد واحتلال العالم الإسلامي فقال : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة : ٨ ـ ١٠] .

٢ـ أسبابه :

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يقتل لا ليأكل بقدر حاجته ، وعند الضرورة ـ كالحيوانات المفترسة ـ ولكنه يقتل ويغزو ليغتصب حقوق الآخرين ، أو لينشر مبادئ وقيم قد تكون فاسدة أو صالحة، فأسباب الحرب الرئيسية هي الاقتصاد من تجارة وصناعة ومال، وكذلك الدين سواء الدفاع عنه أو محاولة نشره والتبشير به ، أما الخلافات الحدودية ، « الإقليمية » ، أو العرقية ، فتلك أسباب فرعية مؤقتة ، ولا تؤدي ـ غالبًا ـ لاحتلال بلد لآخر .

أ ـ أسباب الغزو العسكري « الغير إسلامي » :

يُطلق على الغزو الغربي للشرق العربي عدة مصطلحات منها : غزو الشمال للجنوب أو الحروب الصليبية ، والأسباب الرئيسية لهذا الغزو التي ينتهي ليبدأ ، ويسكن ليثور هي أسباب ثلاثة : الدين سواء لمقاومة الفتح الإسلامي ، أو لاحتلال البلاد الإسلامية للتبشير ومحاولة نشر الدين المسيحي ، ثم الغزو لتحقيق المصالح الاقتصادية من فتح أسواق للتجارة أو اغتصاب وسرقة ثروات الشعوب ثم الأهداف السياسية والاستراتيجية ، ومنها : الاستيلاء على مواقع عسكرية حيوية للمساعدة في شن حروب جديدة أو الدفاع ضد عدو محتمل أو تيسير الهجوم عليه وغير ذلك .

---

(١) لم يكن هدف الغزو الإسلامي، القتل والدمار واستغلال ثروات الشعوب، ولكن هدايتهم لدين الحق، ودفع جزية مقابل الزكاة ، ويحصلون في مقابلها على كافة الخدمات ، ومنها الأمن والحماية .

والواقع أن هذه الأسباب الثلاثة الرئيسية يؤمن بها الغرب كمفكرين وقادة عسكريين إيمانًا كاملاً جازمًا ؛ لأنَّها من صُلب التعاليم الدينية الواردة في الكتاب المقدس بالتوراة فآمن بها أهل الإنجيل .

*** أسباب الغزو في التوراة والديانة اليهودية :**

ـ قتل أهل الأديان الأخرى :

حذر الله اليهود في التوراة أكثر من مرة ، عبادة آلهة غيره سواء أوثان أو معبودين آخرين ، وأمرهم بإبادة الشعوب التي تعبد غير الله حتى لا ينساق اليهود وراءهم ويعبدون آلهتهم .

فكانت وصية موسى لقومه قبل موته : «**وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب إليكم ، فلا تشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم ؛ لأن ذلك شرك لكم**» [تثنية : ٧ : ١٦].

وموسى لم يأت بهذه الوصية من عند نفسه بل هي شريعة ومنهج يجب الالتزام به ، وجاء بسفر التثنية عن شريعة حرب مدن الجيران والمدن البعيدة عن اليهود : « **(١٠) وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً (١١) فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم ، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم (١٢) فإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها (١٣) فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم فاقتلوا ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة من أسلاب تغنموها لأنفسكم وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم (١٥) هكذا تفعلون بكل المدن النائية منكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا** » [تثنية : ٢٠ : ١٠ : ١٥] [١].

هذا ، ولم تتضمن أوامر الرب في التوراة الغزو لنشر الدين اليهودي ، حيث إن اليهودية ـ حسب ادعاء اليهود ـ هي دين خاص لليهود فقط وليس لآخرين اعتناقه ؛ لأنهم ـ حسب ظنهم ـ شعب الله المختار لعبادته فقط ، فقد جاء بالتوراة : « **(٢٢) وجعلت إسرائيل شعبًا لك إلى الأبد وصرت أيها الرب إلهًا لهم** » [الأيام ١٧ : ٢٢] ، وأيضًا سيتخلى الله عن كل عباده ما عدا اليهود فقط : « **الرب لن يتخلى عن شعبه إكرامًا لاسمه العظيم ؛ لأنَّه شاء أن يجعلكم له شعبًا** » [١ صموئيل ١٢ : ٢٢] .

---

(١) « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » للمؤلف: صـ (٧٢) ، دار الوفاء بالمنصورة ، والإسلام ليس فيه استعباد للشعوب المسالمة بل جزية « مقابل مادي » للدفاع عنهم.

ـ الغزو لطرد أصحاب الأرض ، وإبادتهم واغتصابها :

يؤمن اليهود بأن الله منحهم أرض فلسطين كميراث دون العالمين ، ومن حقهم الاستيلاء عليها ، وقتل أصحابها مع الإبادة التامة .

ـ الوعد الإلهي بميراث الأرض :

وعد الله إبراهيم في سفر التكوين بامتلاك أرض فلسطين له ولنسائه فقال : « **أعطى لنسلك هذه الأرض من نهر العريش إلى النهر الكبير نهر الفرات** » [التكوين : ١٥ : ١٨ ، ١٩]، هذا ، وقد تكرر الوعد لإسحاق ويعقوب ، وعلى ذلك فيرى اليهود أن من حقهم إبادة ساكنيها والحصول عليها وجاء بالتوراة [1]:

« **(١٦) أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تستبقوا منها نسمة حية (١٧) بل دمروها عن بكرة أبيها .. كما أمركم الرب إلهكم** » [تثنية : ٢٠ : ١٦ ، ١٧].

وعلى ذلك ، فقادة إسرائيل يؤمنون بأن فلسطين لا تصلح لإقامة شعبين وما يَدَّعونه من إقامة دولة فلسطينية كذب صراح ، يقول « موشي ديان» وزير الدفاع السابق :« طالما امتلكنا الكتاب المقدس ، واعتبرنا أنفسنا شعب الكتاب المقدس ، فعلينا أن نحتل الأراضي المقدسة » .

كما يقول « يوسف فايتتس » مدير الصندوق القومي اليهودي :« ليس هناك مكان لشعبين في تلك البلاد ، إذا غادرها العرب فستكفينا . . يجب ألاَّ نترك قرية واحدة ولا قبيلة واحدة » [2].

ـ الغزو لتحقيق مصالح اقتصادية واستراتيجية :

الحقيقة أن الغزو لسلب ثروات الغير هو من الثوابت الدينية ، عند اليهود ، منهم قد يقتلون من أجل السرقة ، ومن البدهي استحلال قتلهم الغير من أجل ذلك ، فقد جاء بالتوراة : « **سرق الدانيون « يهود سبط دان » تماثيل مسبوكين من ذهب ، وكذلك كاهن ، ليتسنى لهم عبادة التماثيل ، اعترض طريقهم صاحب هذه التماثيل ، ويسمى « ميخا » ، ولكنه لم يستطع القتال واسترداد ما سرقوه ؛ لأنهم أقوى منه وأكثر جمعًا ، ومع ذلك أقبل**

(١ ، ٢) « روجيه جارودي » ، « رجاء جارودي بعد إسلامه » :« محاكمة الصهيونية الإسرائيلية » : صـ (٤٨ ، ٤٩) .

اللصوص على أهل قرية « لايشى » فوجدوا شعبها آمنًا مطمئنًا مسالمًا فهاجموها وقتلوا أهلها بحد السيف وأحرقوها » [القضاة : ١٨ : ٢٧] .

كما أن التوراة أجازت احتلال أوطان الغير ـ غير أرض الميعاد ـ لاستغلالها اقتصاديًا واستراتيجيًا فجاء فيها : « **وإذا حاصرتم مدينة حقبة طويلة معلنين الحرب عليها لافتتاحها فلا تقطعوا أشجارها بحد الفأس وتتلفوها ؛ لأنكم تأكلون من ثمرها ..(٢٠) أما الأشجار التي لا يؤكل ثمرها فأتلفوها وأقطعوها ، لاستخدامها في بناء حصون حول المدينة المحاصرة المتحاربة معكم إلى أن يتم سقوطها** » [التثنية : ٢٠ :١٩ ، ٢٠] .

« **(١٣) فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم ، فاقتلوا ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة من أسلاب ، فاغنموها لأنفسكم (١٥) هكذا تفعلون بكل المدن النائية منكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا** » [التثنية : ٢] ، إنها قرصنة بأمر الإله رب الجنود !!

هذا، وقد تجسد الغزو والقتل لأسباب استراتيجية في هذه القصة :

« طلب القائد اليهودي « جدعون » من أهل مدينة سكوت طعاما وشرابا كمؤنة حربية، ولكنهم رفضوا مساعدته ، لحيادهم في القتال ، فغضب عليهم ، وقرر أن يغزوهم ويفنيهم إذا رجع منتصرًا ، وقد كان : « **(١٦) وقبض على شيوخ المدينة وآخذ أشواكًا من البرية ونوارج وعاقب بها أهل « سكوت » (١٧) وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة** » [القضاء : ٨] . وعلى ذلك فقد نشأ في الفكر اليهودي والمسيحي عقيدة ضرورة امتلاك القوة لغزو واحتلال أراضي الغير وتحقيق كافة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية .

*** أسباب الغزو في الإنجيل والديانة المسيحية :**

ـ الغزو للاحتلال وسرقة خيرات الشعوب :

يؤمن المسيحيون بما جاء في التوراة من أفكار عدوانية إرهابية ، تهدف إلى احتلال أرض الميعاد « فلسطين » أو لسلب مقدرات الشعوب وسرقة خيراتها ، فها هو « بولس » الرسول يقول : « **إن إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا ، ورفع من شأن شعبنا طوال غربتهم في مصر (١٩) ثم أزال سبعة شعوب من بلاد كنعان وأورثهم أرضها** » [أعمال الرسل : ١٣ : ١٧ : ١٩] .

وعلى ذلك ، فقادة الغرب جميعًا يؤمنون بضرورة مساعدة إسرائيل عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا ودبلوماسيًا من أجل إبادة الفلسطينيين واحتلال أراضيهم ، فها هو الرئيس

الأمريكي « ريتشارد نيكسون » يقول : « إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق ، فنحن لها حلفاء رسميون ، وإنما يربطنا معًا شيء أقوى من أي قصاصة ورق ، إنه التزام معنوي ، لم يخل به أي رئيس في الماضي أبدًا ، وسيفي به كل رئيس في المستقبل بإخلاص ، إن أمريكا لن تسمح أبدًا لأعداء إسرائيل الذي أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها » [1].

والواقع أن هذا الالتزام ديني عقائدي بالدرجة الأولى ، فمصالح أمريكا مع العرب أقوى من مصالحها مع إسرائيل ، فالعرب مصدر ثروة أمريكا ، أما إسرائيل فهي أحد سُبل الإنفاق الأمريكي .

والسبب الحقيقي لمساندة إسرائيل هو إيمان الغرب المسيحي بضرورة احتلال اليهود لأرض الميعاد حتى تكون مهبطًا للمسيح الثاني حيث يحكم العالم لمدة ألف عام هي سلام كامل ، وقد جاء بسفر رؤية « يوحنا اللاهوتي » : « **(١) ثم رأيت ملاكًا نازلاً من السماء، وبيده مفتاح الهادية وسلسلة عظيمة (٢) قيد بها التنين ـ إبليس ـ وسجنه مدة ألف سنة (٣) وطرحه في الهاوية وأغلقها عليه وختمها ، حتى يكف عن تضليل الأمم ، إلى أن تنقضي الألف سنة** » [رؤية : ٢٠] ، كما يعتقدون بأن هذه الرؤيا قد جاءت في التوراة ، بسفر [أشعياء ، الإصحاح ٦٥ ، الفقرات : ١٧ : ٢٥] ، ومنها : « **يرعى الذئب والحمل معًا ، ويأكل الأسد التبن كالبقر ، وتأكل الحية التراب ، ولا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسي** » [أشعياء : ٦٥ : ٢٥] ، والفقرات توضح حال السلام خلال الحكم الألفي للمسيح ـ حسب الاعتقاد المسيحي وليس اليهودي .

ـ الغزو لنشر الدين أو الدفاع عنه :

يؤمن المسيحيون ـ كما سبق القول ـ بما جاء بالتوراة من أسباب الغزو والقتال، وبالرغم من وصايا الإنجيل بالرحمة والمغالاة في ذلك إلاَّ أنه تضمن ضرورة الغزو وإعمال السيف ، فجاء عن المسيح في إنجيل «متى»:«**...ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا(٣٥) فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها (٣٦) من أحب أباه أو أمه أكثر مني فلا يستحقني (٣٨) ومن لا يأخذ صليبة ويتبعني فلا يستحقني**»[متى١٠:٣٥:٣٨].

(١) « أبو إسلام أحمد عبد الله » : « الإجرام الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي » : صـ (١٢٥) ، دار الإسراء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٩١) .

وقد أشار المسيح ـ حسب قول لوقا ـ بضرورة الاستعداد لنشر المسيحية بالقوة فقال : « (٣٠٦) **ولكن الآن ، من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا** »[لوقا : ٢٢] .

ومن ثم آمن المسيحيون بضرورة الحرب لنشر الدين أو الدفاع عما فتحه المسلمون من بلاد مسيحية ، فبدأت ولم تنته الحروب الصليبية ضد الإسلام ، التي يقول عنها د «عزيز سوريال عطية » :

حروب مقدسة تهدف إلى أغراض مقدسة بتوجيه من الله الذي وَكَلَ هذه المهمة إلى البابا خليفته في الأرض ، وهذه الحملات المسلحة لأغراض الهجوم والدفاع كان يُطلق عليها « الحج الجماعي » وهي تعني « الحملة الصليبية » .

ففي بدايتها كانت تسعى إلى الإيمان . . وتحرير مدينة المقدس الدنيوية بالسيف ، ولقد قبل الناس كلمات السيد المسيح كما ذكرها البشير « متى » حرفيًا ، في إنجيله ، يحمل الصليب وأتباعه ،وقد نظم هذه الحملات مسيحيو الغرب وبخاصة النورمانديون والفرنسيون تحت قيادة بابوات ، وذلك لاسترداد الأماكن المقدسة من المسلمين [١].

وقد استمرت هذه الحروب حوالي قرنين من (١٠٩٥ ـ ١٢٩١ أو ١٢٩٢) م ، على أن المؤرخ السياسي يؤثر أن يعد الحروب الصليبية وحدة ، باعتبارها حركة هجرة من الغرب إلى الشرق ، أو تطلعا من الدول الغربية إلى مستعمرات أكثر منها ثراء ، أما المدرسة الحديثة من المؤرخين الاقتصاديين فتصور الحروب الصليبية من زاوية مغايرة فهي تراها مرحلة من مراحل التوسع الأوربي في الشرق أي صورة من صور الاستعمار في العصور الوسطى [٢] ، وباستعراض تلك الفقرات يتضح أن بداية الحروب الصليبية كانت من الغرب والمسيحية وليس من الإسلام .

ويؤكد الكاتب هذه الحقيقة فيقول :« وحينما انتهت ضوضاء الحرب الصليبية الأولى بتكوين مملكة بيت المقدس اللاتينية . .أصبحت الحرب المقدسة خاضعة لتأثير حالات متعددة سياسية وعسكرية واقتصادية ، وقد تحركت الصليبية من نطاق التقوى الذي لا يشوبها شائبة

(١) د « عزيز سوريال عطية »:«الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب»:صـ(٨)، دار الثقافة بمصر ، ط (٢) .
(٢) « المرجع السابق » .

إلى حقائق العالم وحالة من الحرب أصبحت أهدافها الدنيوية تزداد بدرجة ملحوظة » (١).

وكانت نتيجة هذه الحروب : « دفعت المسلمين إلى أن يناهضوا الصليبية فيشنوا على المسيحيين جميعًا حربًا لا تعرف الهوادة » (٢).

بداية الدعوة للحروب الصليبية :

البداية هي مسيحية خالصة « الواقع أن فكرة الحروب الصليبية في الشرق بدأت في البلاط البابوي قبل أن يثيرها البابا «إيربان الثاني» (١٠٨٨ : ١٠٩٩م) ، فالبابا جريجوري السابع (١٠٨٣:١٠٨٥م)، فكر في مشروع الحرب المقدسة منذ وصل البابوية ، وعلى ذلك أدرك «جريجوري » أن الغرب المسيحي يجب أن يتخذ خطوة لإنقاذ الشرق المسيحي » (٣).

وما زالت الحرب الصليبية مستمرة ، فالرئيس الأمريكي « بوش الابن » يقول عن ضرب العراق ، إنها حرب صليبية ثم يعتذر .

ونفس هذه الأفكار دعا لها « كسينجر » وزير خارجية أمريكا السابق ، اليهودي الأصل والفكر ، فقال :« الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي باعتبار هذا العالم عدو جديد للغرب » (٤).

ـ أهمية الحروب لفتح أسواق جديدة :

إن فكرة ضرورة الحرب والاحتلال بغية فتح أسواق جديدة فكرة قديمة قدم التاريخ ، ولكنها صارت أكثر وضوحًا ، ومثلت ضرورة ملحة ، وأمرًا لازمًا ، وسياسة ثابتة نتيجة النهضة الصناعية ، والإنتاج الكبير الواسع ، وقد تبنتها إنجلترا ، وكانت السبب المباشر لفتح الهند ، وأيضًا لاحتلال دول أخرى في آسيا ، وإفريقيا وغيرها ، ثم اتبعت دول أخرى أقل قوة نفس الأسلوب ، ويمكن القول : إن الاستعمار بما حمله من إرهاب ، يتمثل في استعمال القوة الغاشمة لترويع وتخويف الشعوب ، لامتلاك مصادر الطاقة ، والمواد الأولية لدى الشعوب الضعيفة ، ثم تصريف المنتجات لديها أيضًا في عملية جزر ومد ، هو وليد الثورة الصناعية والأدب الشرعي له الاستعمار الحديث .

---

(١) د « عزيز سوريال عطية » : « الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب » : صـ (١٤٤ ، ١٤٥) ، دار الثقافة بمصر ، ط (٢) .

(٢) « المرجع السابق » :صـ (١٤٥) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٥) .

(٤) د « علي محمد » عجلة مجلة « منار الإسلام» : صـ (٧ ، ٨) ، العدد (١١) سنة (٢٧) ، ذو القعدة (١٤٢٢) هـ ، يناير وفبراير (٢٠٠٢) م .

قامت الدول الأوربية باقتسام العالم استعماريًا ،فاستولت إنجلترا على الهند وإفريقيا الشرقية والشرق الأوسط ، واستولت فرنسا على غرب إفريقيا والهند الصينية ، ومن المغرب عبر الأطلنطي إلى كويبك وجويانا ثم عبر الباسفيك إلى كالدونيا الجديدة ، كما استولى القياصرة على سيبريا ، واستولت بلجيكا على الكونغو وهولندا على إندونيسيا[١] .

ولم يثبت التاريخ في أي دور من أدواره أو مرحلة من مراحله استعمار أي دولة إسلامية لدول أخرى بغية استغلالها تجاريًا أو لتحقيق مصالح اقتصادية .

وكان التنافس على الضحايا - المستعمرات - هو السبب في قيام حربين عالميتين « وبعد حربين عالميتين لأجل إعادة توزيع الغنائم خسر الجميع ، وفازت أمريكا وأصبحت سيدة العالم خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سنة (١٩٩٠ م) » .

وفي ذلك يقول السناتور « ويليام كوهين » من لجنة القوات المسلحة الأمريكية :

« القوة احتياجًا حيويًا لفرض السيطرة على أقاليم ومناطق جديدة ، للحفاظ على الإمكانية المفتوحة للوصول إلى الأسواق والمواد الأولية البعيدة ، والصراعات المحتملة قد تستوجب حربًا متوسطة الكثافة مع العدو القوي في العالم الثالث » [٢].

وأرجو الانتباه إلى العدو القوي في العالم الثالث « أليس من الادعاء البين الكذب ، أن تصف أقوى دولة في العالم ، أي دولة من دول العالم الثالث ، أي العالم المتخلف ، الفقير ، الجاهل علميًا ، الذي يستدين من الغرب لينفق ، ويتسول منه ليأكل ، بل ويشتري منه نفايات الأسلحة ليواجه بها صراعاته الإقليمية والداخلية التي خلفها الاستعمار بعد أن خلقها من قبل ؟! بأنها عدو قوي يهدد أمنها؟! .

ونفس الفكرة أوضحها « أي . إم . جراي » قائد المارينز [٣]:

« صراع الشمال - الجنوب هو خط أساسي فاصل ، فالمحافظة على تواصلنا مع الأسواق في العالم ، وكذلك استمرارية حصولنا على المواد الخام التي تلزمنا لدعم حاجاتنا الاقتصادية دون أي صعوبات ، ستحتمان علينا امتلاك قوة عسكرية ذات مصداقية » [٤].

---

(١) « روجيه (رجاء) جارودي » : « أمريكا طليعة الانحطاط » : صـ (١١٢) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٨١) .

(٣) « المارينز » : القوات البحرية الأمريكية الخاصة .

(٤) « روجيه جارودي » : « أمريكا طليعة الانحطاط » : صـ (٨٣) .

ويقول أيضًا « بول ماري دي لاجورس » مدير مجلة الدفاع القومي في « لومند ديبلوماتيك » الفرنسية في إبريل سنة (١٩٩٢) :

« يجب الحفاظ على وضع القوة الخاصة بنا وتخليد الهيمنة عبر إيقاع الهزيمة بأسلوب مدمر وقوة عسكرية تكفي لردع أي أمة أو مجموعة من الأمم عن تحدي إرادة الولايات المتحدة » [١].

لعل تعبير « أسلوب مدمر » يوضح الإرهاب الحقيقي الفعلي وإيمان القوى بإبادة الضعيف المغلوب على أمره ، أما السبب فهو تحدي الإرادة لأمريكا ، كان الجميع عبيد رغبات أمريكا بغض النظر عن أحقيتها من عدمها ومشروعية هذه الرغبات .

هذه الأفكار صاغها « فوكوياما » في كتابه « نهاية التاريخ » ، فأوضح ضرورة السيطرة على العالم كله بوحدانية السوق أما « صموئيل هانتنجتون » ، فقد وضح العقاب أمام تحقيق هذا الهدف أنه لابد من محو حضارة الإسلام الضعيفة وقرر أن السبيل لذلك :

١ ـ الحد من تنمية القوة العسكرية للدول الكونفوشيوسية الإسلامية .

٢ ـ استغلال الخلافات والصراعات بين الدول بعضها البعض .

٣ ـ مساندة الحضارات الغير غربية التي تفضل القيم والمصالح الغربية ، وتتفق مع مصالح الدول الاستعمارية .

وأوضح قائلاً : « على الغرب الحفاظ على قدراته العسكرية ، وباقي القدرات وتنميتها » .

ولعل أكبر احتلال اقتصادي واستراتيجي لمنابع البترول لدول الخليج العربي والعراق وأفغانستان وجنوب السودان يُمثل الإيمان الغربي الأمريكي بضرورة الغزو العسكري ،ويقول « جيمس أكيتر » السفير الأمريكي في « السعودية » :

« الآن فقط مع تواجد القوات الأمريكية حول حقول النفط يمكن تصحيح أحد الأخطاء الإلهية والمتمثلة في وضع هذه الثروة الثمينة في مكان لا تستحقه » [٢].

ويسأل أحد أعضاء مجلس الشيوخ « بوش » :

---

(١) « أمريكا طليعة الانحطاط » : صـ (٨٣) .

(٢) « أبو إسلام ، أحمد عبد الله » : « الإجرام الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي » : صـ (٢٢) .

ـ كيف ترسل أمريكا أبناءها من أجل شيوخ البترول ؟

ـ بوش : «نحن ذهبنا من أجل شيوخ أمريكا ومصالحها وليس من أجل شيوخ النفط»[1].

وفي حزيران سنة (١٩٧٣) م وصف « جوزيف سيسكو » مساعد وزير الخارجية حينذاك منطقة الخليج بأنها منطقة الولايات المتحدة فيها مصالح سياسية ، اقتصادية ، استراتيجية هامة جدًا .

وحدد نائب وزير الدفاع الأمريكي « جيمس لويس » مصالح أمريكا في المنطقة ومنها:

١ ـ احتواء القوة السوفيتية ضمن حدودها الحالية .

٢ ـ استمرارية الوصول إلى نفط الخليج .

٣ ـ استمرارية حرية السفن والطائرات الأمريكية في التحرك في المنطقة منها وإليها[٢].

وهكذا ، نرى الإيمان الغربي المسيحي الكامل بضرورة الغزو والاستعمار لأكثر من سبب منها الأسباب الدينية وأيضًا الاقتصادية والاستراتيجية ،وقد أوضح ذلك الحق فقال تعالى : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤].

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٢].

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤].

*** الغزو الإسلامي وأسبابه :**

سما الإسلام بقواعد الحرب والقتال عن جميع الأديان السماوية ، وفاق القوانين البشرية فحرم الاعتداء على الغير ، إلا للدفاع عن النفس والأرض والعرض والدين ، وهو لا يؤمن بصراع الحضارات « الأديان » ، بل ينادي ويعمل على حماية أعراض وممتلكات مخالفيه في الدين ويوفر الأمان لهم ولمعابدهم أي : حفظ السلام العالمي ، والجزية في

---

(١) « أبو إسلام ، أحمد عبد الله » : « الإجرام الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي» : صـ (٢٢) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٦٣) .

الإسلام هي ثمن بسيط لتوفير الحماية لغير المسلمين ، والإسلام يؤمن بضرورة نشر السلام والتسامح مع أي بادرة لحُسن النوايا .

*** الإسلام ليس فيه اعتداء على الغير :**

يقول الحكم العدل تبارك وتعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، ويقول السيد « محمد رشيد رضا » عن تفسير الآية : وتعليل « سبب » النهي عن قتال الأعداء بأن الله لا يحب المعتدين مطلقًا دليل على أن هذا النهي مُحكم غير قابل للنسخ ومن ثم : أن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعًا ليس فيها شيء من العدوان [1]، والآية توضح حق الدفاع عن النفس .

ومن الأسباب المشروعة للدفاع عن النفس ، نقض المعاهدات ، والاعتداء على الأرض ومحاولة طرد المسلمين : ﴿ **أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [التوبة : ١٣] ، وكذلك الحرب الإعلانية ضد الدين الإسلامي ومحاولة فتنة المسلمين عن دينهم « التبشير » يقول جلَّ شأنه : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج : ٣٩] .

كما قال العليم الخبير : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

*** الإسلام لا يعترف بغطرسة القوة أو بقوة الغطرسة :**

إن الهدف الإسلامي من الاستعلاء وامتلاك مصادر القوة ليس هو قتل الإنسان ولو كان علي غير الدين ، أو مصادرة ثروات البشر والسطو على مقدراتهم وسرقة خيراتهم ، ولكن سبب القوة هو عبادة الله : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [الحج : ٤١] .

إذن ، فالإسلام لا يؤمن أو يدعو لصراع الحضارات أو الأديان : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون : ١ ـ ٦].

يقول « السيد محمد رشيد رضا » في تفسير الآية :

---

(١) « السيد محمد رشيد رضا » : « الوحي المحمدي » : صـ (٦٧) ، إصدار المؤتمر الإسلامي ، الطبعة السادسة ، سنة (١٩٥٦) ، مطبعة نهضة مصر .

« أن يكون غرضهم من التمكن في الأرض والحكم فيها إقامة الصلاة المزكية للأنفس بنهيها عن الفحشاء والمنكر ، كما وصفها الله تعالى ، والمربية للأنفس على مراقبة الله وخشيته ومحبته ، وإيتاء الزكاة المصلحة للأمور الاجتماعية والاقتصادية ، والأمر بالمعروف الشامل لكل خير ونفع للناس ، والنهي عن المنكر الشامل لكل شر وضر بالحق صاحبه أو غيره من الناس » [١].

*** توفير الأمان للناس ونشر الإسلام ومبادئه :**

يدعى أعداء الإسلام والجاهلون بأحكامه أن الإسلام دين انتشر بالسيف والحرب والقتال [٢] ، ويرجع ذلك لتفسيرهم الخاطئ لقوله تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٢٩] .

يقول « السيد محمد رشيد رضا » في تفسير الآية :

« أي قاتلوا . . ما يقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم ، أو تهديد أمنكم ، وسلامتكم وحرية دعوتكم ، كما فعل الروم ، فكان سببًا لغزوة تبوك ، حتى تأمنوا عداوتهم بإعطائكم الجزية في الحالين والذين قيدت بهما ، فالقيد الأول لهم ، وهو أن تكون صادرة عن يد ، أي قدرة واسعة فلا يظلمون ولا يرهقون ، والثاني لكم « للمسلمين » ، وهو الصغار المراد به خضوع شركتهم ، والخضوع لسيادتكم وحكمكم ، وبهذا يكون تيسير السبيل لاهتدائهم إلى الإسلام ، بما يرونه من عدالتكم وهدايتكم وفضائلكم التي يرونكم بها أقرب إلى هداية أنبيائهم عنهم ، فإن أسلموا عم الهدى والعدل والاتحاد ، وإن لم يسلموا كان الاتحاد بينكم وبينهم في العدل ، ولم يكونوا حائلاً دونهما في دار الإسلام والقتال لما دون هذه الأسباب التي يكون بها وجوبه عينيًا أولى بأن ينتهي بإعطائه الجزية ومتى أعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم ، وحريتهم في دينهم بالشروط التي تعقد بها الجزية ، ومعاملتهم بعد ذلك بالعدل والمساواة كالمسلمين ، ويحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليف ما لا يطيقون

(١) « الوحي المحمدي » : صـ (٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(٢) الملاحظ أن الغزوات الإسلامية لمصر وبلاد الشام وأغلب العالم حينذاك ، كانت تلك الدول محتلة من الفرس والروم أي : من أهل الأوثان وعبدة النار والمسيحيين ،فحررهم الإسلام من ذل وعبودية وقهر هؤلاء .

كالمسلمين ، ويسمون أهل الذمة ؛ لأنَّ كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله ورسوله ﷺ ، وأما الذين يعقد الصلح بيننا وبينهم بعهد وميثاق يعترف به كل منا ومنهم باستقلال الآخر فيسمون بأهل العهد والمعاهدين [١].

*** الأسلوب الإسلامي الرحيم في الغزو :**

الإسلام دين سماوي أرسل رسوله ﷺ رحمة للعالمين ، والدعوة الإسلامية ليست دعوة محلية لقوم « العرب » على وجه الخصوص ، أو لمنطق معينة بذاتها « كالشرق الأوسط » ، أو للغة محددة « كاللغة العربية » ، ولكنها دعوة شاملة للناس أجمعين ، يقول تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الانبياء:١٠٧] ، ويقول أيضا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٠] [٢].

ومن ثم ، فمن حق المسلمين دعوة غيرهم لاعتناق دينهم ، مع الأخذ في الاعتبار أن الدعوة تقوم على الإمتاع لا الإكراه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

وإذا لم يرغب أحد في اعتناق الإسلام ، فهذا من حقه ، وليس للمسلمين عقابه [٣] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

*** أوامر الرسول ﷺ عند الغزو « الرحمة ومراعاة حقوق الإنسان » :**

روى أنس قول الرسول ﷺ للجيش عند ذهابه للفتح : « **انطلقوا باسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله ﷺ ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضحوا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** » [٤].

---

(١) « الوحي المحمدي » : صـ (٢٧٣ ، ٢٧٤) .

(٢) « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » : صـ (٣٧٢) .

(٣) العقاب يكون لمن أسلم ثم ارتد عن دينه ، حتى لا يكون اعتناق الأديان لعبة لمن أراد أن يتمتع بمزايا دين ، دون آخر ، كمن يعتنق الإسلام وهو مسيحي ليتمكن من طلاق امرأته والزواج بأخرى .

(٤) رواه أبو داود .

*** إنذار الأعداء قبل الحرب وعرض الإسلام عليهم :**

لا يهدف الإسلام من القتال هلاك النسل والحرث أو تحقيق مكاسب سياسية أو استراتيجية،ولكن هدفه الوحيد هو نشر دين الله في وقت لم تكن الظروف فيه متاحة لغير القتال ، حيث لم يكن العالم كاليوم قرية صغيرة ، وكان شمال العالم يحتل جنوبه .

قال رسول الله ﷺ : **« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ـ وحسابهم على الله »** (١) .

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله فى خاصة نفسه ، ومن معه من المسلمين خيرا ، وقال الرسول ﷺ : **« إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال ، فأيتها أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم »** (٢) .

هذا ، وقد التزم المسلمون بأوامر ووصايا الرسول ﷺ :

عن الحارث بن مسلم قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فلما بلغنا المغار ـ مكان القتال ـ استحثثت فرسى فسبقت أصحابي ، قد لقاني أهل الحي بالرنين « أي : الذهب والأموال » ، فقلت لهم : قولوا لا إله إلا الله تحرزوا « تحفظوا أموالكم وأنفسكم » فقالوها : فلامني أصحابي! وقالوا : حرمتنا الغنيمة ، فلما قدمنا على الرسول ﷺ حتى أخبروه بما صنعت فدعاني ، فحَسنَ لي ما صنعت (٣) .

ومن رحمة الإسلام بأعدائه أنه إذا أعلن أحدهم إسلامه ، وهو في خضم المعركة ، يتم العفو عنه وعدم إيذائه مطلقًا حتى لو كان قد قتل أو جرح بعض المسلمين .

فقد سأل المقداد بن عمرو الكندي الرسول ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا ، وضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة ، وقال : أسلمت لله ، أأقتله بعد

---

(١) الشيخ محمد الغزالي : « الإسلام والاستبداد السياسي » : صـ (١٠٨) .
(٢) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، والدارمي كتاب السير .
(٣) الشيخ محمد الغزالي : « الإسلام والاستبداد السياسي » : صـ (١١٦) .

أن قالها؟ قال الرسول ﷺ : « **لا تقتله** »[(١)].

ومن عدالة الإسلام رد الجزية لأصحابها إذا لم يستطع حمايتهم .

ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج أن أبا عبيدة بن الجراح بعدما صالح أهل الشام وجبى منهم الجزية والخراج ، بلغه أن الروم قد جمعوا له : واشتد الأمر عليه وعلى المسلمين ، فكتب إلى أمراء المدن التي صالحها أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج ، وأن يقولوا لهم : إنما رددنا لكم أموالكم ؛ لأنَّه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم أن نمنعكم « ندافع عنكم » ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم [(٢)].

هذا ، وقد التزم الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ بسياسته في المهادنة ووضع الحرب عمن يدفع الجزية .

أخرج عن ابن شهاب قال : بلغني أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين ، وأن عمرًا أخذها من مجوس فارس ، وأن عثمان أخذها من البربر [(٣)].

*** الإسلام ومهمته في حفظ الإسلام العالمي :**

أوضح الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم الغاية من قوة المسلمين وحرصهم على التمسك بأسباب الحضارة والرقي ، فقال : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ [الحج : ٤١] ، فالهدف هو حسن عبادة الله ونشر القيم الإنسانية والأخلاقية الرفيعة .

ولا شك ، أن هذا لن يتحقق إلا إذا أمن الناس حريتهم في العبادة ، فلكل صاحب دين أو ملة أو اعتقاد أن يزاول شعائر دينه في المكان المخصص لذلك ، وهذا الأمن لم يحققه أي دين « غير الإسلام » ، وهذا ما أثبته الواقع التاريخي حتى اليوم ، فقوة الإسلام تعني السلام العالمي ، وإذا ألقى الله على عاتق المسلمين الجهاد والحرب فلصالح الناس ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : ٤٠].

---

(١) « صحيح البخاري » ، باب الديات : (٤ / ١٨٦) .

(٢) « الإسلام والاستبداد السياسي » : صـ (١١٣) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (١٠٩) .

يقول « السيد محمد رشيد رضا » في تفسيره للآية :

« إنه لولا إذن الله الناس « المسلمين » بمثل هذا الدفاع « عن الظلم والطرد من الأرض، ومقاومة عبادة الله » [الآية ٣٩ من سورة الحج] ، لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله تعالى أتباع الأنبياء ، كصوامع العباد ، وبيع النصارى ، وصلوات اليهود «كنائسهم» ، ومساجد المسلمين ، بظلم عباد الأصنام ، ومنكري البعث والجزاء ، وهذا سبب ديني عام صريح في حرية الأديان في الإسلام وحماية المسلمين لها ولمعابد أهلها وكذلك كان » (١).

*** الإسلام دين السلام :**

يقول تعالى : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنفال : ٦١] ، وتعبير إن جنحوا يوضح المسارعة للسلم بمجرد العلم بنوايا الأعداء ، كما يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، الأمر عام شامل لكافة المسلمين بالحرص على الإسلام ، مع التحذير بأن غير ذلك هو اتباع لوسوسة الشيطان ، أي : أن الحرب بلا مبرر هي من عمل الشيطان .

ولذلك يرى الإسلام في امتلاك أسباب القوة طريقًا ممهدًا للسلام ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٠].

٣ ـ العلاقة بين الغزو الفكري والعسكري :

١ ـ العلاقة المتبادلة بينهما :

كلاهما مدمر فتاك ـ ما عدا الغزو الإسلامي ـ فالأول الفكري « يدمر العقول والألباب بالسيطرة على الأفهام ونشر البذىء من المعتقدات ، والقبيح من العادات وإذا أفلح في مسعاه ينساق إليه الناس طواعية وقد لا يقاومه بل يتمسكوا به ويقننوه ، ظانين أن فيه الهداية » ﴿ **فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٠] ، أما الغزو العسكري فإنه يدمر الأجساد والأشياء ، ومهما كانت قوة المعتدي فيتم مقاومته وطرده ، وإن طال الزمان ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ**

---

(١) « الوحي المحمدي » : صـ (٢٦٩) .

يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩].

والغزو الفكري دائمًا في خدمة الغزو العسكري ، وقد يكون نتيجة له ، فالعبث بالعقول دائمًا يهدم القيم الإنسانية ، ويحاول إزالة القيم الدينية ، كالجهاد والتضحية بالنفس لمقاومة الأعداء ، وعن طريق الغزو الفكري يتم تجنيد مفكرين ومثقفين وأصحاب أقلام وأفلام ، لخدمة الغازي ، فيكون منهم الدعاة لمهادنته المروجون للاستكانة والخضوع والخنوع ، كما يكون منهم الجواسيس والخونة ، وقد يظن هؤلاء وأولئك نفع الغزو العسكري للبلاد ، وينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤]، فتثار المعارك الفكرية ويتعالى الصراخ والجدال ، ومن ثم تتفرق الكلمة ولا يتفرغ الناس لمقاومة الأعداء .

ومعلوم أن الغزو الفكري أطول عمرًا من العسكري الذي قد يستمر سنوات ، وينتهي، أما الفكري فقد يظل لعقود ويحيا لقرون وقد لا ينتهي .

ويقول الأب « ميشيل ليلونج » موضحًا العلاقة بين الغزو العسكري والفكري والتبشير: « أن التوجس « الخوف » من أعمال المبشرين في البلاد الإسلامية أصبح أكثر حدة منه في القرن الماضي ، فالكنائس كثيرًا ما استفادت من التوسع الاستعماري لمد تأثيرها في أفريقيا وآسيا » [(١)].

وقد اعتاد الغرب المسيحي أن يمهد لغزوه العسكري للبلاد العربية والإسلامية ـ على وجه الخصوص ـ بمحاولة بث مفاهيم فكرية براقة المظهر عفنة الجوهر يبررها إرهابه ، هذه المفاهيم لم تتغير بين الأمس واليوم ، فعندما شرعت إنجلترا في احتلال العالم العربي وتقسيمه على الدول العظمى الغربية حينذاك ، ادعت أنها أتت مصر ـ على سبيل المثال ـ لمساعدتها في إدارة نفسها حيث إن أهلها لا يقدرون على ذلك ، فأنشأت حق الانتداب وحق الوصاية ، كما ادعت أنها تريد نشر الديمقراطية والعدالة في الحكم ووضع أسس لتطوير المرأة ، والتشجيع على الاستثمار والزراعة والتجارة ، وأنهم مشعل التحضير للشرق، وهم كاذبون ، قال عنهم الله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء : ١٠٨] ، واليوم

---

(١) د « زينب عبد العزيز » : « تنصير العالم » : صـ (٢٩٦) ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى، (١٩٩٥) م .

تقوم أمريكا بنفس الدور فقد ادعت أنها جاءت العراق ؛ لأنه دولة إرهابية تُريد صنع أسلحة الدمار الشامل ، ومنها القنابل النووية مما يهدد السلام والأمن الخاص بأمريكا وأيضًا السلام العالمي .

والواقع أنها أول من استخدم هذه الأسلحة في تدمير « هيروشيما ، وناجازاكي » باليابان ، وهي تملك منها ما يكفي لفناء العالم آلاف المرات ، وعندما فشلت في إثبات هذا الادعاء ، ادعت أنها جاءت لتطهير العراق من حاكمه الطاغية الظالم ـ حسب ظنهم وادعائهم ـ صدام حسين ، والواقع أنهم من شجعه على حرب إيران وأمدوه بأسلحة الدمار الشامل الكيماوية لقتل مسلمي إيران ، وهم من أغروه بغزو الكويت ، فإن كان مجرمًا فهم محرضوه ومن وضعوا في يديه السلاح وقد اعترفوا أخيرا بكذبهم ، ولما فشلوا في ادعائهم أعلنوا أنهم جاؤوا لنشر الديمقراطية وإعادة إعمار العراق !! وهم الذين هدموه!!!

والواقع أن غزوهم للعراق لمصالح اقتصادية بترولية واستراتيجية منها الاقتراب من عدو محتمل وهو الصين ومن عدو يُعد لحربه وهو أوربا ومن عدو أوشك على فنائه وهو الإسلام ، ولمصالح بشرية أخرى ، وهو نشر الدين المسيحي وتحقيق نظرية التوراة وتحقيق الحلم بمعركة هرمجدون العظمى التي يجب أن تضرب بموجبها سبع دول بالقنابل النووية منها ست إسلامية (١).

ثالثًا : الإيمان الغربي بضرورة الغزو الفكري والعسكري :

يؤمن أصحاب القرار الغربيين إيمانًا كاملاً بضرورة وأهمية الغزو الثقافي والفكري والديني والعسكري للأقطار الإسلامية، متأثرين في ذلك بآراء رجال الفكر والساسة والقادة العسكريين ، الذين نهلوا من كتبهم المقدسة المحرفة ، أفكارهم الإرهابية ، فوصفهم الله : ﴿ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد : ١٦] .

وهدفهم من ذلك محاولة القضاء على الإسلام كدين ، وإضعاف المسلمين كشعوب ، خوفًا من انتشار الإسلام كدين يناسب الإنسان في أي مكان وكل زمان .

وهم يكذبون وينافقون ويقتلون ويسلبون تحت شعار كاذب ووهم باطل ألا وهو : المحافظة على حقوق الإنسان ، ونشر السلام العالمي ، وزرع الديمقراطية في كافة دول العالم وخاصة الدول الإسلامية، ويدعون أن ذلك سيؤدي إلى التطور الحضاري للمسلمين،

(١) انظر كتابنا : « الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » ، دار الوفاء بالمنصورة ، طبعة (٢٠٠٢) م .

الذين تسبب دينهم في تخلفهم ، وهم في كل ذلك كاذبون!!

١ ـ آراء مفكري الغرب في ضرورة الغزو الفكري والعسكري :

يقول «لورانس براون»: « إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي»[١].

ويرى « جاردنر » : « أن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا » [٢].

ويقول « فرنسيس فوكوياما » : « إن هناك عدوا قادمًا للحضارة الغربية هو الإسلام ؛ لأنَّه نظام قائم على عقيدة ، فهو أيديولجية ستصبح هي النقيض للأيدلوجية الغربية . . ، وبالتالي لابد أن ينتصر أحدهما على الآخر ؛ لأنَّ العالم لن يستمر في حالة صراع بين العقيدتين : الغربية والإسلام » [٣].

كما يقول « صموئيل هنتجنتون » : « لم يعد للحضارة الغربية ، إلا عدو واحد في العالم ، هو : الإسلام ، فهو دين حضارة وثقافة ، وهناك حوالي (١٠٠٠) مليون مسلم ، يعتنقون هذا الدين ، لهم أفكار ومعتقدات وميراث ثقافي وحضاري مختلف تمامًا عن الغرب ، وهم يريدون أن يفرضوا عقيدتهم بالقوة ، بالعنف ، بالإرهاب ، بتدمير الحضارة الغربية ، المسلمون هم التهديد الأخير ، وهم الخطر الماثل أمام الغرب كله ، وإما أن يقضي الإسلام على الغرب ، وإما أن يقضي الغرب على الإسلام » [٤].

٢ ـ آراء الساسة والعسكريين :

عمد « نابليون بونابرت » في حملته العسكرية على مصر ، أن يعمل على أن يصحب الغزو العسكري غزو آخر فكري انحلالي ، فأتى ببعض البغايا اللواتي أخذن يجوبن شوارع القاهرة يتأبطن أذرع الرجال ، حاسرات متهتكات ، يثرن الفتنة وينشرن الرذيلة ، حرص على أن يأتي معه بهؤلاء النسوة ، تمامًا كما حرص على أن يأتي بالجنود والسلاح والمطبعة وعلماء الحملة [٥].

(١ ، ٢) « الغزو الفكري في التصور الإسلامي » : د « أحمد عبد الرحيم السايح » هدية مجلة الأزهر ، جمادى الأولى ، (١٤١٤) هـ .

(٣) « رجب البنا » : « الغرب والإسلام » : صـ (٢١٦) ، مكتبة الأسرة .

(٤) « رجب البنا » : « الغرب والإسلام » : صـ (٢١٧ ، ٢١٨) .

(٥) « زينب عبد السلام أبو الفضل » : « قوامة النساء ، المشكلة والحل الإسلامي » : صـ ( ) ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى (٢٠٠١) .

ويؤكد المستشار « سالم البهنساوي » هذه السياسات فيقول :

«وقد كان الاحتلال الفرنسي والإنجليزي من أكبر العوامل المساعدة على تثبيت هذه المفاهيم الفاسدة ، حتى أن الجنرال « مينو » وثالث الحكام الفرنسيين لمصر - تزوج بفتاة من رشيد ولقنها التقاليد الأوربية ، وأوفدها إلى النساء المصريات في الأماكن الخاصة والعامة لتلقنهن هذه المَدَنية ، وهذه التقاليد تمهيدًا لنشرها في باقي المجتمعات العربية ، ومن العوامل الأخرى التي غذت هذا التيار إرسال البعثات إلى فرنسا ليمكن تغيير مفاهيم المبعوثين الذين يصبحون فيما بعد رسل هذه المدينة الأوربية في بلادهم ، تلك المدنية التي لا تفرق بين الممنوع والمشروع حسبما جاء في كتاب « ألكسيس كارل » الإنسان ذلك المجهول [١].

ويقول رئيس وزراء بريطانيا السابق « جلادسيتون » : « ما دام القرآن موجودًا ، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان [٢].

ونفس السياسات اتبعتها أمريكا مع اليابان .

فقد أصر الجنرال « مكارتر » على أن يتضمن دستور اليابان الجديد بعد استسلامها ، تحرر المرأة ، وبناء عليه فقدت المرأة اليابانية الحديثة لقب أفضل زوجة في العالم [٣].

ومن الحقائق الثابتة التي لا يمكن المساس بها ، إيمان الساسة الأمريكيين والقادة بضرورة الحرب الشاملة ضد الإسلام .

ويقول الرئيس الأمريكي السابق « ريتشارد نيكسون » في كتابه « ما بعد السلام » في صدام الحضارات « يقصد الأديان » : توجد حقيقة واضحة ، هي أننا « أي : الغرب » الأمة الأقوى والأغنى في التاريخ ، وهذا ليس كافيًا ، والعامل الذي سيكون حاسمًا هو قوة المبادئ العظيمة ، الدينية والعلمانية ، التي تجعل أمتنا أمة عظيمة » [٤].

وتدخلت السياسة والقوة العسكرية في سياسات الشعوب للدعوة إلى نبذ الدين تحت مسمى ظلم الدين الإسلامي للمرأة ، وتدخلت للضغط على الشعوب الإسلامية لتنتهج ما ترغبه هي من أحكام للنساء ؛ وذلك بهدف جعل المرأة معول هدم للمجتمع لا صرح بناء.

---

(١) « المرأة بين الإسلام والقوانين العامة » : صـ (٩٠) .

(٢) « الغزو الفكري في التصور الإسلامي » : د « أحمد عبد الرحيم السايح » .

(٣) الأستاذ « أنيس منصور » : صـ (٢٤١) .

(٤) « الغرب والإسلام » : صـ (٢٢٧) .

أعلن « رونالد رامسفيلد » وزير الدفاع الأمريكي في مقابلة مع قناة « إيه . بي . سي» التليفزيونية ، (٢ ، نوفمبر ، ٢٠٠٣) ، وكذلك نائب الرئيس « ديك تشيني » في منتدى دافوس (٢٤ / ١ / ٢٠٠٤) ، حين تحدث عن « التصدي لأيدولوجيات العنف، وكذلك مساعد وزير الدفاع « بول وولفيتز » حين قال في خطاب ألقاه (٣ / مايو/ ٢٠٠٢): « نحارب اليوم حربًا ضد الإرهاب ، حربًا سوف ننتصر فيها ، أما الحرب الأوسع التي نواجهها هي حرب الأفكار ، وهي تشكل تحديًا بالتأكيد ، ولكنها حرب يجب أيضًا أن ننتصر فيها ، إنها كفاح من أجل الحداثة والعلمانية التعددية والديمقراطية ، والتنحية الاقتصادية الحقيقية ، ولتحقيق الانتصار في هذا النزاع الأوسع ، يجب علينا أن نعمل على فهم الأوجه العديدة للعالم الإسلامي ، وهو الموضوع الذي تم اختياره جيدًا لهذا المؤتمر [١]:

وآخر هذه الحلقات مبادرة وزير الخارجية الأمريكي « كولن باول » لهدم الدين باسم تحرر المرأة ، حيث تقدم الوزير بمبادرة أطلق عليها «مشروع الشراكة» من أجل الديمقراطية والتنمية، وقد أوضح في هذا المشروع تدني مستوى المرأة التعليمي والاقتصادي والاجتماعي، وعدم حصولها على حريتها الكاملة ، وهذا من أسباب تفشي الإرهاب ، وعلى ذلك يجب مساعدتها لتحقيق ذاتها وحريتها الكاملة ، ولتحقيق هذا الهدف فقد تم رصد مليارات الدولارات .

وقد كشفت جريدة الأسبوع المصرية في العدد (٣٠٦) الصادر في (١٢ / ١ / ٢٠٠٣) م ، عن خطة أمريكية لتغيير الخطاب الديني الإسلامي ، والتدخل في شئون الدين والتعليم الديني ووظيفة المسجد في الإسلام عمومًا ، وفي مصر خصوصًا ، باعتبارها قلب العالم الإسلامي ، ورئتيه وفكره ووجدانه ، وجاء في هذه الخطة ما يلي :

« تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية بها هيئة خاصة لتنشيط دور المرأة اجتماعيًا ، فإن إحدى المشكلات الأساسية التي تواجه المرأة في ممارسة أدوارها السياسية والاجتماعية ، هو عدم وجود مؤسسات تدعم عمل وأنشطة المرأة في حين أن ذلك يتوافر للرجال بصفة أساسية » .

كما تقول الخطة : « إن المساجد تلعب دورًا كبيرًا في الانتخابات بجميع أنواعها وأن المرأة يجب أن تمارس دورها في الدعاية الانتخابية من خلال المسجد ، بعد أن جرى الحظر

(١) دراسة بالإنترنت للكاتب صقر الخطيب بتاريخ (٨ / ١٠ / ٢٠٠٤) م .

عليها كثيرًا في أوقات سابقة ، وإن تحويل المسجد من مؤسسة دينية إلى مؤسسة اجتماعية سوف يساعد كثيرًا في تحقيق المد الديمقراطي وممارسة المرأة لدورها ، وأن تطوير الخطاب الديني يستوجب أن يكون للفتيات والمرأة دور هام في ممارسة الخطابة الدينية ، وألا تكون مقتصرة على الرجال فقط ، بل يجب أن يكون للمرأة دورها في خطبة الجمعة ، مما يكرس مفهوم إزالة التفرقة ـ الغير مبررة ـ بين الرجال والنساء ، خاصة وأنه لا توجد نصوص دينية تحرم على المرأة أن تتولى خطبة الجمعة وقيادة الرجال في الصلاة » (١).

٣ ـ نقد هذه الآراء :

والحقيقة أن كثيرًا من المفكرين في الغرب صدقوا هذه النظرية ، واستقر في أذهانهم أن الإسلام هو العدو القادم الذي يهدد حضارة الغرب ، وثروته وعلومه وتقدمه ..! ونظريته تنتشر في الغرب وتصل إلى طلبة الجامعات ، وأهل الفكر والرأي .

والواقع أن أساس هذه الأفكار هو الإساءة المتعمدة لكثير من المستشرقين ضد الإسلام.

ويقول الأستاذ « رجب البنا » عن ذلك :

« وحين ظهر الاستشراق في القرن السادس عشر لم يكن ذلك إلا لدراسة ثقافة العالم الإسلامي بمفاتيح السيطرة على عقول أبنائه لخدمة الاستعمار وتوسيع قواعده .. وترجمات معاني القرآن منذ القرن (١٧) وحتى الآن .. لم تكن في حقيقتها إلا تحريفًا لمعاني القرآن يتستر وراء أردية علمية ومنهجية (٢).

يقول د« محمود حمدي زقزوق » وزير الأوقاف في مصر عن صورة الإسلام المشوهة في الغرب : « إن الصورة السلبية السائدة اليوم عن الإسلام في الغرب ليست صورة وقتية عارضة ، وإنما هي صورة قديمة صاغتها قرون طويلة من الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب ، وإن الغرب يسعى إلى تعميق عقدة التخلف ومركبات النقص في ذهن المسلمين، والمستشرقون يختارون من التاريخ الإسلامي مواقف الضعف وفترات الانحلال ، ويختارون من بين التفسيرات الكثيرة للنصوص المتأخرة المليئة بالخرافات.. إن المستشرق الألماني الكبير يذكر حديثًا للرسول يقول فيه : « **إنما حُببَ إليَ من دنياكم الطيب والنساء** » ولا يشير إطلاقًا إلى تكملة الحديث ، وهو قوله ﷺ : « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** » ، فالمستشرق يريد إظهار الرسول لقرائه الأوربيين علمًا إنه شخصية شغوفة بأمور الدنيا

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٣٠ ، ٣١) .
(٢) « الغرب والإسلام » : صـ (١٤) .

ومتاعها ، وإن الروحانيات لم تكن تلعب في نفس محمد إلا دورًا ثانويًا [١].

ويقول د« زقزوق » : إنه سمع محاضرة في جامعة ميونخ في أواسط الستينات ألقاها المستشرق المعروف د « كيسلنج » على الطلبة ، أكد فيها أن الإسلام أخذ من اليهودية والمسيحية وتساءل : إذا كان محمد قد أخذ دينه عن اليهودية والمسيحية ، فلماذا لم يأخذ بنظرية التثليث المسيحية ؟! [٢].

لو أنصف هذا المستشرق المدعي العلم بالإسلام ، لأوضح أن الله قد حمد ذاته العلية قبل أن يحمده الخلق علي نعمة القرآن ، والوحدانية المطلقة فقال : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** ﴾ [الكهف: ١ ـ ٥] .

---

(٢) « الغرب والإسلام » : صـ (٢٤٣) .

(٣) المرجع السابق : صـ (٢٤٤) .

المبحث الثاني

تجنيد الدعاة وحُسن اختيارهم

يتم الاستعداد لخوض المعارك ، وذلك بحُسن اختيار الجنود والجدية في تدريبهم لمواجهة المعارك الدموية ، والأمر لا يختلف عند الإعداد للغزو الفكري والثقافي فيتم أيضًا حُسن اختيار الدعاة وإعدادهم لخوض المعارك الفكرية .

وللحق نقول ليس كل دعاة تحرير المرأة أو تحررها أعوانًا للاستعمار ، فمنهم من ضحى في سبيل دعوته بدافع من ذاته لما رأى من ظُلم النساء في المجتمع لعدم اتباع تعاليم الإسلام الصحيحة الداعية لتكريم المرأة .

والواقع أن الدعوة لتحرير المرأة وتحررها تزامنت مع ما عانته المرأة من ظلم وصل إلى درجة أن الرجال والصبية الذكور كانوا يتناولون الطعام أولاً والزوجات والأمهات والأخوات والبنات تخدمهم ، ثم تتناولن الباقي من فضلات المائدة وكأن الأنثى طبقة أدنى من الذكر، ونسى الجميع أن الرسول ﷺ يقول : إن وضع الطعام في فم الزوجة صدقة .

كما يلاحظ أن تعدد الزوجات والإماء كان متفشيًا حيث كثرت الإماء من أسرى الحروب في عهد الخلافة الإسلامية، قبل هزيمة تركيا والقضاء على نظام الخلافة الإسلامية.

والحقيقة أن تفشي الجهل وانحسار التعليم عن الرجال والنساء على حد سواء قد نال من المجتمع ، فخلق أمهات جاهلات لم يستطعن النهوض بمهامهن كزوجات صالحات ومربيات فاضلات .

وحيث إن الدعوة لتحرير المرأة وتحررها واكبت الاستعمار الإنجليزي لمصر ، فقد وجد الإنجليز في تلك الدعوة بيئة صالحة لنشر المبادئ الأوربية العلمانية في مصر وإزاحة أحكام الإسلام من عقول المسلمين ثم من حياتهم ؛ ولذلك فقد اجتهدوا وأنفقوا الكثير لتجنيد دعاتهم من الرجال والنساء في القديم أي بداية القرن العشرين ، وحتى اليوم ، وإن حلت أمريكا محل إنجلترا .

والواقع أن لهؤلاء الدعاة « أعوان الاستعمار » سمات كثيرة مشتركة ، فكانوا من الأذكياء المتقدمين علميًا ، ومن الطبقات فوق المتوسطة والعُليا أصحاب نفوذ قد بدأ في الأفول ، أو جاه ما زال موجودا ، والكل يعشق الشهرة ويذوب غرامًا في الإعلام ،

والكثير منهم ومنهن أصحاب عُقد شخصية ومن هواة التمرد على كل شيء حتى تعاليم الأديان .

وسنعرض لبعض هؤلاء ، لا بغرض الإساءة إليهم ، ولكن لنترك للقارئ تحليل شخصيتهم .

أولاً : قاسم أمين :

ولد في «الإسكندرية» في (ديسمبر،١٨٦٣) م ، وكان من سلالات الأتراك النازحين إلى مصر ، وكان أبوه « محمد بك أمين » ،من كبار الموظفين وله ابن عم كان يعمل واليًا على المنطقة الكردية بالعراق ، منحته السلطات التركية إقطاعية كبيرة في كفر الشيخ .

حصل « قاسم » على ليسانس الحقوق سنة (١٨٨١) م ، وكان أول الدفعة ، تمرن على أعمال المحاماة لدى « مصطفى باشا فهمي » الذي عمل رئيسًا للوزراء طوال (١٨) عامًا متصلة ، لرضا الإنجليز عنه ، فقد كان من أخلص الرجال للاحتلال الإنجليزي :

١ ـ تمجيده للغرب والاحتلال :

ثم سافر « قاسم » إلى فرنسا لدراسة القانون ، وقد بهرته أضواء باريس بلد الأناقة والموضة والفنون والبدع ، فلما رآها قال : « تقول العامة : إن مصر أم الدنيا ، والأصح إذا قورن بينها وبين مدن الممالك « البلاد الأخرى » مثل لندن ، وباريس .. أن تسمى «خدامة الدنيا » (١).

وعلى ذلك فقد تأثر هذا الفتى الأغر ، بفكر الغرب ، وحياة الغرب ، في شتى مناحي الحياة ، فأثنى على المحتلين الإنجليز ، وقال : « نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر رأت ما يماثلها في أي زمن من أزمانها » ، كما هاجم الثورة العرابية فقال: « كان الجميع يشعرون بالرضا ويحسون أنهم مقبلون على مستقبل مليء بالوعود الطيبة ، حين ظهر عرابي فجأة على المسرح السياسي وأوقف هذه الحركة الرائعة خلال عامين . . » (٢).

٢ـ فشله في الحب والغرام :

لا تخلو حياة قاسم أمين من أكثر من قصة حب فاشل ، سواء في مصر أو فرنسا ،

---

(١) « محمد جلال كشك » : « جهالات عصر التنوير » : صـ (٢٦) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٨) .

وقد جاء بمقال بجريدة الأهرام للدكتور « صلاح فضل » تحت عنوان « قاسم أمين ، والدراما التاريخية » بتاريخ (١٦ / ١٢ / ٢٠٠٢ م) (١):

« ونحن مولعون بأن نجعل من شخوص الماضي الشهيرة مثلاً عليا ، وننفي عنهم أي إمكانية للخطأ والخطيئة ، بما يحيلهم إلى أساطير غير حقيقية ؛ لأن عظمة البشر تكمن في أن يظلوا بشرًا ولا يتحولوا إلى قديسين وملائكة ، وليست لقاسم أمين في الوجدان المصري مثل هذه الحصانة ، فأنصاره من التنويريين يدركون أهمية دعوته وإنسانيتها ، ولو كان مؤلفنا مثلاً قد أقام علاقة غرامية بينه وبين الجارية الحسناء التي أهديت لأبيه ـ وكانت أول فتاة غريبة جميلة يراها ـ في البيوت التي تعج بالجواري ومناورات العشق وصراعات الأجيال ، لكن المؤلف أصر على أن يصوره ملاكًا يرد لهفتها عليه بالتجاهل ويحولها إلى أخته ويدخر هذه المغامرة لزوجها في المستقبل « خضر باشا » ودعك من أنه حرم على قاسم أمين تقبيل صديقته الفرنسية مع أنه جعلها خطيبته ومشروع زوجته ، مخالفًا مناخ الحياة الفرنسية في حينها كي يحافظ على هذه الصورة المثالية ، وطبع علاقته بوسيلة التي قضت على زهرة شبابه وثروته في الواقع بطابع مثالي ، متوهمًا أنه بذلك يعزز مصداقية دعوته للتحرر وبراءته من الشبهات ، بينما يحرمه في حقيقة الأمر من الدافع الوجداني العميق لتحرير المرأة تطلعًا إلى تحرير الرجل وإشباع حسه الجمالي بطريقة نبيلة ومشروعة ؛ خاصة لأن الأعمال الفنية لا تكتفي بتمثيل ظواهر الناس وما يبدون عليه ، بقدر ما تعني بكشف دواخلهم ونزعاتهم الإنسانية الأصيلة » .

ويبدو أنه قاسى من لوعة الحب والغرام فقد عَرَّفَ الحب : « مرض يقاسي منه العاشق عذابًا ، يظهر باحتقان في مخه وخفقان في قلبه ، واضطراب في أعصابه ، واختلال في نظام حياته ، ويظهر على الأخص في الأكل والنوم والشغل ويجعله غير صالح لشيء ، سوى أن يقضي أوقاته شاخصًا إلى صورة محبوبته مستغرقًا في عبادتها ، ذاكرًا أوصافها وحركاتها وإشارتها وكلماتها ، نظرة من عيون محبوبته تملأ قلبه رضا ، فإذا انقضت عاد إلى ما كان فيه من عذاب وألم (٢).

٣ ـ إيمانه بشقاء الحياة الزوجية ومعاناته من ذلك :

يقول « قاسم أمين » موضحًا ذلك : « إني بحثت كثيرًا عن العائلات مما يقال : إنها

---

(١) المقال تعليق على مسلسل مصري شهير ، ووسيلة مغنية تعرف عليها قاسم .
(٢) « تحرير المرأة » :صـ (١١) .

في اتفاق تام فما وجدت إلى الآن لا زوجًا يحب امرأته ولا امرأة تحب زوجها .

كما يقول موضحًا رأي الزوجة في الزوج : « وأنقص الرجال عندها - المرأة بصفة خاصة - من يقضي أوقاته في الاشتغال في مكتبه ، كلما رأته جالسًا منحني الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب جديد غضبت منه ، ولعنت الكتب التي تسلب منها هذه الساعات .. »[1].

كما يقول : إن المرأة تحب أن يملك زوجها مال قارون لينفق عليها ، ويكون كامل القوة والفتوة ليلبي رغباتها .

٤ - تدهور حالته المالية والاقتصادية :

بالرغم من أن « قاسمًا » كان واسع الثراء وورث والده بما يملك من إقطاعيات وأراضي وغير ذلك ، إلا أنه مات مفلسًا ، ويعتقد أن سبب ذلك إنفاقه على بعض الصديقات منهن المغنية « وسيلة » كما جاء في مقال الدكتور « صلاح فضل » في جريدة الأهرام المشار إليه سابقًا .

ولذلك ، فقد أشارت بعض أصابع الاتهام إلى أنه مات مفلسًا ومنتحرًا ، فقد كتب «سعد زغلول » في مذكراته بعد وفاة قاسم أمين : « قد تحدث من كانوا في المكان بالانتحار، وسألت الدكتور عباس عن حقيقة الأمر ، فقال : إنه موت طبيعي ، ولكن كان في جوابه شيء من التردد ، وكررت أقوالي عليه في الغد ، فأجاب بعد سكوت - بأن الموت طبيعي ، وقال : إنما كان عاشقًا » . . ثم قال بعض الحاضرين : إنه أمنَ على حياته في نظير مبلغ يدفعه سنويًا مقداره نحو (٥٠٠) جنيه ، وفي حالة الوفاة تلتزم الشركة بأن تدفع للورثة عشرة آلاف جنيه ، فقلت : الأحسن أن تخفوا ذلك [2].

٥ - تناقضاته الفكرية :

وكانت شخصيته ، ومن ثم دعوته لا تخلو من بعض التناقضات ، منها على سبيل المثال :

أ - تمجيد دعوة تحرر المرأة في أوربا حيث يقول :« هل يظن المصريون أن رجال أوربا، مع أنهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغًا يمكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء ،

---

(١) « تحرير المرأة » : صـ (١٣ ، ٤٣) ، ولا شك أن هذا الرأي هو إهانة للمرأة التي يريد تحررها!!

(٢) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٢ ، ٤) ، والمرجع : « جهالات عصر التنوير » لمحمد جلال كشك .

يمكن أن يغيب عنهم معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها » [١].

ومع ذلك يهجوهم فيقول : « إن الغربيين قد غلوا في إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، وما لا ترضاه عاطفة الحياء » [٢].

ثانيًا : هدى شعراوي :

من مؤسسات دعوة تحرر المرأة وعملها بلا ضوابط، وهي ابنة محمد باشا سلطان الذى كان من أغنى أغنياء مصر،ومع ذلك فقد نسبت اسمها لزوجها على باشا شعراوي، وهو أحد المناضلين مع عرابي،فهي تدعو لتحرير المرأة وتقلد الغرب فتنسب اسمها لزوجها!!

١ ـ اتهام والدها بمساعدة الاستعمار الإنجليزي :

والدها هو : محمد باشا سلطان ومعروف أنه كان يرافق جيش الاحتلال الإنجليزي في زحفه على العاصمة ، ويدعو الأمة إلى استقباله ، ويهيب بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له ، وقد سجل التاريخ له صفحة خالدة حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكرًا لهم على إنقاذ البلاد .

وقد قوبلت خدمات «سلطان باشا » من الإنجليز بالإنعام عليه بنيشان « سان ميشيل»، و« سان جورج » الذي يخول صاحبه لقب سير ، وأشاروا على الخديو بمنحه (١٠٠٠) جنيهًا ذهبيًا [١].

هذا، وقد دافعت «هدى شعراوي» عن والدها في مذكراتها صـ (١٩، ٢٠) فقالت: « وعند دخول الإنجليز مصر ، أراد سلطان باشا أن يتحقق إلى أي حد ترمى المقاصد الإنجليزية، فأكد الجنرال « دلسلي » قائد الحملة أن مهمتهم هي إخماد الفتنة العرابية وحفظ العرش من التهديد ، وبانتهاء ذلك ، تكون مهمتهم قد انتهت وينصرفون إلى بلادهم .

كما تقول مدعية أن عرابي باشا كان قد أمر بأن تؤخذ ممتلكات أبي من غلان وخيل وغيرهما وترسل إلى مخازن الإنجليز ، وبعد فشل عرابي ونفيه إلى جزيرة « سرنديب » ، أمرت الحكومة بصرف (١٠٠٠) جنيه لوالدي على سبيل التعويض الرمزي عن الخسائر

---

(١) « تحرير المرأة » : صـ (٨٩) .

(٢) المرجع السابق: صـ (٦٠) .

(٣) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » :صـ (٨٢) .

المادية التي لحقت به .

ولا يغيب عن فطنة القارئ أن تصديق أبيها لأقوال الجنرال الإنجليزي غير معقول ، فنوايا الاحتلال الغربي للشرق الإسلامي كانت واضحة منذ الحملة الفرنسية ،كما لا يعقل أن يقوم عرابي بإمداد الإنجليز أعدائه بالغلال والخيل والمؤن من خزائن والدها !!!

٢ ـ اتهام جدها بمساعدة أعداء البلاد :

تقول « هدى » أنها سألت خالها عن سبب هجرتهم إلى مصر فقال :

« عندما نشبت الحرب بين الجراكسة وروسيا القيصرية حوالي عام (١٨٦٠) م ، دافع الجراكسة من القوقاز بكل شجاعة وبسالة ، وكان جدي لأمي أحد القواد المشهورين ، وكان يدعى « شار ألوقة جوانيش » ،وكان هو الذي يقود المعركة في القرم ، وأثناء الحرب هزمت فرقته ووقع أسيرًا ، وكان له بين القواد المعروفين خصم هو القائد الداغستاني الشهير « الشيخ شامل » فانتهز هذا القائد فرصة أسره للتشهير به ، وأشاع أنه انضم إلى الروس وخان بلاده . .

ثم تكلمت عن خطة شاركت فيها ابنة أخيه وتسمى « حورية » لتخليص والدها من الأسر ، حيث نجحت «حورية » ومن معها في تخليصه ، ولكنه قتل في معركة مع الروس خلال مطاردته .

٣ ـ مشاكل هدى شعراوي العائلية :

من واقع مذكراتها [١] يتضح أن أباها مات ، وهي صغيرة السن ، وكانت أمها قد ماتت قبله ، فتزوج من سيدة فاضلة كانت تحنو عليها ، وترى فيها نعم الأم ، وكان مشكلتها العظمى هي إحساسها بتفضيل أخيها ـ وكان معتل الصحة ـ عنها ، مما سبب لها أزمة نفسية عانت منها ، فسألت زوجة أبيها عن ذلك فقالت :« إنك فتاة وهو غلام . . وأنت لست الفتاة الوحيدة ، وهو الولد الوحيد الذي عليه عَمار الدار ، أنت عندما تتزوجين ، ستذهبين إلى منزل الزوجية وتحملين اسم زوجك ، أما هو فسيحيى اسم أبيه ويفتح بيته .

هذا ، وقد مرضت هي وأخوها في وقت واحد ورأت اهتمام الكل حتى الطبيب به ـ كان ضعيف البنية والصحة ـ وتقول واصفة شعورها : « وقد أثر فيَّ ذلك كثيرًا ، وارتفعت

---

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : « هدى شعراوي » : صـ (٣٧ ، ٣٨) .

الحمى من فرط تأثري، ولكن أحدًا لم يهتم بأمري، وقد زادتني هذه التجربة المريرة انكماشًا وحقدًا على من حولي، فصرت أقضي معظم أوقات الفراغ بعد الدرس في حديقتنا، وكنت أحب الحيوانات [١] .

٤ ـ مشاكل « هدى شعراوي » الزوجية :

أما المشكلة الثانية والهامة والمؤثرة على حياة محررة المرأة العربية وإحدى رائدات التنوير ـ كما يقال ـ فهي علاقتها بزوجها « علي بك شعراوي » .

وتبدأ العلاقة بعد وفاة أبيها ، حيث أصبح « علي بك » ابن عمتها هو الوصي على العائلة والقائم بإدارة أموال وممتلكات والدها ـ رحمه الله ـ وتقول هدى عنه :

« وعندما كان يحضر « علي بك شعراوي » الوصي علينا وناظر وقف والدي ، كانوا يأخذونني أنا وأخي للسلام عليه ، وبعد ذلك كنت أتحاشى الذهاب إلى السلاملك « حجرة الضيوف » ؛ لأنَّه لم يكن يلتفت إليَّ عليّ الإطلاق ، وكان يوجه كل حديثه واهتمامه إلى شقيقي الذي كان يحبه كثيرًا » [٢].

أ ـ زواجها المفاجئ من « علي شعراوي » :

ورغم هذا التنافر فقد تقدم « علي بك شعراوي » للزواج منها وتقول عن زواجها :

« فقد حدث عندما كنت في دور النقاهة من مرض ألم بي ، وكانت والدتي تجلس بجانب فراشي فغلبني النعاس ، سمعت خالتي تقول : إنه ـ أي عريسي ـ من رجال القصر الملكي ، سيأخذها رغمًا عنك ؛ لأنَّه سيطلبها من الخديوي ، فردت عليها والدتى قائلة : وهل ابنتي بلا عريس !! إنني سأزوجها من ابن عمتها « علي شعراوي » فقالت خالتي : حرام عليكي أن تفعلي ذلك ، وتزوجي هذه الطفلة من رجل له أولاد أكبر منها سنًا ، وشعرت كأن الغرفة تدور بي » [٣].

هذا ، ولم تعرف « هدى » أنها ستتزوج من « علي شعراوي » إلا فجأة بالرغم من الاستعداد الدائم في منزلها لذلك :« ففاجأني « علي بك فهمي » قائلاً : إن ابن عمتك «علي بك شعراوي » يريد الـزواج منك ، فمن توكلين عنك ؟! في تلك اللحظة بالذات ،

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : « هدى شعراوي » : صـ (٤١ ، ٤٢) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٤) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٧٣) .

فهمت معنى كل تلك الاستعدادات ، وأخذت أبكي وأنا مولية لهم ظهري ، ولما طال وقوفهم ، تقدم « سعيد أغا » أحد الخدم ، وهمس في أذني : أتريدين إغضاب زوج والدك والقضاء على والدتك المريضة ، فقلت لهم : افعلوا ما تشاؤون ، وكان سبب عدم رغبتي في الزواج منه هو أنني شببت أراه عميدنا والمشرف على شئوننا إشراف الأب أو الأخ الأكبر الذي يجب أن أخشاه وأحترمه ، ثم أتذكر أنه أب لثلاث بنات يعشن معه ومع أمهن ،وإن ابنته الكبرى كانت تعيرني بأنني سأكون زوجة أبيها ، ثم أتذكر أيضًا أنني كلما ذهبت لتحيته ، لم أجد منه تلطفًا في الحديث على خلاف معاملته لأخي . .

ب ـ تعاستها من هذا الزواج :

كما تقول عن اليوم الثاني لزواجها :« وفي صباح اليوم التالي ، نظرت من نافذة غرفتي للترويح عن نفسي بمشاهدة السرادق الكبير المزين بأفخر الأبسطة والرياش والأنوار الزاهية التي خلبتني في الليالي الماضية (٣) أيام الاحتفال بالعُرس ، ولكنني انقبضت عندما رأيت أيدي الهدم تعمل فيه ، كما وجدت أرض الحديقة التي كان منصُوبًا عليها خالية من تلك الأشجار العديدة التي كنت أحبها،بكيت على أشجاري،وبكيت على طفولتي ،ورأيت في تلك الحديقة الجدباء ، صورة من الحياة التي سأعيشها منفصلة عن كل ما كان يؤنسني ويسليني » [١].

وباقي القصة يتضح منها اختصاراً أنها ـ حسب قولها ـ آنست لزوجها لرقته ورعايته لها ، ولكنه فجأة تغير ، حيث عاد لزوجته الأولى بعد أن كان قد طلقها ، مما جعلها تنفصل «هدى» عنه لمدة (٧) سنوات ، خفف عنها « وكان تعلقي بالموسيقى وحبي للألحان الإفرنجية يدفعني إلى قضاء أغلب سهراتي وأنا أعزف على البيانو » [٢].

ثالثًا : درية شفيق :

إحدى الناشطات الداعيات لا لتحرير المرأة ولكن لتحررها [٣]، متأثرة في ذلك بما اكتسبته من ثقافة أجنبية نتيجة لدراستها في المدارس الأجنبية منذ نعومة الأظافر حتى

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : صـ (٧٧، ٨٤) .

(٢) يبدو تأثرها بالثقافة الغربية واضحًا في هذه الفقرة ، فهي لم تلجأ إلى قراءة القرآن أو سماعه ليطمئن قلبها ، ولكنها لجأت إلى الموسيقى الغربية والبيانو .

(٣) مرجعنا كتاب :« امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م .

الدكتوراة من فرنسا ، وأيضًا التأثر بمعتقدات خدمها أصحاب الديانات المتنوعة ، ويمكن القول : إنها مسلمة أسفرت وجهها وبعض جسدها استجابة لأفكار علمانية غربية .

وقد نشطت في نشر دعوتها في الداخل وكانت رئيسة اتحاد بنت النيل .

١ ـ الظروف العائلية المحيطة بنشأتها :

إذا كان النبات يتأثر بالبيئة المحيطة به التي قد تثبت جذوره وتقوى ساقه وتكثر أوراقه، وتنضج ثماره ، أو تهلكه ، فإن بيئة نشأة الإنسان أقوى كثيرًا في نمو عقله واتساع مداركه وتنوع مفاهيمه وتباينها بين الصلاح والضلال .

ولدت « درية شفيق » (١٤/ ٩ / ١٩٠٨) والدها « أحمد أفندي » شفيق ووالدتها « رتيبة ناصف بك » أي أن عائلة والدتها أكبر مكانة اجتماعية وتفوق عن عائلة الأب ، وفرضت مثل هذه الزيجة على رتيبة وأحمد بسبب ضغوط اقتصادية وثقافية مرتبطة بظروف ألمت بأسرة جدة درية لأمها [١].

ويمكن تلخيص هذه الظروف من واقع سيرتها الذاتية :

ـ جدتها لأمها تسمى « خديجة » ورثت عن أبيها الكثير من الثروة وتزوجت برجل غني عمره ضعف عمرها تقريبًا ، فقد تزوجته بنت (١٢) سنة فقط ، ورزقت بثلاث وترملت وهي في العشرين من عمرها ، فعاشت مع بناتها عند أخيها صاحب الحظوة والمكانة والثراء دون زواج ـ كان المجتمع يرى في زواج الأرملة الثرية عارًا .

ـ قرر الأخ زواج بنات أخته اليتيمات ، لأزواج لا مانع أن يكونوا أقل ثروة أو مكانة اجتماعية ، وحيث إنه المهيمن والمدبر لثروة أخته وبناتها ، فكان من المناسب أن يفكر في زواج بنتين من بنات أخيه على أن يقيما معه في قصره توفيرًا للنفقات فزوج الكبرى لضابط بالجيش اسمه « علي شفيق » الذي لم يكن فقيرا ولكنه لم يكن ثريًا يملك الأرض أو الجاه.

وزوج الأخت الصغرى «رتيبة» لأخ الضابط ويسمى أحمد شفيق الذي كان طالبًا مفلسًا بالجامعة ينهي دراسته في المهندسخانة « تقابل كلية الهندسة الآن» .

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م .

ولكن القدر كان بالمرصاد فمات الضابط في حادث وبالتالي ظهرت النية لفسخ زواج أخيه من رتيبة حيث لم يصبح زواجًا متكافئًا بعد موت أخيه الضابط .

ولكن خديجة « أم رتيبة » وخالها لم يوافقا على إلغاء العقد، فذلك معناه أمام المجتمع طلاقًا يعود على الأسرة بالعار ، وفيما بعد شرحت خديجة « الجدة » الموقف لحفيدتها « درية » قائلة : « لما وازن الباشا « خالها » الخيارين ، إما الزواج من رجل فقير من طبقة أدنى أو عار الطلاق على الأسرة ، قرر أن يقبل أباك باعتباره أهون المصيبتين .

وأصبح هذا التفارت الطبقي مصدر ألم للطفلة المرهفة التي كانت تشعر أن كل من حولها يعتبر أباها أقل مستوى من أمها سليلة الحسب ، كان يحيط بأمي إحساس صامت بالهوان، فكانت تشعر بأنها أقل من بنات خالها اللاتي تزوجن بالأثرياء من مُلاَّك الأرض.

كبرت درية في منزل محوره النساء ، فلقد عاشت مع أمها وجدتها وخالتها حكمت وابنة خالتها اليتيمة زهرة ، فخالتها « حفيظة » التي فقدت زوجها بعد زواج أسابيع قليلة ، سرعان ما لحقت به ، وهي تلد ابنتها هذه ، ثم جيش من الخدم منهم زينب ، وبديعة المربية السورية التي كانت تتكلم الفرنسية [١].

ـ تأثر « درية شفيق » بالتعليم والثقافة الأجنبية [٢]:

الملاحظ أن كل مراحل تعليمها وشهادتها من مدارس أجنبية .

التحقت بمدرسة الإرسالية الفرنسية « نوتردام دي أبوتر » ، وكانت المدارس الأجنبية ، وخاصة مدارس البعثات الفرنسية تلعب دورًا بارزًا في تعليم طبقة معينة من النساء المصريات . . وكان أكثر من نصف الفتيات في أرجاء البلاد مسجلاً في مدارس أجنبية علمانية ـ قبطية أو يونانية أو يهودية ـ وكان عدد المدارس الفرنسية يبلغ (٣) أضعاف المدارس الإنجليزية رغم الحماية البريطانية على مصر ، وقبيل نهاية الحرب العالمية الأولى أصبح من المقبول اجتماعيًا وثقافيًا لدى الأسر المسلمة من الطبقة الوسطى إلحاق بناتها

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٢ / ٦) بتصرف يسير واختصار لا يخل بالأحداث .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٢) .

بالمدارس الأجنبية ، ولكن الهدف من ذلك لم يكن إعداد الفتاة لحياة مستقلة ، وإنما مدها بما يلزم لجعلها « سيدة صالون » حتى تصبح مرغوبة لزيجة جيدة ترتبها الأسرة [١].

هذا ، وقد التحقت بمدرسة القديس « فنسان دي بول » الفرنسية للحصول على شهادة « بريفي » ثم التحقت بمدرسة الليسية الفرنسية لنيل شهادة البكالوريا ، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة « السربون » بفرنسا .

وهكذا ، نرى أن « درية شفيق » استقت ثقافتها العلمانية من التعليم الأجنبي داخل مصر وخارجها .

ـ مظاهر التأثر بالثقافة الأجنبية الغير إسلامية :

كان من السمات الشخصية للدكتورة « درية شفيق » التقليد الأعمى لبعض العادات والتقاليد الغربية ، والتي تتعارض مع أحكام الإسلام وتتنافر مع تقاليدنا الشرقية العربية ، ومن ذلك :

*** اشتراكها في مسابقة جمال مصر :**

في صيف (١٩٣٥) نظمت بالإسكندرية مسابقة ملكة جمال لاختيار فتاة تمثل مصر في مسابقة ملكة جمال العالم،هناك خمسون فتاة متسابقة ، مساء السبت (١٥/ ٨ / ١٩٣٥) ، استعرضتهن لجنة التحكيم لمدة عشر أو اثنتى عشرة ساعة ، امشي ببطء ، اكشفي عن ساقيك ، اختيرت « شارلوت واصف » ملكة ، وذهبت بعد ذلك إلى باريس حيث توجت ملكة جمال العالم لعام (١٩٣٥) ، وجاء اختيار درية كوصيفة أولى لا لجمالها فحسب ؛ بل لأنها أول مسلمة تشترك في مثل هذه المسابقة [٢] .

ـ رد فعل المجتمع لاشتراك درية في مسابقة ملكة الجمال :

رد فعل خطيبها « أحمد الصاوي محمد » تقول درية : « وجاء لزيارتي وفي يده لفافة صغيرة ، ظننتها هدية ، وذهلت عندما فتحتها ؛ إذ وجدت صورة فوتوغرافية التقطت لي في المسابقة ، وأنا ألبس ثوب عاري الكتفين ، وإن بدت الصورة وكأني عارية تمامًا ، فالتفت إلي قائلاً : إن لم تعطي النقود ستنشر هذه الصورة على صفحات الجرائد ، ولن

(١) امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (١٢) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٠ ، ٧١) .

تستطيعي السير في الشوارع إلى الأبد [١].

ـ انتقاد المدارس ودفاع والدها الخاطئ :

جاءتها خطابات من مدرسيها القدامى في مدارس إرساليات طنطا والإسكندرية ينتقدوني ؛ لأنني تصرفت بأسلوب لا يليق بتنشئتي وشنوا عليَّ حملة ضارية ؛ أقسى ما جاء فيها : « أنني فتاة مسلمة تصرفت بما يتعارض والإسلام ! .. هب والدي للدفاع عني مؤكدًا لي أن تلك الحملة المشينة لا علاقة لها بالإسلام ، وشرح لي أن روح الإسلام الحقة فياضة بالحرية والتسامح ، وبأن الإسلام لا يعارض الجمال ،وأضاف مقتبسًا من القرآن أن الرسول وُصف فيه بأنه أجمل خلق الله » [٢].

ـ التشكك والتردد في فهم الذات الإلهية :

نتيجة للدراسة في المدارس المسيحية والتبشيرية ، وكذلك معاشرة خدم مختلفي الديانة، ولقرب سكنها من بعض الكنائس تشككت درية في الذات الإلهية ، وجاء عن ذلك : « انشغلت درية بمحاولة فهم ماهية الله ؛ إذ تعددت تفسيرات المحيطين بها للذات الإلهية ، فهناك إله زينب « خادمة » التي كانت دائمًا تمزج اسمه بأسماء العديد من أسماء الجان والأرواح حماية لنفسها من عين الحسود ، وتأكيدًا لصدق قولها ، وهناك رب مربيتها المسيحية وكنيسة الراهبات الذي أمكن أن أتخيله في صورة بشرية بفضل الرسومات التي كنت أراها على الزجاج الملون ، وهناك أيضًا إله جدتها وكانت تصلي خمس مرات في اليوم لشخص غير مرئي تطالبه بانتظام بعد كل صلاة بأن يحفظ ابنتيها الباقيتين ، أما أمها فنادر أن كانت تذكر الله ، ولكن درية آمنت أن جمال أمها دليل على وجوده ، وأخيرًا كان هناك إله أبيها التقي الورع أقواهم جميعًا هذا الرب الذي لا يغفِر [٣].

وهي تقول : « صوت الكنيسة يحرك ذكرى مجد قديم ، أما تراتيل الكنيسة فكانت

(١، ٢) امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٧٢) ، ومنها يتضح أن الصورة كانت فاضحة إلى حد ما ، وهذا الأمر يتعارض مع أحكام الدين والعرف ، وهذا يوضح عدم معرفتها لأحكام الإسلام ، وليس معنى أن روح الإسلام الحرية والتسامح ، أن لا نتمسك بالفضائل الأخلاقية ، ونشيع حرية العري ، ثم حرية الجنس ، والرسول الذي وُصف بأنه أجمل خلق الله لم يصافح امرأة غريبة بيده مطلقًا .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (١٠) ، والفقرات توضح أنها لم تواظب على الصلاة كمسلمة كما أن فهمها لله بأنه لا يغفر ، هو خطأ شديد وجهل برحمة الله ، وواسع مغفرته ، فهو القائل « ورحمتي وسعت كل شيء » .

تملأني بعظمة المجهول ، فوراء تلك النوافذ ذات الزجاج المفعم بملايين الألوان « ما زلت أراها ! » يقع عالم الأحلام ، ولم يكن يسمح لنا كطالبات مسلمات دخول الكنيسة ، وبالتالي فلم أرها من الداخل الذي كان يخفي أحلامي العريضة ، كانت موسيقى الكنيسة تحمل إلى رؤية جديدة ولغة جديدة (١).

وتقول « درية » : « أن خادمتها « زينب » أخذتها لمولد السيد البدوي بطنطا حيث جلست أستمع إلى الإنشاد الديني الذي حملني بعيدًا عن الجموع ، ولم أكن قد سمعت تلك التواشيح من قبل ، فبدت وكأنها تنبثق من أعماقي ، فتذكرت كنيسة المنصورة التي كنت أرافق مربيتي إليها كل أحد حتى اكتشف أبي ذلك فمنعه ، وامتزجت تراتيل الكنيسة بالإنشاد من القرآن ، فشعرت برحمة الله التي لا حدود لها ، وذكرني إيمان زوار السيد البدوي بإيمان أبي العميق وتأثرت كثيرًا » (٢).

والأفكار السابقة توضح التردي الفكري والتردد الإيماني لـ « درية شفيق » ، وعدم إيمانها الكامل باعتناق دين خاص ، فلم تكن مستقرة نفسيًا وعقائديًا ، مما سهل لها اعتناق أفكار ومبادئ الغرب اللادينية « العلمانية » .

- التمرد على القيود والثورة على الأعراف الاجتماعية :

تقول «درية شفيق» عن نفسها: «كنت أحب الحرية والاستقلال في العمل إلى حد جعلني أكره أن أقوم بالرياضة البدنية؛ لأني كنت مضطرة فيها أن أخضع لما يلقى علي من الأوامر دون فكر أو مناقشة، ولهذا كنت أسخر من تلك الأوامر ولا أنتظم في اللعب مع باقي زميلاتي»(٣).

تمرد « درية شفيق » على الخطبة والزواج :

وفقًا لما جاء في مذكراتها ، فقد خطبت أكثر من مرة وتزوجت مرتين إحداهما وفقًا للأعراف السارية والأخرى والتي استمرت (٣١) سنة فيها بعض التمرد .

خطبة درية الأولى :

خطبت لطبيب غني يدرس في ألمانيا ، وتقول عند وضع الدبلة في أصبعها : كانت

(١) امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (١٧) ، والفقرة توضح فتنتها بزينة وموسيقى الكنائس .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٤/ ١٥) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٧١) .

إيذانًا بانهيار كل أحلامي بمستقبل من الحرية ! وكأنهم أوصدوا بابًا على المجهول بكل كنوزه الخفية ، حزنت وشعرت بأن الزواج مجرد مخرج في ظروف عصيبة (١).

- خطبة درية الثانية :

خطبت لمهندس شاب غني ، لم يرق لها عندما رأته ، وتقول : وكأنني في السوق أساوم على جوهر حياتي نفسها ، وتقول : « أنها وافقت عليه حيث قدم لها خاتمًا كبيرًا من الماس وغيره من الحلي « مصداقًا للعهد » ، فلما رأت تلك الهدايا انتابها شعور بأنها باعت نفسها بالفعل عندما قبلت الزواج بلا حب ، وفي النهاية فسخت الخطبة رغم حبه الشديد لها (٢).

- **الزواج الأول لـ « درية شفيق » :**

تزوجت الكاتب الصحفي « **أحمد الصاوي محمد** » .

درس « **أحمد** » **الصحافة في باريس** ، وحصل على شهادة من جامعة السوربون ، التقت به درية بمناسبة مسابقة ملكة جمال مصر ، وكان من الذين يحيطون بـ «هدى شعراوي » .

كانت الخطبة حدثًا كبيرًا ، حتى أن صورة العروس وزوجها ظهرت لأول مرة في مصر على الصفحات الأولى .

يقول « **مصطفى أمين** » عن « **أحمد الصاوي محمد** » : « الصاوي ليس وسيمًا ، ولكن كتاباته عن الحب والهيام والجمال صورته في خيال القارئات في صورة أحلامهن عن روميو أو فالنتينو أو كلارك جيبل ، حفل الزفاف تم في الإسكندرية ، في قصر « هدى هانم شعراوي » زعيمة الحركة النسائية في مصر ، ولكن الزواج الذي أثار تلك الضجة لم يدم طويلاً ، والواقع أن الطلاق تم قبل أن تزف العروس ، فأحمد الصاوي كان صعيديًا في غلاف أوربي ، وُلِدَ في أسوان وتعلم في باريس ، كان متحررًا فيما يكتب ، متزمتًا في بيته ، أما « درية شفيق » فقد تأثرت بدراستها في السوربون ، وطالبت للمرأة المصرية

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (١٩) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٦٦) ، ونفس الأفكار يرددها دعاة التحرر الآن فيرون في الشبكة والمهر ثمن استغلال المرأة جنسيًا ، وكأنها عاهرة . انظر كتابنا : « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان ودعاة التحرر» ، مكتبة الشروق الدولية .

بكل ما للمرأة الفرنسية من حقوق ، أرادت أن تدلي بصوتها في الانتخابات ، وأن تقدر على تمثيل بلادها وتولي الوزارة ، ولم يكن الصاوي يعارض أن تتولى الوزارة أو السفارة أي امرأة مصرية ، ما عدا زوجته ، فمكانها البيت [١].

ـ زواج « درية شفيق » الثاني :

تزوجت الدكتور « نور الدين رجائي » سنة (١٩٣٧) وطلقت سنة (١٩٦٨) وأنجبت منه بنتين ، وقد تزوجته في فرنسا أثناء الدراسة دون أن تستشير أهلها أو أهله ، «أي : زواج عصري » ، وكانت تكبره في السن ، وقد أنفق عليها زوجها أموالاً طائلة ، لتحقيق أهدافها ، واضطر « نور » زوجها إلى مضاعفة ساعات عمله في مكتبه الخاص كمحام ليمول مشاريعها وتكاليف حياتها العامة ، إلى جانب احتياجات البيت وابنتيه ، وأثيرت شائعات عن أنه اتخذ عشيقته ، ولم يعد يقضي وقتًا طويلاً في بيته الذي أصبح لا يطاق كله مناقشات حول عمل درية بالسياسة ، وإنفاقها على حركتها النسائية ، إنها كانت تبحث عن المجد والشهرة فقط [٢].

ـ « درية شفيق » والحُب :

أحبت أكثر من مرة كما جاء بمذكراتها حتى أنها طُردت من البعثة للحصول على الدكتوراه من فرنسا ، وذلك لاتهامها بالتسيب وسوء السمعة ـ والله أعلم ـ بحقيقة الأمر ، إلاّ أنها وسطت البعض لاستكمال البعثة وجاء عن ذلك .

تعلقت بمدرس بلجيكي كان يعطيها دروس خصوصية في البيت ، وكان وسيمًا ، وشعرت لأول مرة في حياتها بما يسمى الحب ، وتقول : « اقتحمت قلبي مشاعر غامضة منذ الدرس الأول موسيقى عذبة للغاية ومشبوبة بالقلق اجتاحت قلبي . . » [٣].

كما تعلقت بشاعر فرنسي أثناء دراستها بالسوربون « وبفضل الشعر تمت بينهما صداقة حنونة ، أصبحت بدورها مدخل درية إلى عالم الفن في باريس ، ولكنها لم تشعر بالحرية الكاملة في علاقتها به » ، ومرجع ذلك الخوف على سمعتها ، حيث نبهها مدير البعثة بأن أي علاقة تؤدي إلى ذلك معناها إلغاء البعثة والدراسة ، وفعلاً أبلغها المدير بطردها ،

(١ ، ٢) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٧٣).
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٢٤) .

فلجأت إلى السكن في الدار الدولية التي كان من تعليماتها : أي فتاة تعود إلى الدار بعد منتصف الليل ستجد الأبواب موصدة ، ولم يرد ذكر أي شكل من أشكال العقاب ، فما على الفتاة التي تريد أن تبيت خارج الدار سوى أن تعود متأخرة ! يا له من تحرر (١) .

ـ التمرد على الرئيس « جمال عبد الناصر » ، ونهاية « درية شفيق » :

درية شفيق دخلت السفارة الهندية لتضرب عن الطعام احتجاجًا على اثنين من أعداء حريتها الإنسانية ، ووجهت بيانًا بالعربية إلى « جمال عبد الناصر » ، والآخر باللغة الفرنسية إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، جاء فيه :« نظراً للظروف العصيبة التي تمر بها مصر ،قررت بحزم أن أضرب عن الطعام حتى الموت بغية نيل حريتي الخارجية والداخلية، وأنا كمصرية وكعربية أطالب السلطات الدولية بإجبار القوات الإسرائيلية على الانسحاب فوراً من الأراضي المصرية، والتوصل إلى حل نهائي لمشكلة اللاجئين العرب،ثانيًا : أطالب السلطات المصرية بإعادة الحرية الكاملة للمصريين ، رجالاً ونساءً ، وبوضع حد للحكم الديكتاتوري الذي يدفع ببلادنا إلى الإفلاس والفوضى، وأنا وحدي أتحمل مسؤولية التخلي عن حياتي من أجل تحرر بلادي تاركة ورائي زوجي الدكتور « نور الدين رجائي » وابنتي، فإذا مسهما شيء، فإني أحمل الرأي العام العالمي مسؤولية ما قد يترتب على ذلك » (٢) .



وكانت النتيجة هي تحديد إقامتها في بيتها ،حتى حاصرتها الأمراض النفسية وهجرها جمهور المعجبين بدعوتها ، وانحسرت عنها الأضواء حتى انتحرت عام (١٩٧٥) ، بإلقاء نفسها من مسكنها بالدور السادس .

ـ تلك المرأة التي وصفت : طويلة ، ونحيلة ، وأنيقة ، مقوسة الحاجبين ، وعلى

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٤٠ ، ٥٢) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٢٨٥ ، ٢٨٦) .

جبينها قُصَة ، فـ « درية شفيق » أشبه بعارضة أزياء فرنسية منها بمناضلة من أجل حقوق المرأة ، ولكن جمالها يخفي روح فارس عربي [(١)].

رابعًا : « نبوية موسى » [(٢)] :

من أوائل من اهتموا بتعليم البنات وتربيتهن على أسس قويمة من العلم النافع والأدب الجم منادية بضرورة الحجاب المناسب ، والذي يتمشى مع الآراء السهلة الميسرة لتعاليم الإسلام ، وكانت هي القدوة في القول والأسوة في العمل ، ولم يعرف عنها تأثرًا بثقافة أجنبية أو إيمانًا بالدعوة إلى نشر مبادئ غربية أو التشجيع على ذلك .

نشأتها :

مواليد (١٧ / ١٢ / ١٨٨٦) ، والدها ضابط جيش توفى قبل مولدها بشهرين ، توفيت (١٩٥١) ، أول مصرية حصلت على البكالوريا عام (١٩٠٧) ، أول من عملت مدرسة لغة عربية ، وأول ناظرة مصرية .

عمرها (١٣) سنة ، وتقول عن إجابتها في امتحان اللغة العربية لدخول الصف الثالث للمدرسة السنية : وقد تعجب المعلمون من رداءة الخط وجودة إنشاء لا تستطيعه طالبة في المدارس الثانوية وخط لا تكتبه تلميذه في السنة الأولى الابتدائية .

وفي الحساب برعت في حل (٣) مسائل ، كان واضعهم يتوقع فشلها في حل أي منهم [(٣)].

آمنت « نبوية موسى » بضرورة تعليم البنات لهدف أساسي هو أن تكون زوجة صالحة وأم بارة مربية فاضلة ، ويبدو ذلك في قصيدة ألفتها « نبوية موسى » ،وألقتها تلميذة أمام خديوي مصر ، ومن أبياتها [(٤)]:

---

(١) « امرأة مختلفة » ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م : صـ (٢٢٦) ، والوصف يوضح السفور والزينة التي تخرج نهائيًا ، وباتفاق العلماء ، عن تعاليم الإسلام .

(٢) مرجعنا هو كتابها :« تاريخى بقلمى » ، مكتبة الأسرة ، سنة (٢٠٠٣) م .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٣) .

(٤) « المرجع السابق » : صـ (١٨٤) .

مـا ضـر أهـل الشام إلا أنـهـم	تركـوا النساء وراءهم وتقدمـوا
فـانحطت الأبنـاء بالأم التـي	جهلـوا مكـانتهـا العلية فيهم
جهلت بـأحوال الحياة فـأوقعت	أبنـاءهـا فـي شر مـا تتـوهـم
قد عودوها الجبن من عهد الصبا	فتعلـم الأبنـاء ذاك وعُلـمـوا
وتسارعـوا للعـار فـي أعمالهـم	والفسق والبهتان أن يتكلـمـوا

ـ إيمان « نبوية موسى » بالمساواة بين الرجل والمرأة كتعاليم الإسلام :

لم تؤمن «نبوية موسى» بالمساواة التامة الشاملة الكاملة بين الرجل والمرأة، ولكنها آمنت بالمساواة كما جاءت بتعاليم الإسلام ـ حسب فهمها ـ فهي تقول مؤمنة بالمساواة بالأجر لنفس العمل والكفاءة: «فساءني أن تعاملنا الحكومة ونحن نعمل ـ عملت مدرسة ـ معاملة الوراثة، أي: نصف الرجل، لا أنكر أن الوراثة، قد تكون على حق ؛ لأنَّها ليست من مجهود أحد ، أما أن تعمل الفتاة ما يعمله الرجل ثم تتناول نصف مرتبه ، فهذا ما لا يعقل »[1].

ـ سفور « نبوية موسى » وحشمتها ووقارها :

لم تكن على قسط من الجمال، وآمنت بالسفور ، أي : كشف الوجه فقط ، بلا زينة مع ارتداء اللباس الأسود المحتشم، وقد دعت إلى ذلك فتقول : « عولت على أن أدعو إلى السفور بالعمل لا بالقول ، وقد كان ملبسي لا يجعل محلاً للشك في استقامتي وتمسكي بالفضيلة الشرقية ، فكشف وجهي وكفي كان مطابقًا لما جاء في السنة والكتاب ؛ ولهذا لم يستطع أحد أن يمس سمعتي بسوء ، إني أكثر الشرقيات محافظة على الآداب الإسلامية .

أعطيت تلميذاتي مثالاً صادقًا للسفور الذي أريده ، وهو ظهور المرأة سافرة ،ولكن في منظر يدل على حشمتها ووقارها ، فهي تخرج لعملها سافرة حتى لا يعوقها الحجاب عن حسن تأدية ذلك العمل ، ولكنها تظهر في ملبسها بمظهر الجد فلا زينة ولا تبرج والوجه كما خلقه الله لا فتنة فيه ، وإذا كان الله قد صنع فيه شيئًا من الفتنة ، فلا شأن لنا فيما صنع ، على أن القرآن لم يأمرنا بالحجاب بل أمرنا بالابتعاد عن الزينة ، فقال تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

(١) « تاريخي بقلمي » : صـ (١٤) .

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١]، فأمر الله بستر الصدر لا بستر الوجه ، وهو موضع الحلي في الجاهلية [١].

وقد أمر الدين الإسلامي المرأة أمرًا صريحًا بكشف وجهها في ثلاثة أمور « الحج ، والخطبة ، والشهادة» ، ولم يأمرها بستره مطلقًا فلا معنى إذن لستر الوجه ،وفيه مضايقة كبيرة لمن يردن العمل [٢].

ـ إيمان « نبوية موسى » بعدم الاختلاط في العمل :

عينت الوزارة شابًا وسيمًا بمدرستها للبنات ، ولكنها حاربت لنقله من المدرسة ، خوفًا من الفتنة للمراهقات ، ومما قالته للمسؤولين : « إن الرجل كريم الأخلاق ، ولا عيب فيه إلا أنه رجل أو بعبارة أخرى « شاب جميل » ، وما كان للوزارة أن تضع يوسف بين الفتيات وهي تعلم أن « يوسف » على فضائله وعفته قد ذهب جماله بعقول السيدات»[٣].

ـ عُقدة الزواج عند « نبوية موسى » :

ترى « نبوية موسى » أن الزواج علاقة غير سوية ودنسة وحقيرة فتقول : « أنا أكره الزواج وأعتبره قذارة ،وقد صممت أن لا ألوث نفسي بتلك القذارة » [٤]، وتقول عن أسباب هذه العقدة : « مع إنه لم يكن في منزلنا رجل ، ولكن يظهر لي أن الأمر غريزة طبيعية أو أني كنت أعلم بالإشارة أو بما أراه من الحيوانات ، وأرى أنه قذارة خصوصًا نصيب المرأة فيه ، وربما ترجع مسألة خروجي من المنزل في سن الثالثة عشرة والتحاقي بالمدرسة إلى كرهي لهذا الأمر ؛ لأنِّي لو بقيت بلا عمل لما استطعت أن أبقى بلا زواج وليس لي من الأملاك ما يقوم بسد حاجتي لهذا انصرفت عن الزواج بتاتًا ، فسمعت رجلاً يتشاجر مع امرأة على قارعة الطريق ، ويقول لها ما معناه ، امرأة مثلك أقضي في جوفها حاجتي تتجرأ أن تكلمني بما تقولينه ؟ شرحت لي تلك الكلمة ما هناك وكرهت أن يقف

(١) « تاريخي بقلمي » : صـ (٧٨) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٨) ، ونحن نوافقها الرأي فيما ذهبت إليه إلا أننا نرى أن نقاب المرأة إذا كانت فاتنة الجمال أفضل لخوف الفتنة ، وهذا هو رأي الإسلام . انظر كتابنا : «الحجاب والختان والعفة بين الأديان ودعاة التحرر » ، مكتبة الشروق الدولية ، طبعة (٢٠٠٥) م.

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٢٣٩) .

(٤) « المرجع السابق » : صـ (٨٧) .

مني رجل ذلك الموقف القذر المريع ؛ لهذا كنت أكره أن أسمع الزواج في شبابي ، أما بعد أن كبرت ، فقد أصبح مجرد هذا الاقتراح سُبة لا يشتمني أحد بأقبح منها [١].

ـ كيفية احتساب قيمة الزواج :

قالت « نبوية موسى » لأخيها مبررة رفض خاطب : « الرجل الذي تقترح زواجي به يتناول (٢٤) جنيهًا شهريًا ، وأنا كما تعلم لا أحب الزواج ، فإذا قبلت قذارته كان يجب أن يغريني المركز الجديد الذي سأكون فيه بعد ذلك الزواج ، ومرتبي الآن (١٢) جنيهًا ، فإذا شئت أن تبقى حالتي المالية كما هي وجب أن يكون مرتب ذلك الزوج (٤٨) جنيهًا ، (١٢) جنيهًا لي ، (١٢) جنيهًا له ، و (٢٤) جنيهًا للأولاد ، فكيف أقبل أنا الزواج على بغضي له ثم أقبل معه انخفاض مستوى معيشتي ، وهذا لا يعقل ؟

وقد دارت الأيام وطلب منها هذا الخاطب خدمة لقريب له ، فعلقت على ذلك قائلة : « لو كنت قد قبلت ما عرضه علي لكنت الآن تحت أمره أطلب منه الرضا والعطف ، أما الآن بعد رفضي فهو الذي يطلب مني أن أعطف عليه وعلى أقاربه ، سأدخل ابنتك «القريب » بالمجانية في مدرستي » [٢].

وهكذا يتبين لنا إيمان أكثر دعاة عمل المرأة وتحررها ، بتفضيل العمل عن الزواج ليحققن الاستقلال الاقتصادي عن الزوج، حتى لو كان الثمن العنوسة ،وعدم المشاركة في إعمار الأرض بالنسل الذي شاء الله أن يكون سبيله القويم العلاقة بين الذكر والأنثى أي : الشهوة الحلال ، وليس القذارة [٣].

خامسًا : نوال السعداوي :

من أنشط وأجرأ داعيات تحرر المرأة ومساواتها بالرجال في كافة مناحي الحياة اعتبارًا من نسب وليدها لها حتى عملها دون ضرورة ، وحريتها الجنسية وسنعرض للقارئ بعضًا من سيرتها الذاتية حسبما ذكرتها بقلمها في كتابيها « قضاء المرأة » ،و « مذكرات طبيبة » ، وسأترك للقارئ الحق في تحليل شخصيتها ، فقد كتبت تقول : « سيرتي الذاتية » :

(١ ، ٢) « تاريخي بقلمي » : صـ (٨٩) .

(٢) أعز الله المرأة بالرحم ، وهو ليس محل قذارة الرجل ـ كما تدعي نبوية موسى ـ ولكنه موضع الإنبات لنطفة الرجال وخلق الجنين ، وقد اشتق الله اسم الرحم من اسمه الرحمن ، إعزازًا وتكريمًا لدور المرأة في حفظ النوع .

١ ـ البدايات :

منذ علمتني أمي الحروف ، عرفت تكوين كلمة ذات معنى هو اسمي ، بدأت أكتبها كل يوم ، أربع حروف متشابكة « نوال » ، أحببت شكل الاسم ومعناه النوال أو العطاء ، ارتبط بي ، أصبح جزءًا مني ، عرفت اسم أمي « زينب » كتبته إلى جوار اسمي فوق كراستي الصغيرة ، أحببت شكل الاسمين معًا ومعناهما كما أحبب نفسي وأمي ، أكبر حب في حياتي منذ ولدت [١]،كان لنفسي ولأمي ، بعد ذلك يأتي الآخرون ، منهم أبي، شطب على اسم أمي ، وضع اسمه إلى جوار اسمي ، ثم وضع اسم أبيه « السعداوي » رجل مات قبل أن أولد .

ودار في عقلي السؤال : لماذا يشطب أبي اسم أمي ؟ ولدتني ، أرضعتني ، علمتني الكتابة ، ترعاني كل يوم؟! يضع مكانه اسم رجل غريب لم أره في حياتي ، مات قبل أن أولد ؟ كرهت اسم الرجل « السعداوي » يلغي اسم أمي من الوجود ، سألت أبي عن السبب ، فقال لي : إنها إرادة الله .

كلمة « الله » سمعتها لأول مرة في حياتي من أبي ، عرفت أن من يسكن السماء هو المسئول عن شطب اسم أمي ، لم يكن لي أن أحب من يشطب أمي واسمها زينب ، أحبها باسمها ، جسمها ، شكلها ، أصابعها الحانية الدافئة تداعب وجهي كشعاع الشمس ، صوتها يناديني في الصبح ، كل يوم جديد تعلمني كلمات جديدة [١].

كان لي أخ أكبر مني بعام واحد ، كان بليدًا في المدرسة وفي البيت ، لا يفعل شيئًا إلا اللعب والصراخ والنوم والأكل ، لا يرتب سريره ولا يغسل صحنه ، أنا أصغر منه ، مع ذلك أرتب له سريره وأغسل صحونه ، أتفوق عليه في واجبات المدرسة وأعمال البيت .

أبي كان يحبه أكثر مني ، يدلله ويشتري له طيارة بزنبلك ، وبسكليتة ، في العيد يعطيه ضعف ما آخذ من قروش أو ملاليم ، حين أسأل أبي لماذا؟ يقول : « الله قال في كتابه الكريم : البنت نصف الولد » .

---

(١) تقول عن أمها : لكن أي فضل لها في أنها ولدتني؟ كانت تمارس حياتها الطبيعية كأي امرأة ، ثم جئت أنا بغير إرادتها في لحظة من لحظاتها السعيدة ، جئت دون أن تعرفني ودون أن تختارني ، ودون أن أختارها ، لقد فُرضت عليها ابنة ، وهي فرضت عليَّ أما ، أيمكن لإنسان أن يحب مخلوقًا فُرِضَ عليه ؟!! « مذكرات طبيبة » : صـ (١٤) .

أصبح الله هو المسئول عن التفرقة بيني وبين أخي دون وجه حق ، كما أصبح المسئول عن شطب اسم أمي دون وجه حق أيضًا ، قال أبي : إن الله هو الحق ، لم أفهم هذه العبارة، فكتبت رسالة إلى الله أسأله ، كانت أول رسالة أكتبها في حياتي كالآتي : يا ربي إذا كنت أنت الحق ، فلماذا تفرق بيني وبين أخي؟ ولماذا تفرق بين أبي وأمي؟ .

قالت أمي : إن الله لا يقرأ ولا يكتب ، كنت أظن أنه كتب القرآن ، أبي يسميه كتاب الله ، لم أرسل إلى الله رسالة أخرى ، أصبحت أوجه الرسائل إلى أبي ، كنت أدرك الصلة بينه وبين الله ، كانت رسائلي إلى أبي لا تصل إليه أحرقها قبل أن أرسلها ، كما حرقت رسالتي الأولى إلى الله ، بدأت أدرك أن الله يملك نارًا حمراء تحرق جلود الناس ، تتجدد الجلود بعد الحرق لتحرق مرة أخرى ، يستمر الحرق إلى ما لا نهاية [١]، عرفت أن مصيري النار ؛ لأنِّي أسأل الله ، المفروض أن الله لا يسأل عن شيء ، فهو يفعل ما يشاء دون أن يحق لمخلوق أن يوجه إليه سؤال .

قال أبي : إن الله هو الخالق الكامل ، جميع أعماله كاملة ، خلق أجسادنا على أحسن تقويم ، وجاءت الداية بالموس في ليلة مظلمة ، وأنا في السادسة من العمر ، قطعت عضواً من جسدي ، قالت : إنه أمر الله [٢] ، لم أستطع أن أسأل الله كيف يأمر بقطع عضو خلقه في أجسادنا ، سألت أبي ، فقال : إن عملية الختان سنة عن رسول الله،

---

(١) الله لا يحرق الناس كلهم ، بل الكفار والمنافقين والعصاة ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٥٦] .

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٣٨].

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥].

﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠].

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧].

(٢) الله أوضح لعباده أنه الخبير العليم ذو الحكمة البالغة التي تفوق أفهام البشر الذين من حقهم سؤال أهل العلم عما يجول في خاطرهم من أفكار ، يقول تعالى : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨]، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨]، ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٨٣].

وليست فرضًا ؛ لأنَّها لم ترد في كتاب الله ، ولم أعرف ما الفرق بين السنة والفرض[١]، ورقدت في الفراش أنزف بعد انصراف الداية صاحبة الموس ، نزفت أكثر من أسبوعين ، الألم كالنار التي تحرق بعد الموت ، شفيت بعد ثلاثة أسابيع ، نسيت الحادث ربع قرن من الزمان ، حتى تخرجت في كلية الطب واشتغلت طبيبة في الريف ، بدأت أرى الدايات بأمواسهن الملوثة تقطع في أجساد البنات الأطفال ، ينزف الجرح حتى الموت أو ينزف الدم والصديد ، يترك في جسد كل طفلة عاهة مستديمة .

في طفولتي المبكرة ، لم أعرف ما هي الرذيلة ، قال أبي : إن الشيطان مسئول عنها واسمه إبليس ، أصبحت أراه في الحلم على شكل رجل يهمس في أذني باللذة المحرمة ، التي تحولت إلى ألم يرتبط على نحو ما بالعضو المبتور بالموس في جسدي ، كنت أرى الله أيضًا في أحلامي على شكل رجل يحذرني من إبليس ، لم أعرف كيف أفرق بين الله وإبليس ، كلاهما أراه في الحلم على شكل الرجل [٢].

في التاسعة من عمري وقع لي حادث آخر مؤلم ، نزيف دموي أصابني من حيث لا أدري ، أشد خطورة من حادث الختان ؛ لأنَّه يتكرر لمدة أربعة أيام في كل شهر ، لا ينقطع عني إلا بعد أن يبلغ عمري نصف قرن ، ورد ذكره في كتاب الله أنه « أذى » بمعنى النجاسة ، على الرجال أن يهجروا النساء في هذه الأيام حتى يطهرن [٣].

كنت أنكمش في الركن بعيدًا عن الناس أخفى الألم ، لم يكن لي أن أسأل سؤالاً

---

(١) أوامر الله نافذة بصفته الخالق يقول جلَّ شانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

والعبرة من قطع الجزء الزائد من العضو هو تهذيب الشهوة ، وليس إلغاءها ، لقول الرسول ﷺ لأم عطية ، وكانت خاتنة بالمدينة « **إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج** » « الحديث أخرجه الطبراني » ، لقد اعترضت المؤلفة على طول شعرها ورأت قصه ولم تر في ذلك بأسا !! فلم رأت الخطأ في تهذيب الرغبة الجنسية ؟!!

(٢) حاشا لله أن يُرى « ليس كمثله شيء »،ومع ذلك ساوت الله ـ والعياذ بالله ـ بالشيطان في الصورة ، وإن كان حلمًا .

(٣) تقصد قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة :٢٢٢]،وهي تعترض على حيض النساء ، فتقول في كتابها « مذكرات طبيبة » : ألم تكن هناك طريقة أخرى تنضج بها البنات غير هذه الطريقة الملوثة؟! أيمكن للإنسان أن يعيش أيامًا تحت سيطرة عضلاته اللاإرادية الغاشمة؟ لابد أن الله يكره البنات جميعًا فوصمهن بهذا العار ، وشعرت أن الله تحيز للصبيان في كل شيء .

دون أن أمس المقدس ، الله في سمائه العلياء ، أما إبليس فقد قرأت قصته في المدرسة ، أمره الله بالسجود لآدم فرفض ، قصة لا علاقة لها بالختان أو المحيض أو آلامي الجسدية والنفسية ، أدركت وأنا في العاشرة من العمر أن إبليس بريء على نحو ما ، لم يصل هذا الإدراك إلى عقلي الواعي أو ذاكرتي الإرادية التي أحفظ فيها ما يرضي الله وأبي والمدرسين في المدرسة .

ومضى نصف قرن من الزمان تقريبًا ، كنت أزور ابنة عمتي في قريتنا ، سمعت حفيدتها الطفلة تسألها عن الله وإبليس ، الجدة تلسعها بالعصا الخيزران ، كانت الطفلة في العاشرة من عمرها ، بشرتها سمراء بلون بشرتي ، عيناها السوداوتان الواسعتان تتطلعان إلى السماء في حيرة ورهبة كأنما تبحثان عن موقع الله ، تذكرت نفسي في مثل عمرها ، الحركة نفسها والحيرة نفسها ، عادت إليّ ذاكرتي المفقودة .

كتبت رواية جعلت الطفلة فيها تسأل جدتها الأسئلة نفسها التي راودتني في طفولتي ، أعطيتها اسم « جنات » ، لم يقدم أي ناشر في مصر على طبعها ، أخذتها إلى ناشر في بيروت ، وافق على نشرها بعد حذف وتغيير عنوانها من « براءة إبليس » إلى « جنات وإبليس » ، أحد النقاد قال : إنها تنتمي إلى قلة الأدب أو الرذيلة .

٢ ـ مذكرات طفلة اسمها سعاد :

في الثالثة عشرة من عمري ، كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية في حلوان ، طلب منا أحمد أفندي مدرس اللغة العربية أن نكتب شيئًا من الذاكرة في كراسة الإنشاء ، كانت ذاكرتي الطفولية قد اندثرت تحت اسم المحرم ، الجنس أو الدين ، نسيتهما مع أحداث طفولتي بما فيها الحب الأول ،وأنا في العاشرة من العمر ، ومفهوم الشرف يتعلق بغشاء خلقه الله في أجساد البنات فقط ، لم يخلقه في أجساد الأولاد ؛ لأنّ الذكور ليس لهم شرف يتعلق بشيء في أجسادهم [١].

كتبت لأحمد أفندي في كراسة الإنشاء سيرة ذاتية لطفلة اسمها «سعاد» ، غيرت اسمي واسم أبي وجدي السعداوي حتى لا يدرك أحمد أفندي أنني أكتب عن نفسي ، تفاديت المحرمات الكبيرة التي تتعلق بالرؤوس الكبيرة مثل أبي والله وجدي وعمي الشيخ محمد وخالي يحيى وزكريا وغيرهم من الذكور .

(١) ربما كانت الحكمة من وجود غشاء بكارة للنساء ضرورة الحرص الشديد على العفة حيث إن مضار الزنا بالنساء يفوق الرجال ؛ لاحتمال الحمل واختلاط الأنساب .

إلا أن ذاكرتي اللاإرادية كانت تتسرب من بين السطور ، في المساحات الخالية بين السطر والسطر ، كنت أكتب على سطر وأترك سطرًا خاليًا يتسع لأي شئ ، وقد سألت سعاد أباها سؤالاً لم أسأله لأبي ، وهو : كيف ينفذ الله من خلال الجدران ويراها في دورة المياه؟ كانت سعاد تخجل من رفع ملابسها ، تتصور أن الله رجلاً يطل عليها من السقف [١]، وقال لها أبوها : إن الله ليس ذكرًا أو أنثى وهو روح لا جسد ، كان أبوها يخاطب الروح بصيغة المؤنث فيقول الروح لا يعلمها أحد ، وبدأت سعاد تخاطب الله بصيغة المؤنث باعتباره روحًا ، غضب أبوها ، أمرها أن تشطب على صيغة المؤنث ، مع ذلك كان يؤكد لها أن الله روح فقط يختلف عن الإنسان الذي يملك الروح والجسد ، تصورت سعاد أن الإنسان يملك أكثر مما يملكه الله ؛ لأنَّ عنده الجسد أيضًا بالإضافة إلى الروح [٢].

إلا أن مذكرات الطفلة سعاد وقعت بالصدفة في يد أمي ، كانت أمي تقرأ وتكتب ، جذبها العنوان فقرأت الكراسة كلها ، حين عدت من المدرسة رأيتها ترمقني بعينيها العسليتين يكسوهما بريق ، صوتها في أذني له رنين الفضة : عندك موهبة يا نوال ، سمعت العبارة ذاتها من أبي بعد أن قرأ كراستي ، إلا أن عبارة أمي كانت الأسبق ، والأعمق ، والأكثر حرارة ، ذاكرتها تشبه ذاكرتي ، حين ولدتها أمها لم تنطلق الزغاريد ، أصبح وجه أبيها كظيمًا ، كان يريدها ذكرًا تحمل اسمه واسم أبيه .

كرهت أباها وأمها وجدتها وكل النسوة ، لم تشأ أن تكون مثلهن راكدة في البيت لم تحلم بالزواج أو فستان الزفاف ، كانت تحلم وتحلم أنها تطير في السماء ، تركب الخيل والطائرة ، تعزف الموسيقى وتؤلف الألحان ، أخرجها أبوها من المدرسة بالعصا ، كانت في السادسة عشرة من عمرها ، زوَّجها لأبي ، عاشت حياتها ما بين المطبخ وغرفة النوم ، ولدت تسعة من الأطفال ثم ماتت في ريعان الشباب ويدها في يدي ، اتسعت عيناها لحظة الموت بالدهشة الطفولية كأنما عادت إليها الذاكرة فجأة .

لولا أمي ربما ضاعت حياتي ما بين المطبخ وغرفة النوم ، إلا أنها قرأت مذكرات الطفلة سعاد ، أرادت أن تنقذ ابنتها بعد أن عجزت عن إنقاذ نفسها ، وتعوض فيها أحلامها المجهضة .

---

(١) الله ليس كالإنسان صاحب شهوة يتلصص على العورات ، حاشا لله !!!

(٢) كيف يملك المخلوق ما يفوق الخالق ؟! كيف يسمو العبد على المعبود ، حاشا لله !!!

٣ ـ مذكرات فتاة غير عادية :

كنت في أول الشباب حين ماتت أمي ، مات أبي بعدها بشهور قليلة ، قبل أن يموت بأيام قليلة ، قال لي : أنت مسئولة عن إخوتك وأخواتك من بعدي ، لم يقل هذه العبارة لأخي الأكبر ، أصبحت ربة أسرة كبيرة العدد ، أقوم بالدورين الأب والأم ، والرجل والمرأة ، الإنفاق والرعاية والحنان .

بدأت في تلك الفترة من شتاء (١٩٥٩) أكتب سيرتي الذاتية تحت عنوان « مذكرات فتاة غير عادية » ، كنت أشتغل طبيبة جراحة في مستشفى الصدر بالجيزة ، وعيادتي الطبية في ميدان العجوزة ، أتحمل في البيت مسئولية لا يتحملها الرجال ، في المستشفى والعيادة أعالج الرجال والنساء ، أنقذ أرواحهم وأجسادهم من الموت ، إلا أن القانون والشرع يراني نصف رجل ، لا أستطيع أن أدلي بشهادة في المحكمة كإنسانة كاملة ، ليس لي حق الولاية على أخواتي القاصرات ، لا يمكن لي السفر دون إذن مكتوب من زوجي ، يملك حقوقًا لا أملكها ، منها الطلاق ، تعدد الزوجات ، ما سمى « قوامة الرجل » على المرأة ، رغم أنني أتحمل مسئولية الإنفاق [١].

رفضت كل هذا ، كان معي المنطق والعدل والحق ، إلا أن الشرع والدين لم يكن معي ، هنا اصطدمت بالمقدس ، بدأت أبحث كيف نشأ هذا المقدس في التاريخ ، وصلت إلى الحضارة المصرية القديمة ، كان الآلهة الأنثى رمز المعرفة والعدل والصحة ، الآلهة «سخمت » نقيبة الأطباء في مصر منذ سبعة آلاف عام ، « معات » هي رئيسة القضاة وآلهة العدل [٢]، لا يمكن للمرأة أن تكون قاضية اليوم .

(١) القوامة لا تنشأ عن الإنفاق وحده ، ولكنه أحد أسباب القوامة لقوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا... ﴾ [النساء: ٣٤] ، فأساس التفضيل الأول هو مهمة الرجل لقيادة الأسرة والمجتمع والدولة ، فهي تكليف وعناء للرجل ، وتشريف ويسر للمرأة ، وهناك بعض الصحابيات كن أغنى من أزواجهن وينفقون على الأزواج والأولاد من زكاتهن أو صدقاتهن ، ومع ذلك لم يطالبن بالقوامة على الرجل ومنهن زوجة ، عبد الله بن مسعود ، وكون شهادة المرأة نصف الرجل فلعلة أوضحها الله في قوله : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وإذن الرجل لسفر زوجته أمر طبيعي ؛ لأن مغادرتها البيت يتوقف عليه أمور عديدة ، منها : ضرورة البديل للقيام بشأنه من رعاية زوج وأبناء ، وأيضًا التحقق من الصحبة الآمنة للمرأة في سفرها في زمن كثر فيه الاغتصاب!! ، وحقوق الطلاق والتعدد معلومة في الإسلام . انظر كتابنا : « الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان ودعاة التحرر » .

(٢) المقدس نشأ في التاريخ بإرسال الرسل وليس بعبادة آلهة من النساء .

في طفولتي سمعت أبي يقول: الجنة تحت أقدام الأمهات، أحد النصوص المقدسة، بعد موت أمي رأيتها في الحلم تعاني الوحدة والحزن في حياتها الجديدة بالجنة، كان أبي مخلصًا لها طوال حياته[١]، في الجنة تخلى عن الإخلاص تركها وحيدة وانشغل بالعذراوات والحوريات[٢]، يشف بياضهن من تحت الساق[٣]، له منهن اثنتان وسبعون حورية، تعود الواحدة منهن عذراء بعد تمزق الغشاء، ليتمزق من جديد كالجلود المحروقة في النار تتجدد [٤].

---

(١) تقول د «نوال» عن أبيها في كتابها «توأم السلطة والجنس»: صـ (١١٨): «كان أبي زوجًا مخلصًا حنونًا عاش ومات دون أن يتزوج امرأة غير أمي، ولم يهددها يومًا واحدًا بالطلاق أو الزواج من أخرى، إلاَّ أن شبح الضُرَّة أو الزوجة الأخرى لم يكن يفارق أمي في كوابيس النوم مثل غيرها من النساء».

ولنا أن نتساءل ما الداعي للكوابيس، وقد أنجبت منه(٩) أولاد؟! إن أمهاتنا جميعًا لم ينجبن(٩) أطفال - في الغالب ولا تطاردهن الكوابيس، إن نسبة التعدد في المجتمع الإسلامي حوالي (٢ ٪) فقط.

(٢) الله العادل في حكمه جعل الجنة للأزواج والزوجات، وليس للرجال فقط يقول تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، كما يقول: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ . سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٥ : ٥٨].

كما جعل العلاقة الزوجية في الجنة كما في الدنيا للصالحين، يقول جلّ شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، أي: أن المرأة الصالحة تلحق بزوجها في الجنة بفضل صلاح عمل الزوج وإيمانها، فهي من حور العين.

(٣، ٤) تقصد الكاتبة قوله تعالى في وصف الحور العين: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]، وأيضًا قوله جلّ شأنه: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦]، وكذلك: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وهي ولا شك تسخر من نعمة الله على عباده الصالحين والصالحات في الجنة، حيث تصف غشاء البكارة الذي يتمزق ثم يعود بأنه كالجلود المحروقة في النار، وهي تقصد بذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦]، وهدفها السخرية والاستهزاء، وربما لم تعلم أن الجزاء من جنس العمل، فالكافر يُعذب وحيث إن الإحساس بالألم في الجلد - كما أثبت ذلك العلم - فتغير الجلد لحكمة استمرار العذاب، أما غشاء البكارة ففضه وإعادته لاستمرار المتعة الزوجية لكلا الطرفين؛ ولذلك يقول تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالكاتبة حاولت أن تساوي بين الصالح والطالح من النعمة والنقمة.

كان أبي رقيق الطبع ، فهل يتحول بعد الموت إلى آلة ذكورية شديدة القسوة والغباء لا عمل لها إلا تمزيق أغشية العذراوات ؟ أمي حكت لي آلامها ليلة الزفاف ، هذا الألم تعرفه كل امرأة ، فكيف تتكرر هذه المأساة كل ليلة[1] ؟

ألا تكون النار أفضل للنساء من الجنة ؟ وكيف تتحول أمي إلى عذراء بعد أن ولدت تسعة من العيال ؟!.

٤ ـ مذكرات طبيبة :

« مذكرات طبيبة » كتبتها بلغة مختلفة عن لغة الأدباء والأطباء ، لم تندرج تحت العلم أو الفن ، وانشغل بعض النقاد باللغة فحسب ، هل هي أدبية أو علمية ، فصلوا الكلمات عن معناها ، فصلوا العلم عن الفن كما فصلوا الطب عن الأدب ، وانشغل بعض النقاد بالمعنى فقط ، تساءلوا ما معنى ما كتبت ؟ ولماذا يخرج عن المفاهيم الموروثة مثل إباحة المحرمات؟ وقد حكيت عن خادمة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها، جاءت إلى عيادتي تطلب مني إجهاضها ، لم يكن للطفلة الحامل سفاحًا أن تعود إلى أبيها في القرية فيقتلها، لقد اغتصبها في ظلمة الليل سيدها البيه العجوز [2]، وابنه الشاب كان يتدرب على إثبات ذكورته معها ، وطردتها سيدتها خوفًا من الفضيحة وحماية لرجل العائلة الكريمة ، وكتبت في « مذكرات طبيبة » أقول : كيف لا أنقذ هذه الضحية البريئة والمجتمع يطلق سراح الجاني؟ حين دخلت الطفلة عيادتي تذكرت طفلة تشبهها كانت خادمة في بيت جدي ، طردتها خالتي فهيمة من البيت ، أخذتها إلى القطار وعادت بدونها ، لم أعرف هل قتلها

(١) من العجيب دهشة الكاتبة لتحول والدها ـ كما تقول ـ لآلة ذكورية شديدة القسوة والغباء ؟! من ادعى أن مزاولة الجنس بما أحل الله هو قسوة وغباء ، إن أسعد ليلة عند كل عروس في الدنيا منذ خلقها حتى فناءها يوم القيامة هي ليلة زفافها التي تسمى « ليلة العمر » بالرغم مما قد يحدث بها من بعض آلام استعمال الأعضاء الجنسية لأول مرة وأمتع مرة !! ، ويبدو أنه قد غاب عن علم د « نوال» أن الجنة لا عذاب فيها ولا ألم ولا إجهاد ، ولا ضعف لقوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ [الفرقان : ٢٤] ، والمراد بالمقيل : مقام أمين حسن المنظر ، طيب المقام « خالدين فيها ، حسنت مستقرًا ومقامًا » ، ولقوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر : ٢٠] .
أتعجب الكاتبة من قدرة الله على جعل والدتها عذراء !! أهذا بالنسبة لقدرة الله شيء يذكر ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(٢) لو أن الأب أو الابن يتقي الله حق تقاته لما حدث ذلك ، كما أن الإسلام أوجب القصاص على الفاعل جزاء ونكالاً لما فعل ، فلم تترك دين الله وتحكم بقوانين هي البغاء والرذيلة في ذاتها .

أبوها أم ألقت نفسها في النيل ؟ كنت طفلة صغيرة وعجزت عن إنقاذها ، وفتاة أخرى عجزت عن إنقاذها في القرية، وأنا طبيبة بالوحدة الصحية عام (١٩٥٧) ، رأيتهم ينتشلون جثتها من النيل في يوم رمادي أغبر،وحين جاءتني تلك الخادمة إلى عيادتي قررت إنقاذها، كان الإجهاض ممنوعًا في القانون ، وفي نقابة الأطباء نقسم عند التخرج القسم الموروث منذ أبقراط : « وألا أجهض حاملاً » ، وطلبت تغيير القسم ، وإلغاء هذه العبارة ، واستبدالها بعبارة أخرى نقسم بها نحن الأطباء « ألا نستأصل من جسد الطفل الذكر أو الطفلة الأنثى أي جزء سليم تحت اسم الختان » ، ورفض أطباء النقابة طلبي بالإجماع .

كنت كأنما أمشي في حقل من الألغام ، والأطباء في التاريخ هم ورثة الكهنة الذين آمنوا أن الماء المقدس يشفي الأمراض ، والازدواجية في القوانين هي القاعدة ، والعدالة عمياء ، فهذا الرجل الكبير الذي اغتصب الفتاة تسقط عنه التهمة ولا يعاقب إن تزوجها ، هكذا يكافئ القانون الرجل المغتصب بالزواج من البنت التي اغتصبها، ويعطيه القانون الحق في تطليقها في أي وقت يشاء ويخرج من الجريمة بريئًا طاهر الذيل ، أما الفتاة فهي تروح ضحية جريمتين : الاغتصاب والزواج بالرجل الذي اعتدى عليها ، ثم الخروج إلى الشارع بعد الطلاق لتمارس البغاء أو تعود إلى الخدمة بالبيوت لتعيش الاغتصاب مرة أخرى.

أصبحت أستاذة للإبداع الأدبي في جامعة « ديوك » في ولاية نورث كارولينا ، كنت أطلب من الطلبة والطالبات أن يكتبوا عن طفولتهم ، وفي نهاية العام كتبت شابة عمرها عشرين عامًا قطعة أدبية جميلة من السيرة الذاتية ، تذكرت أنها في السادسة من عمرها تعرضت لحادث اغتصاب ليلة الكريسماس ، وارتبط مولد المسيح في ذاكرتها بحادث الاغتصاب الجنسي ، إلا أن الفاعل ظل مجهولاً ، في الليل حين تنام يأتيها على شكل رجل له لحية طويلة يشبه بابا نويل ولم تعرف ما هي الهدية ، إلا أنه يهمس في أذنها بصوت رقيق : سوف تحملين بالمسيح ليكون ابن الله الذي ينقذ العالم من الظلم !

قرأت هذه القطعة على الطلبة والطالبات في نهاية العام ، وتشجع الجميع ، لم يعد الاغتصاب في الطفولة مبعث خزي أو عار ، إنه حدث عام ، يحدث لأغلب الأطفال ذكورًا وإناثًا ، وكان في الفصل طلبة وطالبات من القارات الخمس من آسيا وأفريقيا وأوربا وأستراليا والأمريكتين ، رغم اختلاف الأديان واللغات والثقافات إلا أن المحظورات الدينية والجنسية في الطفولة متشابهة ، ينسى الأطفال حوادث طفولتهم [1].

(١) تحاول الكاتبة التهوين من المحظورات الجنسية والادعاء بأنها تزاول في الطفولة كما في البلوغ ولا يجب اعتبارها خطيئة .

وسوف أعرض على القارئ بعض أقوالها عن نفسها في كتابها « مذكرات طبيبة »[1]:

*** تقول عن كراهيتها لأنوثتها :**

بدأ الصراع بيني وبين أنوثتي مبكرًا جدًا ، قبل أن تنبت أنوثتي ، وقبل أن أعرف شيئًا عن نفسي وجنسي وأصلي ، بل قبل أن أعرف أي تجويف كان يحتويني قبل أن ألفظ إلى هذا العالم الواسع ، كرهت أنوثتي» صـ : (٥) .

*** وتقول عن نهديها :**

كرهتهما! هذان البروزان! تلكما القطعتان الصغيرتان من اللحم اللتان تحددان مستقبلي! وددت لو أجتثهما من فوق صدري بسكين حاد .صـ (١٢) .

*** وتقول عن شعرها :**

هذا الشعر الطويل الثقيل،الذي أحمله فوق رأسي في كل مكان، يعطلني كل صباح، ويرهقني في الحمام ، ويلهب رقبتي في الصيف . صـ (١٤) .

*** وتقول عن كراهيتها للرجال إثر مغازلة بواب عمارة لها بعد البلوغ :**

هربت من تلك المخلوقات الغريبة ذات الأصوات الغليظة والشوارب التى يسمونها رجالاً ، وخلقت لنفسي عالمًا خاصًا من صنع خيالي ، جعلت من نفسي فيه إلهة ، وجعلت من الرجال مخلوقات عاجزة غبية تقوم على خدمتي . صـ (١٠) .

وتتجلى هذه الكراهية الشديدة للذكر « الرجل » وللأنوثة أيضًا حين دخلت المشرحة حيث تقول عندما شاهدت جثة رجل عار : « كدت أشيح بوجهي عن الجسد العاري ، وأجرى خارجة من المشرحة ، ولكن لا ، لن أفعل ذلك ، سلطت نظراتي على جثة الرجل بقوة ، وأمسكت المشرط في يدي [2] ، كان هذا هو أول لقاء سافر لي بالرجل والرجولة ، فيه فقد الرجل هيبته وجلاله وعظمته الموهومَة ، نزل الرجل من فوق عرشه وارتمى على منضدة التشريح بجوار المرأة » .

لماذا كانت أمي تضع هذه الفروق الهائلة بيني وبين أخي وتصنع من الرجل إلهًا ، عليَّ أن أقضي عمري كله أطبخ له طعامه ؟

---

(١) د « نوال السعداوي » : « مذكرات طبيبة » ، دار الآداب ببيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة (١٩٨٣).

(٢) من الواضح أنها ترددت في قطع عضو الذكورة للرجل وقاومت نفسها مرارًا !!! ، وربما قطعت العضو ؟!!

لماذا يحاول المجتمع دائمًا أن يقنعني بأن الرجولة امتياز وشرف ،وأن الأنوثة مهانة وضعف ؟

هل يمكن لأمي أن تصدق أنني أقف وأمامي رجل عار ، وفي يدي مشرط أفتح به بطنه ورأسه؟ .

هل يمكن للمجتمع أن يصدق أنني أتأمل جسد الرجل وأشرحه وأمزقه دون أن أشعر بالخجل؟ .

نظرت إلى جانبي ورأيت جثة امرأة عارية وإلى جوارها بعض الطلبة ينظرون إليها في جرأة وقوة ، شعرها طويل ناعم مصبوغ باللون الأحمر ، لكنه مغسول بالفورمالين ، ونهداها فوق صدرها ،ولكنهما ضامرتان متهدلتان ، قطعتا اللحم اللتان عذبتاني في طفولتي ، اللتان تحددان مستقبل البنات وتشغلان قلوب الرجال وعيونهم ، هاهما تستقران تحت مشرطي يابستين مجعدتين لقطعتين من جلد الأحذية ! ، ما أضحل مستقبل البنات ! وما أتفه ما يملأ عقول الرجال وعيونهم! والشعر الطويل الناعم الذي عذبتني أمي من أجله، ها هو يستقر أمامي في جردل المشرحة إلى جوار عفونات الجسد وفتافيت اللحم المتهدلة!![1].

*** كراهيتها للزواج :**

تجرجرني أمي إلى المطبخ ،وهي تقول : « مصيرك إلى الزواج ، يجب أن تتعلمي الطبخ ، مصيرك إلى الزواج ، الزواج ! الزواج ! » .

تلك الكلمة البغيضة التي كانت ترددها أمي كل يوم حتى كرهتها ، ولم أكن أسمعها حتى أتمثل أمامي رجلاً له بطن كبير في داخله مائدة طعام [2].

أرجو أن توفق أيها القارئ العزيز في تحليل شخصيات دعاة عمل المرأة وتحررها .

---

(١) « مذكرات طبيبة » : صـ (٢٤ : ٢٦) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٠) .

المبحث الثالث

إنشاء مؤسسات الدعوة لعمل المرأة وتحررها

تتخذ الدعاوى الاستعمارية الهدامة ـ بصفة عامة ـ أسلوب الحية الرقطاء في السكون ثم الحركة، فالهجوم للقتل والهلاك، فتبدأ بسكون حريري الملمس، ثم تتحرك في أناة وانسياب وبطء كنغمة جنائزية محزنة، وتهجم بقوة وسرعة وشراسة وعنف، فتلدغ لتقتل لا لتصيب .

وهذا ما حدث مع الدعوة الغربية لتحرر المرأة من حجابها ثم من بيتها ، التي مرت بعدة مراحل :

أولاً : إنشاء مؤسسات تعليم البنات « المدارس » :

بدأت الدعوة لتعليم البنات باعتبار ذلك هو السبيل لتهذيبهن ، وإعدادهن كربات بيوت ، ولكنها استغلت للتمرد والتبشير المسيحي .

١ ـ وأول مدرسة حكومية أنشئت لتعليم البنات أنشأتها زوجة الخديوي إسماعيل «حشمت هانم أفندي » ، وذلك سنة (١٨٧٣) م ، وسميت بالمدرسة السيوفية [١].

٢ ـ وفي سنة (١٨٨٧) م ، أنشأت الست « عفيفة شهلوب » مدرسة في الفجالة .

٣ ـ ثم مدرسة أنشأتها الخاتون « نايلة جاماتي » بملك الخواجة « خليل زهار » .

٤ ـ وفي الفيوم أنشأت الخاتون « مريم غبريال » مدرسة أخرى ، وقد انتشرت مدارس الخواتين الفاضلات ، وقبلها المدارس الإفرنجية سواء كانت مدارس الجاليات أو مدارس الإرساليات التبشيرية [٢].

ومن الواضح أن هذه المدارس كان لها أهداف خفية ليس منها نشر التعليم الصحيح للمرأة سواء الديني أو الفكري ، ولكن ـ وكما سنرى ـ الهدف بث تعاليم غير إسلامية وعادات غير شرقية .

هذا ، وقد توالى إنشاء المدارس إلى يومنا هذا ،ولكن لم تتخل الحكومة منذ الثورة

---

(١) الواقع أن أول مدرسة أنشئت بمصر والشرق الأوسط كانت عام (١٨٣٢) م ، وكان هدفها تعليم القراءة والكتابة والتمريض .

(٢) د « يونان لبيب رزق » : « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : صـ (١٣) وما يليها .

حتى الآن عن دورها التعليمي لكافة المواطنين .

ثانيًا : مرحلة إنشاء الجمعيات الأهلية [١] :

كان وما زال وسيستمر خلط السم بالدسم، والسنون بالورود، فكل دعوة تعلم القوة في دفعها، والتضافر في مقاومتها تغلف نفسها بأغطية براقة أخَّاذَة، لتخفي ما بداخلها من عفن وجراثيم .

ونظرًا ؛ لأنَّ الدعوة لحرية المرأة المطلقة ، هي ضد الدين ، ولا يتقبلها المجتمع في سهولة ، فإنها تبدأ تحت شعار خير المجتمع ومنفعته وتدعي توافقها مع الدين ، ثم تنتهي بخراب المجتمع وهجرها للدين ، يقول د « يونان لبيب رزق » موضحًا أسباب إنشاء الجمعيات : « كان انسحاب الحكومة على عهد الاحتلال من ميدان تقديم الخدمات ، خاصة في مجال التعليم من الأسباب التي دعت هؤلاء «مؤسسي الجمعيات الخيرية الأهلية» إلى التقدم لسد الفجوة التي صنعها هذا الانسحاب . . » .

زيادة نشاطات الجمعيات التبشيرية سواء في مجال الخدمات التعليمية أو الصحية والتي استظلت بالحماية التي وفرتها لها الامتيازات الأجنبية ، كان في طليعتها جمعيات التبشير الأمريكية والفرنسية والإيطالية ، تلك الجمعيات التي تنشط بين فقراء المصريين إنما تسعى في النهاية إلى تنصيرهم [٢].

أ ـ الجمعيات الأهلية الخيرية :

تعددت تلك الجمعيات ، ومنها :

* « جمعية مساعدة البنات الفقيرات على الزواج» أنشئت عام (١٩٠٣) .

* « الجمعية الخيرية الإسلامية » ورسالتها ترمي إلى تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم ، وتطهير أخلاقهم ، وبث الروح الوطنية في نفوسهم [٣].

* « جمعية رعاية الأطفال » سنة (١٩٠٨) ، وهدفها رعاية الحوامل والأطفال .

* « مبرة محمد علي ـ حاليًا مستشفى محمد علي ـ » وهدفها : حماية الأطفال المصريين تحت رعاية الجناب الخديوي وصاحبتي الدولة والدته الجليلة ، وحرمه المصون

---

(١) لا ننكر قيام بعض الجمعيات الأهلية بخدمات إنسانية جليلة مع جهد مؤسسيها وإخلاصهم ، ولكن يُزرع بينها الجمعيات المشبوهة وبحجم أكبر .

(٢) « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : صـ (٣٣ ، ٣٤) ، وما أشبه اليوم بالأمس .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٩) .

وسائر أعضاء الأسرة العلوية الكريمة ، وقد أنشئت سنة (١٩١٠) .

* « جمعية ملجأ العجزة » وهو ملجأ صغير تديره الراهبات الناذرات ، لخدمة الشيوخ العاجزين الذين لا يقدرون على الارتزاق بسبب ضعفهم وشيخوختهم .

* «ملجأ اليتامى» أنشأته راهبات الراعي الصالح عام (١٨٥٤)، بلغ عدد الذين يربون فيه من كل ملة (٣٠٠) يتيم،وهو يعلم اليتيم العلم والأعمال اليدوية،وفيه قسم للرهبنة .

* « عيادة راهبات المحبة » ، تم علاج (٤٥٠٠) مريض خلال عام منهم (٣٥٠٠) مصري ، والباقي أجانب ، والإقامة كاملة ،والعلاج والإقامة بالمجان [١]. . .إلخ .

هذا إضافة للجمعيات الخيرية الأوربية ، وجمعية الشوام والموارنة والروم .

وقد أحيت الجمعية الخيرية الفرنسية ليلة شائقة في الأوبرا المصرية ، تحت رعاية المسيو « كوكردان » وبرئاسة المسيو « بروا » ، وقد أقيم بعدها مرقص في فندق الجزيرة .

* « الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك ، اشتهرت بإصدار أوراق اليانصيب ، وكانت تعالج بعض الفقراء مجانًا [٢].

* « الجمعية الخيرية القبطية » تأسست سنة (١٨٨١) .

ب ـ الجمعيات الأهلية لدعاة التحرر :

نتيجة للضغوط الأجنبية ، وتمشيًا مع سياسات إنشاء الجمعيات الأهلية ، تم إنشاء أكثر من جمعية نسائية لمطالب النساء منها :

١ـ الاتحاد النسائي المصري :

عقب انتهاء ثورة (١٩١٩) ، تلقت السيدة « هدى شعراوي » دعوة لحضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي بروما عام (١٩٢٢) ، فلما عادت كونت الاتحاد النسائي المصري عام (١٩٢٣) م [٣].

٢ ـ الحزب النسائي :

تكون الحزب النسائي عام (١٩٤٥)،وقد اتخذ لنفسه نفس الأهداف القديمة،التي ترمي

(١) « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : صـ (٣٦) ولا ينكر علاقة هذه الجمعيات الغير إسلامية بالتنصير المسيحي .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٨) .
(٣) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨١ ، ٨٢) .

إلى القضاء على البقية الباقية من كيان المجتمع الإسلامي، المتمثلة في الأحوال الشخصية ، وذلك بتقييد الطلاق . . ومنع التعدد والحصول على الحقوق السياسية المزعومة .

على أن ذلك الحزب لم يضف قوة جديدة إلى الحركة النسائية ، وخاصة بعد وفاة رئيسة الاتحاد النسائي ،وانهيار ذلك الاتحاد بعد أن فقد القوة المحركة له ، والمصدر الأول لتموينه بالمال والنفوذ [١].

٣ ـ حزب بنت النيل :

وفي عام (١٩٤٩) تكون حزب بنت النيل ، ولم يمض قليل حتى أصدر ذلك الحزب الناشئ ، مجلة بنت النيل باللغة العربية ، والمرأة الجديدة باللغة الفرنسية ، ثم أصدر مجلة البلبل للأطفال ، وبعد أشهر قليلة من تكوين ذلك الحزب سافرت رئيسته إلى إنجلترا ، فقوبلت بحفاوة عظيمة،ورحبت بها الصحف البريطانية ، ونشرت عنها الأحاديث العديدة التي تصورها بصورة الداعية إلى تحرير المرأة المصرية من الأغلال التي تثقل كاهلها، وتعوقها عن التقدم ، أغلال الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات [٢].

وقد تزايدت المنظمات الغير الحكومية والتي تمثل صداعًا دائمًا ومؤلمًا في رؤوس الحكام، ومرضًا عُضالاً تنتشر عدواه ببطء ، وتنساب في خطورة لتنال من المجتمعات، فوصل عددها إلى الآلاف ، وترك الغرب الغني القوي القادر مشاكل الإنسان الذي يموت جوعًا ومرضًا في إفريقيا ، والكثير من دول العالم وتفرغوا للمرأة وحريات المرأة التي زادت عن الحد وأصبح سماعها يمثل أحد أهم أسباب التلوث السمعي .

ثالثًا : المنظمات العالمية لعمل المرأة وتحررها [٣] :

منذ قيام الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩) م ، وحتى اليوم ، وغدا وبعد غد ، تُساق المرأة إلى شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها الشقاء ، تنادي بتحريرها مما قاسته من ظلم في السابق ، ثم بتحررها من الفضيلة والعفاف ، ونبذها لآداب الطهارة والعذرية ، وبعد أن كانت تلك الدعاوى فردية يروج لها بعض الفلاسفة والكتاب بدأت تروج لها المنظمات الدولية ، ويعقد لها المؤتمرات ، وتنشأ من أجلها المعاهدات والاتفاقيات الدولية .

---

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨٦) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٨٧) .

(٣) سنعرض لتطور المنظمات الدولية ومطالبها لعمل المرأة في فصل لاحق .

١ ـ عصبة الأمم :

هي أول منظمة دولية عالمية اهتمت بهذا الأمر ، فطالبت الوفود الممثلة لبلادها بضرورة أن تُمَثَّل المرأة جانبًا من أعضائها ، وقامت بدراسة عن وضع المرأة في العالم وبعد حل العصبة حمل اللواء هيئة الأمم المتحدة .

٢ ـ هيئة الأمم المتحدة :

استكملت ما بدأته عصبة الأمم وأبرمت من المعاهدات الدولية ما يدفع المرأة دفعًا لهجر وظيفة الزوجة والأم ، والتمسك بالشقاء في أعمال لا تليق بها ، فأصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في (١٠/١٢/ ١٩٤٨) تمهيدًا للتدخل الرسمي في شؤون المرأة التي نظمتها الأديان السماوية والقوانين الوضعية للدول، ثم الدعوة لحقوق الشواذ ، ونتيجة لعدم التزام الدول بتطبيق (م ٢٢) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، والتي أوصت بأن يراعى التشريعات ، الاتجاه للمساواة بين الزوجين في الحقوق والمسئوليات ، فقد أعلنت الأمم المتحدة سنة (١٩٧٤م) أن عام (١٩٧٥) سيكون لخدمة قضايا المرأة[1].

وعلى ذلك تزايد الحق القانوني لتدخل الأمم المتحدة في شؤون الدول ، وبدأ عهد جديد من المؤتمرات العالمية ، التآمرات للترويج لهذا الفكر ، منها مؤتمر مكسيكو سنة (١٩٧٥)، ومؤتمرات أخرى كل خمس سنوات ، كمؤتمر كوبنهاجن ونيروبي ، والقاهرة وبكين ، التي أوصت بإنشاء منظمات حكومية وأهلية ، داخل كل دولة ، للمطالبة بحقوق النساء المزعومة .

رابعًا : المنظمات الإقليمية لعمل المرأة وتحررها :

نتيجة للضغوط الأدبية والسياسية والاقتصادية والإعلامية، وغيرها ، وتنفيذًا لتوصيات ثم تعليمات ، فأوامر الأمم المتحدة ونصوص معاهداتها الدولية ، وقرارات مؤتمراتها الدولية « تآمراتها » التي ألزمت الدول بإعداد تقارير سنوية لما تم تنفيذه من أهداف وتغيير قوانينها الشرعية والمدنية بما يحقق تحقيق ما يُراد نحو نشر فكر جديد يحلم بأحداث تغيير جذري للمجتمعات ـ خاصة الإسلامية ـ فيما يختص بقوانين الأحوال الشخصية ، والعادات والتقاليد والأعراف الأخلاقية ، فقد أنشئت بكافة دول العالم منظمات حكومية وأخرى

---

(١) « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : صـ (٤٥) .

أهلية تراقب أعمال الحكومة في هذا الشأن ، والشطر الأعظم من تمويل هذه المنظمات من المعونات الأجنبية ، وصناديق الأمم المتحدة التي ما فرضت لتطعم جائعا أو تكسي عار أو تشفي مريضا، ولكنها فُرضت لنشر الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الناتجة عن عمل النساء وبطالة الرجال والسفور والفجور وغير ذلك .

ومن هذه المنظمات :

١ ـ المنظمات الحكومية :

* « المجلس القومي للمرأة » بمصر :

أنشئ بقرار من رئيس الجمهورية(١) وترأسة السيدة الفاضلة « سوزان صالح مصطفى ثابت ، سوزان مبارك » ، وسيادتها شخصية عالية بارزة ومرموقة ،وللمجلس الكثير من الأنشطة البناءة النافعة للمرأة والمجتمع ، ولكنه جنح أخيرًا للاعتراف العلماني بضرورة المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، حتى وإن تعارضت مع الدين ، وذلك في مجال الزواج والطلاق والتعدد والإرث أيضًا ، وهذا الفكر ليس من الإسلام في شيء ، ولكنه نتيجة ضغوط كثيرة سبق إيضاحها ، وبعد أن اعترضت مصر على بعض بنود اتفاقية إزالة أشكال التمييز لتعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية ، فقد أعلنت السيدة « منى ذو الفقار » ـ عضوة المجلس ـ في التليفزيون المصري أن المجلس أرسل برقية لوزارة الخارجية المصرية يطالبها فيه ، بالتخلي عن تحفظات مصر بالنسبة لتنفيذ اتفاقية إزالة كافة أحكام التمييز ضد المرأة ذلك التحفظ الذى يشير إلى حق مصر في عدم تطبيق ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية من بنود .

* « منظمة المرأة العربية » :

نشأت بقرار من قمة المرأة العربية ، واعتمدت رسميًا ضمن المنظمات التي تندرج تحت مظلة الجامعة العربية ، ستمكن المرأة العربية من ولوج الألفية الثالثة بفاعلية واقتدار لتطور برامجها كمًا ونوعًا لبلوغ أهدافها ولتقرير دورها الريادي في بناء التنمية الشاملة (٢).

---

(١) القرار رقم (٩٠) لسنة (٢٠٠٠) م ، وهو من (١٢) مادة ، مادته الأولى : منشأ مجلس يسمى « المجلس القومي للمرأة » يتبع رئيس الجمهورية ، تكون له الشخصية الاعتبارية ، ويكون مقره مدينة القاهرة . « دليل المجلس القومي للمرأة » سنة (٢٠٠٢) : صـ (١٤).

(٢) المؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية :صـ (٨٠) ، المجلس القومي للمرأة .

* « المجلس الأعلى لشئون الأسرة ـ قطر ـ » :

وقد أنشئ بدولة قطر وهدفه : إعداد وتنفيذ برامج ودورات ولقاءات تثقيفية وتدريبية تهدف إلى دمج المرأة في نشاطات المجتمع وإيجاد الأسرة المنتجة المساهمة والمشاركة في جميع شؤون المجتمع وقضاياه (١).

* « الهيئة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية » :

أنشئ برياسة قرينة الرئيس اللبناني السيدة : أندرية لحود .

* « اللجنة الملكية الخاصية لمرونة الأحوال الشخصية» :

تقول عنها السيدة « نزهة شرقوني » رئيس وفد المملكة المغربية للمؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية .

إنها لجنة ملكية خاصة أوكل إليها مهمة النظر في الآليات والمساطر التي تضمن تطبيقًا سليمًا لمدونة الأحوال الشخصية ، والانكباب على إعداد مشروع مراجعة هذه المدونة ، هذه المبادرة التي من شأنها أن ترفع الحيف « الظلم » عن النساء وتقوي دعائم الأسرة العربية انطلاقًا من المقومات الدينية والحضارية لبلادنا ،ومما يعزز دولة الحق والقانون ، ويستجيب لحاجيات بلادنا التنموية (٢).

* « مدونة الأحوال الشخصية ـ موريتانيا ـ » :

تقول عنها السيدة « منتانة بنت حديد» : « تمت المصادقة « اعتماد » على مدونة للأحوال الشخصية غايتها تأمين حقوق المرأة والطفل وتماسك الأسرة وانسجامها » (٣).

* الاتحاد النسائي العام « دولة الإمارات العربية المتحدة » :

هذا بالإضافة إلى مئات الجمعيات الأهلية المهتمة بشؤون المرأة والتي تدعي أنها تعمل لمساعدتها والواقع أنها ترمي إلى إفسادها .

وللحق نقول : إن هذه المجالس والجمعيات ـ في الغالب ـ براقة الأهداف ، جميلة صياغة الكلمات ، ولا تخلو من أنشطة فاعلة فعالة في مجالات عدة كالطفولة والأمومة والكثير من المجالات الاجتماعية والإنسانية والخدمية، ولكن هدفها الأكبر الذي تخفيه وراء

---

(١) المؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية :صـ (٨٣) ، المجلس القومي للمرأة .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٩٢) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٩٩) .

أنشطتها المفيدة هو تقويض دعائم الأسرة والمجتمع والابتعاد عن تعاليم الإسلام ، وليست تونس عنا ببعيد جغرافيًا أو زمنيًا ، ونقول ناصحين المشرفين وأصحاب القرار بتلك الهيئات ،تذكروا قول الله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤] ، ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١].

فلن تشفع لكم عند ربكم الأمم المتحدة ، أو الولايات المتحدة أو غيرها

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] .

الفصل الثانى

تطور فكر دعاة عمل المرأة
من المشروع إلى الممنوع

المبحث الأول : تطور الفكر الفردى للدعاة .

المبحث الثانى : تطور الفكر الجماعي لعمل المرأة وتحررها .



الفصل الثاني

تطور فكر دعاة عمل المرأة
من المشروع إلى الممنوع

توطئة :

من الملاحظ أن أصحاب الدعاوى الشاذة والأفكار الغريبة والمبادئ السقيمة ، يتميزون بالدهاء والصبر والحلم والأناة ، والإخلاص الشديد لنشر أفكارهم وكأنهم أنبياء مخلصون للشيطان ، فيبدأون ادعاءاتهم زاعمين أنهم هُداة إصلاح ، لا يهدفون إلى التخلي عن أحكام الدين ، أو المساس بكل خلق قويم ، وشيئًا فشيئًا ، يبدأون بنقد علماء الدين ، ثم الأديان ، فينحرفون عن أحكام الشرائع ، ويبتعدون عن مكارم الأخلاق ، وذلك باتخاذهم مسميات جديدة ، مثل الحرية ، والتحرر ، والفكر الجديد ، وضرورات العصر الحديث . . .

ويستمرون في العمل الدؤوب لتحقيق أهدافهم ، خطوة بخطوة ، بأمل لا ينقطع ورجاء لا ينتهي ، حتى تنتج مساعيهم ثمارًا براقة المنظر بهية المنظر ، نتنة الجوهر ، ولكنها ـ بفضل الله ـ تتعفن بمجرد النضج ، ولا تلبث أن تصيب متبعيها بالمرض ، فتلفظ سريعًا وتنتهي أسرع ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الرعد:١٧] .

وسوف نتناول الحديث عن هذاالفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : تطور الفكر الفردي للدعاة .

المبحث الثاني : تطور الفكر الجماعي لعمل المرأة وتحررها .



المبحث الأول

تطور الفكر الفردي للدعاة ومطالبهم

مر هذا الفكر بعدة مراحل، كل مرحلة تمثل بداية ضرورية لما بعدها ، فبدأت بالأفكار المعقولة المستحسنة، وإن توارى خلفها المبادئ الشاذة المستقبحة، فإذا حققت المرحلة أهدافها ، بدأت المرحلة التالية فأظهرت المبادئ الشاذة المستقبحة ، وتوارت خلفها الأهداف القبيحة المحرمة ، التي لا تلبث أن تظهر واضحة جلية بلا حياء .

وقد بدأت هذه الأفكار بتعليم البنات ثم بعملهن .

أولاً : تطور مطالب الدعوة لتعليم البنات :

بدأت الدعوة لتعليم البنات وتثقيفهن مستندة على أسس قويمة تهدف لإعدادهن ليصبحن زوجات صالحات ، وعاملات مجدات عند الضرورة ، وهو ما يوافق الدين والأعراف السليمة .

فكان تعليم القراءة والكتابة واللغة العربية وآدابها ، والدين وأحكامه ، والتدبير المنزلي، وأعمال التمريض والتطبيب والتدريس هي الغاية المرجوة من تعليم البنات ، حتى يتحقق للأسرة والمجتمع والدولة الفوز بإعداد زوجة صالحة وأم بارة وعاملة مُجدة مخلصة واعية .

ثم انحرف التعليم ومال إلى تعليم اللغات الأجنبية ، والموسيقى وأهمها اللعب على البيانو الذي أصبح المقياس الأعلى لحُسن تربية البنات - بنات الطبقة العليا - وهجر تعليم القرآن وعلومه ، وهدف ذلك خدمة ثقافات غربية ومبادئ وأفكار ليست عربية أو إسلامية تتسلل إلى المجتمع من خلال بنات الطبقات العليا ، خدمة للتبشير المسيحي ، وفي حماية الاستعمار .

ثم تطورت المناهج مرة أخرى هادفة إلى إعداد موظفات وعاملات في شتى مناحي ووظائف الحياة ، التي منها ما يناسب المرأة وما لا يناسبها ثم علت الأصوات وتعالت حتى الصراخ مطالبة بالمساواة التامة في كافة الأعمال مع الرجل ، فخرجت المرأة من البيت لتخدم خارجه الغرباء من رجال أعمال وتجار وصناع، والصفوة منهن كن طبيبات

ومهندسات وعالمات مبدعات في شتى أنواع العلم والمعرفة [١].

واليوم تنادي داعيات عمل المرأة وتحررها بإباحة الشذوذ الجنسي بأنواعه المتعددة وحرية المرأة في جسدها ، فتقوضت دعائم الأسر وهدمت أسس المجتمعات ، وسيدفع العالم قريبًا فاتورة تحرر المرأة البشعة .

١ ـ مراحل المطالبة بتعليم البنات :

أ ـ مرحلة التعليم لحُسن التبعل :

في (٦ / ٧ / ١٨٠٩) جاء بجريدة الأهرام بمناسبة افتتاح مدارس لتعليم البنات : «إن تهذيب البنات أعظم ما تحتاج إليه الهيئة الاجتماعية ، وأحق ما يلزم تعميمه في عموم البلاد والمدن ، إن تعليم هذا الجنس اللطيف وتهذيب أخلاقه صار أمرًا أشهر من أن يُعرف، فإن تعليم البنات أمر يتوقف عليه نجاح البلاد ؛ لأنَّ عليهن تدبير المنازل وتربية أبناء يكونون فخرًا للبلاد » [٢].

وفي مقال آخر بتاريخ (٢٩ / ٨ / ١٨٩٢) العدد (٤٤٠٥) جاء عن تعليم البنات ملخصه :

ـ النساء لسن أدنى منزلة من الرجال في شيء ، اللهم إلا القوة الحيوانية « البدنية » ، قد سنت الطبيعة أن تكون المرأة شريكة الرجل في قيام النوع .

يجب تعليم البنات القراءة والكتابة ، فضلاً عن عدد من العلوم :

التاريخ : لأنها لو عرفت شيئًا من حوادثه لقصته على أولادها وتجمع لهم فيه من اللهو والتعليم ، فيغنيها ذلك من أن تقص عليهم من أساطير الجن والغيلان أو لصوص البادية وقطاع الطرق .

أصول الحساب : وذلك حتى تقوم بمساعدة بعلها في أعماله إذا مست الحاجة ، وتنوب عنه إذا غاب أو مرض وتقوم مقامه إذا اختطفته يد المنون « الموت » !.

---

(١) نحن لا نرى بأسًا في تعليم المرأة ما تخدم به مجتمعها كطبيبة أو مدرسة أو عالمة ذرة ، ولكن بالشروط التي وضعها الإسلام .

(٢) د « يونان لبيب رزق» : «المرأة العصرية بين التطور والتحرر»: صـ (٥٠)،مكتبة الأسرة، (٢٠٠٢)م، ونحن نشك في صحة تاريخ المقال، ونعتقد أنه عام (١٨٨٩) م ، حيث سبقه خبر في نفس الصفحة بتاريخ (١٢ / ٤ / ١٨٨٧) م .

حفظ الصحة : وهو العلم الذي يكفل للمرأة ألا تطعم أولادها ما يضرهم ولا تلبسهم ما يؤذيهم .

علم الجغرافيا : فإنها تعرف على الأقل موقع بلدها من الأرض [١] .

ويلاحظ أن التعاليم الدينية لم يرد عنها شيء بالمقال !!

وفي مقال آخر للأهرام أوضح أن فوائد تعليم البنات أربع :

١ ـ أن تدرك ما لها وما عليها من الواجبات الدينية والدنيوية .

٢ ـ بعد زواجها تقدر المعيشة الزوجية فتحفظ مقام زوجها .

٣ ـ تأخذ في بيتها بوسائل الاقتصاد الحقيقية .

٤ ـ تتولد فيها حاسات الشفقة والحنو ، فتلاحظ بيتها ، وتربيتهم على أحسن تربية جسدية وعقلية [٢] .

وهذه الأفكار السامية هي ما دعا إليه « قاسم أمين » في كتابه « تحرير المرأة » كمدخل لمطالب أخرى ، فيقول موضحًا هدفه من دعواه :

غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع ، المرأة شقيقة الرجل وشريكة الزوج ، ومربية الأولاد ومهذبة النوع !! وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال اللائق بصفاتها ، فتمنح نصيبها من الرقي العقلي والأدب ، ومن سعادة الحال في المعيشة ، وتحسن استعمال ما لها من نفوذ في البيت [٣] .

ويقول عن أهمية التعليم للمرأة : ففي رأيي أن المرأة لا يمكنها أن تدير منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية ، فيجب أن تتعلم كل ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم يسمح لها باختيار ما يوافق ذوقها منها وإتقانه بالاشتغال به متى شاءت .

فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة ، واطلعت على أصول الحقائق العلمية ، وعرفت مواقع البلاد ، وأجالت النظر في تاريخ الأمم ، ووقفت على شيء من علم الهيئة والعلوم

---

(١) د « يونان لبيب رزق» : «المرأة العصرية بين التطور والتحرر» : صـ (٢٣ : ٢٥) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٢٤، ٢٥) ، المقال كان أصلاً رسالة من مكتب الأهرام بطنطا ، ويلاحظ أنه بعد تعليم وعمل المرأة ابتعدت عن البيت .

(٣) « المرأة الجديدة » : صـ (٦) .

الطبيعية ، وكانت حياة ذلك كله في نفسها عرفانها العقائد والآداب الدينية ، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة ، وطرح الخرافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء .

وعلى من يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويدها حب الفضائل التي تكمل بها النفس الإنسانية في ذاتها ، والفضائل التي لها أثر في معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة ، والفضائل التي يظهر أثرها في نظام الأمة ، حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة في نفسها ، ولا يتم له ذلك إلا بالإرشاد القولي والقدوة الصالحة .

هذه هي التربية التي أتمنى أن تحمل عليها المرأة المصرية ذكرتها بالإجمال ، فإن التعليم - خصوصًا - إذا كانت مصحوبًا بتهذيب الأخلاق - يرفع المرأة ، ويرد إليها مرتبتها واعتبارها ويكمل عقلها ، ويسمح لها أن تتفكر وتتأمل وتتبصر في أعمالها [١].

كما يقول عن ضرورة تعلم المرأة للعمل عند الضرورة : « وحوادث الفقر والطلاق وموت الزوج والعزوبة كلها حوادث جارية، وتقع في كل آن، ولما كان الاطلاع على الغيب أمرًا غير ميسور للإنسان، وجب أن تستعد كل امرأة لهذه الحوادث قبل أن تقع فيها» .

لهذا نرى أن من أهم ما يجب على الآباء أن يعدوا بناتهم لاستقبال هذه الحوادث بما يدفع شرها ويقي من ضررها ويمهد لهن سبيل الوصول إلى حظ من السعادة في هذه الحياة.

نعم ، نرى أنه يجب على كل أب يعلم بنته بقدر ما يستطيع ونهاية ما يمكن ، وأن يعتني بتربيتها كما يعتني بتربية أولاده الذكور ، فإذا تزوجت بعد ذلك فلا يضرها عملها بل تستفيد منه كثيرًا وتفيد عائلتها ، وإن لم تتزوج أو تزوجت ثم انفصلت عن زوجها لسبب من الأسباب الكثيرة الوقوع أمكنها أن تستخدم معارفها في تحصيل معاشها بطريقة ترضيها وتكفل راحتها واستقلالها وكرامتها .

وسواء نظرنا إلى الفوائد المادية التي ينالها صاحب العلم من علمه أو نظرنا إلى اللذة المعنوية التي يذوقها فالتعليم على كل حال مطلوب [٢].

ومما لا شك فيه أن هذه المطالب ، وتلك الآراء تتفق مع الشريعة الإسلامية ، ويتقبلها كل عقل لبيب .

---

(١) « تحرير المرأة » : صـ (٢٦) .

(٢) « المرأة الجديدة » : صـ (٦٨ ، ٦٩) .

وعلى ذلك، كان منهج الدراسة في أول مدرسة للبنات وهي « المدرسة السيوفية » سنة (١٨٧٣) م ، والتي سميت بعد ذلك بـ « المدرسة السنِيَة » : الدراسة لمدة خمس سنوات تتعلم خلالها الطالبة ، فضلاً عن اللغتين العربية والتركية ، الحقائق البارزة في تاريخ وجغرافية مصر ، القواعد الأربع للحساب والموازين والمقاييس مع بعض المعلومات في التاريخ الطبيعي والطبيعة ، وقد أعير اهتمام خاص لدراسة الرسم النظري ، وأشغال الإبرة .

وعلى العموم كل المواد التي تكون نافعة للمرأة [١].

ولا شك أن هذه المرحلة يتقبلها كل مصري ، فهي لا تتعارض مع أحكام الدين أو العادات والتقاليد ، وهي لإعلاء شأن المرأة وسعادتها .

ب ـ مرحلة التدخل الأجنبي والاستعماري في التعليم بمصر :

استغل الاستعمار الإنجليزي والجاليات الأجنبية بمصر ، الدعوة لتعليم البنات في إنشاء الكثير من المدارس التبشيرية ، التي تهدف لنشر ثقافات وأفكار ومبادئ غير شرقية وغير إسلامية ، ثم محاولة فتنة المسلمات عن دينهن والتنصير .

يقول د « يونان لبيب رزق » : « كان يوجد بمصر في بداية الدعوة لتعليم البنات مدرسة واحدة فقط مصرية وهي المدرسة السنِية للبنات « السيوفية سابقًا» ، وكان يوجد الكثير من المدارس الأجنبية من مدارس جاليات إلى مدارس الإرساليات التبشيرية .

وجاء بجريدة الأهرام في (٢٠ / ١٠ / ١٨٩٠) م :

« تشير إحصاءات مدارس البنات الأجنبية في أواخر القرن الماضي أن العدد الأكبر من المدارس الأجنبية ، كان للفرنسيين والأمريكيين والإيطاليين ، وأن تلك المدارس قد تغلغلت في شتى أنحاء القطر المصري . .

ففي الإسكندرية : مدرسة الأخوات العازريات ، توزع أوراق الدعوة للاحتفال بتوزيع جوائزها السنوية تحت رعاية حضرة قُنصل فرنسا ، والاحتفال بليلة « البالو » التي يخصص إيرادها لإعانة المدارس الأجنبية بإدارة الراهبات الفرنسيسكات .

---

(١) « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : د « يونان لبيب رزق » : صـ (٢٦) ، مكتبة الأسرة ، سنة (٢٠٠٢) م .

وفي المنصورة : تجتمع لجنة من أعيان الإنجليز لإنشاء مدرسة للإناث باسم بيت فيكتوريا . .

وفي طنطا : الاحتفال بمدرستي الآباء الإفريقيين للأولاد والبنات .

وفي المنيا : قدمت الراهبة الورعة رئيسة شركة قلب يسوع ومعها راهبتان لا تقلان عنها اجتهاداً ، فأنشأن مدرسة للبنات يعلمن فيها العربية والفرنساوية ،وأشغال اليد (١) .

ومن الواضح أن هذا الكم الهائل من المدارس الأجنبية لم يكن هدفه إعلاء شأن الفتاة المصرية ، ولكن إعلاء شأن ثقافته ونشرها ودينه والدعوة إليه .

يقول د « يونان لبيب رزق » : « إن هناك ثمة ارتباط بين العمل الأهلي الأجنبي والتبشير المسيحي في مصر ، وقد أوضح مقال للأهرام في (١ / ٤ / ١٩٠٣) م ، أن هناك جمعيات أهلية أقامها مجموعة من الفضلاء ، لمساعدة البنات الفقيرات على الزواج ، ومن أسباب انتشار الجمعيات الخيرية : « زيادة نشاطات الجمعيات التنصيرية سواء في مجال الخدمات التعليمية أو الصحية، والتي استغلت بالحماية التي وفرتها لها الامتيازات الأجنبية، وكان في طليعتها جمعيات التنصير الأمريكية ، والفرنسية ، والإيطالية . . » (٢) .

هذا ، وقد انتشرت مدارس الخواتين الفاضلات ، والتي كانت تسعى لنفس الهدف ومناهجها في خدمة التبشير والتنصير وليس لخدمة إعداد نساء ربات بيوت صالحات .

يقول د « يونان لبيب رزق » : « اختلفت برامج الدراسة تبعًا لمعارف الخاتون ، فبينما اقتصرت مريم غبريال على تعلم القراءة والكتابة ، فقد كانت الفتيات في مدرسة نايلة جاماتي يتعلمن فضلاً عن ذلك الفرنسية والموسيقى ، بيد أن جميع الخواتين كن حريصات على تعليم الأشغال اليدوية والأعمال المنزلية » (٣) .

وما زال العرض مستمرًا ، فما زالت مصر وكافة الدول العربية والإسلامية تزخر بالمدارس الأجنبية والتبشيرية ، وإن كانت بالنسبة للعدد أقل بكثير من المدارس الحكومية ، إلا أن أهدافها من التعليم لم تتغير ، وفي مصر الآن العديد من الجامعات الأجنبية ، كالجامعة الأمريكية ، والفرنسية ، والألمانية ، وكلها تدرس المناهج النظرية والآداب ،

(١) « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : صـ (٢٨ ، ٢٩) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٣ ، ٣٤) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٢٩ ، ٣٠) ، والحرص على الأعمال اليدوية والمنزلية لذر الغبار في العيون .

واللغات والأديان من وجهة نظرها ، ولا تقوم إحداها بتدريس الطب أو العلوم أو غيرها مما يفيد البلاد والعباد ، ومع ذلك فلا يسمح لأي بلد إسلامي بإنشاء جامعات في الخارج، بل يتم غلق مدارس تعليم اللغة العربية لأوهى الأسباب .

كما تحاول القوى العظمى التدخل في سياسات التعليم في مصر ، ومن أدلة ذلك :

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ (٣٠ / ٨ / ٢٠٠٤) م : تفاصيل خطة واشنطن الجديدة لاختراق الجامعات المصرية .

الهدف : ربط الأساتذة والأكاديميين والباحثين بالسياسات الأمريكية لجنة استشارية من المتعاونين ، و (٥٠) مليون دولار للمرحلة الأولى من المشروع الجديد .

ترشيح الجامعة الأمريكية بالقاهرة كمركز رئيسي للتنسيق بين الأساتذة والمشروعات الأمريكية .

الخطة تحمل عنوان : « بدائل لتداول السلطة » والهدف الحقيقي اختراق الجامعات وأمركة المجتمع .

وبتاريخ (١٥ / ١٠ / ٢٠٠٤) جاء بنفس الجريدة :

بعد وقف بناء المعاهد الأزهرية قريبًا ، إلحاق جامعة الأزهر بالتعليم العالي .

فاجأ وزير التعليم العالي د « عمرو عزت سلامة » الجميع عندما صرح بأن هناك قانونًا جديدًا وشاملاً تجري دراسته للتعليم العالي ، ودمج الأزهر في التطوير ، ومنذ شهور قال د « حسام بدراوي » كلامًا متشابهًا اكتسب أهميته الآن فقد انتقد الازدواجية التي تعاني منها في مصر ، وتحديدًا في التعليم المدني والديني ، وقال : إن لجنة التعليم قررت فتح هذا الملف ومناقشته مهما كانت الانتقادات .

وتعلق الجريدة قائلة :« إذا دمجوا الأزهر في التعليم العالي ستنهار المؤسسة العلمية الدينية التاريخية » .

إذا أدخلوه ماكينة التطوير سيتأثر بأجندة الإصلاح الأمريكية .

ونحن نقول :إن المحاولات الغربية ـ بصفة عامة ـ والأمريكية الآن بصفة خاصة ـ تهدف إلى التدخل في التعليم المدني والديني خدمة لمصالحها الخاصة ، لنشر دعاوى غير

روح الجهاد ومقاومة المحتلين المحتملين بقيادة أمريكا ، ثم التبشير المسيحي على أوسع نطاق، وإذا كان قادة العالم العربي والإسلامي قد استسلموا لأمريكا خوفًا أو طمعًا أو ضعفًا أو جهلاً أو عمَالة ، فيرى الغرب أن تستسلم الشعوب كذلك ، وهيهات هيهات ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ [يوسف:٢١] .

جـ ـ مرحلة الدعوة لتعليم البنات لهجر القيم ومغادرة البيوت :

نشأت هذه الدعوة في بداية الأمر مستترة تتسلل في خفاء بين ثنايا الدعوة لتعليم البنات بهدف إعدادهن كزوجات وأمهات ، ثم تلا ذلك الجهر بها بصوت عال .

فـ « قاسم أمين » يوضح في صفحات طوال أهمية المرأة للعائلة ، وفي ثنايا تلك الصفحات يدعو للتمسك بالثقافات الأجنبية ، ويهمل الكلام عن أهمية التعاليم الدينية في بناء شخصية المرأة ، ثم يدعو ؛ لأن تحيا لنفسها لا لغيرها ، فيقول موضحًا : إن تربية وتعليم المرأة يجب أن تشمل نوعان : الأول : تربية جسدية ، والأخرى :تربية عقلية ، ويقول عن التربية العقلية :

ولا تتحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعليمها القراءة والكتابة واللغات الأجنبية ، بل تحتاج أيضًا لتعلم أصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع إليها حركات الكائنات وأحوال الإنسان ، كما أنها تحتاج لتعليم مبادئ قانون الصحة ووظائف الأعضاء حتى يمكنها أن تقوم بتربية أولادها .

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأة إلى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد حتى إذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمر شوقها إلى الحق ، فتتحرك دائمًا وتعتبر به .

وأضيف على ذلك أنه ينبغي على البنت أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت .

ولابد هنا من استلفات النظر إلى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها إلى الفنون الجميلة ، وإني على يقين من أن أغلب القراء لا يستحسنون أن تتعلم البنات الموسيقى والرسم ؛ لأن منهم من يريد أن لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ، ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار ، وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا إلى حد يأسف عليه كل من عرف ما لها من

الفائدة في ترقية أحوال الأمم .

فن التصوير والرسم له فائدة لا تقل عن فائدة العلم ؛ لأنَّ العلم يعرفنا الحقيقة ، وهذا الفن يحببها إليها ؛ لأنَّه يبديها لنا على الشكل الأكمل الذي يتخيله صاحب الفن ، فيبعث بذلك الميل إلى الكمال ، والكمال شيء يدركه عقلنا ، لكنه لا يقع تحت حواسنا ، فلا يمكننا أن نتصوره إلا إذا صار مجسمًا أمامنا في شكل لطيف نحس به ، ومتى رأيناه في هذا الشكل تعلقت نفسنا بمحبته ، وكلما كان صاحب الفن ماهرًا في صناعته كان صنعه أقرب للكمال ، وكانت النفس أكثر ميلاً إليه وأشد إعجابًا به وأعظم سرورًا بالإحساس به .

ولفن الموسيقى مثل هذه المزايا ، فإنها أفصح لغة تعبر عما في ضمائرنا ، وألذ ما يرد على مسامعنا ، ومن أحسن ما وصفت به قول أفلاطون : « إن الموسيقى تبعث الحياة في الجماد ، ويسمو بها الفكر ، ويرتقي الخيال ، وتبث في النفس الفرح والسرور ،وترفعها عن الدنايا ، وتميل بها إلى الجمال والكمال ، فهي من عوامل الأدب للإنسان » .

والملاحظ أن « قاسمًا » دعا إلى التعليم وفقًا للنظم الأجنبية والتي لا تناسب أمة لم يكن للرجال فيها ـ حينذاك ـ نصيب من العلم إلا للصفوة ، وكانت لقمة العيش هي الهدف الأول للمواطن إبان الاحتلال الإنجليزي ،ولم تمكن الموسيقى والفنون إلا للصفوة من الأغنياء والمخالطين للأجانب .

ونرى دعوة « قاسم » الداعية لعدم تضحية المرأة من أجل أسرتها في أقواله : « يجب أن تربي المرأة على أن تكون لنفسها ـ أولاً ـ لا ؛ لأن تكون متاعًا لرجل ربما يتفق لها أن تقترن به مدة حياتها » [1] .

« يجب أن تربى المرأة على أن تجد أسباب سعادتها وشقائها في نفسها لا في غيرها»[2].

ولذلك ، فقد انبرى الزعيم الوطني الكبير « مصطفى كامل » لمقاومة هذه الأباطيل فقال :« إني لست ممن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المبادئ الأوربية ، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا على مستقبل الأمة ، فنحن مصريون ،ويجب أن نبقى كذلك ولكل أمة مدنية خاصة بها فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للأجانب تقليدًا أعمى ، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا ، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله ، فالحجاب في الشرق

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (١٠١ : ١٠٣) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٢) .

عصمة وأي عصمة فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم ، وعلموهن التعليم الصحيح ، وإن أساس التربية التي بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة ، هو تعليم الدين (١) .

وضاعف « مصطفى كامل » من مقاومته للحركة بظهور الكتاب الثاني لـ « قاسم أمين» بعنوان « المرأة الجديدة » ،وفيه يردد دعوته في الكتاب الأول إلى نفس الأغراض ، ويزيد عليها مهاجمة للنظام الإسلامي وتحقيراً للسلف الصالح ، ودعوة صارخة إلى التمرد على التقاليد وقطع كل صلة بالماضي ، والاتجاه إلى الغرب فلم يتردد « مصطفى كامل » رحمه الله ، في كتابة المقالات الافتتاحية الطويلة المتوالية ، متضمنة آراء كبار العلماء والمصلحين . .

وكان ممن ردوا على كتاب « المرأة الجديدة » سلطان ملديفي حيث قال :

« أما تعليم النساء ، فقد أصبح من المسائل الحيوية للإسلام والمسلمين ،ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء إلى خطة مدنية الغرب الغبراء » ، كان معولاً لهدم أركان الإسلام، وفأسًا لفتح القبور ؛ لأبنائه ودسهم فيها وهم أحياء (٢).

وها هي « نبوية موسى » تقول في مؤتمر روما في مذكرة : « قبل أن تطالب المرأة بحقوقها السياسية يجب أن تحسن حالتها الاقتصادية ، لكي تستطيع أن تعيش عيشة استقلالية . . ولذا فمقصدنا الأول هو السماح للمرأة المصرية بتحسين حالتها الاقتصادية ، وذلك بأن يكون لها الحق أن تتعلم كالرجل » (٣).

إذن أصبح التعليم والعمل ضرورة للمرأة لتستقل بحياتها ولا تعتمد على الرجل اقتصاديًا .

وهذا الفكر خرج إلى الوجود علانية وبصورة مباشرة حاليًا ، فنرى « فريدة النقاش » تعترض على من يرى ضرورة تعليم المرأة للقيام بوظيفة الأم أولاً ثم العمل عند الحاجة فتقول : « والدولة ملزمة بتقديمه مجانيًا للجميع « التعليم » ولكن البرنامج الإسلامي الذي لا يرى عمل المرأة ضرورة ، لابد أن يهدر أيضًا حقها في التعليم وربما سوف يعطيها هذا

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٧٥) ، والفقرات عن خطاب بتاريخ (١٨ / ٩/ ١٨٩١) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٧) .

(٣) « المرأة المصرية بين التطور والتحرر » : صـ (١٧٤ ، ١٧٥) .

الحق في حدود ؛ لكي تربي الأطفال لا لكي تكون مؤهلة للعمل »[١].

كما تفتخر بالنظام الرأسمالي الذي خلق الحاجة لعمل المرأة ، فأخرجها من بيتها ، فتقول : « وحين نشأ المجتمع الرأسمالي محطمًا هذه النظم السابقة عليه وبخاصة النظام الإقطاعي ، فتح الأبواب أمام خروج المرأة من عزلتها الاجتماعية ،ومن الارتباط بأشكال الإنتاج المنزلي »[٢].

وتنعى د « نوال السعداوي » حال المرأة الفلاحة لعدم استقلالها الاقتصادي « المالي » عن الزوج ، وعناءها من أجل الأسرة ، فتقول : « إن خروج الفلاحات للعمل في الحقول لم يحقق أبدًا للمرأة استقلالها الاقتصادي عن الرجل ؛ لأنَّ الفلاحة تعمل في الحقل بغير أجر ، فهي تعمل لحساب زوجها وأسرتها ، وهي تعتمد اقتصاديًا على زوجها أو أي رجل آخر في الأسرة ، كذلك فإن عمل المرأة داخل البيت من كنس ونظافة وخدمة أيضًا هو عمل بغير أجر ، وكل هذه الأعمال ، لا تفتح شهوة العقل للمعرفة بقدر ما ترهق الجسد، فلا تعطي العقل فرصته للتفتح أو الخلق الفكري[٣].

ويعترف آخرون بأن الاستقلال المالي للمرأة وعملها أدى إلى تفكك الأسرة ، فتقول د « علياء شكرى » : « هناك أساس بديل كقوة النساء وهو نشاطهن الإنتاجي الذي يدر دخلاً والذي يمكن ترجمته إلى قوة إذا دعمته أيديولوجية استقلال المرأة استقلالاً اقتصاديًا ، بل يتوقع منها أن تكون مستقلة اجتماعيًا واقتصاديًا عن الرجل .

ففي المجتمعات التي تتبع نظام الانتساب للأم ، واستقلال المرأة اقتصاديًا ، تكون المرأة أكثر قدرة على العثور على أنشطة اقتصادية تدر عليها دخلاً وتنال عنها مكافآت مالية ، كما تزداد درجة اضطراب حياتها الزوجية وعدم استقرارها ، ويصبح من السهل على المرأة أن تتزوج من جديد أو أن تعثر على علاقات تشبعها خارج نطاق الزواج »[٤].

وعلى ذلك ، فقد كان هدف دعاة التحرر من تعليم المرأة هو استقلالها ماديًا عن الرجل ، لاكتساب المزيد من الحريات المؤدية إلى هدم البيوت وتقويض دعائم الأسر .

---

(١) « حدائق النساء » : صـ (٢١ ، ٢٢) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٥٤) .

(٣) « توأم السلطة والجنس» : صـ (٨٦) .

(٤) « المرأة والمجتمع ـ وجهة نظر علماء الاجتماع ـ » : صـ (٩٤ ، ٩٥) ، دار المعرفة الجامعية بمصر، سنة (١٩٩٨) ، عن مقال مترجم كتبته « كونستانتياسا فيليوس » .

ثانيًا : تطور الدعوة لعمل المرأة :

التطور هو سنة الحياة ، فالإنسان إذا حقق هدفًا ما ، أو حصل على مُتعة ينشدها ، فأشبع رغباته منها ، فأصبح التمني واقع ، والحلم حقيقة مؤكدة ، فإنه يطالب بالمزيد ، فلا انتهاء لرغبات الإنسان وتطلعاته إلا بانتهاء حياته .

والدعـاوى الفكرية منها : ما يتطور إلى الأحسن ، وتلك هي الدعاوى القويمة الصادقة ، ومنها : ما يتخلف متهاويًا من أسوأ إلى أسوأ ، وتلك هي الدعاوى الهدامة الكاذبة .

ودعاوى تحرر المرأة وعملها بلا ضرورة من تلك الدعاوى الهدامة الكاذبة ؛ ولذا فهي تسير من المعقول إلى اللامعقول ، من الحسن إلى القبيح ، ونظرًا ؛ لأننا في هذا القرن الواحد والعشرين قد حصدنا الثمار الفاسدة لهذه الدعاوى ، فلم يُعَد هناك سبيل لإنكار مساوئها ، وإن علا فحيح المنكرين لمفاسدها ، فطالبوا بالمزيد من الفساد باسم الإصلاح .

والملاحظ أن الدعوة لعمل المرأة بدأت لأسباب معقولة لا تخرج عن تعاليم الأديان ، وأصبحت الآن لأسباب منحرفة بعيدة عن تعاليم الأديان والأعراف السليمة ، كما بدأت بالمطالبة بأن تعمل فيما يناسب أنوثتها ،وانتهت اليوم للمطالبة بما يهين إنسانيتها ، وللأسف كل ذلك تحت شعار المساواة بين الذكر والأنثى ، الرجل والمرأة ، فالعمل كان لصالح الزوج والأسرة ، ثم أصبح لصالح السفور والفجور والحريات العفنة .

والواقع أن الدعوة لعمل المرأة مرت بمراحل منها :

١ ـ المرحلة الأولى :

ـ المطالبة بعمل المرأة لضرورة :

أوضح داعية تحرر المرأة « قاسم أمين » هذه الضرورات فقال : « ولقد استدار الزمان على المرأة ورجع بها إلى قانون الفطرة فعرض لها من الحاجات ما لا يمكن معه أن تعيش مقصورة في بيتها ، فهي مضطرة رغمًا عنها أن تدخل فيما دخل الرجال فيه ، وأن تعمل لتكسب وتعيش وتغلو وتعلو فهي بحكم هذه الضرورة في أشد الحاجات إلى تعلم ما يمكنها من بعض الغلبة في هذه المزاحمة العظيمة » [1].

---

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (٦٢) ، وأرجو أن ينتبه القارئ لقوله :« مضطرة » ، وبحكم هذه الضرورة ، إذن لم تكن الدعوى تطالب بالمساواة بالرجل في مزاولة الأعمال كما يحدث الآن .

وقد أوضح « قاسم » الأسباب الضرورية لعمل المرأة وملخصها :

عدم وجود عائل ، أو العائل عاجز .

يقول « قاسم» : « وما نسمعه الآن من صياح النساء وعويلهن وشكواهن من الرجال لعدم القيام بالإنفاق عليهن ، أو اغتيال حقوقهن ، ومن أحاديث تطرح الكثير من مهاوي الرذيلة لسد بعض الحاجات يؤيد ما قلنا . . » (١).

وقد أوضح « قاسم » أن نسبة (٢ ٪) من النساء يعملن بحرف بخلاف الفلاحات ، وعلق على ذلك ، قائلاً : « وإذا رجعنا إلى مشاهدتنا نجد أن النساء اللاتي لا عائل لهن يزدن عن هذا المقدار أضعافه ؛ لأنَّ الأغلب منهن يعيش عالة على أقاربهن ، ومنهن من يستعمل لكسب العيش وسائل لا يعرف بها ، وأضيف على هذا الصنف أولئك الزوجات اللاتي لا يكفي كسب أزواجهن لضرورات معاشهن ومعيشة أولادهن ، فهن مع أزواجهن دائمًا في نزاع وشقاق ثم تزدحم أقدامهن في ساحات المحاكم الشرعية للمطالبة بالنفقة ، فإذا قدر القاضي للزوجة قرشين في اليوم صاح الزوج هذا كثير وعدد هؤلاء النسوة لا ينقص عن مجموع من سبقهن (٢).

ـ العنوسة أو الطلاق وتصاريف الدهر المؤلمة :

يقول « قاسم أمين » : « وذلك ؛ لأنَّه يوجد في كل بلد عدد من النساء لم يتزوج وعدد آخر تزوج وانفصل بالطلاق أو بموت الزوج ، ومن النساء من يكون لها زوج ، ولكنها مضطرة إلى كسب عيشها بسبب شدة فقره ، أو عجزه ، أو كسله عن العمل ، ومن النساء عدد غير قليل متزوجات وليس لهن أولاد ، كل هؤلاء النسوة لا يصح الحجر عليهن عن تناول الأشغال الخارجية عن المنزل بحجة أن لهن رجالاً قائمين بمعاشهن ؛ أو لأن عليهن واجبات عائلية ، أو لوجود عوارض طبيعية تحول بينهن وبين العمل » (٣) .

(١ ، ٢) « المرأة الجديدة » : صـ (٦٣ ، ٦٤) ، ونحن نوافقه الرأي ، ومعلوم أن الإسلام يفرض لهذه الحالات معاشا ؛ لحديث الرسول ﷺ : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا فإليَّ وعليَّ » رواه البخاري .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٦٥) ، وتوفير فرص عمل لهذا الصنف من النساء هو واجب المجتمع ، كما يمكن مساعدتهن اجتماعيًا ، إذا لم يكن للمرأة مؤخر صداق أو إرث أو يوجد ولا يكفيها ، وتقوم وزارة الشؤون الاجتماعية بجهد وافر لتلك الحالات ونرجو زيادته .

ـ ضرورة عمل النساء فيما يناسب أنوثتهن من أعمال :

يرى « قاسم » ـ في بداية دعوته ـ أن هناك أعمالا يجب على المرأة مزاولتها ؛ لأنَّها تناسبها وهي كفيلة بالنجاح فيها ، فيقول : ويوجد حرفتان أود أن تتوجه نحوهما تربية البنات عندنا :

الأولى : صناعة تربية الأطفال وتعليمهم ، هذه الصنعة هي أحسن ما يمكن أن تتخذها امرأة تريد أن تكسب عيشها ؛ لأنَّها محترمة شريفة ، والمرأة أشد استعدادًا لها من الرجال وأدرى منه بطرق استمالتهم ، واكتساب محبتهم ، وبلادنا أشد البلاد حاجة إلى نساء يعرفن هذه الصناعة ، فإنه لا يكاد يوجد عندنا امرأة يوثق بها في تربية الأولاد ، والعائلات المصرية في احتياج إلى عدد من مربيات الأطفال حتى تستغني بهن عن المربيات الأجنبيات، كذلك لا يوجد في مصر مدارس للبنات تتولى إدارتها والتعليم فيها مصريات، وهذا نقص كبير في بلادنا ؛ حيث إننا جميعًا مضطرون إلى تربية بناتنا في المدارس الأجنبية .

والحرفة الثانية : هي صناعة الطب ، كل رجل يعرف مقدار الصعوبة التي يكابدها عندما تكون إحدى النساء من أقاربه مريضة ويلح عليها أن تعرض نفسها على طبيب من الرجال خصوصًا إذا كان المرض من الأمراض الخاصة بالنساء ، فإذا وجد عدد من النساء يعرفن صناعة الطب فلا شك أن صناعتهن تروج رواجًا عظيمًا بما يجدنه من الحاجة إليهن في البيوت المصرية ، وهنا نقول أيضًا : إن فن الطب هو من الفنون التي تلائم استعداد النساء الطبيعي ، وما نشاهده الآن في المستشفيات العمومية ، وفي العائلات من الخدمات الجليلة التي تقوم به النساء هي أعظم برهان على أن المرأة بما جبلت عليه من الرأفة والجلد والاعتناء الشديد صالحة لمثل ما يصلح له الرجال من معالجة الأمراض ، إن لم تكن أشد صلاحية لذلك منهم .

كذلك يمكن للمرأة أن تشتغل بجميع الأعمال التي قوامها الترتيب والتنظيم ولا تحتاج إلى قوة العضلات والأعصاب كالتجارة ، فكم من بيوت تجارية ارتفعت بأيدي النساء بعد أن كانت سقطت من أيدي الرجال ، وكذلك يمكن للنساء مزاولة جميع الحرف الأدبية .

إن المرأة المصرية إذا احتاجت اليوم إلى كسب معاشها بنفسها لا تجد عملاً تتناول منه ما تقتات به إلا بعض الأعمال الشاقة السافلة كالخدمة في بعض البيوت أو الجولان في الطرق لبيع السلع الزهيدة القيمة ، فمنع النساء عن الاشتغال بما يشتغل به الرجال كأنه في

الحقيقة تخصيص لهن بمثل هذه الأعمال الدنيئة التي لا ينال بها إلا القليل التافه وحرمان لهن من الأعمال الشريفة التي تعود على أربابها بالمكاسب الوافرة (١).

إذن هذه المرحلة كانت الدعوة للعمل فيها لضرورة وفيما يناسب المرأة من أعمال ولصالح الأسرة :

٢ـ المرحلة الثانية :

ـ مرحلة الدعوة لعمل المرأة بلا ضوابط :

هذه المرحلة ليست ـ كما يظن البعض ـ مرحلة جديدة ، والواقع أنها بدأت متوارية بين ثنايا المرحلة الأولى ، عمل المرأة بضوابط ـ التي أرى أنها مقدمة لما بعدها .

أ ـ الدعوة المستترة :

نراها في كتابات « قاسم أمين » حيث يقول :

« إن النساء في كل بلد يقدرن بنصف سكانه على الأقل ، فبقاؤهن في الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد الأمة ، وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى » (٢).

من عوامل الضعف في كل مجتمع إنساني أن يكون العدد العظيم من أفراده كلاً عليه، لا عمل له فيما يحتاج إليه ، وإن عمل كان كالآلة الصحاء أو الدابة العجماء لا يدري ما يصدر عنه » (٢).

فإذا أراد المصريون أن يصلحوا أحوالهم ، أن تكون بيوتهم وعائلاتهم وسطًا صالحًا لإعداد رجال ، تربت النساء وشاركن الرجال في أفكارهم وآمالهم إن لم يشاركنهم في جميع أعمالهم » (٣).

والفقرات توضح أنه يدعو لعمل النساء اللاتي يشكلن نصف الأمة ،وهو ما نراه اليوم تحت ادعاء مساواة الرجل بالمرأة ، ومشاركة النساء الرجال في كافة الأعمال .

ومع ذلك ، فهو يقول مناقضًا لنفسه :« أما اشتغال المرأة بالأعمال العامة ، فهو مما لا

---

(١) « المرأة الجديدة » :صـ (٧٠ ، ٧١ ، ٧٢) ، ونحن نقول : لقد وصلت المرأة المصرية والعربية والغربية لوظائف رئيسة الدولة ، ورئيسة الوزراء والقضاء ، ولم يمنع ذلك عمل الكثيرات في البيوت كخدم أو المحلات والملاهي في شتى أنواع الأعمال المتواضعة والدنيئة .

(٢) « تحرير المرأة » : صـ (٣٣) .

(٣) « المرأة الجديدة » : صـ (١٣٣) .

يدخل تحت مطالبنا في هذا الكتاب ؛ ولهذا لا نرى فائدة من الكلام فيه » [١].

وهذه الفقرة توضح أنه يمكن أن تكون الدعوة لعمل المرأة بالأعمال العامة في كتب مستقبلية .

ويلاحظ أنه قبل ذكر هذه الفقرة الأخيرة أوضح أن : في ولاية « يومنج » نالت النساء حق الانتخابات السياسية من سنة (١٨٦٩) ، اشتغلت النساء بالقضاء في أمريكا ، يوجد قضاة من النساء في ولايات « كانساس » و« يومنج » و« كولومبية »، و«شيلي » ، «زيلندة» ، وغيرها ، احترفت النساء المحاماة ، تحرير العقود الرسمية ، وقسيسات ، ومهندسات ، مديرات جرائد . . إلخ [٢].

ومما لا شك فيه أن تزكيته لعمل المرأة في هذه المجالات هو دعوة مستترة لاحتراف النساء لها « وهو ما حدث اليوم » .

ب ـ الدعوة العلنية :

إن الدعوة العلنية لعمل المرأة لضرورة أو لغير ضرورة وبكافة الأعمال والأحوال ، فيما يناسبها أو لا يناسبها من أعمال ، لم تعد من خلال الدين أو في ظل تعاليمه أو مستمدة من أحكامه ؛ لأنَّها ليست منه ، ولكنها تتم اليوم تحت مسمى خادع براق ترغب الآذان سماعه ، وتتمنى القلوب أتباعه ، وهو المساواة بين الرجل والمرأة ، وحاول البعض أن ينسينا أن المساواة في غير موضعها هي أقصى درجات الظلم ، ومن المسميات الأخرى غير الصادقة « ضرورة مشاركة المرأة في التنمية » .

والواقع أن أهداف هؤلاء الدعاة ليست لصالح المرأة أو لخدمة المجتمع ، ولكنها لتحقيق غايات أخرى هادمة للمجتمع ، رافضة للدين .

ـ نقد أحكام الأديان المنظمة لعمل المرأة :

تنتقد الكاتبة « فريدة النقاش » آراء علماء الدين الإسلامي والمسيحي التي ترى أن عمل المرأة الرئيسي هو الزوجة والأم ، كما لم يسلم الأزهر الشريف أو الكنيسة المسيحية من اتهامها بمعاداة المرأة لإهدار مبدأ المساواة في العمل ، فتقول : إن الشيخ « محمد الغزالي» ضد المرأة لقوله :« هيكل الرجل قد بُنِيَ ليخرج إلى ميدان العمل كادحًا مكافحًا،

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (٢٦) .

(٢) « المرأة الجديدة » : صـ (١٦ : ١٨) .

أما المرأة فلها وظيفة عظمى هي الحمل والولادة وتربية الأطفال وتهيئة عش الزوجية ليسكن إليها الرجل بعد الكدح والشقاء ، ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول الليني الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحي والاستجابة للعاطفة»[1] .

كما لا تؤمن بصحة قول الأب « متى المسكين » : لكن التساوى الكامل والمطلق بين الرجل والمرأة في روحيات الإنسان الجديد ومواهبه الروحية وحقوقه في المسيح ، لا تلغي التمايز الخلقي للجسد ، والفارق التكويني في وظائف الأعضاء والصفات والمميزات الخاصة بكل من الرجل والمرأة إلى الدرجة التي تبيح للمرأة مزاولة كل حقوق الرجل [2] .

وتوضح صراحة أن تعاليم الأديان لم تعد تصلح كمرجع لدعاة عمل المرأة ، في رأيها فتقول : « والسؤال العلماني هو : كيف يمكن أن تتناقض خصوصية حركات تحرير المرأة العربية مع مواثيق حقوق الإنسان ، إلا إذا كانت هذه الخصوصية تهدر من مبدأ المساواة باسم الدين ، وسوف تصبح الخصوصية في هذه الحالة هي . . . ومنع الولاية الكبرى عنها أي : رئاسة الدولة أو الحكومة ، وحجب منصب القاضي عنها » [3] .

كما تقول عن البرنامج الإسلامي المنظم لحقوق المرأة ، سنزداد سوءاً حين تتجه مؤشرات التوظيف للاقتصار على الذكور وتتحايل القوانين لإخراج المرأة العاملة من عملها لتفسح مجالاً للرجال العاطلين » [4] .

ـ المطالبة بالمساواة التامة في العمل بين الرجل والمرأة :

أسقط دعاة عمل المرأة وتحررها من فكرهم ما كانوا ينادون به بالأمس من عمل المرأة لضرورة وفيما يناسبها من وظائف ، فأصبحت مطالبتهم اليوم هي عمل المرأة يدا بيد مع الرجل منتزعة منه الوظائف ومسببة بطالته .

وجاء في مقال د « طلعت إبراهيم لطفي » بعنوان :« مشكلة عدم المساواة بين الجنسين في مجال العمل»:« تظهر مشكلة عدم المساواة بين الجنسين في كثير من المجتمعات ، حيث نجد أن الرجال والنساء يختلفون في حصولهم على المزايا والامتيازات والنفوذ والسلطة، شأنهم شأن الأقليات والجماعات السلالية والإثنية وفئات السن :(zanden , 1990 , 259)

(١ ، ٢) « حدائق النساء » : صـ (٨٣) ، ومرجعها : « قضايا المرأة» للغزالي :صـ (١١٦) .

(٣ ، ٤) « المرجع السابق » : صـ (٢٦ ، ٢٧) .

وقد بدأت تظهر المطالبة المبكرة للمساواة في الحقوق بين الجنسين منذ حوالي مائتي عام، ومنذ بدأت حركة تحرير المرأة في الظهور ، ونتيجة لهذه الحركة أصبحت المرأة تشارك الرجل في جميع مجالات العمل » (١).

تقول السيدة « سها عرفات » في خطابها أمام المؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية : «ومن أجل صحة مجتمعاتنا ، وتقدمها ، وازدهارها ، لابد من دعم مبدأ المساواة في الفرص المتاحة للمرأة ، وفي شتى ميادين الحياة في التعليم ، والعمل والصحة والمشاركة السياسية»(٢).

- الادعاء بأن عمل المرأة مشاركة في التنمية وتحديث المجتمع :

تقول الأستاذة « فوزية مهران » : « يتحقق تحديث مصر بمشاركة المرأة فهي الأساس في معركة التحديث وبناء الإنسان ، وهي بذلك تؤكد دورها وتوسع دائرة عملها ونضالها من أجل مستقبل أفضل للجميع ، وتنطلق من دائرة تحقيق الذات والمشاركة في المستقبل ودفع قوى المجتمع إلى التقدم وإعادة صياغة العلاقات وأسلوب الحياة » (٣).

ولا شك في أهمية دور المرأة في بناء الإنسان والمجتمع إذا اهتمت بوظيفتها الأولى،أولاً ، ثم شاركت عند الحاجة في العمل خارج بيتها .

ويعلق الباحث « أحمد أبو زيد » على عمل المرأة ، فيقول مستنكراً قلة مشاركتها في مجتمعها : « مما يلاحظ على هذه المؤتمرات أنه على الرغم مما أحرزته المرأة من تقدم حتى الآن ، فإنها لا تزال متخلفة إلى حد كبير وراء الرجل ، فإن نسبة كبيرة من القادرات على العمل متخلفات عنه بحيث تجد نسبة العاملات من النساء القادرات على العمل لا يصل (٥٠ ٪) ؛ لأنَّها في الواقع (٤٦ ٪) فقط ، وتقل هذه النسبة في أمريكا اللاتينية ، فتصبح (٢ ٪) فقط ، وتزيد في أوربا وأمريكا الشمالية إلى (٣٥ ٪) ، بينما تزداد في الاتحاد السوفيتي لتصل إلى (٥٠ ٪) فقط ، ونسبة العاملات في إفريقيا وآسيا هي (٣٠٪)، وذلك لمشاركة المرأة في الزراعة وفلاحة الأرض ، إن هذا معناه أن نسبة كبيرة من

---

(١) « المرأة والمجتمع - وحرية نظر علم الاجتماع - » : صـ (٣٥١) ، دار المعرفة الجامعية ، سنة (١٩٩٨) .

(٢) « المؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية »: صـ (٢٥) ، إصدار المجلس القومي للمرأة ، سنة (٢٠٠١) م .

(٣) « المرأة وتحديث المجتمع » : المؤتمر الثالث للمجلس القومى للمرأة : صـ (١٥ ، ١٦) ،مارس (٢٠٠٢) م ، صـ (٧٤) .

الأيدي العاملة النسائية القادرة على العمل لا تسهم في العملية الإنتاجية في مختلف المجتمعات[١] .

ولنا أن نتساءل في صراحة ، ووضوح : أين التنمية في مجتمع باع مصانعه ومنشآته الإنتاجية ، وأصبح يستورد غالبية احتياجاته ، من لعب الأطفال حتى السيارات ، وغزته الصناعات الصينية والتركية ، فاستوردنا العدس ، ونحن مضطرون لفتح أبوابه أمام كافة السلع الأجنبية ،طبقًا لاتفاقية الجات ، والانفتاح على إسرائيل .

أين التنمية ..؟ ، لقد ماتت وتحللت ،ولم يبق منها سوى الرفات ،ومع ذلك ننكر هلاكها !!

والغريب أن الدولة تشجع باسم المساواة والتنمية عمل النساء حتى لو تعنست نتيجة بطالة الرجال ، وبدلاً من عمل المرأة في بيتها أو حقلها بكرامة ، أصبحت أجيرة عند الغير في غير كرامة ـ فيما عدا موظفات القطاع الحكومي ـ .

إحصائيات عمل المرأة :

ولعل الإحصائيات التالية والصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بمصر ، توضح ازدياد معدلات عمل النساء والمطالبة بتزايدها مع الإيمان الكامل ببطالة الرجال .

توزيع قوة العمل للرجال والنساء في عامي (١٩٨١ : ٢٠٠٠) للعمر (١٥ : ٦٤) أي : سن الإنتاج :

سنة (١٩٨١)		سنة (٢٠٠٠)		متوسط معدلات النمو	
نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال
٩١٦٦٠٠	٩١٥٣٦٠٠	٤١٩٩٣٠٠	١٤٧٠١٥٠٠	٨	٢,٥

زيادة أعداد المعينين خلال الفترة	
نساء	رجال
٣,٢٨٢,٧٠٠	٥٥٤٧٩٠٠

(١) بحث بمجلة عالم الفكر : إبريل سنة (٧٦) ، صـ (١٥) .

وكان التعليق على بيانات الجدول :

فقد تضاعفت نسبة قوة العمل للإناث خلال الفترة من (١٩٨١ : ٢٠٠٠) إلا أننا نرغب في إتاحة المزيد من فرص العمل للنساء لزيادة مشاركتهن في تنمية المجتمع حيث إنهن لا يزلن يشكلن حوالي خمس القوة العاملة في مصر [١].

وبالنسبة إلى تطور قوة عمالة النساء بالنسبة لإجمالي القوة العاملة للعمر من (١٥ : ٦٤) .

(١٩٨١)	(١٩٩٠)	(١٩٩٣)	(١٩٩٥)	(١٩٩٧)	(١٩٩٨)	(١٩٩٩)	(٢٠٠٠)
٪ ٩,١	٪ ٢٢	٪ ١٧	٪ ٢٢	٪ ٢٢	٪٢١	٪ ٢١	٪١٢

ملاحظات هناك ارتفاع تدريجي لنسبة عمل المرأة

معدلات البطالة للنساء :

(١٩٨١)		(١٩٩٠)		(١٩٩٣)		(١٩٩٥)		(١٩٩٧)	
نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال
٪ ١٩	٪ ٤	٪ ١٥	٪ ٦	٪ ٢٢	٪ ٧	٪ ٢٤	٪ ٧	٪ ٢٠	٪ ٥

(١٩٩٨)		(١٩٩٩)		(٢٠٠٠)	
نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال
٪ ٢٠	٪ ٥	٪ ٢٠	٪ ٦	٪ ٢٣	٪ ٥

---

(١) تطور أوضاع المرأة في عهد مبارك (١٩٨١ : ٢٠٠٢) م : صـ (١٣١ ، ١٣٢) ، المجلس القومي للمرأة ، ورأي الباحثة قد يكون صوابًا لو أن فرص العمل في المجتمع تسع الجميع رجالاً ونساء، وهذا لم يتحقق في أي مجتمع إلا خلال بداية الثورة الصناعية .

وكان التعليق على الجدول للأسف :

معدلات البطالة للنساء :

وبالنظر إلى معدلات البطالة وكما يظهر في جدول (٤ ـ ٥) نلاحظ ارتفاع نسبة المتعطلين بصورة ملحوظة بين الإناث، والتي ارتفعت من (١٩ ٪ في ١٩٨١ إلى ٢٣ ٪ في عام ٢٠٠٠)، في حين لم تتعد النسبة بين الرجال (٥ ٪) في العامين ، وذلك نظرًا لتفضيل منح فرص العمل الجديدة للرجال دون النساء نظرًا ؛ لأنَّ القانون يمنح العديد من الإجازات للنساء لرعاية أسرهن وأطفالهن، ومن ثم يفضل رب العمل ، وخاصة في القطاع الخاص تعيين الرجال عن النساء ، كما أن العديد من الإناث حملة المؤهلات قد لا يفضلن العمل إلا في أعمال تتناسب مع مؤهلاتهن مما قد يقلل من فرصة حصولهن على فرص عمل .

والجدير بالذكر أنه في ظل الخصخصة والاتجاه الاقتصادي الجديد سوف تتأثر أوضاع المرأة وخاصة الفرص المتاحة لعملها نظرًا لإقبال القطاع الخاص في الغالب على تشغيل الرجال أكثر من النساء حيث يخشى ارتفاع نسب تغيب النساء عن العمل وحصولهن على إجازات متتالية بسبب واجباتهن العائلية .

ونظرًا ؛ لأنّ نسب البطالة بين الإناث أعلى بكثير منها بين الذكور ، فإننا نأمل في مزيد من الاهتمام من جانب الدولة في مجال العمل بالنساء على وجه الخصوص ، وذلك عن طريق القروض الصغيرة ومساعدة النساء في تسويق منتجاتهن حتى تستطيع أن ترسخ أقدامها في سوق العمل جنبًا إلى جنب مع الرجال [1].

وفي دراسة لإيضاح صورة عمل المرأة في القطاع غير الرسمي جاء :

ـ يقدر عدد الوحدات غير الرسمية المملوكة للإناث والعاملة بصورة غير رسمية سنة (١٩٨٨) (٤٠٠,٠٠٠) ، سنة (١٩٨٩) (٥٥٠,٠٠٠) .

وأغلب النساء أصحاب هذه المشروعات بائعات متجولات يعملن في بيع الخضر والفاكهة لحسابهن الخاص ، وبالتالي ، فإن دخولهن تتسم بالتواضع الشديد ، وتكفي بالكاد لسد الحاجات الأساسية للمعيشة ، وأن (٤٥ ٪) منهن تعلمن خارج المنشأة ، (٥٥٪) منهن يعملن من خلال المنازل .

---

(١) « تطور أوضاع المرأة في عهد مبارك (١٩٨١ : ٢٠٠٢) م : صـ (١٣١ ، ١٣٢) ، المجلس القومي للمرأة » : صـ (١٣٧) .

ويلاحظ أن النسبة الغالبة تقع في الشريحة العمرية (٣٠ : ٤٩) سنة ، وهذا السن هو السن التي تكون فيه المرأة قد كونت أسرة وأبناء واضطرتها تكاليف المعيشة المرتفعة للعمل أملاً في رفع مستوى معيشة الأسرة .

أما بالنسبة للنساء العاملات لدى الغير بصورة غير رسمية ، فإن (٧٥ ٪) منهن يعملن في القطاع الخاص بلا عقد عمل أو تأمين خاص ، ويقدر عددهن سنة (١٩٩٨) (٣٤٠) ألف امرأة ، منهن (٥٠ ٪) حاصلات على شهادات متوسطة أو جامعية .

حوالي ($\frac{٢}{٣}$) من الإناث يحصلن على أجر لا يزيد عن (٥) جنيه يوميًا أو (١٢٠) جنيه شهريًا ، بينما لا تزيد هذه النسبة في الذكور عن (٣٠ ٪) .

ونسبة مشاركة المرأة في الأنشطة الاقتصادية : رياض الأطفال (٩٩ ٪) ، التعليم الابتدائي (٥٢ ٪) ، الإعدادي (٤٣ ٪) ، الثانوي (٣٥ ٪) ، الزراعة والصيد والمناجم (٣١ ٪) .

التجارة والمطاعم والفنادق (١٠ ٪) ، التشييد والبناء (١ ٪) ، القطاع الصناعي (٨٪) ، النقل والمواصلات والتخزين والتمويل (٢ ٪) .

هذا ، وقد أثر نظام الخصخصة على فقد النساء لوظائفهن بنسبة أعلى مقارنة بالرجال، ومشاركة المرأة في الوظائف الحكومية (٣٣ ٪) [١].

ونحن نعقب على هذه البيانات ، فنقول :

* استغلال المرأة وتوظيفها بأدنى الأجور في القطاع الخاص حقيقة مؤكدة ومستمرة ولن تزول ؛ لأنَّها لو تساوت مع الرجل لفُضل الرجال .

* جميع البيانات التي توضح أن نسبة عمل المرأة في القطاع الحكومي ، والأهلي أقل من الرجال ، بيانات غير صادقة ، فالنساء هن أصحاب النسبة الأعلى في التوظف ، ما عدا القوات المسلحة والشرطة ، التي لو خرجتا من الإحصائيات لتبين صدق قولنا .

ودليلنا أن ما خرج نتيجة الخصخصة من النساء يزيد عن عدد الرجال ، ويعلم من يتردد على المصالح الحكومية زيادة نسبة النساء العاملات عن الرجال بصورة ملحوظة .

---

(١) « المنتدى الثالث » : « المرأة وسوق العمل » : القطاع الرسمي وغير الرسمي المنعقد (٨ / ٧ / ٢٠٠١) م : صـ (٣٢) ، وما بعدها ، المجلس القومي للمرأة .

المبحث الثاني

تطور الفكر الجماعي لعمل المرأة وتحررها

ارتبط التطور العلمي والحضاري - للأسف - بتخلف فكري وثقافي وديني ، فالإنسان الذي ما أوتى من العلم - مهما بلغ مداه - إلا القليل﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ [الإسراء:٨٥]، ظن أنه امتلك نواصي الأمور ، وأنه قادر على إدارة دفة الحياة كما يشاء ، فجرفه تيار جنون العظمة الكاذب إلى محاولة تعديل أحكام الدين ، وتبديل شرائع الله ، المنظمة، والميسرة ، والضابطة لسعادة مخلوقاته ، فحاول تعديل ثم إلغاء أحكام الله المنظمة لشؤون النساء، فكانت النتيجة حتى الآن ضياع النساء ، وتفكك الأسر ، والتضحية بالأبناء على مذبح الحرية المزعومة للنساء،قربانًا لإله مزعوم جديد اسمه تحرر المرأة ومساواتها بالرجال ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] .

هذا ، وسوف يتضمن هذا المبحث تطور الفكر الجماعي العربي ، ثم الغربي .

أولاً : الفكر الجماعي العربي :

بدأ الفكر الجماعي العربي بالمنظمات النسائية ومطالبها ونشاطها وأهمها :

* الاتحاد النسائي المصري :

لقد كانت أول هيئة نسائية بارزة للدعوة لحقوق المرأة ، هي لجنة الوفد المركزية للسيدات المصريات ، وبمجرد دعوة السيدة « هدى شعراوي » لحضور مؤتمر النساء الدولي بروما (١٢ / ٥ / ١٩٢٣- ١٩ / ٥) ، دعت السيدة « هدى » نُخبة من السيدات للاجتماع في بيتها لتأليف لجنة للعمل واختيار من يمثل النساء في مؤتمر روما .

وقد تمخض هذا الاجتماع عن إنشاء جمعية الاتحاد النسائي المصري ، وقد جاء في قانون إنشائه :

المادة الأولى : تأسست في شهر مارس (١٩٢٣) جمعية باسم الاتحاد النسائي المصري .

المادة الثانية : أغراض الجمعية هي رفع مستوى المرأة الأدبي والاجتماعي للوصول بها إلى حد يجعلها أهلاً للاشتراك مع الرجال في جميع الحقوق والواجبات .

المادة الثالثة : تسعى الجمعية بكل الوسائل المشروعة لتنال المرأة المصرية حقوقها السياسية والاجتماعية (١).

والواقع أن هذا القانون الأساسي يعني المطالبة بالمساواة التامة الشاملة الكاملة بين الرجال والنساء ، دون تفرقة بين طبيعة كل جنس وهدف الله من خلقه وإعماره الأرض ، وهذا القانون هو ما يطالب به دعاة التحرر حتى اليوم بلا انحراف ولو طفيف ،وإن اختلفوا في إظهار ما يبطنون حسب مقتضيات الظروف .

ولذلك نرى السيدة « هدى شعراوي » تقول : « لقد أخطأ الكثيرون في فهم المبدأ الأساسي للاتحاد النسائي بشأن المطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية للمرأة ، فقد توهموا أن غرضها ، هو الوصول إلى السفور (٢) ، ومزاعمة الرجل في مبادئ السياسة والعمل ، مما أدى إلى تذمر بعض الرجال ، والحقيقة أن مطالبة المرأة بحقها السياسي ليس معناه التدخل في السياسية والحزبية المحضة ، بل للحصول على حقها في التشريع والتنفيذ (٢) ، حتى يمكنها المساهمة في علاج الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وبخاصة ما كان منها متصلاً بشؤون المرأة والطفل (٣)، والحقيقة أنها طالبت بالتدخل السياسي والحزبي للمرأة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١] .

* مؤتمر النساء الدولي بروما :

أول مؤتمر دولي حضرته لجنة من جمعية الاتحاد النسائي المصري مكونة من السيدة « هدى شعراوي » ، والسيدة « نبوية موسى » ، والآنسة « سيزا نبراوي » ، ومما جاء بكلمة السيدة « هدى شعراوي » الختامية :

« أرجو أن تسمحن لي أيتها السيدات ـ مجموعة راهبات منصرات ـ على طلبكن بإلحاح في إبداء الرغبة في إشراك المرأة المصرية في هذا الاتحاد الجليل ، ولنا عظيم الرجاء في أن نصل بفضل نصائحكن الغالية التي نعتبرها السبيل الهادي ، والنسج على منوالكن الذي نجد فيه خير كفيل إلى تحقيق آمالنا ورغباتنا ، ونضع تحت تصرفكن أنفسنا في خدمة

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة » : صـ (٢٤٩ ، ٢٥٠) .

(٢) السيدة لم تكن صادقة في كلامها ، فهي أول من أسفرت وخلعت الحجاب في مصر ، وحقها «المرأة» في التشريع يعني المساهمة في سن قوانين لتحقيق أهدافها من السفور والفجور والعمل بلا داع ، وهو ما نراه اليوم .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٢٥٢ ، ٢٥٣) .

مبادئكن ونشر آرائكن »[(١)].

ـ مطالب « هدى شعراوي » في مؤتمر روما :

في هذا المؤتمر فصلت « هدى » مطالبها لتحرر المرأة مصورة أكثر جراءة مما أجملته في قانون تأسيس الاتحاد النسائي المصري ،ومن مطالبها :

أمَّا فيما يتعلق بتعدد الزوجات الذي انتقده أهل الغرب انتقادًا مرًا ، فإني أظن القرآن بتحديده عدد النساء إلى أربع مطاع ، ولكنه لا يوحي بهذه العادة التي كانت منتشرة عند قبائل العرب قبل الإسلام ، فإنه يقول بالنص : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [النساء:٣]، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء:١٢٩].

إذن يكون لها حق المطالبة بإلغاء هذه العادة التي توجد الشقاق في الأسر ، وتولد البغضاء بين الإخوة والأخوات من أمهات مختلفة ، والرجوع إلى حكم الشريعة التي لا تبيح الانقسام والتفرقة[(٢)].

وإننا ليسرنا أن نرى أن هذه العادة مع انتشار التعليم تتلاشى شيئًا فشيئًا ، بأن شعور المرأة بكرامتها في الازدياد يأبى عليها أن تقبل حالة أخرى لزوجها ؛ ولأن الرجل الذي يزداد حرصه على السعادة والطمأنينة في البيت لا يفكر اليوم مطلقًا في إدخال عوامل التفرقة من الباب[(٣)].

أمَّا الطلاق ، فإنه كان الرجل هو الذي يلجأ إليه عادة ، إلا أن المرأة في وسعها أن تتخذه سلاحًا تدفع به عن نفسها ؛ لأنَّ القانون لا يعترض على استعمالها هذا الحق ، ويمكن للمرأة المصرية أن تحتفظ بأبنائها لغاية السابعة أو التاسعة من عمرهم .

وفيما يتعلق بالوراثة ، فإن البنت لا حق لها إلا في نصف ميراث الأخ ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن مقتضيات الزواج أن يقوم الرجل بنفقات البيت أيًا كانت ثروة زوجته ، والمرأة ترث عن زوجها ربع ما يملك إذا لم يكن له ولد ، والثمن في الحالة الأخرى ، وللأبناء

---

(١) الشيخ « سليمان محمد العودة » : « المرأة بين البيت والعمل » :صـ (٢ / ٢٢) ، دار الخلفاء بالمنصورة .

(٢) نسبة التعدد في مصر (٢٪) حينذاك ، والتعدد شُرِعَ إسلاميًا لعلاج الكثير من الأمراض الاجتماعية للمجتمع والجنسية أيضًا ،وهو ليس هدف في ذاته .

(٣) نتيجة لتحرر المرأة وعملها زادت نسبة التعدد المشروع « بالزواج » ،وتفاقمت نسبة التعدد بالعلاقات المحرمة من زوج عرفي « زنا سري » أو « زنا صريح » .

الذين يعترف بهم أبوهم عين حقوق الوراثة التي يتمتع بها الأبناء الشرعيون [(١)].

وقد أدخلت أخيراً بعض إصلاحات من شأنها تحسين حالة المرأة من جهة النفقة التي يطالب بها الزوج في حالة الانفصال ، فإذا لم يدفع المبلغ الذي تراعى المحكمة في تعيينه مقدرته على الدفع ، ألقى به في السجن فالرجل يخشى الجزاء ، والمرأة المهجورة تجد في القانون حماية لها .

وتتمتع المرأة المسلمة في الحياة المدنية بكفاءة كاملة ؛ لأنَّ القانون يكفل لها الاستقلال التام في التصرف في أملاكها متى بلغت سن الرشد ، وفي إمكانها البيع والشراء والوصية والحجز والوصاية دون وجوب الحصول على تصريح من زوجها بذلك ، والاشتراك في أي عمل مالي أو تجاري بالتساوي مع الرجل ، وعدا ذلك ، فإنها تستمد من القانون الإسلامي حق الاحتفاظ بجنسيتها في حالة ما إذا تزوجت بأجنبي .

ولم تأخذ المرأة إلى الآن من الحياة العامة بنصيب من النشاط ، ومنشأ ذلك جهلها ، ولكن بما أن القوانين لا تشتمل على أي تقييد يتعلق بكفاءتها ، فسيكون في وسعها متى شاءت أن تطمح إلى الوظائف العمومية وجميع المهن التي يحترفها الرجال ، والاشتراك في كافة الجمعيات .

وقد ظهرت المرأة المصرية في صورتها الحقيقية في حركة سنة(١٩١٩) في الوقت الذي كانت فيه الأمة من أولها إلى آخرها بحاجة إلى قواها كلها للمطالبة باستقلالها ، وشاركت المرأة الرجل في كفاحه السياسي بتدخلها في الإدارة والكتابة في الجرائد وتأسيس المجلات ، وأنشأت بمالها الخاص مدارس حرف للفقراء[(٢)] وملاجئ للمرضى الفقراء وكونت جمعيات علمية .

يتبين مما تقدم أن المرأة المصرية التي تتمتع في المجتمع بامتيازات خاصة من وجهة القوانين ، ليست بحاجة لتصبح مساوية للرجل إلا إلى التعلم والمطالبة [(٣)] بإصلاح بعض العوائد المتعلقة بالزواج والطلاق ، فإن روح القانون فسرت فيها خطأ [(٤)].

---

(١) لم تطالب « هدى شعراوي » بالمساواة في الإرث كما يحدث الآن لعدم الجدوى في تحقيق ذلك في زمنها .

(٢) سبق أن أوضحنا أن أغلب المدارس وهيئات الأعمال الخيرية كانت تهدف للتنصير ونشر المبادئ الغربية الهدامة .

(٣) هذا الكلام يناقض ما ذكرته آنفًا في نفس الخطاب الفقرة قبل السابقة « فسيكون في وسعها متى شاءت أن تطمح إلى الوظائف العمومية وجميع المهن التي يحترمها الرجال » .

(٤) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : صـ (٢٥٠ : ٢٥٧) .

والملاحظ أن السيدة « هدى » قد أظهرت الكثير من مزايا الإسلام المحققة لكرامة المرأة والتي لا توجد في دين آخر أو قانون ، ومع ذلك فقد انسلخت عنها وطالبت باندماج الاتحاد النسائي المصري مع الاتحاد النسائي الدولي ، فهي تقول :« وقد أخذنا على أنفسنا عهدًا أن نحذو حذو نساء أوربا في النهوض بنسائنا لنصل ببلادنا إلى المكان اللائق بها بين الأمم الراقية مهما كلفنا ذلك ، وأن نؤدي بأمانة وإخلاص الخدمات الاجتماعية والإنسانية التي يتطلبها برنامج الاتحاد النسائي الدولي [(١)].

كما تقول : « ولقد اندمجت جمعيتنا في الاتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية لتخويلها حق الانتخاب ، وللعمل على نشر مبادئ السلام وتوطيد دعائمه ، فأصبحت جهود المرأة المصرية عالمية لا محلية فقط ، وهذا نصر كبير لبنات القرن العشرين في مصر » [(٢)].

وهكذا يتبين لنا تطور مطالب دعاة عمل المرأة وتحررها المطلق ، وإعلان عظمة الإسلام بالنسبة لكرامة المرأة وحريتها ، ثم انحرافهم إلى مبادئ وأفكار تبشيرية وعلمانية [(٣)].

ولذلك ، فقد هاجمها الشيخ « عبد العزيز جاويش » في جريدة الأخبار ، فردت عليه : « .. لم تذهب إلى ذلك المؤتمر لنلجأ إليه بطلب إلغاء تعدد الزوجات ، أو تعديل نظام الخطبة أو تضييق دائرة الطلاق على الرجال كما ظن فضيلته » .

إنما الأغراض التي حملتنا إلى التوجه إلى هذا المؤتمر هي :

أولاً : ظهور المرأة المصرية بحقيقتها الثابتة أمام المرأة الغربية ، وبيان أن المرأة المصرية الحديثة تكاد تساوي أختها الغربية في مدينتها ، وأن الدين الإسلامي منحها من الحقوق ما تود المرأة الغربية لو تناله .

ثانيًا : الإعلان عن المرأة المصرية الناهضة ، والتحدث معهن في شئوننا العامة وما نئن منه ونتألم ..

ثالثًا : رأينا أن المرأة المصرية في أشد الحاجة إلى الاشتراك مع المرأة الغربية لتقتبس من أخلاقها وعاداتها ومدينتها ما لا يتنافر مع الدين وما يتفق مع النهضة العامة ، لم نترك

---

(١) « المرجع السابق » :صـ (٢٥٢) .

(٢) « المرجع السابق » :صـ (٢٥٢) .

(٣) مطالب « هدى شعراوي » منذ مائة عام ، هي مطالب د « نوال السعداوي » اليوم ، ولكن الأولى متوارية وغير مباشرة ، والثانية في صراحة ووضوح .

مطعنًا لطاعن أو منفذًا للتأويل المشوه ، حيث إننا أثبتنا أن الدين الإسلامي منح المرأة حقوقا كثيرة ، إلا أن جهلها لانحطاط التعليم في مصر ، هو سبب استسلامها لهضم تلك الحقوق .

أما مواد البرنامج ، فإننا لم نفكر في أخذ رأي المؤتمر فيها ، ولا في الاستعانة به لتنفيذها ، اللهم إلا مادة واحدة هي مساواة المرأة للرجل في جميع أدوار التعليم بمصر ، أما بقية المواد فسنتولى تحقيقها وتنفيذها بأنفسنا ، وبمعونة عقلائنا المفكرين أمثال فضيلة الأستاذ[1] .

والواقع المرير يوضح عدم طلبها هي أو غيرها إعانة رجال الدين ، ولكن الكل يستعين بالقوى الاستعمارية والتبشيرية في تحقيق مآربه ، وخطاب « هدى » أمام مؤتمر روما يوضح عدم صدقها ، حيث قالت :« لنا عظيم الشرف أن نعمل بفضل نصائحكن إلى تحقيق آمالنا» .

كما قالت : « قد أخذنا على أنفسنا عهدًا أن نحذو حذو نساء أوروبا في النهوض بنسائنا . . » [2].

* مؤتمر جوانز الدولي بالنمسا :

عُقد في الفترة ما بين الخميس (١٨ / ٩ / ١٩٢٤) إلى يوم السبت (٢٠ / ٩ / ١٩٢٤) ، وهو لمناقشة مشكلة الاتجار بالنساء والأطفال ، وجاء في كلمة السيدة : « هدى شعراوي » : « فإني أرى وجوب القضاء على الداء من أساسه ، وذلك باجتناب كل تردد في طلب إغلاق منازل البغاء العامة ، إن السماح بفتح هذه المنازل تشجيع للرذيلة ، وإطلاق لأيدي أولئك الذين يتجرون بالنساء والأطفال [3].

وأود أن أنبه القارئ العزيز أن هذه المؤتمرات وما شاكلها من مؤتمرات المرأة والسلام وغيرها ، هي لذر الرماد في العيون، والادعاء بنشاط النساء الإنساني، حتى يُصدق ناقصو

---

(١) « المرجع السابق » : صـ (٢٦٦ : ٢٦٨) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٢٥٢) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٠٥) ، وللعلم كان أغلب دول أوروبا تنظم البغاء الرسمي وتشرف عليه ، كما أنه كان بمصر حينذاك ، ونتيجة لعمل المرأة وتطور تحررها عملت النساء بالبغاء التجاري كعارضات أزياء فاضحة وراقصات مبتذلات حتى الغناء اليوم أصبح صورة من صور البغاء وعرض الأجساد وكشف المستور من المحرمات ، فأصبح الغناء باللحم لا باللحن .

العقول أن هؤلاء الداعيات يُردن الخير ، كما أن الهدف إعلامي للدعاية والإعلان ، ولم يثبت ولن يثبت يومًا ما أن السلام أتى عن طريق النساء .

*** المؤتمر النسائي الدولي العاشر بباريس (٣٠ / ٥ / ١٩٢٦، ٦ / ٦ / ١٩٢٦) :**

وقد تناول دراسة الموضوعات التالية :

- الأم غير المتزوجة ، جنسية الزوجة وحقوقها .
- المساواة بين الجنسين في العمل .
- منع تجارة الرقيق ومقاومة البغاء .
- السلام العالمي [١].

مطالب « هدى » بعد العودة من مؤتمر باريس العاشر :

أرسلت تقريرًا إلى أصحاب المعالي رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب ، ووزير الحقانية « العدل » ، ونصه :

« تتشرف جمعية الاتحاد النسائي المصري بأن تعرض على أنظاركم أربعة مطالب حيوية تحتاج لشيء من عنايتكم ، وترجو ، ولها كبير الأمل في غيرتكم ، أن توفقوا في القريب العاجل لوضع نظم لإصلاحها ؛ لأنَّها تمس حياة كل عائلة مصرية تقريبًا ،ولها كبير الأثر على راحة الأسر وسلامها » .

« إننا نطلب إصلاح القوانين العملية للعلاقة الزوجية ، وجعلها منطبقة على ما أرادته روح الشريعة من أحكام الروابط العائلية وسيادة الهناء فيها ؛ ولذلك نطلب صيانة المرأة من الظلم الواقع عليها :

أولاً : من تعدد الزوجات بدون مبرر .

ثانيًا : من الإسراع في الطلاق بدون سبب جوهري .

ثالثًا : من الظلم والإرهاق اللذين يقعان عليها فيما يدعي دار الطاعة .

رابعًا : من أخذ أولادها في حالة افتراق الزوجين في سن هم فيها في أشد الحاجة

(١) من آيات النفاق في هذا المؤتمر « التآمر » : إنه يناقش حقوق الزانية التي أنجبت دون زواج ، ومع ذلك يدعو لمقاومة البغاء ، ويدعو للسلام العالمي وأغلب الدول العربية والإسلامية محتلة عسكريًا من دول أوروبا ، ما أشبه اليوم بالبارحة !!!

لعناية أمهم وحنانها ، ونكاد نكون واثقات أن ترى معنا أننا لا نطلب إلا عدلاً وسلامًا هما غرضان مهمان من غرض الشارع ، لا شك أن في إباحة الدين لتعدد الزوجات عند الضرورة ،وفي إباحة الطلاق عند انقطاع الرجاء من إصلاح ذات البين ، حكمة ورحمة ، ولو أن كل رجل اتقى الله واستعمل هذا الحق عند الضرورات التي شرع لها ، لما كان هناك محل للشكوى ، غير أن هذين السلاحين اللذين أوجدهما الشارع ليكونا نعمة ورحمة عند الضرورة ، أسيء ويساء استعمالهما خصوصًا من الجمهور الجاهل ، وهو الأغلبية الساحقة في هذه البلاد ، وأصبحنا وهذان السلاحان سيفًا نقمة مسلولان يهددان هناء العائلات وسلامها ، ومن أدرى سواكم بعدد ضحايا الظلم والجهل .

فإذا نحن طالبنا بسن قانون يمنع تعدد الزوجات إلا لضرورة ، كأن تكون الزوجة عقيمًا أو مريضة بمرض يمنعها من أداء وظيفتها الزوجية (وفي هذه الحالات يجب أن يثبت ذلك الطبيب) [١] ، وإذا نحن طالبنا بسن قانون يلزم المطلق بألاَّ يطلق زوجه إلا أمام القاضي الشرعي الذي عليه معالجة التوفيق بحضور حكم من أهله وحكم من أهلها قبل الحكم بالطلاق [٢] ، فلأن هذه القوانين تزيل الفوضى الحاصلة في مسائل الزواج

---

(١) التعدد : حق للزوج في الإسلام ، وليس لقاض أو غيره أن ينتزع منه هذا الحق ، فقد عدد الرسول ﷺ وأغلب الصحابة لأسباب إنسانية ودون أسباب سوى الرغبة في الزواج الذي أحله الله ، وانتزاع هذا الحق من الرجال هو إهدار لحق إلهي تشريعي منحه الله إياهم ، والتعدد ليس غاية وهدف إسلامي ؛ لأنَّ الله حذر من إتيانه دون المقدرة على ذلك ، فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء:٣]، كما قال : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء:١٢٩]. أي : الذي يتزوج ويكثر للمتعة الجنسية فقط .

(٢) التحكم قبل الطلاق مشروع لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء :٣٥] ، ولكن إذا تم الطلاق فليس من حق إنسان مهما كان أن يقره أو يلغيه ، وإذا أحس الزوج بالتسرع ، فله حق الرجعة طالما كانت المطلقة في العدة ، أو الزواج بها بعقد جديد ومهر جديد لو انتهت عدتهما ، وذلك مرة واثنتان وبعد الثالثة لا يجوز له إلا إذا تزوجت غيره زواجًا شرعيًا سليمًا بشروطه . .

إذن الإسلام منح الزوجة والزوجة (٣) فرص كاملة لإعادة الحياة الزوجية ، وفي هذا الضمان الكامل لعدم تقويض دعائم الأسرة نتيجة التسرع .

ويجب الإشارة إلى أن الطلاق عن طريق القاضي يحوي مشاكل جمة منها :

١ ـ مصادرة حق الزوج الشرعي في الطلاق المتفرد .

٢ ـ هل تحتسب العِدة للمطلقة من تاريخ نطق الزوج بالطلاق أو من تاريخ الحكم القضائي بالطلاق؟ وهل إذا توفى الزوج أو الزوجة قبل الحكم بالطلاق يرث أي منهما الآخر؟!

=

والطلاق، وبالتالي تزيل التعس والشقاء اللذين يرزح تحتهما الألوف من النساء بسبب سوء تصرف الرجال في ذلك الحق ، فكم من نساء يطلقن لأوهى الأسباب ، وفي لحظة تنحل الرابطة العائلية المقدسة ، وكم من نساء يتزوج أزواجهن بغيرهن لغير سبب ما إلا أنانية الرجل ناهيك بما يصيب الأولاد في الحالتين من جراء قطع الصلة بين والديهم ، مما لا يحتاج إلى شرح .

أما المسألة الثالثة : أي إكراه الزوجة على الذهاب إلى ما يدعى دار الطاعة ، فتتطلب النظر في تحديد الحقوق المقررة في باب ولاية الزوج ، وما يدعيه من الحقوق على زوجته ؛ لأنّ المسألة من الأهمية بمكان وأصبحت سلاحًا يستعمله الرجل حينما تخرج زوجته من دار الزوجية لسوء معاملته أو تعذر العيش معه بهدوء وراحة ، تخرج فيتركها تخرج لأي وقت شاءت ، وقد يجد سعادة في هذا الفراق ، فإن حدثتها نفسها بطلب الإنفاق عليها (وقد يكون الباعث لها على هذا الرغبة في الطلاق من الزوج) ، لا رغبة في معاشرتها ، وإنما هو سلاح يريد إكراهًا به (إن كانت موسرة) على إعطائه مبلغًا مقابل الطلاق ، وإن كانت معسرة فلإكراهها على إبراء ذمته من نفقة وغيرها [(١)].

= ٣ ـ هل إذا تبين حمل الزوجة بعد طلاق الزوج لها ، وقبل موافقة القاضي على الطلاق ـ وقد انقضت العدة بالطلاق المنفرد ـ هل ينسب الوليد إلى الزوج باعتبار الزوجة قانونًا ما زالت في عصمة زوجها وشرعيًا أصبحت غريبة عنه ، ولم تعد له زوجة ؟!!

٤ ـ ويبقى تساؤل هام مرير إذا رفض القاضي الحكم بالطلاق ، هل يُجبر الزوج على معاشرة زوجته، وقد يكون طلاقه الشرعي منها بائنًا بينونة صغرى أو كبرى .

إن التلاعب بشرع الله تحت أي مسمى إنما هو فكر شيطاني لن يؤدي إلى بر ، ولكن مآله للفجور ، وصدق تعالى عندما قال عنهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦٠ ، ٦١].

(١) نحن نتفق معها فيما ذهبت إليه ، وقد كان للمجلس القومي للمرأة جهد مشكور في تقنين هذا الأمر بما يحقق العدالة وعدم ظلم الزوجة ، ولا ننسى وصية الله للرجال ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، وقوله : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، فواجبنا تعليم المجتمع آداب الإسلام وأحكامه ، وليس كبت حرياته ، وإلغاء شريعة الله بالقوانين .

إن دار الطاعة هي أخطر [(١)] من دور السجن المعدة لإيواء الأشقياء والمحكوم عليهم بارتكاب الجرائم والمنكرات ؛ لأنَّ المسجونين تحت إشراف أناس محدودة سلطتهم في القانون وليس بينهم وبين المحكوم عليهم عداء أو خصومة تستفزهم إلى التنكيل والتعدي على حدود السلطة التي لهم قانونًا ، أما الزوج « وهو الخصم والحارس على المرأة التعيسة المقضي عليها بالدخول تحت طاعته » ، فلا سلطان لأحد عليه أمام هذه المسكينة ، وهو يملك كما يقول بعض الفقهاء إغلاق الباب عليها ، ومنع كل إنسان من الدخول عليها إلا بإذن ، كما يملك الادعاء عليها ، وهي في السجن أنها خالفت أمرًا ، ويتعدى عليها بالسب والضرب ، والمحاكم الشرعية لا تعتبر كل هذا خروجًا من الزوج على الحدود التي له شرعًا على زوجته .

أيكون للحكومة تشريع عام يعاقب أي شخص يعتدي على حرية الغير بالحبس طال الوقت أم قصر ويعاقب أي شخص اعتدى على كرامة الغير بالسب أو بالشتم ، ويعاقب أي شخص أذى غيره مهما كان الإيذاء خفيفًا ، كل هذا التشريع يتمتع به جميع أفراد الأمة إلا هذه الزوجة المسكينة إذا كانت المعتدى عليها زوجها، يحبسها ولا عقوبة عليه ، ويسبها

---

(١) نظام بيت الطاعة قانوني ـ وليس تشريعي ـ بالصورة التي أوضحتها « هدى شعراوي » ،ويقول الشيخ « الغزالي » مستنكرًا ذلك :« وقد عاصرت عهدًا كان القضاء الشرعي يأمر بإرسال الشرطة إلى أسرة الزوجة لإرغامها على الذهاب إلى بيت الطاعة كي تعاشر زوجها ، وكنت أسأل نفسي : هل هذا هو تفسيرنا لقوله تعالى :﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ﴾؟

هنا، ويرى فضيلته أن الخُلع هو الحل المناسب إذا أبت الزوجة معاشرة زوجها ـ أصدر فيما بعد قانون الخلع ـ ويسترشد أن النبي ﷺ عندما رق لزوج « بريرة » ،وقدر محبته لها ، ذهب إليها يحدثها أن تعود إيه ! فسألته : جئت آمرًا أم شافعًا ؟ قال : جئت شافعًا ! قالت : فلا أعود ! ولم يتهمها النبى ﷺ في دينها ، ولا في طاعتها لله ورسوله » .

هذا ، وقد افتدت نفسها منه بالخلع حيث يقول رحمه الله : « وإذا قدمت ما أخذت من مال فداء لنفسها فلم لا يؤخذ منها وتسترد حريتها؟ وهل تقام حدود الله في بيت يسوده هذا الجو الغامق ؟ وأي شرف للرجل في هذه السيطرة ؟

إن الذين يتجاهلون الخلع لا يفقهون قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، والواقع أن ازدراء عواطف المرأة ، واستخدام القسوة لترضيتها بما لا ترضى ليس من الإسلام ، ولا من الفقه [قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : صـ (١٧٨ ، ١٧٩) ، مكتبة الأسرة ، سنة (١٩٩٩)].

ولا عقوبة عليه ، ويضربها ولا عقوبة عليه ، كل هذه الجرائم ترتكب باسم الدين ، ونحن نعتقد ببراءة الدين من كل ذلك، بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ [البقرة:٢٣١] ، وقوله أيضًا : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة:٢٢٩] .

المسألة الرابعة : وهي رعاية الطفل وتقرير من له حق الولاية عليه عند اختلاف الأبوين أو موت أحدهما ، من المسائل التي تستدعي النظر في إصلاحها ؛ لأننا نرى أن الجاري عليه العمل في القضاء الشرعي ليس وافيًا دائمًا بوضع الطفل تحت مراقبة صحيحة عطوفة ويد باردة تعني بتربيته تربية صحيحة جسميًا وأخلاقيًا ، وأسوأ الحالات وأبعدها عن الإنصاف حالة وجود أم للطفل مطلقة وغير متزوجة ،أي : متفرغة للسهر على مصلحة أولادها ، ينزع ولدها من حضانتها في سن السبع إن كان ذكرًا والتسع إن كانت أنثى ، ينتزعون منها وهم في سن أحوج ما يكونون فيها لرعايتها وعنايتها ،ينزعون منها وهي أحق الناس برعايتهم وأحن عليهم من أي إنسان ، تقضي المحاكم الشرعية بحرمان الأم من أولادها في السن المذكورة مع أنه بمقتضى حكم الشريعة يبقى الولد في حضانة أمه حتى يستغني عن النساء ، والبنت حتى تحيض ، والإمام مالك نص على أن يبقى الصبي في حضانة أمه حتى يحتلم والبنت حتى تتزوج ، فهل يصح ، وهذا نص الشريعة ورأي إمام مشهور ، أن تكون السابعة أو التاسعة سن الاستغناء عن النساء ، وإن صح أن ذلك كان محتملاً يوم أن كانت الحياة أقل تعقيدًا ، وأقرب إلى البداوة منها اليوم ، فهل يصح في العصر الذي نعيش فيه ، وقد تضاعفت الحاجات وتعددت وسائل التربية وطرق الوقايات الصحية؟ المشاهد أنه لا يمكن الاستغناء عن معونة الأم ونصائحها قبل السادسة عشرة ، والدليل على ذلك أن الحكومة نفسها جرت على هذه القاعدة ، وقررت حديثًا اعتبار سن الرشد مبتدءا من الحادية والعشرين [١].

* المؤتمر النسائي العربي عام (١٩٤٤):

وبعد عشرين عامًا من تكوين الاتحاد ، استطاع أن يمهد لعقد المؤتمر النسائي العربي عام (١٩٤٤)، وقد حضره مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة ، واتخذت فيه القرارات المعتادة، وفي مقدمتها تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ،والمساواة التامة مع الرجل، وزيد

---

(١) بالنسبة لسن الحضانة فلا مانع شرعًا من زيادته عن السبع أو التسع سنوات إذا كان ذلك في صالح المحضون ، وهذا لا يمنع إشراف الوالد عليه بصورة أكثر فعالية ، لما يمكن للمحضون التخيير بمن يحضنه .

على ذلك المطالبة بحذف نون النسوة [(١)].

وفي ذلك الوقت الذي لقى فيه هذا المؤتمر استياء شديدًا من الأوساط الإسلامية في مصر وكافة الدول العربية ، حتى أن علماء سوريا احتجوا رسميًا لدى الحكومة على تمثيل سوريا في ذلك المؤتمر ، وأصدر ملك شرق الأردن منشورًا إلى رئيس وزرائه يلفت فيه نظره إلى حركة التمرد على الآداب والتقاليد الإسلامية ، ووجوب التزام المرأة المسلمة للحجاب الذي كرمها الله به ، جاء فيه : « لقد علم لرياسة الوزراء ولقاضي القضاة ما تعلقه من الأهمية الكبرى على الأخلاق ، ولقد أشرنا على الحكومة غير مرة إلى ما شاع من التبرج في النساء وعدم اعتدادهن بالحجاب وخروجهن في الأسواق بما لا يليق » .

ولقد شاهدنا في الأيام الأخيرة ما أوجب عميق حزننا على أخلاقنا الطاهرة العربية ، وعاداتنا الفاخرة الإسلامية ، حيث شاهدنا الكثير من المنتسبات إلى كبرى العائلات في شكل مزر « قبيح » ، ومن العامة أيضًا ؛ وعليه فنصدر إرادتنا هذه إليكم بلزوم جعل الملاءة « الشرشف المعروف » الرداء الواجب على المسلمة أن تخرج به إلى خارج بيتها ، ونقترح أن تسنوا بهذه قانونًا مستعجلاً يعرض علينا حالاً مع تعيين مادة التعزير الشرعي حسب ما يرتئيه سماحة قاضي القضاة لكل عائلة تخالف ذلك ، مع لفت أنظاركم للتنبيه بأن حسر الرأس للرجال في الأسواق يتنافى مع ما ورثته الأمانة من فضائل معروفة ، وإني أعلنكم بأنني لا أتساهل مدة حياتي فيما فيه الاعتداء على شرف الإنسانية ، وما جاء به الدين الحنيف ، وإن اللواتي يخرجن متبرجات غير مستترات ، فإنهن قد عصين الله عمدًا، ومن يعص الله عمدًا فلا دين له ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، فلا يحل لامرئ مؤمن شريف أن تكون ربة بيته على هذا الطراز [(٢)].

* الحزب النسائي :

قد تكون عقب المؤتمر النسائي العربي ، وذلك عام (١٩٤٥م) ، وقد اتخذ لنفسه نفس الأهداف الصريحة ، التي ترمي إلى القضاء على البقية الباقية من كيان المجتمع

---

(١) هذا المؤتمر ظهر فيه جليًا البعد عن تعاليم الأديان بالمطالبة بالمساواة التامة مع الرجل ، كما بدأت دعوى جديدة ضد اللغة والقرآن الكريم ، وهي حذف نون النسوة ، وهذه المطالب ما زالت قائمة حتى الآن ، ويستنكرها كل البشر ما عدا الداعين إليها ، ووصل الأمر إلى المطالبة بتغيير وتعديل آيات الكتب المقدسة لإلغاء « ن » النسوة ، وتحويل لفظ الجلالة إلى مؤنث ؟!!!

(٢) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨٣ : ٨٧) .

الإسلامي ، المتمثلة في الأحوال الشخصية ، وذلك بتقييد الطلاق ، ومنع التعدد والحصول على الحقوق السياسية المزعومة .

* حزب بنت النيل ، تكون سنة (١٩٤٩) :

تكون سنة (١٩٤٩) برئاسة د « درية شفيق » ، وكانت أهدافه ، كما قالت لجريدة «ذي سكوتشيان » :

منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان ، والمطمع الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر ،وهي تقول : إن الطلاق في مصر بوصفه الحالي أمر يسير جدًا ، فللزوج المسلم الحق في أن يطلق زوجته بمجرد قوله « أنت طالق » أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات ، فإنه لا يزال شائعًا بين الطبقات الفقيرة في ثقافتها [1].

والواقع يدل على عدم صدق دعواها ، ويرد عليها « محمد عطية خميس » قائلاً :

« ولسنا في حاجة إلى أن نبين بالطبع سخف هذه الدعوة ، فإن آخر الإحصاءات الرسمية عام (١٩٤٧) ، يدل على أن نسبة الطلاق في القاهرة (٢,٥) ٪ ، وفي وجه بحري (٨) في الألف ، وفي وجه قبلي (٦) في الألف ، كما أن تعدد الزوجات لا يزيد على (٣,٥) في المائة ، فالمشكلة لا وجود لها في نظر أعداء الإسلام وأذنابه ، بل إنها بالعكس هي مشكلتهم لا مشكلتنا ؛ لأنَّ الطلاق في إنجلترا قد بلغ في السنوات الأخيرة (٢٠) في المائة ، أما في أمريكا فقد بلغ (٣٠) في المائة ، وأما تعدد الزوجات فقد حل محله في المجتمع العربي تعدد العشيقات في نطاق واسع ، حتى بلغ عدد أبناء الزنا نسبة مريعة ، وبلغ عدد اللاتي مارسن العلاقات الجنسية قبل الزواج في أمريكا (٧٠) في المائة ، كما يشهد بذلك كبار كتاب الأمريكان أنفسهم [2].

هذا وقد ثبت اشتراك كل من السفارة البريطانية والأمريكية بمبلغ (١٠٠٠) سنويًا سنة (١٩٤٩) ، في بعض المجلات التي يصدرها حزب بنت النيل .

وقد زارت الدكتورة « درية شفيق » زعيمة حزب بنت النيل إنجلترا ، ولم يمض قليل على عودتها ، حتى لحقت بها « سمر سكيل » وزيرة الشؤون الاجتماعية في إنجلترا حيث

---

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٨٧) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٨٨) .

قضت أسبوعًا - في مصر - عقدت فيه الكثير من الاجتماعات النسائية ، وختمت زيارتها بحديث أذاعته من محطة الإذاعة المصرية قالت منه : « إنني أتحدث إليكم كامرأة ، وامرأة متزوجة ، وكمصلحة اجتماعية ، فأقول لكم كامرأة إن الرجال وحدهم لا يستطيعون الفوز في هذا الصراع الذي يشن من أجل خير الأسرة ورفاهيتها ، ولن تكسبوا هذه المعركة إلا إذا اشتركت المصريات مع المصريين في الكفاح على قدم المساواة (١).

فما أعجب هذه الوزيرة البريطانية ، التي تتحرق غيرة على نجاح مصر في كفاحها من أجل خير الأسرة ورفاهيتها ، في الوقت الذي تنكر فيه الحكومة البريطانية مطالب مصر في الجلاء ووحدة وادي النيل .

ولقد اعترفت الدكتورة « درية شفيق » في حديث نشرته لها البلاغ ،بمقابلتها للوزيرة البريطانية ، وتحريض الوزيرة لها ، كان من آثاره أن عزمت على ترك المقالات ، والمناقشات ، والمجادلات ، والاتجاه إلى المظاهرات ، واقتحام أبواب البرلمان !!

ونتيجة لهذه الوصايا فقد تم تنظيم مظاهرة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ففي (١٣) جمادى الأولى ،سنة (١٣٨٠) ، (١٩) فبراير ، سنة (١٩٥١) ، خرجت مظاهرة من قاعة إيوارت بالجامعة الأمريكية ، ذات التاريخ العريق في التبشير ، قوامها بضع عشرات من فتيات حزب بنت النيل والاتحاد النسائي ، وبعض الشبان ، إلى دار البرلمان حيث دخلن إليه هاتفات بالحقوق السياسية المزعومة ، وبعد ذلك بأيام قام الحزب النسائي بمظاهرة قوامها بضع عشرات من طالبات المدارس إلى قصر عابدين حيث رفعن عريضة ، قيل : إنها كتبت بالدماء (٢).

* مؤتمر أثينا الدولي :

عقد في أبريل سنة (١٩٥١) ، وحضرته د« درية شفيق » رئيسة حزب بنت النيل ، وكان من قراراته الموافقة على سياسة التسلح الدفاعي (٣) ، وقد لقى هذا القرار تأييدًا حارًا من مندوبات إنجلترا واليونان ومصر .

---

(١) « المرجع السابق » : صـ (٨٨) .

(٢) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٩١) .

(٣) ما زال التاريخ يعيد نفسه فاليوم لا تسمح الدول العظمى صاحبة القنابل النووية ، والصواريخ الموجهة وسفن الفضاء ، لأي قطر عربي أو إسلامي يعمل أي أسلحة دمار شامل للدفاع عن نفسها، حتى يصبح من السهل احتلاله . . أين العدالة يا أهل الديمقراطية الكاذبة ؟!!

ونحن نكتفي في بيان خطورة هذا القرار بما كتبته السيدة « إنجي أفلاطون » بالمصري الصادر في (٩) أبريل سنة (١٩٥١) حيث قالت :

« لعل المندوبة المصرية قد أدركت خطورة هذا القرار على مطالبنا الوطنية ، فإن الاحتلال البريطاني يتذرع بهذه الحجة عينها « التسليح الدفاعي » للبقاء في أرض الوطن ، ورفض الجلاء الذي تناضل من أجله » .

« إن هذا القرار فى الحق لا يقاوم الحرب ، وإنما يؤيد الاحتلال ،لذلك رأينا المندوبة البريطانية مصفقة له مرحبة به » !

وكتبت السيدة سيزا نبراوى فى نفس العدد « تعلن دهشتها من موافقة حزب بنت النيل على هذا القرار الذى يبرر التسلح الدفاعى ؛ لأنه يتضمن تبريرا ضمنيا للحروب ، وذلك يخالف رسالة السلام والوئام التى هى ملازمة المرأة بطبيعتها ، وبينت أن الحزب النسائى قد كون جبهة مع اتحاد بنت النيل للمطالبة بالحقوق السياسية فقط ، ويخالفه فى اتجاهاته السياسية الأخري » .

ولم يقف الأمر عند حد مناصرة بعض الهيئات النسائية للاستعمار البريطاني ، بل تعداه إلى مناصرة الصهيونية والدفاع عنها .

فقد دعا المؤتمر النسائي الدولي إلى اجتماع في « إستكهولم » اتخذ فيه قرار يقضي بمطالبة وزير داخلية السويد بإنزال أشد العقوبات على مسيو « أنيراير » لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهيونيين في السويد !!

وقد كتب مسيو « أنيراير » على أثر ذلك إلى الجامعة العربية والحكومة المصرية يستنكر موقف مندوبات الهيئات النسائية المصرية الممثلة في المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار !!

ومما يؤكد صلة الهيئات النسائية الدولية بالاستعمار ، وما كتبته الزعيمة الهندية «كاميلا ديفي » في المصري في (٢١) إبريل سنة (١٩٥١) حيث أعلنت استقالتها من الاتحاد النسائي الدولي في جنيف ؛ لأنّه واقع تحت سيادة الدول الغربية الاستعمارية ، ويعارض مجهودات السلام ، وخاصة من أجل وقف الحرب في كوريا [١].

وهكذا ، نرى كيف لعبت الاتحادات النسائية والمؤتمرات دوراً كبيراً في الدعوة لعمل المرأة وتحررها تدريجيًا من المألوف إلى الممنوع ، ومن المشروع إلى المحرم .

---

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٩٤ ، ٩٥) .

ثانيًا : الفكر العالمي الغربي وتطوره :

إن هذا الفكر هو نتاج ثقافات لا دينية ، آمنت بتقصير أحكام أديانها السماوية ، في تحقيق سعادة المرأة والمجتمع ، ومن ثم فهم يهدفون إلى إغراق الشرق الإسلامي في مستنقع ثقافاتهم الضحل المهلك ، مستغلين لتحقيق ذلك أذنابهم من الدعاة غير المسلمين الحريصين على انتزاع شرائع الدين وأحكامه من عقول وقلوب المسلمين المؤمنين بإكمال أحكام دينهم: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

وكذلك استغلال الدعاة من المسلمين الذين نهلوا من ثقافات الغرب الكثير ، وفتنتهم مدنيته التي أساسها الشرق الإسلامي .

ثم تطورت الجهود الفردية وأصبحت مالية اتخذت أشكالاً متعددة ، منها : المعاهدات والاتفاقات الدولية، وكذلك المؤتمرات الدولية « التآمرات » ، فأصبحت الدعوة عامة شاملة تلتزم بها كافة الدول ، وقد كان لعصبة الأمم ـ قبل إلغائها ـ ثم هيئة الأمم المتحدة ـ حاليًا ـ نشاطًا في ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية ، وإضافة للضغوط العسكرية للدول العظمى ، التي خلقت التزامًا أدبيًا أو سياسيًا أو عسكريًا بهذه المعاهدات ، ومن ثم انساق الجميع إلى هذا المستنقع البغيض فعلت وتعالت أصوات دعاته، أو كممت أفواه معارضيه ، ورغم ذلك كله ، فلن يطول الأمر لسنوات قليلة ، أو بعض عقود حتى يعود العالم إلى رشده والمرأة إلى بيتها بإذن الله ، وتنتصر الفضيلة على الرذيلة ، والعفة على الفجور ، والحجاب على السفور ، وصدق تعالى في وصفهم : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴾ [النساء : ٤٤ ، ٤٥].

١ ـ نشاط عصبة الأمم :

سنة (١٩٢٠) أفسحت المجال للمرأة للمشاركة في أعمال السكرتارية ، وكثيرًا ما اهتمت منظمة العمل الدولية كمنظمة تابعة لعصبة الأمم بدراسة حالة المرأة .

وهناك ثمان دول فقط هي التي أرسلت إلى العصبة وفودًا كاملة من النساء ، في حين أن وفود (٢٩) دولة أخرى كانت تضم بين أعضائها بعض النسوة في فروع الأنشطة المختلفة ، كُن يعملن كخبيرات أو مستشارات في لجنة رعاية الطفولة والشباب والصحة وغيرها ، أما في أعمال السكرتارية ، فكانت هناك ثلاث نسوة فقط يشغلن مناصب رئيسية كمديرات للخدمات أو رئيسات أقسام .

وقد كان أول قرار للعصبة عام (١٩٣١) ، أعلنت فيه عن رغبتها في السماح للمرأة بالمساهمة في أعمال عصبة الأمم على نطاق أوسع ، وعند انعقاد جمعيتها العامة السادسة عشرة عام (١٩٣٥) ، طلبت العصبة إلى الحكومات الأعضاء أن تنظر في حالة المرأة من جميع النواحي ، كما طلبت من المنظمات النسائية الدولية بأن تواصل دراستها لمسألة الوضع السياسي والمدني للمرأة .

هذا ، وقد أعدت (٨٣) دولة دراسات عن مشاكل المرأة وحقوقها ، كما قامت (٨) منظمات نسائية دولية بإرسال وثائق قيمة عن الموضوع نفسه ،وفي (٣٠ / ٩ / ١٩٣٧)، أصدرت الجمعية العامة لعصبة الأمم بحثًا مفصلاً عن حالة المرأة في بلاد العالم المختلفة[1] .

وهكذا نرى أن نشاط عصبة الأمم كان الدراسة والتحضير ،ووضع الخطط والسياسات المستقبلية لتحقيق أهدافها .

٢ ـ هيئة الأمم المتحدة :

أنشئ بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي لجنة خاصة من النساء مهمتها الدراسة وإعداد التقارير عن أحوال النساء وفرصهن السياسية والمدنية والاقتصادية ، وقد سميت هذه اللجنة « لجنة المرأة الفرعية ».

وكانت مهمتها استشارية بالنسبة للمسائل المتعلقة بالمرأة ،والتي تُعرض على لجنة حقوق الإنسان الأولية [2].

نشاط وتوصيات وقرارات لجنة المرأة الفرعية :

في سنة (١٩٤٧) بدأت الدورة الأولى لهذه اللجنة التي تشكلت من (١٥) عضواً يمثلون (١٥) دولة من دول الأعضاء ، وقد اقتصر نشاط الأعضاء فيه على تحديد المبادئ التي يسير عليها العمل في المستقبل [3].

كما طالبت بحقوق متساوية في التصويت والانتخاب ، وتولي الوظائف والاشتراك

---

(١) « النساء ولعبة السياسة » : « حنفي المحلاوي » : صـ (١٦٨ ، ١٦٩) ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ،سنة (١٩٩٢) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٦١) .

(٣) « المرجع السابق » :صـ (١٧٠) .

على قدم المساواة مع الرجل في شؤون الحكم ، مع إتاحة الفرصة لمزاولة كافة حقوق المواطن وواجباته ، بدون أي اعتبار للعنصر أو اللغة أو الدين ، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف اقترحت اللجنة أن يتم تنمية الرأي العام العالمي إلى ضرورة رفع مستوى حالة المرأة كوسيلة لتنمية حقوق الإنسان وإقرار السلام .

في يناير عام (١٩٤٨) ، عقدت اللجنة اجتماعها الثاني وخصصته لبحث المساواة في الحقوق السياسية ، كما طالبت الدول الأعضاء بضرورة منح المرأة الحقوق في كل ميادين الحياة ، وتقديم تقارير عما ، أعدته من مشروعات لتنفيذ ما أقره الميثاق من المساواة في الحقوق السياسية ، مع تكليفها اتخاذ إجراءات فعالة فورًا فيما يتعلق بحق الانتخاب وتولي الوظائف العامة [١].

وأقر المجلس ضرورة إفساح مجال الوظائف العامة أمام المرأة بالتساوي مع الرجل ، خاصة فيما يتعلق بوظائف السلك الدبلوماسي ، والقنصلية والقانونية والقضائية ، كما لابد أن تنظر الدول بعين الاعتبار إلى المرأة عند تعيين وفودها أو هيئاتها أو وكلائها لدى المنظمة الدولية ، ولدى كافة الهيئات والمؤتمرات الدولية الأخرى .

كما طلبت مناشدة الصحافة العالمية والإذاعة والتليفزيون والسينما ، وغيرها من وسائل الإعلام ، أن تبذل المعونة في سبيل محاربة التعصب ضد المساواة بين الرجل والمرأة[١].

في مارس (١٩٤٩) ، عقدت الدورة الثالثة ، وتم اختيار مدينة بيروت مقرًا لهذه الدورة ، وقد بحثت اللجنة الوسائل العلمية لمحو الفوارق المجحفة بالمرأة في الميدان السياسي ، وطلبت من السكرتير العام أن يدرس إمكانية عقد اتفاقية تقضي بمنح الحقوق السياسية للنساء ، وإعداد تقرير عن نوع الوظائف التي تشغلها المرأة في أعمال السكرتارية داخل المنظمة الدولة ، ونسب هذه الوظائف ، وإلى أي مدى سمحت الحكومات الأعضاء في المنظمة الدولية بإشراك المرأة في وفودها إلى هيئات الأمم المتحدة ووكالاتها .

في عام (١٩٥٢) ، وفي جنيف كانت الدورة السادسة ، ركزت على معرفة مركز المرأة اقتصاديًا ، واقترحت على الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تضع اتفاقًا دوليًا تحصل

---

(١) « النساء ولعبة السياسة »: « حنفي المحلاوي »: صـ (١٧١) ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى، سنة (١٩٩٢) .

المرأة من خلاله على حقوقها السياسية وغيرها [١].

هذا، وقد كان لهيئة الأمم المتحدة نشاطًا كبيرًا في إبرام المعاهدات الدولية والاتفاقات، وكذلك المؤتمرات العالمية الخاصة بالدعوة والترويج لحقوق النساء سواء المشروعة أو غير المشروعة من الناحية الدينية أو الخلقية .

ثالثًا : المعاهدات والاتفاقات الدولية الداعية لعمل المرأة وتحررها :

تنوعت وتعددت هذه المعاهدات والاتفاقيات وهي تمثل التصادم المباشر بين الأديان جميعًا وخاصة الإسلام، والأفكار العلمانية البغيضة لنساء ورجال لا هدف لهم إلاَّ الذهاب بأحكام الأديان السماوية ، ووأد الأخلاق القويمة ، وقتل العادات الإنسانية الرفيعة ، وللأسف يضيع صوت الحق وسط صراخ وتمويل أهل الباطل ، الذين يجندون شياطين الإنس ، لنشر أفكارهم المريضة ، والترويج لأدويتهم السامة .

وسنعرض لأهم الاتفاقات والمواثيق الدولية المطالبة بحقوق المرأة ـ كما يزعمون :

١ ـ معاهدة لاهاي :

عام (١٩٠٢) تم التصديق على معاهدة لاهاي التي عالجت اتفاقيات تضارب القوانين الخاصة بالزواج والطلاق والوصاية على القصر ، كما عالجت بعض المؤتمرات التي عقدت في عامي (١٩٠٤ : ١٩١٠) تحريم الاتجار بالنساء والأطفال [٢].

٢ ـ الاتفاقية الدولية لحقوق المرأة السياسية :

نشأت فكرة هذه الاتفاقية في اجتماع لجنة حالة المرأة ببيروت في دور انعقادها الثالث عام(١٩٤٩)،وقد وافقت عليها بدورها الجمعية العامة للأمم المتحدة في(٢٠/١٢/١٩٥٢).

وترجع أهميتها إلى أنها تعد التشريع الدولي الأول الذي نص صراحة على حقوق المرأة السياسية [٣].

وقد أمَّنَتْ هذه الاتفاقية الحقوق السياسية لأكثر من نصف البشر ، الذي كان يتعرض للظلم لا لشيء إلا لاختلاف نوع الجنس .

---

(١) « النساء ولعبة السياسة » : « حنفي المحلاوي » : صـ (١٧٢) ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ،سنة (١٩٩٢) .

(٢ ، ٣) حنفي المحلاوي : « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٦) ، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٢٢) .

ـ أهم مواد الاتفاقية :

مادة (١) : من حق النساء التصويت في جميع الانتخابات على أساس واحد مع الرجال دون تمييز .

مادة (٢) : يكون من حق المرأة أن تُنتخب .

مادة (٣) : يكون للمرأة الحق في الوظائف العامة ، وأن تمارس جميع المهام العامة بمقتضى القوانين بدون تمييز .

المادة (٧) : في حالة إبداء أي دولة تحفظًا ما على أي من نصوص هذه الاتفاقية ، لا تكون نافذة المفعول بين تلك الدولة والدول التي أبدت التحفظات [١].

المادة (٢٨) : لكل دولة الحق في التخلي عن الاتفاقية بمذكرة مكتوبة إلى السكرتير العام ، والتخلي يكون نافذا بعد مرور سنة واحدة من استلام السكرتير العام للمذكرة المكتوبة [٢]، ومعنى ذلك أن الدولة ملزمة بتنفيذها لمدة سنة ، وهي فترة كافية لإعادة النظر في التخلي عن الاتفاقية .

٣ ـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

صدر في (١٠ / ٢ / ١٩٤٨) ، عن الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وجاء بالمادة (٢٢) منه : يراعى في التشريعات للدول الأطراف في الميثاق أن تتجه إلى المساواة بين الزوجين في الحقوق والمسؤوليات .

ويلاحظ أن هذه المادة جاءت في صورة توصية لا في صيغة إلزام،ومرجع ذلك أن ممثل روسيا رأي أن وضعها في صيغة إلزامية هو تدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء .

وقد جاء بالمادة (١٠ / ١) عن حقوق المرأة :

أ ـ الحق دون أي تمييز بسبب المركز الزوجي أو أي سبب آخر في تلقي التدريب المهني،وفي العمل،وفي حرية اختيار المهنة والعمل ،وفي شغل الترقية في المهنة والعمل.

---

(١) حنفي المحلاوي : « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٦) ، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٢٢) .

(٢) المستشار « سالم البهنساوي » : « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : صـ (٤٧) مع التصرف اليسير ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، سنة (٢٠٠٣) .

ب ـ حق تقاضي مكافآت مساوية لمكافأة الرجل ، والتمتع بمعاملة متساوية عن العمل ذي القيمة المتساوية .

جـ ـ حق التمتع بالإجازات المأجورة والاستحقاقات التقاعدية والضمانات الاجتماعية المؤمنة ضد البطالة أو المرض أو الشيخوخة أو غير ذلك من أسباب العجز عن العمل.

د ـ حق تقاضي التعويضات العائلية على قدم المساواة مع الرجل :

الفقرة (٢) : « يراعى وجوبًا » لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج أو الأمومة ولتأمين حقها الفعلي في العمل ، اتخاذ التدابير اللازمة لمنع حرمانها من العمل بالفصل في حالة الزواج أو الأمومة ، ولإعطائها إجازة الأمومة اللازمة بأجر مع ضمان عودتها إلى عملها السابق ، ولتوفير الخدمات الاجتماعية اللازمة بما في ذلك خدمات الحضانة .

الفقرة (٣) : لا تعتبر من التدابير التميزية أية تدابير تتخذ لحماية المرأة في بعض أنواع الأعمال ، ولأسباب تتعلق بصميم تكوينها الجسمي [(١)].

ويعلق المستشار « البهنساوي » على هذه المواد إجمالاً فيقول : ومع هذا لو أخذنا بالمساواة المختلف عليها فهذه المساواة إنما تكون فيما تماثل فيه الزوجان ، ولكن بعض الناس قد تجاهل أن المساواة والحقوق في المجال الاجتماعي ليست مطلقة؛ إذ تنتهي حرية الشخص عند بداية حرية غيره ، فمثلاً للحرية والحقوق بين الزوجين حدود وضوابط ، فإذا كان للإنسان حق الإقامة في أي مكان ، فليس للزوجة هذا الحق ، بل تقيم حيث يقيم زوجها وهذا مسلم به في جميع التشريعات ، وإذا كان للمرأة أن تتزوج بمن تشاء في أي وقت تشاء ، فالفتاة تقف عند حدود تشريعاتها والزوجة كذلك مقيدة بحقوق زوجها [(٢)].

أمَّا بالنسبة للمادة (١٠ / ١) ، فإن الإسلام لا يعارض تمتع المرأة بكل المزايا الممنوحة لها نتيجة عملها أسوة ومساواة للرجل طالما كان المجتمع في حاجة لعملها أو هي في حاجة للعمل ، مع مراعاة أن يتناسب العمل مع طبيعتها كأنثى ، فالمساواة المطلقة في العمل والتوظيف ليست من الأديان ولا تتفق مع حاجات أي مجتمع رشيد .

٤ ـ الاتفاقية الدولية للأجور :

أمام استمرار كثير من الدول ـ الغربية بالذات ـ في اتباع سياسة التمييز بين الرجل

(١) « المستشار « سالم البهنساوي » : « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : صـ (٣٣) .
(٢) « المرجع السابق » .

والمرأة في الأجور مع التساوي في المؤهل، وطبيعة العمل، أصدرت الأمم المتحدة «الاتفاقية الدولية للأجور»، ونص المادة (٢/٢) جاء متسمًا بالمرونة التي تتلائم مع مختلف المجتمعات، حيث أشار إلى أنه « يمكن تطبيق هذا المبدأ بإحدى الوسائل التالية »:

أ - القوانين أو الأنظمة الوطنية .

ب - نظام لتحديد الأجور يقرره القانون أو يقره .

جـ - الاتفاقات الجماعية بين أصحاب العمل والعمال .

د - أي مزيج من هذه الوسائل .

هذا ، وقد أثبت التنفيذ الفعلي عدم الالتزام بهذه الاتفاقية إلا في حالة تنظيم القانون أو الدولة للأجور ، أما القطاع الخاص ، فإن ما يحكم عقود العمل هو إرادة الطرفين حسب العرض والطلب والظروف الاقتصادية الأخرى [١].

ومع أن الاتفاقية خاصة بالأجور إلا أنها تطرقت لأمور أخرى [٢].

وطالبت الاتفاقية في المادة (١/١٦) باتخاذ كافة التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية، نفس الحق في عقد الزواج[٣] وفي حرية اختيار الزوج، وأن يكون لها نفس الحقوق والمسؤوليات خلال قيام الزواج [٤] ، وعند انفصام عراه « الطلاق [٥] ، أو الانفصال [٦] » وأن يكون للرجل والمرأة نفس الحقوق والمسؤوليات بوصفهما أبوين بغض النظر عن حالتهما الزوجية [٧] » نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة [٨]، والمهنة ، ونوع العمل، لا يكون لخطوبة الطفل أو زواج الأطفال أي أثر قانوني » مادة (١٦ / ١) ، « تحديد سن أدنى للزواجة وجعل تسجيل الزواج في سجل رسمي أمرًا إلزاميًا » .

---

(١) « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية» : صـ (٣٩) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٤١) .

(٣) يقصد : أن تباشر المرأة العقد بنفسها دون حاجة لولي ، وهذا ليس من الإسلام .

(٤) يقصد : إلغاء حق قوامة الرجل .

(٥) يقصد : حق المرأة في الطلاق منفردة .

(٦) يقصد : المساواة بين حقوق الزوجة والعشيقة .

(٧) يقصد : حق الزوجة في قيد الأبناء باسمها ، وليس باسم الزوج .

(٨) يقصد : عدم تشجيع الزواج ؛ لأن سن الطفل حتى (١٨) سنة .

٥ ـ اتفاقية إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة عام (١٩٧٩) :

بموجب م (١٦) من الاتفاقية الدولية للأجور تنشأ لجنة للقضاء على التمييز ضد المرأة.

ومما لا شك فيه أن هذه اللجنة كانت نواة لدراسة وإصدار اتفاقية إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة .

تقول « فريدة النقاش » معلنة سعادتها بهذه الاتفاقية التي تتعارض مع أحكام الأديان.

كانت اتفاقية إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة هي أهم إنجازات العقد العالمي للمرأة (١٩٧٥ : ١٩٨٥) ؛ إذ جمعت في وثيقة شاملة كل حقوق المرأة التي مرت عبر رحلة دولية طويلة منذ الإعلان العالمي للقضاء على التمييز ضد المرأة سنة (١٩٦٧) ، وصولاً إلى بلورة الاتفاقية ذاتها وإعلانها سنة (١٩٧٩) ، ولما كان الأمر كذلك فسوف نحتكم إلى الاتفاقية باعتبارها بلورة عالمية متكاملة لما هو قانوني بالكامل ، ولمعنى المساواة التي سوف يستحيل تحقيقها إلا بصورة شاملة لكل الجوانب، والتشريع هو واحد من جوانب كثيرة يقتضي الأمر تغييرها، بالإضافة إلى تغيير الواقع الاجتماعي، الاقتصادي القائم على الاستغلال والظلم حتى يكون بوسعنا القول أن المسافة قد تلاشت فعلاً بين النصوص القانونية التي تدعو للمساواة والعدل وبين الواقع الفعلي للنساء، أي: بين ما وصفته امرأة في إحدى ورش العمل عن حقوق النساء بالمسافة الواسعة بين الصورة الوردية للمواثيق الدولية والصورة السوداء للواقع [(١)] .

وقد أصبح مثل هذا التغيير ملحًا بعد أن برزت في الساحتين الوطنية والقومية مجموعة من القضايا والمشكلات المستعصية حول أوضاع النساء وحقوقهن ، وبدا واضحًا حتى للسلطة الأبوية الاستبدادية الطبقية أنها أوضاع غير منطقية بل ومحرمة مثل منع المرأة من السفر إلا بموافقة الزوج مثلاً، أو حبس نساء؛ لأنهنّ غامرن بقيادة السيارات أو منع الاختلاط في المدارس والجامعات ، أو تطبيق ما يسمى بنظام الطاعة ؛ لأنّ المرأة ناشز ، أو رفض منح الجنسية لأطفال الأم المتزوجة من أجنبي .

كذلك ، فإن الموقف العالمي الجديد بدأ ينظر لأوضاع المرأة وحقوقها وأشكال التمييز ضدها بجدية بالغة، وأصبحت تحفظات الحكومات العربية التي وقعت على الاتفاقية الدولية لإلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة وصدقت عليها موضوعًا للانتقاد، ويجري الإلحاح على الحكومات لرفع هذه التحفظات من جانب المنظمات الوطنية والقومية والعالمية لحقوق الإنسان.

تحفظت جمهورية مصر العربية على المادة الثانية الدولية لإلغاء التمييز ضد المرأة، وتقول

(١) « حدائق النساء في نقد الأصولية » : صـ (٣٠) .

هذه المادة التي أسوقها نصًا باعتبارها نموذجًا من وجهة نظري للأساس الذي لابد أن ينهض عليه القانون المدني .

١ - تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة ، وتوافق على أن تنتهج بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء سياسة القضاء على التمييز ضد المرأة وتحقيقها ، لذلك تتعهد بالقيام بما يلي :

أ - تجسيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى ، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن ، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال القانون والوسائل المناسبة الأخرى .

ب - اتخاذ المناسب من التدابير التشريعية وغيرها فيما في ذلك ما يقتضيه من إجراءات لحظر كل تمييز ضد المرأة .

جـ - إقرار الحماية القانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل وضمان الحماية الفعالة للمرأة عن طريق المحاكم الوطنية ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى من أي عمل تمييزي .

د - الامتناع عن الاضطلاع بأي عمل أو ممارسة تمييزية ضد المرأة ، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام .

هـ - اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة .

٢ - توخيًا لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزوج أو الأمومة ، ولضمان حقها الفعلي في العمل تتخذ الدول الأطراف التدابير المناسبة .

أ - لحظر الفصل من الخدمة بسبب الحمل أو إجازة الأمومة ، والتمييز في الفصل من العمل على أساس الحالة الزوجية ، مع فرض جزاءات على المخالفين .

ب - لإدخال نظام إجازة الأمومة المدفوعة الأجر ، أو مع التمتع بمزايا اجتماعية مماثلة دون أن تفقد المرأة الوظيفة التي تشغلها أو أقدميتها أو العلاوات الاجتماعية وتتوسع الفقرتان (ج ، د) ، والبند الثالث من هذه المادة في توفير الحماية للمرأة العاملة - الأم - من كل الزوايا .

تحفظت الحكومة المصرية على هذه المادة ، وبالتالي فهي لم تتقدم منذ وقعت على

الاتفاقية وصدقت عليها أي خطوة للأمام على طريق إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في القوانين والتشريعات ، اللهم إلا باستثناء في شكل قانون تبسيط إجراءات التقاضي في الأحوال الشخصية « الذي مكن المرأة من تطليق نفسها بنظام الخلع ، وفوض القاضي بتطليقها مـن زواج عرفـي تثبته المرأة كأي عقد كان مع إلزام الرجل بضرورة إثبات الطلاق قانونيًا » [١].

وللأسف ، فإن ما تم التحفظ عليه بالأمس ، سعى المجلس القومي للمرأة لإلغائه اليوم ، فقد صرحت السيدة « منى ذو الفقار » لصفوة المجلس في التليفزيون المصري ،أن المجلس أرسل مذكرة لوزارة الخارجية المصرية ،يوصي فيها بإلغاء هذه التحفظات ، مدعين أنها تتوافق مع روح الإسلام ، وأتمنى أن يكون ما قالته المذكورة من قبيل الخطأ في التعبير أو الخطأ في سمعي !!

رابعًا : إقامة المؤتمرات « التآمرات » للدعوة لتحرر المرأة وعملها :

في عالم الانتشار الواسع والسريع والشامل لوسائل الإعلام ، التي تطورت تقنياتها ، وتعددت أساليبها، وتنوعت أجهزتها، حتى أصبح العالم وكأنه يرى بعين واحدة ، ويسمع بأذن واحدة،ويتكلم بلسان واحد،ولم يعد العالم كقرية واحدة،ولكن غدا كأسرة واحدة .

كان من السهل اليسير الدعوة لأي فكر جديد، ليزيح عن العقول فكرًا آخر سواء قويم أو عقيم،عن طريق عقد مؤتمرات يُملي فيها القوي إرادته على الضعيف سواء بالترغيب أو الترهيب أو الدبلوماسية الناعمة،أو السياسة الجارحة ،وذلك تحت مظلة التقدم الفكري والرقي الحضاري،التي يروج من خلالها للكثير من الشعارات الهدامة والوعود الكاذبة .

وهذه المؤتمرات فرصة حقيقية لدعوة مؤيديها للحضور،ونبذ معارضيها من إثبات الوجود ، وهي أيضًا فرصة نادرة لمن أراد كسب الأموال ، والترقي في المنصب ، واكتساب الشهرة .

وللأسف فقد ابتلينا في الأمة العربية والإسلامية جمعاء بنساء يتكلمن عن المرأة في المؤتمرات العالمية والمحافل الدولية ويسيطرن على وسائل الأعلام المختلفة بصفتهن يمثلن المرأة في كل قطر ، ولكنهن لا يمثلن إلا أنفسهن وبعض المؤسسات العاملات فيها ، ويحجب ممثلات نساء المجتمع من إبداء الرأي .

(١) « حدائق النساء » : صـ (٣٠ ، ٣١) .

ولا شك أن دور الإعلام في إبراز هذه المؤتمرات ، والدعاية لها والإخلاص في نشر أفكارها من العوامل المؤدية بالقطع إلى تسلل وتغلغل هذه الأفكار ، وتلك المبادئ لعقول الكثير من الناس ، خاصة ممن لا دين لهم يعصمهم أو خلق قويم يتمسكون به .

ومن هذه المؤتمرات :

١ ـ المؤتمر العالمي الأول بواشنطن :

عقد هذا المؤتمر بالعاصمة الأمريكية عام (١٩٠٢) وحضرته مندوبات عدة دول .

٢ ـ المؤتمر العالمي للمرأة ببرلين :

عقد هذا المؤتمر بالعاصمة الألمانية سنة (١٩٠٤) ، وحضره مندوبات تسع دول ، وفي ختام جلساته تم تكوين الاتحاد النسائي الدولي تحت اسم «اتحاد المطالبة بحقوق الانتخاب».

٣ ـ المؤتمر العالمي للمرأة بكوبنهاجن :

عقد هذ المؤتمر سنة (١٩١٠) ، بالعاصمة النرويجية ، حضرته مائة عضوة يمثلن (١٩) دولة ، وفيه ناقشت المرأة مشاكل النساء ، وفي مقدمتها مطالبها فيما يتعلق بحق التصويت ، وقد اقترحت مسز « كلارا زيتكن » اعتبار يوم (١٨) مارس من كل عام يوما عالميًا للمرأة ، وقد احتفل فيه لأول مرة عام (١٩١١) [١].

٤ ـ مؤتمر روما :

انعقد هذا المؤتمر في مارس (١٩٢٣) م ، وكان عدد عضواته يمثل (٣٦) دولة ، وكل وفد يتراوح ما بين العشرين أو أكثر ، ورئيسة وفد مصر السيدة « هدى شعراوي » ، وقد ناقش : حقوق المرأة السياسية والمدنية لتخويلها حق الانتخاب [٢].

٥ ـ المؤتمر النسائي الدولي العاشر بباريس :

انعقد في الفترة من (٣٠ / ٥ / ١٩٢٦ ـ ٦ / ٦ / ١٩٢٦) ،ولكنه استمر بصورة غير رسمية لمدة (١٥) يوم .

وقد اشتركت فيه (٤٢) دولة،مثلتها حوالي (٥٠٠) من الأعضاء الرسميات إلى جانب بضع مئات أخرى جئن بصفة غير رسمية لمتابعة أعماله،وكان من الموضوعات التي ناقشها:

(١) « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٥٥) .

(٢) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : « هدى شعراوي » : صـ (٢٥٠ ، ٢٥١) .

ـ الأم غير المتزوجة، وجنسية الزوجة، وحقوق الزوجة، والمساواة بين الجنسين في العمل[١].

٦ ـ مؤتمر أمستردام :

عقد في (١٢/ ١١/ ١٩٢٧) ولمدة أربع أيام من الخميس للأحد، وقد تضمنت مناقشاته، التعاون الدولي، ضرورة نزع السلاح للدول العظمى، مسألة التحكيم، والسلامة الوطنية [٢].

٧ ـ مؤتمر برلين :

عقد في (١٧ / ٦ / ١٩٢٩) ، وبلغ عدد أعضائه (٥٠٠) عضو، وقد كان للوفد المصري ـ إظهارًا للحق ـ دور بارز في المطالبة بإلغاء الامتيازات ،وتقول رئيسة الوفد المصري السيدة « هدى شعراوي » :

« نظرًا؛ لأن الامتيازات لا يدع للسلطات المصرية أية سيطرة على منازل البغاء ـ الدعارة والزنى بأجر ـ الأجنبية ، كما لا يدع لها أية سلطة لمراقبة تجارة المواد المخدرة التي تفتك بالشرق هتكًا ذريعًا ، فقد تقدم الوفد المصري باقتراح للمؤتمر يطلب من الجمعيات النسائية المشتركة فيه أن تسعى كل لدى حكومتها لتسهيل ما تقوم به السلطات المصرية من أعمال التطهير صحيًا وأدبيًا » .

وقد وافق المؤتمر بالإجماع على الاقتراح ما عدا الوفد الإنجليزي ؛ لأنه يتعارض مع احتلاله لمصر ، ونشر الفساد فيها [٣].

٨ ـ المؤتمر النسائي الدولي الأول بباريس :

حضرته السيدة « هدى شعراوي » ، ولكن للأسف اتفق الوفد المصري على عرض قضية الطلاق والطاعة وتعدد الزوجات !! ولم تفكر واحدة في عرض القضية الكبرى التي من أجلها نظمت هذه المؤتمرات ، ألا وهي الحقوق السياسية للمرأة .

٩ ـ المؤتمر النسائي الدولي الثاني بباريس :

عقد في الفترة من (٤ : ٦) أغسطس عام (١٩٣٤) ،وحضرته ألفًا وخمسمائة مندوبة منهن السيدة « هدى شعراوي » ، و « سيزانبراوي » ، وذلك للمشاركة بالرأي في

---

(١) « مذكرات رائدة المرأة العربية » : « هدى شعراوي » : صـ (٣٥٢ ، ٣٥٣) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٣٧٣ ، ٣٧٤) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٤٢٩ ، ٤٣٠) .

كيفية مقاومة الحروب الاستعمارية والفاشية ، وكذلك الاحتفال بمرور (٢٠) عامًا على الحرب العالمية الأولى .

١٠ ـ مؤتمر إستنبول :

وقد حضرته السيدة « هدى شعراوي » .

١١ ـ مؤتمر بروكسل عام (١٩٣٦) :

واختيرت فيه السيدة « هدى شعراوي » نائبًا لرئيس الاتحاد الدولي ، وظلت في هذا المنصب حتى توفيت عام (١٩٤٨) [١].

١٢ ـ مؤتمر السلام العالمي :

عقد عام (١٩٣٨) في الفترة من (١٤ ، ١٥) مايو ، وكان غرضه البحث عن أفضل الطرق التي يجب أن توجه إليها المرأة نفسها لخدمة قضايا السلام العالمي ، ومثلت مصر فيه السيدة « إستر فهمي ويصا » .

١٣ ـ مؤتمر إنترالاكن :

عقد عام (١٩٤٥) ، مثلت مصر فيه السيدات « هدى شعراوي » ، « سيزا نبراوي»، « عصمت عاصم » حرم « طلعت حرب » ، وكان أهم أعماله المطالبة بعدم استخدام الأسلحة الذرية ، خصوصًا بعد ضرب « هيروشيما » باليابان .

١٤ ـ مؤتمر جنيف :

عقد عام (١٩٤٦) ، وحضرته السيدات اللاتي حضرن مؤتمر « إنترالاكن » مؤتمر نسائي آخر .

١٥ ـ المؤتمر النسائي الآسيوي ، عقد بنيودلهي عام (١٩٤٧) [٢] .

١٦ ـ مؤتمر أثينا :

عقد سنة (١٩٥١) ، وحضرته رئيسة اتحاد بنت النيل د « درية شفيق » ، وكان من قراراته الموافقة على سياسة التسلح الدفاعي ، وقد لقى هذا القرار تأييدًا حارًا من مندوبات إنجلترا واليونان ، ومصر .

---

(١) « النساء ولعبة السياسة » : صـ (١٧٩) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٨٠) .

وقد استنكرت أكثر من امرأة من رواد الحركة النسائية في مصر هذا القرار ، فقالت السيدة « إنجي أفلاطون » في جريدة المصري في (٩ / ٤ / ٥١) : « إن هذا القرار في الحق لا يقاوم الحرب ، وإنما يؤيد الاحتلال ؛ لذلك رأينا المندوبة البريطانية مصفقة له ، مرحبة به ! » .

وقد ناصر المؤتمر الصهيونية ، حيث دعا لاجتماع في « أستوكهولم » ، اتخذ فيه قرار بمطالبة وزير داخلية السويد بإنزال أشد العقوبات على مسيو « أنيراير » لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهيونين في السويد [1].

١٧ ـ مؤتمر مكسيكو سيتي للمرأة سنة (١٩٧٥) :

كان من قراراته وتوصياته :

« ضمان أن يراعى وجوبًا منح المرأة حقوقًا وفرصًا متساوية مع الرجل قانونًا وواقعًا في الاقتراع والمشاركة في الحياة العامة ، وفي الحياة السياسية على المستويات الوطنية والمحلية ، وعلى مستوى المجتمع المحلي ، وأن يراعي توعيتها بمسؤوليتها كمواطنة ، وبالمشكلات التي تؤثر على المجتمع ، وتؤثر عليها تأثيرًا مباشرًا باعتبارها امرأة ، ولهذه الغاية اقترحت الخطة أن تضع الحكومات أهدافًا واستراتيجيات ، وجداول زمنية لزيادة عدد النساء في الوظائف العامة والأعمال العامة التي يتم التعيين لها بالانتخاب والتعيين على جميع المستويات ، وذلك خلال سني العقد من سنة (١٩٧٥) إلى سنة (١٩٨٥) م .

ويمكن أن تتضمن الجهود الخاصة من أجل إنجاز هذه الأهداف ما يلي :

أ ـ التأكيد من جديد على السياسة الرسمية المتعلقة بالمشاركة السياسية المتساوية للمرأة وتوفير قدر كبير للإعلام بها .

ب ـ إصدار تعليمات حكومية خاصة لتحقيق تمثيل متكافئ للمرأة في المناصب العامة، وتجميع تقارير دورية حول عدد النساء الموجودات في الخدمة العامة ومستويات المسؤولية في مجال عملهن .

جـ ـ تنظيم دراسات لتحديد مستويات الكفاءة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للإناث بالمقارنة بالذكور بين السكان بالنسبة للتوظيف والتعيين والترقي .

د ـ القيام بأنشطة خاصة لتوظيف وتعيين وترقية المرأة وعلى وجه خاص ، لشغل

(١) « الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار » : صـ (٩٣ : ٩٥) .

المناصب الهامة إلى أن يتحقق التمثيل العادل لكل الجنسين [1].

ويلاحظ أن هذا المؤتمر كانت توصياته إلزامية للدول الأعضاء ، بعد أن كانت اختيارية حسب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة (١٩٤٨).

١٨ ـ مؤتمر كوبنهاجن في (١٤ / ٧ . ١٩٨٠) .

١٩ ـ مؤتمر نيروبي في عام (١٩٨٥) .

٢٠ ـ مؤتمر القاهرة عام (١٩٩٠) .

٢١ ـ مؤتمر المرأة العالمي ببكين :

عُقِدَ هذا المؤتمر في بكين عاصمة الصين في الفترة من (٤ : ١٥) سبتمبر (١٩٩٥)م، اشتركت فيه (٤٠٠٠٠) امرأة يمثلن (١٨٣) دولة،وهو المؤتمر الرابع التابع للأمم المتحدة .

وقد احتاجت ديباجته لعدد (١٧٧) صفحة،تتناول قضايا عِدة هي ثمار منتجة من عقول شيطانية فاسدة،لا تعترف بأي دين،ولا تؤمن بأي فكر سديد قويم،وإلهها الأوحد هو الشيطان الرجيم،وطقوسها التعبدية هي كل انحلال وفساد وشذوذ جنسي وعري أخلاقي .

وسوف نعرض لبعض بنود وثيقة هذا المؤتمر ومقرراته :

بند (٨) : تساوى النساء والرجال في الحقوق والكرامة الإنسانية ، وسائر المقاصد والمبادئ المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة ، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وغير ذلك من الصكوك الدولية .

والملاحظ أنه تم خلط الطيب « الكرامة الإنسانية » بالخبيث « سائر المقاصد والمبادئ. .» والمقصود : تساوي المرأة مع الرجل تساوي تماثل ووضع القدم على القدم وتساوي التزاحم والتنافس والعراك لا التكامل والتعاون والإخاء ، فتزاحم النساء الرجال في العمل خارج البيوت حتى خربت البيوت ، وتغتصب منه الكد والسعي والعمل حتى لو أدى إلى بطالته وانحلالها . . .

بند (٩) [2] : ضمان الإعمال الكامل لحقوق الإنسان المرأة والطفلة .

بند: تمكين المرأة ومشاركتها الكاملة على قدم المساواة في جميع جوانب حياة المجتمع،

(١) « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : صـ (٤٩ ، ٥٠) .

(٢) مرجعنا لهذه البنود : مجلة الوعي الإسلامي ، العدد (١٤٠٥) أغسطس وسبتمبر (١٩٩٩) ، مقال للكاتب : « محمد السيد » .

بما في ذلك المشاركة في عملية صنع القرار ، وبلوغ مواقع السلطة أمور سياسية لتحقيق المساواة والتنمية والسلم .

ونحن نقول لهيئة الأمم المتحدة أين حقوق المسلمات المغتصبات في كل أرجاء العالم ، أو ليس من حقوق الطفلة عدم قتل أو أسر أبيها الذي يدافع عن وطنه في أفغانستان والعراق وفلسطين والسودان والشيشان وغير ذلك ؟!!

كما نتساءل لِمَ لَمْ يشارك العالم العربي والإسلامي في اتخاذ القرار في مجلس الأمن، الذي يستعمل فيه الكبار حق الاعتراض « الفيتو » لإملاء سياساتهم على صغار الدول وإسقاط أي: إدانة للمعتدين الأقوياء على المسالمين الضعفاء، وماذا فعلت الأمم المتحدة لأمريكا عندما غزت واحتلت العراق دون سبب وقتلت الملايين دون مبرر؟! وهل يضع أغلب القادة العرب قرارهم أم تجبرهم عليها القوى العظمى تحت مظلة الأمم المتحدة؟!!

بند (١٥): إن المساواة في الحقوق والفرص والوصول إلى الموارد وتقاسم الرجل والمرأة المسؤوليات عن الأسرة بالتساوي ، والشراكة المنسجمة بينهما أمور حاسمة لرفاهيتهما.

ولا يغيب عن القارئ أن المقصود: الوصول إلى الموارد، التساوي في العمل والتوظيف، واقتسام ثروة الرجل عند الطلاق ، كما يراد من تقاسم الرجل والمرأة مسؤوليات الأسرة ، الذهاب بحق قوامة الرجل ومنح المرأة حق الطلاق بإرادتها، وحقها في نسب طفلها إليها . .

بند (١٧) : إن الاعتراف الصريح بحق جميع النساء بالتحكم بجميع الأمور المتعلقة بصحتهن ، وبخاصة تلك المتصلة بخصوبتهن وتأكيد هذا الحق مجددًا أمر أساسي لتمكين المرأة .

والمقصود بهذا البند ، حق المرأة في الإجهاض ، حقها في منع جسدها عن زوجها إذا أراد جماعها ، ومنحها الحق في منح جسدها للمتعة المحرمة لمن شاءت .

بند (١٨) : إن السلم المحلي والوطني والإقليمي والعالمي يمكن تحقيقه ويرتبط ارتباطًا لا انفصام له بالنهوض بالمرأة التي تمثل قوة أساسية في مجالات القيادة ، وحل النزاعات وتعزيز السلم الدائم .

وهذا البند هو بند تحذيري للدول الأعضاء ، من لا ينفذ مقررات هذا المؤتمر ، فله الويل في الدنيا والعذاب الشديد .

وقد قوبل هذا المؤتمر وقراراته اللاأخلاقية ـ بالذات ـ باستنكار شديد .

بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف :

أصدر الأزهر الشريف هذا البيان للرد على مقررات مؤتمر بكين، ومما جاء فيه: « ومؤتمر بكين هذا ، يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة ترمي إلى ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة ، التي حمت شعوبًا ودولاً كثيرًا من التردي في هوة الفساد والجنس والسقوط في حومة الاضطراب النفسي ومستنقع الانحلال الأخلاقي . .

استخدموا كلمة نوع « جندر » عشرات المرات بمعان محرفة ترمي إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة النية .

وفي خضم سعيهم إلى تدمير الأسرة ، لم يقنع واضعو البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك في اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع ،ومطالبة الوالدين بالتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن غير طريق الزواج ، واعتبار هذا النشاط أمرًا شخصيًا لا يحق لأي منهما التدخل فيه ، ولكنهم نادوا في جرأة فاحشة بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذي يقره الدين ليس إلا مفهومًا عقيمًا ؛ لأنَّه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ، ويشترط أن يكون بين ذكر وأنثى فقط ، وفي داخل الإطار الشرعي ؛ ولأنَّه لا يمنح الشواذ حقهم في تكوين أسر من بينهم ، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية ، معتبرين أنها مجرد أدوار فيما درجوا عليه ، ويجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط .

بل أن واضعي البرنامج ساروا في غيهم إلى أبعد من ذلك ، فطالبوا بالتغيير الجذري في العلاقة بين الرجل والمرأة وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما في ذلك حق الرجال في إجازة والديه كالنساء والمساواة بينهما في الميراث مع تغيير القانون الذي يقف دون ذلك أيًا كان مصدره [١].

موقف مصر من قرارات المؤتمر :

تشرف وفد مصر بأن تكون رئيسته السيدة الفاضلة « سوزان مبارك » التي أوضحت تمسك مصر بمبادئ الشريعة الإسلامية إذا تصادمت قرارات المؤتمر معها وما جاء في كلمتها

(١) « المرأة والزواج وحقوق الشباب »: « زكية حجازي»: صـ (١٤٠ : ١٤٢)، مع الاختصار الطفيف.

بالمؤتمر يُعد أساسًا مضيئًا على مثقفينا الاقتداء به في علاقتنا بالغرب ، ومما قالته سيادتها : « ونحن لسنا هنا أيضًا من أجل أن يفرض البعض قِيَمًا أو معتقدات قد يرى البعض الآخر أنها تخالف الدين أو الأخلاق ، إن القراءة الصحيحة لمبادئ حقوق الإنسان تقول : إن كان من حقك أن تعتقد ما أرفض ، فإن من حقي أيضًا أن أعتقد ما ترفض أو أرفض ما تعتقد، وبغير هذا المفهوم ، فإن العلاقة تصبح قائمة على القهر والإذعان ، وليس على حقوق الإنسان . . » [(١)].

وقد كانت سيادتها صادقة في الحديث وصادقة في النبوءة ، بأنه قد تحدث ضغوط قهرية تصل إلى الإرهاب العسكري والسياسي والفكري لتحقيق إرادة الأقوياء ، هذه الإرادة التي تمليها أمريكا ـ بالإرهاب ـ على العالم ، مما اضطر المجلس القومي للمرأة في مصر أن يطلب رسميًا من وزارة الخارجية ،[(٢)] رفع ما أبدته الدول الإسلامية والعربية على حقها في عدم تنفيذ ما يتعارض من قرارات لهذه التآمرات مع الشريعة الإسلامية،وصدق الله تعالى، حيث قال : ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

---

(١) « المرأة والزواج وحقوق الشباب » :صـ (١٥٠) .

(٢) سمعت ذلك من السيدة « منى ذو الفقار » المحامية في حديث لها في التليفزيون المصري ـ للأسف ـ وكل المجالس المشابهة في الأمة العربية والإسلامية ، قامت بهذا الإجراء سرًا وعلانية ،ولن تمضي عقود حتى يحق الله الحق ، ويبطل الباطل .



الباب الرابع

دعاوى عمل المرأة وتحررها

الأسس والمبادئ

الفصل الأول : إدعاء اضطهاد المرأة ، وإنكار وظيفتها الإنسانية .

الفصل الثانى : محاولة إنكار دور المرأة كزوجة وأم .

الفصل الثالث : محاولة الإساءة إلى الأديان وعلمائها وأحكامها .

الباب الرابع
دعاوى عمل المرأة وتحررها
الأسس والمبادئ

توطئة :

ادعى دعاة عمل المرأة ـ المطلق ـ وهجر هيبتها وتركها حجابها ثم تخليها عن حيائها وعفتها وكرامتها ، أن المرأة خُلقت مظلومة ومجمل حياتها من المهد إلى اللحد ظُلم بين ، واضطهاد مر ، واستغلال فاحش ، تقول د « نوال السعداوي » موضحة ذلك : « كانت خطيئة أمنا حواء أنها رفضت الجهل ومدت يدها وأكلت من شجرة المعرفة ! كان الإثم الأكبر في التاريخ العبودي هو : تذوق المعرفة ، وليس تذوق الجنس كما أشيع في الكتب التي لقنونا إياها في المدارس » [1].

والكاتبة توضح وجهة نظر وتعاليم اليهودية والمسيحية وليس الإسلام حيث جاءت بالتوراة: « **وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة المأكل وشهية للعيون ، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها ، وأكلت وأعطت زوجها فأكل معها** » [التكوين : ٣ : ٦].

فالدكتورة «نوال» حاولت تأويل معصية الله الذي أمر بعدم الأكل من تلك الشجرة إلى فضيلة تذوق المعرفة، علمًا بأن الله قد زرع في آدم حب العلم فعلمه الأسماء فجاء في التوراة: « **وكان الرب الإله قد جَبَلَ من التراب كل وحوش البرية وطيور الفضاء وأحضرها إلى آدم ليرى بأي الأسماء يدعوها ، فصار كل اسم أطلقه آدم على كل مخلوق حي اسمًا له** » [التكوين : ٢ : ١٩] ، وجاء في القرآن الكريم تعليم الله لآدم اسم ومسمى كل شيء ـ حينذاك ـ حتى أنه تحدى الملائكة بما منحه لآدم من علم، فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين . قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

---

(١) د « نوال السعداوي » : « قضايا المرأة والفكر والسياسة » : صـ (١٩٠) ، مكتبة مدبولي بالقاهرة، سنة (٢٠٠٢) م ، ولم يدع أي دين أن سبب الخطيئة الكبرى والأولى لآدم وحواء هي الجنس ، وإنما الجنس كان نتيجة لها .

وهؤلاء الدعاة المدعون يعتقدون أن الله ظلم المرأة في كتبه السماوية ، وأن الذكور ورجال الدين شاركوه ذلك ؛ ولذلك فقد حاولوا الإساءة إلى الدين ومؤسساته ، وقد غالوا في دعواهم ، فادعوا أن المرأة لم تخلق لتكون زوجة وأما .

وفي هذه الباب ، سنعرض للفصول التالية :

الفصل الأول : ادعاء اضطهاد المرأة ،وإنكار وظيفتها الإنسانية .

الفصل الثاني : محاولة إنكار دور المرأة كزوجة وأم .

الفصل الثالث : محاولة الإساءة إلى الأديان وعلمائها وأحكامها .

الفصل الأول

ادعاء اضطهاد المرأة وإنكار وظيفتها الإنسانية

المبحث الأول : ظلم الإنسانية للمرأة .

المبحث الثاني : ادعاء تفوق الأنثى على الذكر .

المبحث الثالث:أسباب استعباد الرجل للمرأة وظلمها - كادعائهم .

الفصل الأول

ادعاء اضطهاد المرأة وإنكار وظيفتها الإنسانية

تعددت أوجه ظلم المرأة - حسب وجهة نظر دعاة عمل المرأة المطلق - وسيشارك في ذلك الذكور والمجتمع والدين ورجاله ، الكل اتفق وتعاهد على الحط من قدرها والعمل على تخلفها واستعبادها .

وسوف نقوم بتوضيح ذلك من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول : ظلم الإنسانية للمرأة .

المبحث الثاني : ادعاء تفوق الأنثى على الذكر .

المبحث الثالث : أسباب استعباد الرجل للمرأة وظلمها - كادعائهم .

المبحث الأول

ظلم الإنسانية للمرأة

أولاً : الادعاء بظلم الرجال للمرأة :

أ ـ ادعاء آدم ـ الكاذب ـ بخلق المرأة من ضلعه :

تقول د« نوال السعداوي » مدعية ذلك : « وجلس آدم بينه وبين نفسه ، وكان فنانًا وقادرًا على خلق القصص والروايات » ثم خرج إلى العالم بقصة آدم وحواء الشهيرة في التاريخ .

وفي هذه القصة سلب آدم من حواء قدرتها على الولادة ، وخلق الحياة الجديدة ، وأعطى نفسه هذه القدرة ، قائلاً أنه هو الذي ولد حواء ، وأنها جاءت من أحد ضلوعه، وعلى هذه القصة وعلى قصص أخرى مماثلة بدأ الدين اليهودي يُكون فلسفته ومبادئه وأخلاقه ، ولهذا أصبح الرجل هو السيد في الفلسفة والأخلاق والدين لتدعيم سيادته الاقتصادية والاستغلالية .

ويمضي بنا التاريخ ويعرفنا كيف بنيت المسيحية من بعد اليهودية على أفكار متشابهة ، جذورها واحدة [(١)].

والفقرات السابقة توضح عدم إيمان الكاتبة بالأديان السماوية السابقة ،وكأن آدم هو مخترعها ، ونسيت أن الإسلام الذي لم يبدل أو يحرف كتابه أوضح حقيقة خلق حواء من آدم لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١]، وقد بين الرسول ﷺ في سنته أن المرأة خلقت من ضلع أعوج .

٢ ـ الادعاء بقمع الرجال للنساء :

تقول د « نوال » عن ذلك : « وقد عرفنا من الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة أن المرأة بيولوجيًا تتمتع بقدرة جنسية ضخمة ، وإنه لم يكن في إمكان الرجل أن ينشئ أسرته الأبوية بغير قوانين صارمة تقمع قوة المرأة البيولوجية وتفرض عليها رجلاً واحدًا ، من أجل أن يعرف هذا الرجل أنه الأب الحقيقي للأطفال،فينسبهم إليه ، ويورثهم الأرض ، وبسبب

(١) د « نوال السعداوي » : الأنثى هي الأصل : صـ (٢٧ ، ٢٨) .

قوة المرأة وقدرتها اللامحدودة فقد استلزم هذا القمع وسائل متعددة من التعذيب الشديد حتى القتل لكل من وسوس لها الشيطان وخرجت عن النظم الأبوية وقانون الأسرة.

وكان أحد وسائل القمع هي أن تجرد المرأة لا من قدرتها البيولوجية فحسب ، وإنما أيضًا من قدرتها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، وأن تصبح حياتها تعتمد في كل شيء على الرجل ، وهكذا جُردت المرأة من حقها في أن تعمل فقط (إلاَّ) داخل البيت ، من أجل خدمة الرجل والأطفال ، وبغير أجر حتى تظل عالة على الرجل دائمًا ولا تجد لنفسها مأوى غيره ، ولا سبيل للخلاص مهما لاقت من زوجها الهوان والإذلال [١].

والواقع أن ادعاءات الكاتبة بعيدة عن الحق عارية من الحقيقة ؛ فقدرة المرأة الجنسية لا توصف بالضخامة مقارنة بقدرة الرجل ، إلاَّ إذا كانت شاذة ونهمة وغير طبيعية مع ملاحظة أنها تعاني من دورة شهرية ،وحمل لمدة (٩) أشهر ، ورضاع يفترض أن يصل إلى (١٥ : ١٨) شهرا ، وهذه الفترات تنعدم فيها الشهوة الجنسية أو تقل ، وقد تصل لدرجة أقل من الاعتدال .

أما الزواج من رجل واحد وحفظ الفروج والأرحام وبالتالي الأنساب ، فتلك تعاليم وأوامر إلهية وأخلاقية حتى لا يتساوى الإنسان مع أحط أنواع البهائم إن لم يلتزم بها ، فلا أسرة حقيقية إلا بحفظ الأنساب ، وهذه الآداب تنظمها المجتمعات المختلفة حتى التي لا تؤمن بدين سماوي ، إنها فطرة الإنسان القويمة التي أعلت من شأنه ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

ومعلوم أن عقاب الزنا في الأديان هو قتل الزاني والزانية أي : الرجل والمرأة وليس المرأة فقط ، وكذلك في أغلب القوانين الوضعية .

٣ ـ ادعاء تعمد حرمان المرأة التعليم والعمل :

للأسف يروج لهذا الإدعاء بعض رجال الدين المسيحي ، فيقول د « أنور زكي » : «وتقول قصة الخلق في الكتاب المقدس أن آدم هو الذي أعطى لكل شيء في الخليقة اسمًا؛ ولأنَّ حواء لم تشترك في هذه العملية،فتكون الخليقة كلها قد سُميت من وجهة نظر الرجل فقط ، كما أن اللاهوت كتبه الرجال ، فالأفكار والتعاليم والصور والأمور كلها من إنتاج الرجل وحده،وهذا يوضح الضغوط التي خضعت لها المرأة في ظل النظام الأبوي ، أعطى

---

(١) الأنثى هي الأصل : صـ (١٤٥) .

الرجال لأنفسهم حق التسلط على المرأة وإبقائها في حالة اعتماد دائم على الغير»[١].

ويقول « قاسم أمين » مسترشدًا بقول : « مانتجارا » مدرس علم الإنسان : « ما أكفر الرجل ألجأه كبره أن يُزَوِّر حتى في علم التشريح ، فلم يكتف بأن يغتصب المحل الأول في العالم ، بل أراد أن يبرهن أن المرأة أقل منه في الإنسانية ، وأنها في مرتبة بين القرد والإنسان ؛ ولهذا فيكون له الحق في أن يجردها من الحقوق التي منحها نفسه » [٢].

ويدعي « قاسم أمين » أن الفروق العقلية والجسدية ليست فطرية فيقول : « فإذا فاق الرجل المرأة في القوة البدنية والعقلية فذلك إنما لأنَّه اشتغل بالعمل والفكر أجيالاً طويلة كانت المرأة فيها محرومة استعمال القوتين المذكورتين » [٣].

وتمضي د « نوال السعداوي » على الدرب ، فتقول : « ومأساة المرأة في الحضارة الحديثة أو النظام الأبوي الإقطاعي ، ثم الرأسمالي الحديث هي أن عقل المرأة حُرِمَ من شهوته الطبيعية للمعرفة والتجديد ، وحرمت المرأة من طموح الحياة الفكرية في المجتمع الكبير ، واقتصر طموحها في الحياة على توفير الراحة والطعام والنظافة للرجل في البيت من أجل أن يفكر هو ، ومن أجل أن يبتكر هو في عالم الفكر والفن والعلم والفلسفة[٤].

والواقع أن إعطاء آدم أسماء للخليقة كما جاء بالتوراة ، أو تعليم الله له الأسماء كما ورد في القرآن ، لهو تشريف لآدم مع تحميله مسؤولية تعليم حواء ذلك ، إشارة لقوامته .

هذا ، ولم يدع أحد أن المرأة مهانة وهي مخلوق بين القرد والرجل [٥]، فلا ادعاء لدونية المرأة كأنثى عن الرجل ، فالكل خلق الله الذي كرمه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، أي : أن التكريم للرجال ، والنساء معًا ، ولكن الفروق بين الرجل والمرأة ترجع إلى تحديد وظيفة كل منهما في الحياة ، فنالت المرأة القسط الأوفر ، وهى سكن الرجل والحمل والولادة والرضاعة وتربية النشء، فالرجل يضع بذرته شهوة ، والمرأة تحملها وتحتضنها بجهد ومشقة وعناء وصبر واصطبار ، وكان من العدالة ألا تتساوى مع الرجل في الكد أيضًا والعمل خارج البيت .

---

(١) د « أنور زكي » : « المرأة في الكنيسة » :صـ (٦٣) ، ويقصد بذلك ما جاء في سفر التكوين (٢ : ١٩) ، انظر : « التوطئة » ، واللاهوت هو أحكام الدين والشريعة .

(٢ ،٣) « المرأة الجديدة »:صـ (٣٧)،ويقصد بالمحل الأول أن آدم خلق قبل حواء ، وخلقت منه حواء.

(٤ ، ٥) « توأم السلطة والجنس » : صـ (٨٣ ، ٨٤) .

وما تحتاجه المرأة للقيام بأعباء وظيفتها ، وهي أخطر وظيفة في التاريخ ، من معارف وعلوم وخبرات يجعلها من كبار المبدعين والمفكرين مهما كان النظام الاقتصادي أو الاجتماعي السائد.

والمرأة لم تكن مضطهدة ومسلوبة الإرادة بالكامل فى أى عصر من العصور .

ويقول الأستاذ «أنيس منصور» موضحًا ذلك: « منذ اللحظة الأولى ، يجب أن نرفض أن المرأة قد عاشت « عبدًا » للرجل ، وأن تاريخها ليس إلا حلقات من الرق والعبودية ، ليس هذا صحيحًا .

فتاريخ المرأة متنوع ومختلف باختلاف العصور التي عاشت فيها مجتمعات الرعاة والصيادين والفلاحين والعمال .

ومهما اختلفت العصور ، فقد كانت هناك حياة زوجية ، وكانت هناك زوجة واحدة معظم الوقت ، فقد نجحت المرأة في أن تفرض هذا النظام وأن تصونه حتى الآن . . » [1].

ثانيًا : ادعاء ظلم المجتمع للمرأة :

يدعي هؤلاء الدعاة ـ جهلاً أو ظلمًا ـ أن نظام الأسرة، هو السبب المباشر لظلم المرأة، خاصة إذا كانت بقيادة الرجل ، وأطلقوا على هذ النظام الديني والحضاري والأخلاقي ، مسميات عدة ، تنال من جوهره وتحط من شأنه ، ومنها : نظام العائلة ، النظام الطبقي الأبوي ، « النظـام الأبـوي التسلطي » ، « النظام العبودي » ، وللأسف رأوا ـ في عينهم ـ إن نظام المشاع أو نظام الأسرة التي تقوم على أسس من رياسة المرأة هي النظام الأمثل لنيل حقوق المرأة ، ونسوا قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ولا يغيب عن الأذهان أن هدفهم من ذلك هو هدم نظام العائلة ، وإطلاق نظام الشيوعية الجنسية ، الذي لا يرتضيه أو يزاوله سوى الحيوانات الوضيعة .

١ ـ الادعاء بأن الأسرة هي سبب استعباد المرأة :

يقول «قاسم أمين»: «هذا هو مجمل حياة المرأة في العالم، فلخصه في كلمتين، عاشت المرأة حُرة في العصور الأولى حيث كانت الإنسانية لم تزل في مهدها ، ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستبداد الحقيقي، ثم لما قامت الإنسانية على طريق المدنية، اعترف للمرأة

---

(١) لم يدع أي دين أن المرأة مخلوق بين الرجل والقرد ، وربما هذه أقوال فلاسفة مغرضين سادت نظريتهم أوربا ، ولم يكن لها موضع في الإسلام والشرق .

بشيء من الحق ، ولكن خضعت لاستبداد الرجل .

ثم لما بلغت الإنسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة ، وتساوت المرأة مع الرجل في جميع الحقوق ، أو على الأقل في معظمها ، أربعة أحوال تقابلها أربعة أدوار في تاريخ التمدن في العالم (١).

والملاحظ أن « قاسمًا » أراد أن يقول على استحياء أن نظام العائلة هو المسئول عن انحطاط وضع المرأة ؛ ولذا فهو يسترشد بالمؤرخ الكبير « هيروديت » حيث يقول (٢):

ذكر شيخ المؤرخين « هيروديت » أن علاقات الرجل بالمرأة كانت متروكة إلى الصدفة، ولا تفترق عما يشاهد بين الأنعام ، وكان الشأن إذا ولدت المرأة ولدًا أن يجتمع القوم متى وصل الولد إلى سن البلوغ وينسبوه إلى أشبه الناس به ، وهذه العادة كانت معروفة أيضًا عند القبائل الجرمانية ، وعند العرب في الجاهلية ، وقد جاءت روايات السياح المعاصرين لنا مؤيدة لما جاء به التاريخ ، فإن جميع السياح الذين طافوا بلاد « تايتي » وجزائر «مركيز» وغيرهما من أقاليم أستراليا وزيلندة ، وبعض بلاد الهند وأفريقيا ذكروا أن الزواج غير معروف في تلك البلاد .

ولا خلاف في أن المرأة التي هذه حالها تعيش مستقلة ، تعول نفسها بنفسها ، مساوية للرجل في جميع الأعمال ، بل لها من المزية عليه أن نسب الأولاد يتعلق في الغالب بها وحدها ، فالمرأة في هذا الدور الأول هي ذات الشأن في الهيئة الاجتماعية ، وربما كانت تشترك في الدفاع عن قبيلتها مع الرجال ، ويدل على ذلك ذكر وقائع الفارسات في التواريخ القديمة ووجود عادة منتشرة إلى الآن في بعض البلاد تقضي بتجنيد النساء كما تجند الرجال ، ومن هذا القبيل أن ملك « سيام » له عدد من النساء عهد إليهن حراسته ، وكان الملك « الداهومية بها نزن » الذي استولى الفرنساويون على بلاده من بضع سنين خمسمائة جندي من الرجال وخمسمائة من النساء .

ولما ودع الإنسان بداوته ، واتخذ وطنًا قارًا ، واشتغل بالزراعة وجد نظام البيت ، ومن أهم ما ساعد على تشكيل العائلة أنه كان لكل عائلة معبود خاص بها تختاره من بين

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (٢٢) .

(٢) هو الملقب بـ « أبى التاريخ » ، عاش ما بين سنتي (٤٨٤ ، ٤٣٥ ق. م) ،وسجل تاريخ الصراع بين الفرس والإغريق ، وزار عددًا من البلاد ، من بينها مصر ، وكتب عن مشاهداته ، وما سمعه من طرائف وأساطير .

أسلافها كما كان جاريًا عند اليونان ، والرومان ، والهنود ، والجرمانيين ، وكما هو جار إلى الآن عند الأمم المتوحشة ، وله بقية في بلاد الصين ، وكانت العائلة تقدم القربان إلى آلهتها ، فكان هذا باعثًا للرجل على استبقاء ذرية تقوم بتأدية الخدمات الدينية .

وترتب على دخول المرأة في العائلة حرمانها من استقلالها ؛ لذلك نرى رئيس العائلة عند اليونان ، والرومان ، والجرمانيين ، والهنود ، والصينيين ، والعرب مالكًا لزوجته ، وكان يملكها كما يملك الرقيق بطريق الشراء ، بمعنى أن عقد الزواج كان يحصل على صورة بيع وشراء ، وهذا أمر يعلمه كل مطلع على القانون الروماني ،وذكره المؤرخون ورواه السياح المعاصرون لنا يشتري الرجل زوجته من أبيها ، فتنتقل إليه جميع حقوق الأب عليها، ويجوز له أن يتصرف فيها بالبيع لشخص آخر ، فإذا مات انتقلت مع تركته إلى ورثته من أولادها الذكور أو غيرهم .

ومما يتبع هذه الحال أن المرأة لا تملك شيئًا لنفسها ولا ترث ، وأن يتزوج الرجل بعدة نساء ؛ لأنّ الوحدة في الزواج تفرض المساواة بين الزوجين في الحقوق والواجبات (١).

وهنا كشر « قاسم أمين » عن أنيابه ، فأوضح أن نظام الأسرة هو سبب ضياع حقوق المرأة من عمل ونسب وإرث وقوامة وغيره .

ونحن نقول : كيف يفخر هؤلاء بنظام شيوع النساء الجنسي بما يؤدي إلى ضياع الأنساب ، وكيف تكون المرأة ذات شأن ، وهي موضع شهوة لكل رجل وأي رجل ؟!

إن ما يدعونه من عمل المرأة بجيوش بعض الملوك أو بعض المجتمعات إنما هو نتيجة للتخلف الفكري والتسيب الخلقي ، ومن باب الزهو باستغلال النساء ، والعبث بهم جنسيًا وعمليًا .

ولاشك أن تملك الرجل للمرأة وكأنها متاع يرجع إلى الجهل بأحكام الأديان أو نبذها، فلا يوجد دين سماوي أو كتاب سماوي دعا لذلك ، إنما هي ممارسات خاطئة من البشر .

وتجلي « فريدة النقاش » ما دعا إليه « قاسم أمين » وادعاه من أفكار ،فتقول : « إن مستوى التطور التاريخي الاقتصادي السياسي يلعب دورا حاسمًا في قضية تحرير المرأة ، التي أصبحت منذ انهيار المجتمع الأمومي والمشاعية البدائية من الملكية الخاصة للرجل »(٢).

---

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (١١ ، ١٢) .

(٢) « فريدة النقاش » : « حدائق النساء » : صـ (١٢٥) .

وتقول د « نوال السعداوي » : « علاقة السُلطة بالجنس علاقة قديمة منذ ما سمى في التاريخ بالنظام العبودي ، أو النظام الطبقي الأبوي ، تحولت المرأة إلى أجيرة بلا أجر تعمل في البيت أو في الأعمال الجسدية التي لا تتطلب الفكر أو الكتابة [١]، كما تقول : « لعل أهم عبارة كتبتها « سيمون دي بوفوار » في كتابها الجنس الآخر (١٩٤٩) هذه العبارة : المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة » .

معنى ذلك : أن المجتمع هو الذي يصنع شخصية المرأة وصفاتها الأنثوية وليست الطبيعة أو البيولوجيا .

استطاعت هذه الفكرة أن تهدم فكرة سابقة عليها كان يتبناها « فرويد » تقول : إن الطبيعة أو البيولوجيا هي التي تحدد مصير الإنسان الرجل أو المرأة [٢].

والحقيقة أن المرأة تولد امرأة أي : بها خصائص الأنوثة ،فالطفلة بمجرد وقوفها على قدميها تقف أمام المرآة لتتزين ، وكأنثى ترتبط بوالدها أكثر من والدتها ، فالميل الفطري هو طبيعة ثابتة في كل جنس ، ولا يستطيع عالم كائنا من كان أن يجعل المرأة رجلا لها خصائص الذكورة الكاملة وأعضائها ، وإن جنح كل جنس لتقليد الآخر أصبح شاذًا ناقلاً للأمراض الخلقية والاجتماعية والجنسية .

وما يدعيه دعاة عمل المرأة وتحررها من نظام طبقي أبوي هو محض خيال ، لم يثبته التاريخ كحقيقة ويرجع التباين الواضح في النظرة إلى المرأة إلى أحكام الأديان السماوية ، وكذلك لعادات وتقاليد المجتمع،أما الأسرة ونظام قوامة الرجل،فليس له في ذلك شيء .

ويقول الكاتب « صلاح حافظ » موضحًا تشككه في هذه الادعاءات : « وقمة هذه التخمينات حتى الآن هي النظرية المعروفة باسم « الحق الأموي » ،وهي تتلخص في أن الجسر الذي عبر عليه الإنسان من البدائية إلى الحضارات الأولى كانت تحكمه المرأة ، وكانت صلاتها الجنسية على هذا الجسر مشاعية ، ونسلها ينسب إليها وإلى عشيرتها ـ أي: أن الرجل كان مجرد أداة للتلقيح ، لا شأن له بالنتائج ،ولا سلطان له على الثمار ، ولا سلطان له على شيء أصلاً في المجتمع !

والنظرية كما نرى غريبة ، ومثيرة ، ولكن هل هي صحيحة ؟ الله وحده أعلم !

---

(١) د « نوال السعداوي » : « توأم السلطة والجنس » : صـ (٥) .
(٢) « قضايا المرأة » : صـ (١٣٢) .

فيوم ظهرت هذه النظرية في منتصف القرن الماضي في سويسرا أيدها العلماء المحافظون ؛ لأن صاحبها « جوهان باشوفن » كان من أقطابهم ، ثم أيدها الثوريون ؛ لأنَّ المفكر الاشتراكي العظيم « فردريك أنجلز » حولها إلى سلاح في معركة تحرير المرأة ، واستند إليها في إثبات أن سيادة الرجل ليست ضرورة تفرضها الطبيعة ، وإنما مرحلة عابرة في التاريخ سبقتها مرحلة كانت المرأة فيها هي السيد ، ويمكن أن تتلوها مرحلة يتساوى فيها الجنسان ،ولكن لا الثوريون ولا المحافظون قدموا ـ حتى اليوم ـ دليلاً علميًا قاطعًا على صحة ما يقولون .

غاية ما أثبتوه ـ من استقراء حياة القبائل البدائية ـ هو أن الإنسان قبل عصر الحضارة كان ينتسب إلى أمه ،والانتساب للأم ليس معناه بالضرورة سيادتها . وحياة القبائل التي ما تزال بدائية تقدم أدلة كثيرة على ارتفاع مقام المرأة ، ولكنها تقدم أدلة بنفس الكثرة على ارتفاع مقام الرجل ، ومن الموازنة بين هذه الأدلة ،وتلك لا تخرج إلا بما خرج به الأستاذ الإنجليزي « المعاصر » « بروتسلاف مالنوفسكي » حين قال :« باعتباري من الذين يسمونهم « نخبة العالمين » في هذا الموضوع ، أستطيع أن أقرر أنني في كل مرة تناقشت فيها مع بقية النخبة ، خرجت بنتيجة واحدة ، هي أن محدثي لا يفهم شيئًا على الإطلاق ، وبقيني أن كلامهم خرج في كل مرة بنفس الإحساس تجاهي » !

إذن لا جدوى من مواصلة التسكع حول هذه الفجوة الغامضة من التاريخ [١].

هذا ، وكان رد العلامة « محمد فريد وجدي » على « قاسم أمين » ورفاقه :

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر بعد إيرادها تلك الأدوار الأربعة ما نصه بالحرف الواحد : «ومن هنا يتضح أنه وجد عصر كانت فيه قوانين الأسرة غير معروفة ،وفيه كانت المرأة حرة من كل قيد ومستقلة تمام الاستقلال (تأمل جيدًا) ،ومع ذلك ،فإنها كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى ، فلما تكونت الأسرة تغير حال المرأة كل التغيير ؛ لأنَّها بمجرد دخولها الأسرة تنازلت عن استقلالها ،ولكنها اكتسبت في مقابل ذلك مركزًا معنويًا لم يكن لها من قبل » انتهى .

من هذه المشاهدات الاجتماعية نعلم أن المرأة في دور الاستقلال كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى ، وبناء عليه ، فإن أرادت المرأة أن تكون كذلك باسترداد استقلالها ثانية فلتفعل [٢].

(١) « صلاح حافظ » : « الكتاب الذهبي » : صـ (٢٤ ، ٢٥) ،روزاليوسف .
(٢) « موسوعة القرن العشرين » : صـ (٦٠٨) .

ويوضح « محمد فريد وجدي » أن الهدف من هذه الادعاءات هو هدم نظام الأسرة بإلغاء الزواج ، فيقول : « قالت مجلة المجلات « مجلد ١٨ » ما يأتي : إن الزواج الذي كان آباؤنا يعتبرونه ضروريًا يظهر أنه قد صدم صدمة شديدة في كل جهة ، فإن الرقي العقلي الذي نالته المرأة وامتداد حقوقها يومًا بعد يوم وغرامها الشديد بمساواة الرجل في حقوقه وإفراطاته كل ذلك يهدد مدركاتنا التي ورثناها على الزواج » ثم قالت : « إن رفض الناس للزواج ومحبتهم للطلاق ، وهما الأمران اللذان ينتشران يومًا فيومًا ، في أمريكا ، وفي كل الممالك الأوربية ، ثم إن كل هذه الاعتصابات النسوية تشعر بمرض يجب أن يتنبه إليه المشترعون » انتهى (١).

٢ ـ الادعاء بحرمان المجتمع تعليم المرأة وعملها :

تقول د « نوال السعداوي » : والحقيقة أن الذي يستنفذ إمكانيات المرأة ويعطل قدرتها الذهنية عن النمو الطبيعي ، المجتمع والأسرة والقوانين التي تمنع المرأة من التعليم أو تحول بينها وبين التعليم المستقر وتحول بينها وبين تنمية قدرتها الذهنية بحجبها في البيت ، زوجة وخادمة لزوجها وأطفالها ، ومنعها من العمل والمساهمة في الأنشطة العامة ، إن نجاح المرأة في المجتمع معناه أن تنجح في غسل الصحون ، ورتق الجوارب ، والطبخ وكيفية الاحتفاظ بالزوج ، إن النجاح الفكري للمرأة أو الذكاء أو التفوق كلها تعتبر عيوبًا بالنسبة للمرأة المكتملة الأنوثة !

ونحن نقول : إن إعداد المرأة لتكون زوجة صالحة وأم مربية فاضلة بارة يستلزم دراسات علمية واجتماعية ودينية كثيرة ، منها : مبادئ التمريض وأصول التغذية ، ومبادئ الرياضيات ، والكمبيوتر حاليًا ، والدراسات اللغوية والجغرافية والتاريخية والدينية ،وكلها مجال واسع للإبداع ، إضافة لضرورة تعليم النابغات لخدمة المجتمع خارج البيت كطبيبة للنساء في شتى التخصصات ، ومدرسة للبنات في شتى مراحل التعليم ، وكل هذه الأعمال لا تمنع المرأة من تذوق العلم والنجاح في الإبداع ، ولا ننسى دور المرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة للدين (٢).

٣ ـ الادعاء بحرمان المجتمع للكثير من الحريات :

تقول د « نوال السعداوي » : « وحين يسمح المجتمع للمرأة أن تعمل فهو يشترط ألا

---

(١) « موسوعة القرن العشرين » : (٦٠٨) .
(٢) « الأنثى هي الأصل » : صـ (١٦٢) .

يتعارض عملها عن واجبها الأول في الحياة « زوجة وأم » ، بل أن خروج المرأة للعمل ليس - في منطق المجتمع - من أجل أن تنمى قدرتها الفكرية وترضي طموحها الإنساني والفكري ، وإنما من أجل أن ترفع المستوى الاقتصادي للأسرة الأبوية ، وأن تساعد الأب في النفقات ، وتساهم في دفع مصاريف المدارس ؛ ولهذا يسمح المجتمع للمرأة العاملة بحريات معينة ويحرمها من حريات أخرى ، إنه يمنعها من التطور الفكري المستمر أو الوعي المتزايد وإلا اكتشفت الظلم الواقع عليها ، ومن هنا ذعر المجتمع وقسوته على أية امرأة تظهر مزيدًا من الوعي ومزيدًا من الذكاء أو التطور الفكري (١).

ونحن نقول: من الطبيعي أن يحرص المجتمع على ألا يتعارض عمل المرأة خارج بيتها، وهو الاستثناء مع الأصل وهو عملها داخل بيتها، وإلا أجهدنا المرأة وظلمناها بالعمل مرتين في آن واحد .

وعمل المرأة لمساعدة أسرتها اقتصاديًا هو واجب شرعي وإنساني عليها ، كما هو واجب وفرض على الرجل ، والمجتمع لا يمنع المرأة من الإبداع أو التطور الفكري إلا لو كان شاذًا غريبًا ، يأمر بمنكر وينهى عن معروف .

والإسلام هو الدين الوحيد الذي بدأ كتابه المقدس « القرآن الكريم » بالدعوة إلى العلم قبل ذكر اسم الله ، فأول آية أنزلت ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥] ، فقد ورد الأمر بالقراءة مرتين ثم أداة التدوين والكتابة مرة واحدة « القلم » وثاني سورة أنزلت في القرآن هي سورة القلم ، وأول آياتها ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾، فأوضحت أداة الكتابة وكيفية الكتابة ﴿ مَا يَسْطُرُونَ ﴾ .

والتعليم ليس حكرًا على الذكور فقط في الإسلام ، ولكنه يتضمن كل من الذكر والأنثى لقوله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » (٢).

والعلم هنا يشمل سائر العلوم التي يجب على المرأة تعلمها للارتقاء بمستواها الفكري والثقافي والحضاري ، لاكتساب المهارات والمعارف التي تمكنها من رعاية أسرتها ، أو العمل خارج المنزل وفقًا للحاجة أو الضرورة (٣).

(١) « الأنثى هي الأصل » : صـ (١٧٤) .
(٢) « الحديث » : متفق عليه .
(٣) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (١٤٨) .

والتعليم الابتدائي « الأساسي » السليم للنشء ، هو ما يحيي في قلبه الإيمان بالله وحُسن العبادة والتمسك بأخلاق الإسلام التي لن تزان الدنيا إلا بها ؛ ولذلك حرصت المؤمنات الأوائل على هذا التعليم ، فقد روى البخاري ومسلم : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال ﷺ : « **اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا ، فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله** »[1].

والحق أن الإسلام قد اعترف بحق البنات في التعلم إلى أقصى حدود العلم ، فتعلمت البنت التعليم الابتدائي [2]، واستمرت في التعلم وطلب العلم ، حتى وصلت إلى التعليم العالي ، فدرست المرأة المسلمة الأدب والدين والطب واشتغلت بالقضاء ، واشتركت في الشؤون السياسية ،فكان منهن الأستاذات والمدرسات للإمام الشافعي ، وابن خلكان ، وأبي حيان ، وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين .

قال الرسول ﷺ: « **من كان له ثلاث بنات ، فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله من فضله أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة** » .

ولا ريب أن من الإحسان إليهن حسن تربيتهن تربية دينية وعلمية وعملية ومنزليه وخلقية .

ثالثًا : ادعاء ظلم الحكام للمرأة بمعاونة رجال الدين :

من أهداف دعاة عمل المرأة - بلا ضوابط - إقناع الحكام وذوي السلطة والسلطان أن عمل المرأة ومساواتها بالرجال في كل مجال سواء يناسبها ويحقق سعادتها ، ويفيد المجتمع أم لا ، هو من العدالة المطلوبة وأحد وجوه الديمقراطية ؛ ولذلك فهم يربطون بين ظلم الحكام في الحكم ، وظلم المرأة تبعًا لذلك .

١ - ظلم الحكام للمرأة :

وقد بدأ «قاسم أمين» هذه الادعاءات منذ قرن مضى ، فقال : « مبدأ تشكيل الحكومة

---

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (١٤٧ ، ١٤٨) .

(٢) « محمد عطية الإبراشي » : « عظمة الإسلام » ، جـ (٢) ، صـ (٢٦٧ ، ٢٦٨) ، مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠٢) م ، لم تعمل المرأة قاضية تصدر أحكاما في الإسلام بتاتًا ، ولكنها كانت عالمة تفتي في أحكام الدين ، ولم تعمل بالسياسة والثابت أن السيدة عائشة أم المؤمنين أخطأت في التدخل السياسي بين علي - كرم الله وجهه - ومعاوية !!!

كان على صورة العائلة ، والحكومة التى تؤسس على السلطة الاستبدادية لا ينتظر منها أن تعمل على اكتساب المرأة حقوقها وحريتها .

هذا الضرب من الحكومة الاستبدادية هو أول حكومة سياسية ظهرت في العالم ، وقد اضمحل ثم زال بعد أن قام أجيالاً في البلاد الغربية ، وحل محله النظم الدستوري المؤسس على أن الحاكم ليس له حق الأشخاص ولا على الأموال إلا ما تفرضه القوانين.

ولكنه لا يزال سائدًا في الشرق بعامة حيث ترى سكان الصين ، والهند ، وبلاد العرب ،والترك ، والعجم خاضعين إلى سلطة حكومة لم تتغير عما كانت عليه من آلاف السنين [١].

كما تقول : انظر إلى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم ، فهو ظالم في بيته مظلوم إذا خرج منه .

ثم انظر إلى البلاد الأوروباوية تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية ، فارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من اعتبار وحرية الفكر والعمل [٢].

ونحن نقول : كانت الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها حين قامت على العدالة المؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومع ذلك كانت حرية المرأة في العمل مقننة وفقًا لأحكام الإسلام ، ولم تصل أبدًا لدرجة التسيب واللامبالاة كالغرب الآن ثم نحن من بعده الآن مجبرين أو مختارين .

وتقول د « نوال السعداوي » عن العلاقة بين الدين والسياسة : « يدلنا التاريخ على أن الأديان كانت في خدمة الأنظمة السياسية والاقتصادية وليس العكس ، بدليل ما حدث للأديان من تغيرات مع تغير الأنظمة السياسية ، إن معظم المؤسسات الدينية عادة ما تتبع الحكومة في ظل النظام الملكي أو الجمهوري على حد سواء ، وكم اجتهد رجال الدين أو المشايخ لإعادة تفسير الآية القرآنية حسب توجيهات الحاكم وأعوانه ، وفي تونس : ألم تلعب توجيهات « الحبيب بورقيبه » في تغيير بعض أحكام الشريعة ،ومنها : تعدد الزوجات وقانون الإرث؟! وهل الشريعة الإسلامية التي تحكم اليمن أو المملكة العربية السعودية هي نفسها الشريعة التي تحكم مصر أو تونس أو المغرب ؟! [٣].

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (١٤٥) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٤) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (١٠٠) .

ونحن نصحح لها بعض مقاصدها، فنقول : « لم تكن الأديان أبدًا في خدمة الأنظمة السياسية ، ولكن الصحيح أن القوى السياسية تحاول جاهدة ـ إذا كانت علمانية ـ أن تضغط على رجال الدين وعلمائه لتفسير وتأويل بعض الأحكام لصالح أغراضهم الخاصة، فالدين لم يتغير؛ لأنَّه محفوظ بأمر وعناية الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

والعلماء بشر، منهم من يبيع الدنيا من أجل الدين، ومنهم من يبيع نفسه ودينه، ومهما طال ظلم الحكام ، فإنهم سيذهبون ويكونون ذكرى إلى حين ، ثم عدم بعد ذلك ، ويبقى الدين كاملاً . . ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧] .

وكم جاهد العلماء ضد رغبات الحكام وذاقوا وبال السجن والجَلد والموت في سبيل مقاومة هذه الرغبات .

فبالأمس عانى أئمة الإسلام أصحاب المذاهب الأربعة من اضطهاد الحكام ، فحُبِسُوا وجُلِدُوا وعُذِّبُوا ومات بعضهم من العذاب ، ولم يتخل أي منهم عن الصواب أبدًا إكرامًا لحاكم .

ولا شك أن كل ما سبق تم دون اعتبار لرأي علماء الدين الحقيقيين الذي لا يبيعون الآخرة بالدنيا ، ويمكن أن يتم تحت سمع وبصر من وصفهم أ.د « يوسف القرضاوي » : أولئك المشايخ المتمسحين بالسلطة ، المقيدين بسلاسلها ، سواء كانت سلاسل الخوف أم سلاسل الطمع ، وقد رأيت هؤلاء ترتعد فرائصهم ، وتصطك أسنانهم ، خوفًا أن تعاقبهم السلطة على ضعف موقفهم مما سمعوا « كان فضيلته قد هاجم نظام تونس العلماني ـ فلهذا حاولوا أن يثبتوا براءتهم ، وأن يتنافسوا في الرد والتعقيب على بحثي « بحث في العلمانية المتطرفة » ، فلم يجدوا شيئًا يقولونه أو ركنًا يستندون إليه ، ولا برهانًا يعتمدون عليه ، ولقد ذهب ضحية هذه المعركة ـ فيما يبدو ـ صديقنا العالم الكبير الشيخ « مختار السلامي» وأعفى من منصبه « المفتي التونسي » [1].

ونحن نقول : ما زال المسلسل مستمرًا ، فأصبحت معظم الدول العربية والإسلامية تغير شرائع الدين دون موافقة لآراء علماء الدين الأسوياء ، وبالاستعانة بأصحاب الأطماع منهم ، وحاليًا يتم الاستغناء عن أولئك ، وهؤلاء عن طريق إنشاء مجلس قومي لـ . . . ، يعطيه القانون الحق في سن ما يشاء من قوانين علمانية دون نظر لرأي الدين أو موافقة من المجالس النيابية .

(١) « التطرف العلماني في مواجهة الإسلام » : صـ (٧ ، ٨) .

وعلى ذلك فقوانين اليوم الخاصة بأحكام الأسرة والمرأة ليست من الإسلام ، وأغلب الحكام مجبورون عليها ، والقلة منهم يباركها وهم من وصفهم الله تعالى ، فقال : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٥] .

وكم من عالم دين مصري هاجر البلاد حتى لا يبيع دينه أو يفتي فتاوى تخالف شرع الله ، والكثير منهم مات في منفاه الإجباري أو الاختياري ولم يندم قط عن موقعه ، ونحن نعترف بما قام به « الحبيب بورقيبه » من تغيير لأحكام الشريعة بالضغط والإكراه لرجال الدين ، وبدن رضاهم أو موافقتهم لإلغاء الأحكام المنظمة لحقوق المرأة في الإسلام، وهذا ما نراه اليوم في أغلب الدول العربية والإسلامية تنفيذًا لمخطط إرهابي فكري وديني يقوم به الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وإما التنفيذ الجبري أو الحرب والإبادة واستعمال اليورانيوم المخصب الذي يقتل البشر بسهولة ويسر ، وفي صمت رهيب ، كما حدث في غزو واحتلال العراق وسقوط بغداد [١].

وحتى يصل « بورقيبه » إلى مبتغاه ، وهو إلغاء أحكام الدين الإسلامي قام بعدد من الإجراءات التعسفية ضد العلم والعلماء منها [٢]:

- وضع مجلة الأحوال الشخصية : وهي تتضمن عددًا من القوانين المناقضة للشرع الإسلامي .
- إغلاق جامع الزيتونة الأعظم ـ وهو أعرق جامعة إسلامية .
- وحظر التعليم الشرعي فيه بموجب أمر عام (١٩٦١) .
- حل كافة الأوقاف ، الموقفة على جامع الزيتونة .
- الدعوة إلى تحريم صوم رمضان، بدعوى أن الصوم يقلل الإنتاج، ويعوق تقدم تونس.
- الطعن في القرآن ووصمة بالتناقض واتهام الرسول ﷺ بجمع الخرافات .

(١) أوضح الكاتب والمحلل السياسي الكبير أ « محمد حسنين هيكل » أن أمريكا أرسلت (١١٠٠٠) جندي أمريكي للعلاج من تأثير ما استعملته من أسلحة ذرية محرمة ضد قوات العراق لتحقق سقوط بغداد ، وذلك في حديث لمحطة تليفزيون الجزيرة ، ونشر بجريدة الأسبوع المصرية .

(٢) أ . د « يوسف القرضاوي » : « التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ، نموذج تركيا وتونس » : صـ (١٤١ ، ١٤٣) ، أندلسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٠) .

ـ اتهام شرع الله تعالى بالنقص .

ـ التوقيع على معاهدة نيويورك ، المتعلقة بحرية الزواج بغض النظر عن الموانع الشرعية[١] .

واختلاف أحكم الشريعة في كل قطر إسلامي ، ترجع بصفة عامة إلى اتباع مذهب ديني من المذاهب المعتمدة عن المسلمين ،وكون تلك المذاهب مختلفة في فروع الأحكام ، فإنها جميعًا متفقة على الاتحاد في الأصول المستمدة من القرآن والسنة ، وهو أمر يوافق كافة القوانين الوضعية ، فكون القانون الفرنسي يختلف في بعض الأحكام عن القانون الإنجليزي أو الأمريكي ، فهذا لا يعني فسادهم جميعًا .

ونحن نري أن كثيرًا من التشريعات القانونية تختلف اختلافًا بينا من ولاية إلى أخرى في أمريكا ، حتى في قوانين المرور والقوانين الرياضية ، ومع ذلك فالكل يشيد بالديمقراطية والعدالة الأمريكية ـ داخل أمريكا فقط .

كما تقول د « نوال السعداوي » عن خدمة رجال الفكر للحكام: « ولا يختلف علماء النفس كثيرًا عن رجال الدين فى عـلاقتهم برجال السـلطة،وكم تتغير سيكلوجية الطفولة ، وسيكلوجية الأمومة والأبوة حسب النظام الاقتصادي السائد حينما لا يحتاج المجتمع إلى سواعد النساء بسبب توافر سواعد الرجال والأيدي العاملة،فإن بقاء المرأة في البيت وتفرغها لرعاية أطفالها يصبح ضروة لصحة الأطفال النفسية ، وأيضًا لصحة الأم النفسية وحسب مقتضيات سيكلوجية الأنثى الطبيعية ، فإذا ما نشبت الحرب وامتصت الأيدي العاملة من الرجال وأصبح المجتمع في حاجة إلى سواعد النساء إذا بعلماء النفس يسرعون في تقديم نظريات جديدة ويصبح غياب الأم في المصنع أو العمل مفيدًا لصحة الأطفال النفسية ، وأيضًا لصحة الأم النفسية ، وأن العمل ضرورة نفسية للمرأة كالرجل تمامًا ، وهكذا » .

والكاتبة هنا لا تعترف بشروط عمل المرأة ، ومنها : حاجة المجتمع الشديدة لذلك .

ولو أن علماء النفس وعلماء الفكر وعلماء الاجتماع استقوا أفكارهم من القرآن الكريم والشريعة الإسلامية لما تبدلت الأحكام بتبديل الحُكام والسياسات .

(١) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٢٠٥).

المبحث الثاني
ادعاء تفوق الأنثى على الذكر

يحاول الدعاة لعمل المرأة المنادين بمساواتها الكاملة الشاملة في كل شيء ، إثبات أن المرأة أقوى من الذكر وأصلب عزيمة ، وأقدر على التكيف مع الحياة وتذليل صِعَابها ويستدلون بما يلي :

أولاً : ضعف الذكور أمام الأمراض وقلة أعدادهم :

تقول د « نوال السعداوي » : « إن عدد الذكور الذين يولدون في كل أنحاء العالم يفوق عدد الإناث (١٠٦) ذكر لكل (١٠٠) أنثى ، ومع ذلك ، فإن عدد الذكور يتساوى مع عدد الإناث في سن الخمسين في البلاد الصناعية المتقدمة ، أما في البلاد الزراعية المتخلفة نسبيًا ، فإن عدد الذكور يتساوى مع عدد الإناث عند سن الخمسة والعشرين ، وفي سن الثمانين لا يبقى على قيد الحياة سوى سبعين رجلاً لكل مائة امرأة .

ولكن عند دراسة حالات الإجهاض اتضح أن نسبة الأجنة الذكرية تفوق بكثير الأجنة الأنثوية ، وهكذا عند الولادة نجد أن عدد المواليد الذكور يفوق الإناث بنسبة تتراوح بين (١٢٠ : ١٥٠) ذكر إلى (١٠٠) أنثى .

وترجع هذه الكثرة إلى محاولة الطبيعة لتعويض الكثرة التي تحدث في وفيات الذكور في كل مرحلة من مراحل العمر ، أي : أنها عملية تعويض طبيعية تهدف إلى سد الثغرة الناتجة عن ضعف الذكور النسبي أمام المرض والموت [١].

والإفتراض صحة هذه الأرقام ، فإنها تعبر عما يلاقيه الذكر من جهد ومشقة في الحياة لإلقاء مسئولية العمل والكد والشقاء عليه ، كما أنه أكثر عرضة للتعرض للأمراض المعدية والأوبئة ؛ لأنَّه خارج البيت لمدة أطول من المرأة ، ناهيك عن حوادث المرور وغيرها [٢].

ثانيًا : قِصَر عمر الرجل مقارنةً بالمرأة :

قد أثبت العلم الحديث أن المرأة أطول عمرًا عن الرجل (٧) سنوات في المتوسط .

(١) « المرأة والجنس » : صـ (٧٤ ، ٧٥) .

(٢) هناك تناقض فيما أوردته من بيانات ، ففي صدر الفقرات عدد الذكور عند الولادة (١٠٦) لكل (١٠٠) أنثى ، ثم بعد ذلك (١٢٠ : ١٥٠) ذكر لكل أنثى !!! أيهما نصدق .

وقد فُسرَ قصر عمر الذكور النسبي بأن الرجال يتحملون من أعباء الحياة أكثر مما تتحمله النساء ، ولكن اتضح خطأ هذا التفسير بعد إجراء بحث استقصائي بين ثلاثين ألف راهبة وعشرة آلاف راهب ، يعيشون نفس الظروف المادية والاجتماعية والمعنوية [1].

ونحن نقول : بافتراض صحة هذه الإحصائية ،فهي غير دقيقة ؛ لأنّ الرجال والنساء يدخلون الرهبنة بعد سن البلوغ ، وفي سن الشباب ، ومعنى ذلك :إهمال ما قد يكون من مؤثرات ومؤشرات صحية قبل الرهبنة .

وقد يكون لطول عمر النساء عن الرجال حكمة إلهية ، وهي الاستفادة الإنسانية من حنان وبر وتضحية المرأة لتربية الأبناء والأحفاد ، فهي أكثر عطاءً من الرجل ، هذا ، وقد انخفض عمر المرأة نتيجة خروجها للعمل .

ثالثًا : نضج المرأة الجنسي قبل الرجل :

تقول د « نوال السعداوي » : « وفقًا لأبحاث العلماء ، فإن الأطفال البنات يتكلمن قبل الأطفال الذكور ، وأن البنات يتقدمن في النمو أسرع من الذكور » [2].

وهذه حقيقة لا جدال فيها ، وربما ما نراه من تدليل و« ملاغية » للبنات في الصغر مما يؤدي إلى تفاعلها مع المحيطين بها ، ومحاولتها الكلام قبل الذكور .

ولنمو البنات وبلوغهن سن الزواج « الإخصاب » مبكرًا غاية إلهية ، وهي سرعة إعداد البنات للحمل والولادة مقارنة بالذكور ، وغالبًا يرغب الرجل من الزواج من فتاة تصغره سنًا ، وإن بلغت البلوغ والمحيض قبله .

ولا يجب أن نتناسى أن النساء يصلن لسن اليأس «عدم الإنجاب» قبل الرجال بسنوات.

إذن سرعة نمو البنات ليست بميزة تفضيل عن الرجال .

رابعًا : ادعاء مسؤولية الذكور عن الحوادث والجرائم وأغلبهم مرضى نفسيين :

يتعمد البعض الإساءة للرجال اعتقادًا منهم أن في ذلك رِفقة للنساء ، فتقول د « نوال السعداوي » : « تشير نتائج البحث الطبية الاجتماعية أن تفوق الرجال على النساء لم يكن إلا إشاعة من صنع الرجال أنفسهم، فالأطفال الذكور هم الضحايا الأساسيون في الحوادث القاتلة ، لم يقل سنهم عن (١٥) سنة (٦٨ ٪) ، أما في البالغين ، فإن النساء لا

(١ ، ٢) « المرأة والجنس » : صـ (٧٥) .

يتحملن سوى مسؤولية (١٠ ٪) من حوادث الطريق (٦ ٪) من الحوادث القاتلة أثناء قيادة السيارات ، كما أنهن لسن مسؤولات إلا عن نسبة ضئيلة جدًا من حالات التشرد والإجرام (١,٥) من أحكام الحبس ، (١٠ ٪) من الغرامات أو الأحكام بوقف التنفيذ، أقل من (٣ ٪) من الجنح الخاصة بالسكر ، حالات الانتحار بين الرجال تفوق النساء بمقدار (٣ : ٥) أضعاف حسب اختلاف البلاد ، عدد إصابات قرحة المعدة للرجال (٣) أضعاف النساء [١].

كما تقول : « عدد الرجال الذين يعالجون نفسيًا في مستشفيات الأمراض العقلية يفوق بكثير عدد النساء » [٢].

ونحن نقول : بافتراض صحة هذه البيانات ،وهي أقرب للواقع الذي نشاهده ونحياه، فمرجع ذلك هو زيادة نسبة الرجال عن النساء في قيادة السيارات ، فكان من المفروض أن ينسب عدد الحوادث لكل جنس بالنسبة لعدد مزاوليه ، ففي مصر مثلاً : عدد الرجال الذين يقودون السيارات عشرة أضعاف النساء ، وبالتالي فالمفترض أن حوادث السير والمرور والسيارات لابد أن تتزايد بالنسبة للرجال مقارنة بالنساء ، ويلاحظ أن الكثير من الرجال يحاولون تقديم أنفسهم كبش فداء لبعض حوادث النساء حتى لا يعرضوهن لمهانات الحبس، والسجن ، والمحاكمة وغير ذلك .

أما حالات الجرائم والسجن فأكثرها إما بسبب المرأة أو بتحريض من المرأة ، وكذلك حالات الأمراض النفسية والانتحار ، وصدق نابليون عندما قال : فتش عن المرأة في السجون ومستشفيات الأمراض النفسية .

وعلى ذلك ، فهذه الادعاءات ليست صادقة ، وإن صدق بعضها فلخير الإنسانية «سرعة نمو الأنثى » ، وبعضها نتيجة عمل الرجل وكده وشقائه .

---

(١) « المرأة والجنس » : صـ (٧٩) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٨٠) .

المبحث الثالث

أسباب استعباد الرجل للمرأة وظلمها ـ كادعائهم ـ

يرى دعاة عمل المرأة وتحررها أن هناك أسبابًا عدة تجعل الرجل يضطهد المرأة ، ويحاول استعبادها واستغلالها من هذه الأسباب :

أولاً : قمع المرأة جنسيًا :

يدعي هؤلاء ـ ظلمًا وعدوانًا ـ أن المرأة في الأصل كانت أقوى من الرجل جنسيًا بصورة فائقة ، فكانت نهمة دائمة الرغبة في تحقيق الإشباع الجنسي ، حتى أنها طورت نفسها تطورًا طبيعيًا ـ وكأنها تقدر على ذلك ـ فكانت لا تحيض ، وعلى ذلك فشل الرجل في إشباعها جنسيًا مما اضطره لقمعها جنسيًا في البيت لخدمته ورعاية الأطفال ليكسر شهوتها .

تقول د « نوال السعداوي » عن نظرية بيولوجية لباحثة تسمى « شيرفي » : « يتضح أنه في إناث الثدييات ، وفي النساء تطورت قدرة جنسية دائرية لا محدودة نتج عنها تلك الحالة المزدوجة المتناقضة ، وهي عدم الإشباع الجنسي مع وجود قمة الإشباع الجنسي ،وقد كان لهذه الحالة أهميته في تطور أرقى فصيلة من الثدييات إلى الإنسان .

إن الحضارة الحديثة قد قامت لأسباب متعددة ،لكن قيامها اقترن بقمع هذه القدرة الجنسية الدائرية في المرأة ؛ لأنَّ :

أ ـ ارتفاع درجة تركيز الهرمونات في المرأة البدائية بالإضافة إلى القدرة الجنسية العالية وفترة الحمل الطويلة ، كان دافعًا قويًا في أنثى الإنسان للتخلص من فترة الحرارة (Estrus) كفترة جنسية قصيرة ومحدودة ، وكذلك بل الأهم من ذلك التخلص من فترة الإرضاع اللاجنسية .

وهكذا أصبحت قدرة المرأة الجنسية مستمرة بغير انقطاع طوال الشهر ، وفي ظل القدرة العنيفة المستمرة لم يكن ممكنًا على الرجل أن ينشئ الأسرة وقيودها بغير أن يكبح جماح المرأة ، ويقمع هذه الطبيعة العنيفة ، ويفرغها لرعاية الأطفال ، وخدمته في البيت [١].

---

(١) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٦٧ ، ٦٨) .

ونحن نرد على هذه الخزعبلات الخيالية ، فنقول : « الإنسان خلق إنسانًا سويًا ،ولم يطرأ عليه تطور كما تدعي نظرية « فرويد » أو غيرها ، وليس في مقدور المرأة أن تطور نفسها بنفسها كما تدعي النظرية السابقة ، فتتحكم في الحيض والولادة والرضاع ، إن هذه النظريات كلها مجرد تخمينات تخيلية ، فلم يحضر أحد هذه العصور ، وليس من تراث هذه الحقبات البعيدة أي تسجيل كتابي أو حفريات تثبت هذه النظريات التي تتغير بتغير الموضات والموديلات .

ونسينا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإنسان: ٦ ـ ٨]، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤] .

كما يجب الإشارة أن الرجل لو أراد كبح جماح المرأة لجعلها تعمل خارج البيت ، فذلك أسرع لكبح جماحها وأجدى ـ وهو ما نراه اليوم ـ وفي جميع الأحوال ستحمل وتلد سواء في البيت أو خارجه .

ثانيًا : الخوف من المرأة وكراهيتها :

يدعي دعاة مساواة المرأة بالرجل أن قوة المرأة في الماضي السحيق العضلية والفكرية كانت تفوق الرجل مما جعل الرجل يخافها ثم يبغضها ويكرهها ، وتسترشد ببعض العادات المختلفة ، فتقول : « ولعل هذا الاعتقاد يتفق مع الاعتقاد البدائي بقوة المرأة ، وقد كانت الآلهة القديمة هي الأم والأنثى ، ولم تكن الآلهة الأم تمثل الأمومة الروحية ، ولكنها كانت تمثل الأمومة بمعناها الطبيعي البدائي ، إن الأم الإلهة القديمة كانت إلهة الأرض خصبة الأرض ، تخلق الحياة الجديدة وتغذيها ، إن هذه القوة الخالقة في المرأة ، وهي قوة بدائية هي التي ملأت الرجل بالإعجاب ، ومن المعروف علميًا أن الإنسان يعجز بحكم طبيعته البشرية أن يحتفظ بإعجابه بقدرة ما دون الشعور بالكراهية لهذه القدرة التي لا يملكها هو ويملكها غيره ،ومن المعروف أن الكراهية تولد الخوف أو أن الخوف يولد الكراهية ؛ ولهذا فإن خوف الرجل من قوة المرأة قديم قدم الزمن مدفون في اللاوعي يزداد حدة في فترة إخصاب المرأة ، ويظهر بوضوح عند القبائل البدائية .

إن بعض القبائل الإفريقية تؤمن بأن المرأة إذا خطت فوق ساق لرجل نائم ، فإنه يعجز جنسيًا ، وقبيلة « أرونتا » تعتقد أن المرأة يمكن بالسحر أن تجعل زوجها عاجزًا جنسيًا وتسقط عنه أعضاؤه التناسلية ، وهناك حتى الآن اعتقاد في الريف المصري بأن المرأة قد تعمل سحرًا لزوجها إذا هجرها ، فيعجز جنسيًا ، وإن سكان « ميري » في البنجال لا

يسمحون للنساء بأن يأكلن كالرجال لحم النمر خشية أن يصبحن قويات [١] .

أما أسباب هذه الكراهية ـ المزعومة ـ فتقول عنها د « نوال » [٢] : « ويعتقد « وورد » أن اكتشاف الرجل لأبوته التي ظلت مجهولة فترة طويلة هو الذي جعله يحاول تحقيق ذاته، وذلك بأن يثور على المرأة ويعزلها عن عرشها الذي هيأته لها طبيعتها البيولوجية ، وتشير معظم المصادر الأنثربولوجية عن هذه الفترة من تاريخ البشرية إلى تلك الكراهية المبكرة التي شعر بها الرجل نحو ملكته الأصلية وهي أمه ، وكان على هذه الأم بالطبع أن تفطمه ؛ لأنَّ المستقبل أمامهن كان مفتوحًا ليصبحن كأمهات النساء ذوات السلطة والحرية والاختيار ، أما الأولاد الذكور الصغار ، فكانوا على عكس ذلك ، يشعرون بوضعهم الطفيلي على الأم ، وحاجتهم الشديدة بها لتطعمهم ، ولم يكن أمام الذكور إزاء اختيار المرأة القوية الشكيمة العنيدة الممتلئة ثقة بنفسها ، والتي كانت بغريزتها الطبيعية ، لا تختار إلا أقوى ما ينتجه الجنس البشري من ذكور ، ولم يكن أمام الذكور في مثل هذه التربة النفسية إلا أن يشعروا بالكراهية والحسد لجنس النساء ، ويرجع بعض علماء النفس الذي احتاروا في معرفة أسباب تلك الكراهية الدفينة التي يظهرها بعض الرجال من المرضى « بالشيزوفرنيا » أن هذه الكراهية قد نبتت في أعماق ذكر الإنسان في هذه الفترة الأولى من حياة البشرية ، ويرجحون أيضًا في هذه التربة النفسية الأولى التي عاشها الذكر نبتت الجذور الأولى لتلك الظاهرة التي تسمى في علم النفس باسم « حسد المرأة » (Womak Envy) ، أو ذلك الحنين الدفين في نفس الذكر للأمومة ؛ ولأن يكون أنثى تحمل وتلد والذي يظهره بوضوح بعض الرجال المرضى بالانفصام أو الأمراض النفسية الأخرى ، وأيضًا الظاهرة المسماة ظاهرة (كوفاد Phenomenom Of Couvade) وغيرها من الظواهر النفسية التي صادفت معظم أطباء وعلماء النفس بين حالات الرجال ، حين يشعر الرجل بالحنين إلى أن يكون امرأة أو يحاول ذلك فعلاً .

ونحن نقول : لقد كانت العقائد القديمة تمجد المرأة وتشركها في الألوهية ،ولكن كان الإله الرجل هو المسيطر وتعيش الإلهة الأنثى في كنفه ، وتحت وصايته ،وفي ركب طاعته، فعلى أي أساس يحقد الرجل على المرأة ؟! ، أمَّا عن انتشار بعض العادات والأفكار الغريبة في القبائل البدائية المتخلفة ، فهذا دليل تخلف وليس دليلاً على قوة

---

(١) « المرأة والجنس» : صـ (٨٦ ، ٨٧) .

(٢) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٥٥) .

المرأة ، ومعلوم أن تلك الإلهة المزعومة لم تخلق حتى الخيال ، ولكن خلقها خيال الإنسان المتخلف .

ثالثًا : بدء نشوء نظام الأسرة الأبوية :

يدعي دعاة المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة أن علاقة الرجل الجنسية بالمرأة ، لم تكن بهدف اللذة الجنسية أو الإنجاب ،ولكنها كانت رغبة عدوانية لامتلاك المرأة وانتزاع السلطة والقوة منها ، فتقول د « نوال السعداوي » : ويبدو أنه منذ البداية لم يكن سعي الرجل إلى المرأة لأخذها بالقوة أو اغتصابها ، بسبب حبه لها أو حبه في إنجاب الأطفال بل كان رغبة عدوانية « سادية » للانتقام وانتزاع السلطة منها ، ومعنى ذلك أن الدافع إليها لم يكن هو الحب ، وإنما كان الحاجة إلى امتلاك هذه السلطة ، وقد وجد في الدراسات الأنثروبولوجية أن في هذه الآونة بدأت الملكية الخاصة .

ويشرح « وورد » معنى الملكية ، بأنها امتلاك الإنسان لاشياء تزيد عن حاجته ؛ ولأنَّ حاجة الإنسان تزداد بالتدريج ، فإن رغبته في امتلاك الأشياء تزداد ، ولهذا حاول ذكر الإنسان بعد انتزاعه السلطة من الأنثى وامتلاكه لها أن يمتلك عددًا من العبيد وقطعة أكبر من الأرض ، ومن هنا نشأت « الأسرة » .

وفي ضوء هذا التطور البيولوجي والاجتماعي والاقتصادي يرى علماء الأنثروبولوجيا أن « الأسرة » لم تنشأ بدافع حب الرجل للمرأة والأطفال ،وإنما نشأت بدافع الاستغلال الإقتصادي والطمع والكراهية ، ويرون بهذا أن غيرة الرجل على امرأته ، وفرضه عليها العفة والعذرية والوحدانية في الزواج لم تنشأ بسبب « الحب » ، وإنما بسبب الرغبة في الامتلاك والسيطرة ، وأوضح « أوجاست كومت » (Auguste Comte) أن كلمة « الأسرة» تعني في أصلها اللاتيني الخدم أو العبيد (١).

ويكتب « وورد » موضحًا هذه الحقيقة ، ويقول : « وهكذا يتضح لنا مهما بدت الأسرة في البلاد المتحضرة أنها في أصلها ومنشئها لم تكن إلا مؤسسة لاستعباد المرأة والأطفال أكثر فأكثر ؛ ولأنها قلبت الأوضاع الطبيعية التي كانت فيها الأم هي الملكة ، وهي التي تحدد من يكون الأب ، وهي التي تحمي الأطفال بحب الأم الذي وجد فيها بالطبيعة لهذا الغرض ، إن الأسرة البدائية لم تكن إلا عضوًا ذكريًا زائدًا ومتطفلاً على

(١) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٥٧ ، ٥٨) .

المجتمع الإنساني [1].

ونحن نقول : أقوال «وورد» ، و« كومت » مجرد نظريات لم يثبت صحتها ، ولم تصل لمستوى حقيقة علمية ، وبالتالي لا يعتد بها في تفسير الظواهر الاجتماعية .

ومعلوم أن نظام الأسرة من فطرة الإنسان السوية ، وأيضًا يشارك فيه الحيوان الراقي والطيور ، فهو طبيعة إلهية ، وليس ظاهرة لها أسباب اقتصادية ،ولا يوجد مجتمع إلا وهي أساسه .

رابعًا : اكتشاف أبوة الرجل المتأخرة :

يدعي دعاة المساواة أن الرجل لم يعرف طعم الأبوة إلا في زمن لاحق عندما استقرت الأسر وسيطر على المرأة، وبالتالي لم يعد الأولاد ينتسبون للأم لما كانوا ، وحب الامتلاك والاقتصاد هو الذي جعل الرجل يتمسك بالأبوة الناقصة .

تقول د « نوال »: « ويقول بعض علماء النفس إن الرجل لم يؤهل بطبيعته البيولوجية وبوظيفته الأساسية كمخصب للأنثى فقط أن يرتفع إلى إدراك معنى « الأبوة » نفسيًا وإنسانيًا ، لقد استطاع باكتسابه بعض القوة العضلية على الأنثى أن يخضعها ثم استطاع بطمعه الاقتصادي أن يمتلك العبيد ، وأن ينشئ الأسرة ، وكان مدفوعًا دائمًا إلى كل ذلك بأنانيته ورغبته في السيطرة ؛ ولهذا يقول هؤلاء العلماء أن الرجل منذ البداية لم يكن لديه أي إدراك عاطفي أو نفسي لمعنى « الأبوة » أكثر من إدراك « الجرو » أو « ديك الفراخ » لمعنى الأبوة ، بل إن رغباته البيولوجية والجنسية قد فشلت في فتح عينيه على الحاجة إلى الأبوة ، إن هذا الأب البدائي صاحب الأسرة البدائية كان يغضب حين تنشغل امرأته عنه بإطعام طفلها ، وكان لا يعنيه إلا أن ترضي المرأة حاجته إلى الطعام أو الجنس، وكان يعتبر الطفل الجديد مخلوقًا مفروضًا عليه ، ومعطلاً لأمه عن تلبية مطالبه ؛ ولهذا ضمر له الكراهية ، وفي بعض الأحيان كان يقتله ، وعرف التاريخ تلك الفترة حين كان الأطفال يقتلون بواسطة آبائهم بسبب عدم حاجتهم الاقتصادية إلى هؤلاء الأطفال .

ولعل هذا هو السبب في تلك الكراهية التي يخفيها أو يظهرها أحيانًا بعض الآباء المتحضرين في عالمنا هذا لأطفالهم ، ولا يبدأ الأب في إدراك معنى الأبوة نفسيًا وعاطفيًا إلا بعد أن يكبر الطفل ويصبح نافعًا اقتصاديًا ، ومعنى أن هذا الأب البدائي لم يكن « أبا »

---

(١) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٥٨) .

بالمعنى النفسي والإنساني الصحيح ، وأنه تخلف عن المرأة كثيرًا نفسيًا وإنسانيًا ، وأنه إذا كان هناك من هو « أسمى » من الآخر أو « أكثر تطورًا » نفسيًا وإنسانيًا ، فإنها المرأة وليس الرجل .

لقد كان الرجل بطيئًا في تطوره النفسي كأب ، وقد انشغل بنفسه وغرائزه عن أي شيء آخر ؛ ولهذا كان يكره أن تكون المرأة أمًا ، وإنما كان يريدها فحسب لتخدمه وتطعمه وتشبع رغبته الجنسية ، على عكس أمومة المرأة التي تطورت منذ البداية كشعور عاطفي إنساني ، والتي صمدت طويلاً بقوة وعنف أمام بطش الرجل بأطفاله وعدوانه الأناني المتخلف على الجنس البشري ذاته الذي ينتمي إليه ، وربما انقرض هذ الجنس البشري ذاته الذي ينتمي إليه بسبب عدوان الذكر لولا ذلك الصمود من المرأة وقوتها العظيمة السامية في المحافظة على النوع ، وهذا هو السبب في تلك الصيحة التي أطلقها العالم الكبير « ليستر وورد » حين قال :« إن هذه الظاهرة كلها المسماة تفوق الرجل أو سمو جنس الرجل على جنس النساء ليست إلا وصمة عار في جبين الإنسانية » .

وكان الرجل البدائي ، بسبب عجزه النفسي وتخلفه الإنساني عن الإحساس بمشاعر الأبوة ، كان يقتل أطفاله أو يستعبد الذكور منهم ويشغلهم كالعبيد سواء بسواء ، أما الإناث منهن فكان يستخدمهن كأدوات جديدة لإرضاء غريزته الجنسية ، لكنه ظل رغم كل هذا العدوان الاقتصادي والجنسي والذي أشعره بنوع من القوة على المرأة ، ظل يشعر في أعماقه العميقة أن هذه المرأة التي سلبها حريتها وسيادتها السابقة لا تزال هي الأقوى وهي الأسمى وهي التي تمتلك تلك القوة الفريدة من نوعها على البشرية الإنسانية جمعاء ، إنها هي التي تنجب الأطفال وهي التي تحبهم ، وهم يحبونها ويتشبثون بها ويكرهون الاقتراب منه ، إنه هو وبرغم أنه « السيد » فقد كان عاجزًا عن أن يكسب ثقتهم أو مشاعرهم أو شيئًا من ذلك الحب العارم الذي يكنونه لأمهم ، وهكذا فإنه لم يكن غريبًا أن يكره الرجل المرأة ويحسدها على هذا الحب الذي يحوطها وتلك المشاعر الدافئة والأمان والطمأنينة ومشاعر الإنسانية والحنان والنفس المعطاءة القادرة على أن تحب وعلى أن يحبها الآخرون ، لقد ظل الرجل عبر العصور المتتالية يحسد المرأة على كل هذا السمو النفسي والإنساني الذي عجز عن الوصول إليه رغم كل ما بذله من جهد وقوة وسيطرة وعلم وحضارة وتكنولوجيا ، ولم يكن في إمكان الرجل أن ينزع من نفسه ذلك الإحساس تجاه سمو جنس المرأة ، وإن حاول بمختلف العلوم والفنون أن يثبت العكس أحيانًا ، أو يقلب الأوضاع ويجعل من هذه القوة الأنثوية ضعفًا ، ويغير مسارها الطبيعي ، فبدلاً من أن تكون مصدرًا

لحرية المرأة وسيادتها تصبح عليها قيدًا وعبودية ، ولعل هذا هو السبب في تلك العبارة الشهيرة في تاريخ البشرية « ستلدين في الألم والأسى » ، ولعل هذا أيضًا هو سبب محاولة الرجل لانتزاع من المرأة صفة الولادة والإنجاب ، فهو تارة يلد المرأة من ضلعه (حواء من ضلع آدم) ، وهو تارة يلدها من رأسه « أتينا من رأس زيوس » ، ولعل هذا يفسر شيئًا من تلك الهلاوس التي يراها بعض الرجال المرضى بالعصاب أو الشيزوفرينا حين يخيل إليهم أن الجنين يولد من رأسهم أو من عضو التناسل ، وقد نستطيع في هذا الضوء أن نفهم كثيرًا من الأساطير التي سادت عبر العصور ،والتي نبعت من خيالات ذكر الإنسان بسبب الكراهية والغيرة والعجز النفسي عن الوصول إلى مرتبة المرأة [١] .

هذا ، ويرى هؤلاء الدعاة أن : بنشوء النظام الاقتصادي المقترن بنشوء الزراعة المستقرة بدأت ملكية الرجل للأرض واقترنت قوانين الملكية مع قوانين امتلاك الأطفال أو قوانين النسب ، التي أعطت النسب للأب ، ولم يكن لهذه الأسر الكبيرة العدد ، والتي لابد أن يعرف فيها الأب أن توجد وأن تستمر ، بغير أن تقمع تلك القدرة الجنسية اللامحدودة في المرأة [٢] .

ونحن نقول لهؤلاء : إن تصور وحشية الأب البدائي كقاتل لأبنائه ، هو محض خيال ارتبط في أذهان هؤلاء الفلاسفة ، بلفظ البدائية ، وكأنه من شروطها ولو حدث ذلك لانقرض الإنسان .

ولا يوجد سمو جنس على آخر ، ولكن وظيفة لكل منهما ، بإنجاب الأبناء ، ورعايتهم والتضحية في سبيلهم ومنجم البر والحنان المبذول لهم ، والذي لا ينضب للأم النصيب الأوفر منه ، أمَّا الرجل فهو الذي يعمل ويكدح ويشقى لتوفير الحياة اللازمة للأسرة ، والإنفاق على الجميع ، فله وظيفة تجعله يُحس بالسعادة ولا يحسد المرأة على الأمومة .

---

(١) « الأنثى هي الأصل » : (٥٨ : ٦١) .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (٦٨) .



الفصل الثانى

محاولة النيل من دور المرأة
كزوجة وأم

المبحث الأول : الاستهانة بوظيفة المرأة كأم والسخرية منها.

المبحث الثانى : الادعاء بأن عمل المرأة للمشاركة فى التنمية ومساعدة الأسرة .



الفصل الثاني
محاولة النيل من دور المرأة كزوجة وأم

توطئة :

أهمية دور المرأة كزوجة وأم للإنسانية :

الأم أجمل وأروع وألذ اسم تحمله امرأة ، وماما أول اسم ينطقه الوليد وأول وجه يرنو إليه في شوق وحنان ، وبالرغم من أن كل النساء لسن أمهات « مَن لم يلدن » ، إلاَّ أن كل الأمهات نساء ، ومن لم تلد فهي في داخلها أم ، ولن تضن بحنانها على طفل ، كأخ أصغر ، أو ابن أخ أو أخت ، أو حتى طفل لجارة ، أو لرفيقة طريق .

والأمومة هي أول وظيفة للبشر ، فآدم عليه السلام ، يعتبر أمًّا لحواء ولكنه لم يكن أمًّا كاملة ، فقد خلقت منه حواء أنثى بالغة ، ومن ثم لم يمر بأدوار الأمومة الكاملة .

أمَّا حواء فهي منذ بداية الخلق إلى نهايته هي الأم الحاضنة في الرحم ، والمربية خارجه .

فإن استقامت مهمة الأم استقام حال الأسرة فالمجتمع ، فالدولة ، فالإنسانية ، فالحضارات أساسها الأم الفاضلة والنكسات أصلها الأم المخزية .

فمن تهز المهد بيديها ، هي أم الملوك والسلاطين ، إن أصلحت وهي أم الرعاع ، والصعاليك إن أفسدت .

الأمومة خاصية نسائية للأنثى فقط ، بالرغم من أن لكل قاعدة بعض الأمور الشاذة أي : التي تخرج عنها وتعتبر استثناء لها ، إلا أن هذه القاعدة بالذات ليس لها أي استثناء، فلن يستطيع رجل أن يحمل ويلد ويرضع ، ولن تستطيع العصبة من الرجال أن يسهروا لرعاية وليد ، أو يهبوه من الحنان ما تهبه أم حانية .

ومهما انشغلت النساء بالأعمال ، فلن ينسيهن ذلك الأمومة ، وإن أضعن الكثير من واجباتها مع زحام ومشاكل العمل ومصاعب الحياة ، التي ابتدعناها لنسرق المرأة من بيتها كي تكون خادمة أو عاملة خارجه .

وعن أهمية تربية الأجيال تقول سمـو الشيخة « فاطمة بنت مبارك » : « إن هـم المرأة

الأساسي في العديد من المجتمعات العربية هو الحصول على حياة كريمة ، وعلى قوانين عادلة تنصفها وتضعها جنبًا إلى جنب مع الرجل ، لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال الإهمال في جوانب أساسية من حياتها ، فهناك مسؤولية مهمة وأساسية تقع على عاتق المرأة ، تتمثل بتربية أجيال المستقبل ، وهذه المهمة من وجهة نظري هي المهمة الأسمى والأعظم بالنسبة لنا جميعًا ويجب ألا يعوق المرأة أي شيء - مثل توليها مراكز وظيفية - عن القيام بواجبها الأساسي المتمثل برعاية وتأهيل جيل المستقبل .

ومهمة التنشئة تقع في الدرجة الأولى على عاتق المرأة ، وهذه المهمة هي الأسمى والأعظم ، فبدونها فإن المجتمعات تُصاب بالأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى الانهيار والتفتت .

وعلى النساء في وطننا العربي أمام هذا الواجب المقدس ألا يُعرن اهتمامًا لأي وصف يُطلق عليهن من نساء لا يفهمن المعنى الحقيقي للمساواة كأن يُقال « هذه المرأة ربة منزل تقليدية » أو غير ذلك من الأوصاف التي تهدف إلى التقليل من قدسية هذه المهمة العظيمة، فالأم هي المدرسة الأولى لكل المجتمعات (١).

هذا وجميع الأديان السماوية تؤمن بأهمية وظيفة المرأة كزوجة وأم ، فتقول التوراة :

« من يجد زوجة يجد خيرًا وينال رضى الرب » [الأمثال : ١٨ : ٢٢] .

« البيت والثروة ميراث من الآباء ، أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب »

[الأمثال : ١٨ : ٢٢]

« الزوجة الصالحة تاج يكلل رأس زوجها والمخزية كنخر في عظامه » [الأمثال:١٢:٤] .

وقد جعل الله الأمومة بركة وفضلا منه ، فقال لآدم وحواء :**« أثمروا ، وأكثروا واملؤوا الأرض وأخضعوها »** [تكوين : ١: ٢٨].

« حكمة المرأة تبني بيتها والحماقة تهدمه بيدها » [الأمثال : ١٤ : ١] .

أوضحت التوراة بجلاء أن مهمة المرأة هي البيت والإنجاب فجاء بها :**« تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك ، وبالآلام تلدين أولادًا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك »** [التكوين : ٣ : ١٦] .

وجاء بالإنجيل : **« أما المتزوجة فتهتم بأمور العالم ، وهدفها أن ترضي زوجها »**

---

(١) عن مقال بمجلة حواء المصرية : نشر في (١٨) شباط ، وجاء بمنار الإسلام ، وسموها حرم الشيخ « زايد بن نهيان » رئيس دولة الإمارات .

[١ كورنثوس : ٧ : ٣٤] ، ولا شك أن رعاية الأبناء هي أول من تهتم به الأم من أمور العالم[١].

وجاء بالإسلام عن وظيفة الأمومة ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] ، ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]، وقال الرسول ﷺ : « **والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهي مسؤولة عنهم** »[٢] .

والأمومة لا تحقق غايتها إلا بالزواج الصحيح ، وليس عن طريق الزنا ، فقد جاء بالتوراة : « **وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك** » [التكوين : ٣ : ١٦].

وجاء بالإنجيل : « **حسن للرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها** » [١ كورنثيوس : ٧ : ١ : ٢] .

وجاء بالإسلام : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[النحل : ٧٢].

وعلى ذلك : فالزواج الصحيح شرعًا هو بداية تكوين أسرة ، وهو أساس الأمومة الشامخ لبناء الإنسانية ، والواقع أن النظريات الإجتماعية تؤيد ذلك وتباركه .

نظرية « شيري أورتنر » (S. Ortner) :

يمكن تلخيصها في : « الناحية الفسيولوجية هناك ارتباط واضح بين المرأة ووظيفة استمرار النوع ، فهذه الوظيفة تربط المرأة بالطبيعة وتجعل إبداعها متمثل في إيجاد كائنات حية جديدة أقرب إلى العمليات الطبيعية ؛ لأنَّ المواليد في هذه السن المبكر يعتبرون كائنات طبيعية أكثر منها ثقافية .

وقد أوجد ارتباط عملية الولادة ورعاية الأطفال بالمنزل نوعًا من المقابلة بينه وبين المجتمع تماثل أيضًا المقابلة بين الطبيعة والثقافة بحيث أصبحت الأنشطة المنزلية تمثل نوعًا من الاهتمامات الجزئية الأقل رقيًا والتي تشغل بال النساء ،في حين ينظر إلى أنشطة الرجال

(١) انظر كتابنا : « الزواج والطلاق بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » : صـ (٢٠) ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الأولى سنة (٢٠٠٥) م .

(٢) رواه البخاري وأحمد .

خارج المنزل على أنها أكثر رقيًا » (١).

هذا من الناحية الفسيولوجية ، أما من الناحية السيكولوجية ، فقد استعانت « أورتنر» بنظرية « نانسي شودورو » (N.Chodorow) في إثبات أن البناء السيكولوجي للمرأة يساعد أيضًا على تأكيد الدعوى بأنها أقرب إلى الطبيعة منها إلى الثقافة ، فإذا كانت الطبيعة تتميز بالتعلق بالشخصيات أكثر من المجردات ، ما يجعلها أقرب إلى الطبيعة ؛وذلك لأن البنت منذ طفولتها ترتبط بأمها في صورة توحد أولي لا شعوري ثم في صورة توحد ثانوي شعوري على أساس أنها تمثل الشخص الذي يحدد لها نوعها ودورها المقبل ، أما الابن ، فإنه يتوحد بالأم توحدًا أوليًا لا شعوريًا في البداية ثم يحتاج إلى الأب ليتوحد معه توحدًا ثانويًا شعوريًا ، ولما كان الأب مشغولاً في نشاطه خارج المنزل ، فإنه لا يكون حقيقة مشخصة ماثلة أمام الابن مما يقتضي منه التوحد بصورة الأب المتمثلة في صفاته السلوكية وقيمه وتوجيهاته ، من ثم يدخل التجربة كحقيقة أساسية في بنائه السيكولوجي بعكس أخته (٢).

نظرية « بارسونز » :

تعتبر نظرية بارسونز عن أدوار الجنس (Sex Roles) من النظريات الثنائية فهي تقوم على الفكرة التقليدية بأن هناك أدوارا محددة للذكور وأخرى للإناث ، فلو نظرنا إلى تحليل بارسونز لبناء الأسرة الصغيرة نجده يرى أن في كل أسرة صغيرة ميل لظهور تباين في الأدوار ، فهناك أفراد تختص بالأدوار الرئاسية،وآخرون يختصون بالأدوار الثانوية التابعة ، بمعنى إذا اختص الرجال بالأعمال المهنية ، واختصت النساء بالأعمال المنزلية بذلك سوف لا يكون هناك فرصة للمناقشة والمزاحمة بين الزوج والزوجة في مجال واحد ، والذي من شأنه أن يقود إلى التوتر العائلي .

فمن وجهة نظر بارسونز أن مصدر الصراع والتوتر في الأسرة يرجع إلى اتجاه المرأة إلى منافسة الرجل في أدواره ، وأن عدم التحديد في أدوار النوع لا يشكل فقط خطرًا على الأفراد ،ولكنه تهدد للنسق الاجتماعي ككل .

ويرى « بارسونز » أن الرجل لكي يتمتع باحترامه لذاته أو بمنزلة محترمة في أعين

---

(١) د « سامية مصطفى الخشاب » : « المرأة والعمل المنزلي » : صـ (١٦) ، مكتبة الانجلو المصرية سنة (١٩٨٣) م .

(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٦) .

الآخرين ، لابد أن يكون له دور مهني ، وتتحدد مكانة الأسرة على أساس مكانة الزوج المهنية ، والتي يحتلها نتيجة قدرات وإنجازات فردية تحدد بدورها مكانة الأسرة في البناء الإجتماعي ومدى الهيبة التي يتمتع بها أفرادها ومستواهم المعيشي ، أما أدوار المرأة فهي محددة وتتركز غالبًا في كونها زوجة وأم .

وبما أن الرجل يختص بالدور المهني ، والمهنة هي المصدر الأساسي للمكانة الاجتماعية والاقتصادية ؛ لذلك يرى « بارسونز » أن الزوج ، هو الوحيد الذي يقوم بالإسهام الاقتصادي للأسرة ؛ لأنَّ مهنته هي التي تحتم دخل الأسرة ، وأسلوب المعيشة ، وبذلك اعتبر « بارسونز » الدور الاقتصادي للزوجة في الأسرة دورًا ثانويًا مهملاً (Negligibi) ، كما يذهب « بارسونز » إلى القول بأن إذا أتيح للمرأة دخول المجال المهني ، فلا ينبغي أن يؤدي الحراك المهني لها إلى وصولها إلى دروب من العمل تفوق تلك التي يتاح لزوجها أن يصل إليها حتى لا يكون ذلك أثر مدمر على علاقتها الزوجية» [1].

ولا يختلف الفلاسفة عن علماء الاجتماع المنصفين في الإيمان بأهمية دور المرأة كزوجة وأم ، أولاً باعتباره دورًا أساسيًا لا يستطيع غيرها من أعتى الرجال القيام به.

قال « سيملس » : للمرأة في تهذيب النوع الإنساني أكثر مما لأي أستاذ فيه ، وعندي منزلة الرجل في النوع منزلة المخ من البدن ومنزلة المرأة منزلة القلب » .

وقال « شيلر » [2]: كلما وجد رجل وصل بعمله إلى غايات المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبة .

وقال « روسو » [3] : يكون الرجال كما تريد النساء ، فإذا أردت أن تجعل الرجال من ذوي الهمة والفضيلة ، فعلم النساء الهمة والفضيلة .

وقال « فنلون » : إن الواجبات التي تطالب بها النساء هي أساس الحياة الإنسانية ، فالمرأة تدير جميع شئون العائلة ، وبهذا العمل يكون لها أعظم نصيب في إصلاح الأخلاق أو إفسادها ، ليست الأمة صورة تقوم بنفسها كما يتخيل ، وإنما هي مجموع العائلات ،

---

(١) « المرجع السابق » : صـ (١٨ ، ١٩) .

(٢) « فريدريخ فون شلير » (١٧٥٩ ، ١٨٠٥ م) شاعر وكاتب مسرحي ومؤرخ وفيلسوف ألماني لحن بيتهوفن بعض أناشيده .

(٣) « جان جاك روسو » (١٧١٢ : ١٧٧٨) م ، فيلسوف فرنسي ، تعتبر آراؤه من الأفكار التي مهدت لقيام الثورة الفرنسية ، وهو صاحب كتاب « العقد الاجتماعي » كما اشتهر باعترافاته .

وما من أحد يمكنه أن يهذب العائلة سوى المرأة .

وقال « لامارتين » : إذا قرأت المرأة كتابًا ، فكأنما قرأ زوجها وأولادها [١].

ومع تلك الأهمية العظيمة لدور الزوجة والأم في خدمة الإنسانية ، إلا أن دعاة عمل المرأة يحاولون طمسها والتقليل من شأنها فيدعون .

المبحث الأول : الاستهانة بوظيفة المرأة كأم والسخرية منها .

المبحث الثاني : الادعاء بأن عمل المرأة للمشاركة في التنمية ومساعدة الأسرة .

(١) « المرأة الجديدة » : صـ (٨٠) .

المبحث الأول
الاستهانة بوظيفة المرأة كزوجة وأم والسخرية منها

منذ بداية تاريخ الإنسان ، والتي بدأت ببداية خلقه ، والإنسانية جمعاء تؤمن بدور المرأة ، وأهميته كزوجة وأم .

وسنترك لـ « قاسم أمين » إيضاح أهمية المرأة للعائلة : « المرأة ميزان العائلة ، فإن كانت منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعًا منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض ولا يعرفون نظامًا ولا ترتيبًا في معيشتهم ، فتفسد آدابهم وعوائدهم ، وإن كانت على جانت من العقل والأدب هذبت جميع العائلة » .

وعن فن إدارة المنزل يقول « قاسم أمين » : « والحقيقة أن إدارة المنزل صارت فنًا واسعًا يحتاج إلى معارف كثيرة مختلفة ، فعلى الزوجة وضع ميزانية الإيراد والمنصرف ، وعليها مراقبة الخدم ، وعليها أن تجعل بيتها محبوبًا لزوجها ، فيجد فيه راحته ومسرته إذا أوى إليه ، فتحلو له الإقامة فيه ، ويلذ له المطعم والمشرب والمنام ، وعليها ـ هو أول الواجبات وأهمها ـ تربية الأولاد جسمًا وعقلاً وأدبًا ، إن الأولاد صناعة الوالدين ، وإن الأمهات لهن النصيب الأوفر في هذه الصناعة .

وعن أهمية المرأة لرعاية وتنشئة الأبناء الأولى ، قبل مغادرة البيت لمواجهة المجتمع يقول « قاسم أمين » : « إن التربية الجسمية للولد وحدها تستدعي معارف كثيرة ، فعلى الأم أن تعرف أفضل الطرق لتغذية الأطفال ؛ لأنَّ النظام في نمو الجسم يرتبط دائمًا بنظام التغذية ، وعلى الأم أن تعرف كيف تقي جسم ولدها من أعراض الحر والبرد ، وما هو الماء الذي ينبغي استعماله في نظافة جسمه من حار أو فاتر أو بارد ، وإن للهواء والشمس أثرًا حميدًا في الصحة ، ثم يجب عليها أن تكون على علم تام بنفس الطفل ووظائف قواه العقلية والأدبية .

وعن دور الأم في التربية العقلية يقول : « فبالوراثة يكسب الطفل استعدادًا لكل ميل كان عليه الولدان صالحًا كان أو فاسدًا ، وبالتربية يمتلئ ذهن الطفل بالصحة الواردة عليه من الإحساس وبأثرها في نفسه ألمًا كان أو لذة ، وتعرض حسه لقبول هذه الصور موكول إلى إرادة مربية ، وهو الذي يُريه ويُسمعه ويذيقه ويفيده كل معلوم ، وهو الذي يعرض

على وجدانه من العواطف ما يراه لائقًا به [1].

ومع تلك الأهمية البالغة إلاَّ أن دعاة عمل المرأة ، يستهينون بوظيفة المرأة ، ويرون في الأمومة خدعة وكذبة كبرى خلقها المجتمع ، وأنها أعمال إضافية وليست رئيسية للنساء .

أولاً : الاستهانة بدور المرأة كزوجة وأم :

تحاول د « نوال السعداوي » إثبات أن الأمومة لا تمنع عمل المرأة خارج بيتها مساوية للرجل ، فتقول : ومعنى أن نرفع القهر عن المرأة هو أن نرفع عنها ذلك الغرض بأن دورها في الحياة هو دورها كزوجة وأم فقط،وإن الرجل لا يُفرض عليه أن يكون زوجًا وأبًا فقط ، ولكنه يكون مهندسًا أو طبيبًا أو كاتبًا أو محاسبًا ، وهو أيضًا إلى جانب ذلك يكون أبًا وزوجًا ، وأن أبوة الرجل أو كونه زوجًا لا يحرمه من الأدوار الأخرى التي يقوم بها في الحياة ، لكن المجتمع يفرض على المرأة أن تلعب دورًا واحدًا محدودًا ،وهو أن تكون زوجة وأمًا فقط [2].

ونحن نرد قائلين : إن إظهار الأم المثالية كضحية ذبحها الزوج والأبناء والمجتمع ، ودعوتها للتخلي عن برها وحنانها ورعايتها لأسرتها ، باعتبار أنهم جميعًا لا يهبوها ما تستحقه من مقابل مناسب ، لهو دعوة صريحة إلى الذهاب بوظيفة الأمومة ، وطمس أنبل وأرق وأعرق وأول المشاعر الإنسانية السامية [3].

إن سعادة الأم لا تتحقق إلا ببذلها حياتها في خدمة الأبناء ،وهي في تضحياتها المستمرة والمتدفقة والمتعددة ، تفوق تضحية الجندي ببذل نفسه ، وإهراق دمه وإزهاق روحه في خدمة وطنه راضيًا هانئًا سعيدًا .

فإذا كانت الأوطان لا ترقى وتنتصر إلا بتضحية الأبناء في سبيلها ، فإن الحياة بأسرها لن تستمر دون تضحية المرأة بجهد وافر من أجل استمرار الحياة الإنسانية على الأرض .

أما المقابل فهو : الرضا عن النفس أولاً ، ثم اكتساب حب الآخرين من زوج وابن ، وغيرهم ، فالحب يقابل بالحب ، والحنان يقابل بالحنان ، وابن وبنت اليوم المُضحى من أجلهم ، هم أمهات وآباء غدًا المضحون من أجل أسرهم، ولقد أوضحت دراسات كثيرة ،

(١) « قاسم أمين ، المرأة الجديدة » : صـ (٧٥ ، ٧٦) ، وهذه العلاقات حملت في طياتها أفكارًا أخرى مضافة ، لخلط السم بالدسم . انظر كتابنا :« المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » .

(٢) « المرأة الجديدة » : صـ (٣٢) ، ويقصد بغيرها الأبناء والأرحام .

(٣) د « نوال السعداوي » : « الأنثى هي الأصل » : صـ (١٧٣ ، ١٧٤) .

وأظهر الواقع احترام الأبناء للأمهات الفاضلات المضحيات .

إن ظاهرة الأمومة كانت بمثابة نقطة انطلاق للجدل حول دور النساء اللائق ، كان أول من أثار هذه الظاهرة أو المبدأ هو « فيليب ويلي » في عام (١٩٤٢) ،وقد وصف هذا المبدأ جنون عبادة الأم في الولايات المتحدة ، وقال « ويلي » : إنه لم يحدث في بلد من البلاد أن يصل احترام الأمومة إلي هذه الحدود ، كان الدبلوماسيون يشربون نخب الأم ويجري الاحتفال في عيد وطني والتغني بها كالأغاني ، كانت الفرق الموسيقية تتغنى باسمها في تشكيلات ، وكان الشباب يستخدمونها كمستوى لاختيار شريكات حياتهم ، كان الإسراف في التكريم في رأى « ويلي » ، يمثل فراغًا باثولوجيًا « مرضيًا » في حياة النساء ، ولما لم يكن هناك أي شيء يشغل النساء ، فإنهن كن يكرسن كل أوقاتهن لأطفالهن ويغمرنهن بالحب والحنان حتى يظلوا ملتصقين بالبيت ،كانت عبادة الأم في الظاهر تقوم على أساس تضحية الذات من جانب الأم [1].

وسنترك لأعرابية عاصرت عصر الجاهلية منذ (١٥) قرنًا الرد على ما سبق من افتراءات تقول « أميمة بنت الحارث » ناصحة ابنتها قبل زفافها لزوجها : إن الوصية يا بنيتي لو تركت لفضل أدب لتركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهم إليها كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ،أي : بنية إنك فارقت الجو الذي فيه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا ، فكوني له أمة ، يكن لك عبدًا وشريكًا .

يا بنية احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح،ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن،والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة،والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله،فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم حصن التدبير،ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا،فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره،وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

---

(١) « المرأة الأمريكية »:صـ (١١٤)،ومع ذلك،فالكاتب يدعي أن هذا الحنان أدى إلى ضياع الأبناء، حيث أفقدهم حرية الاستقلال!!فدعاه عمل المرأة يحاولون تحويل الحق إلى باطل،وتقبيح كل جميل!!

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان كارهًا ، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت [١].

ويلاحظ أن هذه الوصية رغم إيجازها ، فإن دعاة التحرر في العصر الحديث أصحاب الدرجات العلمية العالية ، والأفكار السطحية الهابطة ، لن يستطيعوا الإتيان بمثلها ،ولو اجتمعوا لذلك ، فالوصية تشمل :

- حكمة الله من خلق الذكر والأنثى ، وهي الحاجة المتبادلة للإشباع الجنسي والعائلي.

- التزين للزوج وعدم الانشغال عن أنوثتها بأمومتها .

- مراعاة حسن التبعل من أمانة وصدق ووفاء واحترام وتبجيل متبادل .

- وتنطق الوصية بأعلى وأقوم وصية زوجية في كلمات قليلة : « كوني له أمة ، يكن لك عبدًا وشريكًا » .

- إن العلاقة الزوجية تفاهم واحترام وتقديس وتبجيل مشترك لا علاقة تنافر واستهزاء واستهانة .

هؤلاء النسوة زوجات العظماء والملوك ، وأمهات العظماء والملوك .

أمَّا التافهات اللاهيات الناشزات فهن جراثيم في البيوت وآثام في المجتمعات ولعنات على الأزواج والأولاد .

أما المناديات اليوم بنبذ تضحيات الأم ، الداعيات لإهمال تربية الأبناء ، فدعوتهن تناسب زوجات الهيبز وأمهات صرعى المخدرات والإدمان ، وربيبات الهلاك والفجور .

إن وظيفة الأمومة ثم الأبوة من نعم الله على البشر،التي يجب أن يكون حمدها بأدائها طبقًا لشرع الله ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل:٧٢][٢].

---

(١) د « توفيق يوسف الواعى » : « النساء الداعيات» : صـ (١٦٦) .

(٢) انظر كتابنا :« المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٩٠ : ٩٢) .

ثانيًا : الادعاء بأن الأمومة كذبة خلقها المجتمع :

يحاول دعاة عمل المرأة - بلا ضوابط - وفي خضم المطالبة بمساواتها بالرجل إنكار أهمية وجدوى عملها كزوجة وأم ، وفي سبيل ذلك يدعون أن هذه الوظيفة هي من خلق المجتمع ، وليست إرادة من الله تقول د « نوال السعداوي » : « إن المفهوم التقليدي بأن المرأة هي المسؤولة عن تربية الأطفال والخدمة بالبيت، وأن الرجل هو المسؤول عن العمل خارج البيت ، إنما هو مفهوم خاطئ نابع من الوضع الاجتماعي الذي وضعت فيه المرأة ، ونتج عن هذا تخلف المرأة ، وعدم قدرتها على التنوع في الحياة العامة والعلوم والفنون ، ونتج عنه أيضًا أطفال لا تكتمل صحتهم النفسية ، بسبب طغيان شخصية الأم على حياتهم في سنوات عمرهم الأولى ، في الوقت الذي لا يشعرون فيه بشخصية الأب [١].

إن الفكرة التي شاعت خطأ منذ التاريخ البعيد على أن الرجل سيد المرأة ، وإنها ليست إلا أداة لإمتاعه ووعاء لأطفاله ،قد أباحت للمجتمع أن يستأصل من جسد المرأة ما يشاء ويهمل ما يشاء ، لتصبح المرأة مجرد الرحم الذي ينجب الأطفال [٢].

لكن المجتمع قد قرر لأسباب اقتصادية أن دور المرأة الوحيد في الحياة هو الإنجاب وخدمة الزوج والأولاد ، فقد رأى حرمان المرأة من اللذة الجنسية التي قد تشغلها عن الدور الذي رسمه المجتمع لها [٣].

إن النظرية العلمية الحديثة في تطور المجتمعات الإنسانية وعلاقتها بفكرة الطبيعة البشرية تنكر وجود ما يسمى بالطبيعة البشرية الثابتة أو الدائمة ، وإنما الطبائع البشرية هي ظواهر نسبية تتغير وتتكيف حسب البيئة التي نعيش فيها ، وقد أصبح معظم العلماء في الغرب ، وفي الشرق لا يحبذون اصطلاح « الغرائز البشرية » ويفضلون عليه اصطلاح «الدوافع البشرية » التي يتعلم الإنسان معظمها خلال سنوات الطفولة والمراهقة [٤].

والملاحظ أن الكاتبة ، ادعت أن عمل المرأة لربة البيت بما تحمله من مهام جسام هو مفهوم نشأ كخطأ تاريخيًا ثم انتشر عن طريق التقليد ، وتوارث العادات ، فليس للأديان به شأن .

---

(١) « المرأة والجنس » : صـ (١٠٥) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (١٢) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (١٥) .
(٤) « توأم السلطة والجنس » : صـ (٨٦) .

والكل يدعي أن المرأة أداة لإمتاع الرجل ويتناسى أن الرجل أيضًا هو متعة المرأة الرئيسية ، وأن الجنس هو تبادل للذة .

ولم يدع مجتمع أبدًا أن دور المرأة الوحيد هو الأمومة والعمل داخل بيتها فكل المجتمعات تؤمن بضرورة عملها خارج بيتها عند الحاجة الفعلية لذلك ، وليس لاغتصاب حقوق الزوج والأبناء .

وهذا الدور يكلفها كثيرًا من العناء والمشقة دون سائر المخلوقات الإناث الأخرى ، اللائي يحملن ويلدن ؛ وذلك لأن تلك الإناث لا تفرز بويضاتها إلا في فترة محدودة من العام ،بينما تفرز المرأة بويضة كل شهر منذ البلوغ إلى سن اليأس ، والمرأة طوال هذه المدة بين حيض وحمل ، ونفاس وإرضاع ، وناهيك بما يترتب على كل فترة من هذه الفترات من آلام ومتاعب [١].

وكما أن للأم دورا في التربية ، فاللأب أيضًا دور هام في التربية والإشراف على البيت وتوجيه وتقويم الأبناء والزوجة أيضًا وإهمال الزوج لذلك سيؤدي قطعًا لمضار الأطفال والأسرة ، فالصحة النفسية للأطفال تستلزم الموازنة بين الأمومة والأبوة وتحتاجهما معًا .

أما الإشارة لظلم المجتمع بختانها،فالختان لتقويم الشهوة لا لإلغائها ، وهو يشمل الرجل والمرأة أيضًا، فالرجل يخضع أيضًا للختان[٢]، فقد جاء في التوراة قول الرب لإبراهيم: **«هذا هـو عـهدي الذي بيني وبينك وبين ذريتك من بعـدك الذي عليكم أن تحفظوه : أن يختتن كـل ذكـر منكـم (١١) تختتون رأس قلفـة غرلتكـم . (١٤) أمـا الذكـر الأغلف الذي لـم يختن ، يستأصل من بين قومـه ؛ لأنه نكث عهدي »** [اللاويين : ١٧ : ١٠ : ١٤].

ومعلوم أن المسيح قد اختتن أيضًا ،فجاء في الإنجيل الحالي : **« ولما بلغ الطفل يومه الثامن وهو اليوم الذي ينبغي فيه ختانه دعى اسمه يسوع ..»** [لوقا ٢ : ٢١] .

وتسترشد د « نوال » بأبحاث قد تتوهم أنها تخدم دعوتها ، فتقول : « وقد أثبتت «مارجريت » في أبحاثها أن المجتمع ، وليس الطبيعة هو الذي يحدد ميول الأطفال ويشكلها منذ الصغر سواء كانوا ذكوراً أو إناثًا ، وقد أجرت « مارجريت » تجربة طريفة في

(١) « قضايا المرأة » : صـ (١١٨) .

(٢) انظر كتابنا : « الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » :صـ (١٤٧ : ١٦٣) ،مكتبة الشروق الدولية ، طبعة (٢٠٠٤) م .

جزيرة مانوس بغينيا الجديدة ، وأثبتت خطأ الرأي الشائع بأن حب الأطفال البنات للعب بالدمية « العروسة » سببه دوافع أنثوية طبيعية ، وعدم اهتمام الأطفال الذكور بهذا النوع من اللعب إنما سببه اختلاف بيولوجي أساسي في استجابتهم الوجدانية ، وقد اختارت «مارجريت » هذه الجزيرة ؛ لأنّ اللعب بالدمى لم يكن معروفًا هناك ، وعندما قدمت «مارجريت » بعضا من هذه الدمى إلى مجموعة من الأطفال الذكور والإناث ، كان الذكور وليس الإناث هم الذين اهتموا بها ، بل راحوا يغنون لها ويهدهدونها لتنام كما تفعل البنت مع دميتها في مجتمعنا ، وقد فسرت السبب في ذلك وهو أن عادات وتقاليد جزيرة مانوس تقتضي أن يتولى الرجال « لما لديهم من وقت فراغ » رعاية الأطفال ، على حين تشتغل النساء بالعمل خارج البيت (١).

ونحن نقول : الحكم على الأمور لا يكون وفقًا للشاذ منها ، ولكن طبقًا للشائع وتصرف الذكور هو تقليد لما تقوم به البنات ، وليس طبيعة راسخة فيهم ، وقيام الرجال برعاية الأطفال لعمل النساء خارج البيت لا يمنع أن التي ترضع هي المرأة ، والتي تسهر الليل لرعاية ولد مريض هي المرأة .

هذا ، وترى « فريدة النقاش » مسؤولية المؤسسات التعليمية عن بث مفهوم أهمية دور الأم والزوجة ، فتقول : « وفي التوزيع التقليدي للأدوار الذي تؤكده المؤسسة التعليمية هناك طرف رئيسي هو الرجل وطرف ثانوي هي المرأة ، هناك طرف مسيطر بطبيعته وطرف خاضع للسيطرة أيضًا بطبيعته ، ويختصر الخطاب المدرسي المرأة في غالبية نصوصه في أدوار الأم والزوجة .

أمًا إذا كانت عاملة فهي مسجونة غالبًا في إطار غريزة الأمومة والأعمال المرتبطة بها ، إما مدرسة أو ممرضة ـ نادرًا ما تكون طبيبة ـ ويتقبل التلميذ هذه الصورة ويختزنها في ذاكرته ، فأمه دائمًا في المطبخ وأبوه يقرأ الجريدة ، أو هي تخيط وهو يعمل في كتبه ، وهي لابد أن تكون شابة دائمًا وجميلة وذلك باستثناء العواجيز الشمطاوات الشريرات في حكايات الأطفال في المدارس الابتدائية وما قبلها وهي آلية لممارسة العنف الرمزي والمعنوي ضد النساء (٢).

ونحن نقول : إن دور المرأة كزوجة وأم سبق المؤسسات التعليمية بقرون ، وهو يغطي

---

(١) « المرأة والجنس » : صـ (٨١ ، ٨٢) .

(٢) « فريدة النقاش » : صـ (٨٢) .

كافة المجتمعات في كافة البلاد ، وفي كل الظروف المناخية والبيئية المتنوعة ، يتساوى في ذلك نساء المناطق الحارة والمناطق الباردة المتجمدة .

وتخصيص أعمال تناسب أنوثة المرأة وظيفتها العاطفية اللينة السمحة التي تفيض حنانًا وبرًا وتزهر تضحية وإخلاصا ووفاء هو عين تكريمُ المرأة ، وتيسير لضمان نجاحها الباهر فيما قد لا يفلح فيه الرجال بنفس الدرجة .

ثالثًا : الادعاء بأن الزواج والأمومة أعمال إضافية للمرأة :

يهدف دعاة تحرر المرأة في الفكر الحديث إلى إثبات أن الوظيفة الأساسية للمرأة ليست البيت كزوجة وأم ومربية أجيال ، وهدفهم من ذلك اعتبار أن الوظيفة الأساسية هي العمل خارج البيت .

وتقول « فريدة النقاش » عن ذلك : « وكون أن المرأة تختلف عن الرجل في الوظائف الطبيعية التي تقوم بها ، لا يعني أنها كائن أدنى ، بل يعني أنها إنسان يقوم بمهمات إضافية لصالح المجتمع كله في شكل حمل وإنجاب ، وهو ما ينبغي أن يلقى تقديرًا من المجتمع في شكل خدمات ولا يصبح عقبة في طريق تقدم المرأة ، وتحققها الإنساني والمهني على كل المستويات ، سواء اختارت أن تكون امرأة عاملة أو أن تتفرغ لتربية الأولاد » [1].

وتنتقد دور الأم الصالحة التربوي الذي يتميز بالعطاء بلا حدود والبذل دون مقابل ، والتضحية بلا نهاية ، فتقول : «صفات الأم الحسنة المثالية كالتالي : امرأة جميلة الملامح ، مستعدة للتضحية من أجل أطفالها إلى درجة التنازل عن كل اهتمام بمصيرها الخاص كامرأة ولتكرس كل طاقاتها نحو حفظ أولادها واستمرار حياتهم وحمايتهم من الأخطار التي تهددهم بها الأقدار أو المصائب أو الأذى ، وهذه الأم المعتبرة دائمًا أنها المسؤولة وحدها عن المهام التربوية ، تدعم نمو طفلها ، وتدفعه نحو خوض المغامرات ، وللأسف فإن هذه الصور تأخذ بعين الاعتبار الدور الرئيسي لعلاقة الطفل بأبيه ، وللعلاقة بين كل أم « امرأة» برجلها [2].

وتتأسف الكاتبة عن هذا الوضع المخزي من وجهة نظرها ، فتقول : إن صورة الأم الجميلة الحسنة الصافية المضحية المبتسمة التي تطهو جيدًا وتخيط وتدبر البيت حانية على المتألم متجردة كلية من علاقاتها كحبيبة ، ومن رغبتها كفرد راشد هذه الصورة ما زالت تعلق على ناصيات القلوب [3].

(١) « حدائق النساء » : صـ (٢٣) .

(٢ ، ٣) « المرجع السابق » : صـ (٨٢) .

وتؤيد د «نوال السعداوي» نفس الفكرة، فتقول: «وإذا كانت المرأة هي التي تحمل الجنين تسعة أشهر في رحمها قبل أن تلده ، فليس ذلك معناه أن يصبح دورها الوحيد في الحياة هو الحمل والولادة ، وإذا كان الرجل هو الذي يحمل الخصية التي تفرز الحيوانات، فليس ذلك معناه أن يصبح دوره الوحيد في الحياة هو إفراز الحيوانات المنوية ، وإخصاب المرأة ، لا يمكن أن يعيش الإنسان حياته كلها ليلعب دورًا وحيدًا يقوم به عضو واحد من أعضائه .

لا يمكن أن تعيش المرأة كرحم فحسب ، وكذلك لا يمكن أن يعيش الرجل كخصية ، وإلا كان معنى ذلك تعطيل وإبطال كافة الأجهزة والأعضاء الأخرى [(١)].

ونحن نقول : إن إعداد الله للمرأة لتقوم بوظيفة الزوجة والأم ومربية النشء ليس امتهانًا لها ، إلا إذا فشلت في هذه الوظيفة الأساسية ،وليست الإضافية التي خلقها الله من أجلها ، والامتهان والمهان لا تلحق بالإنسان إلا إذا فشل في أداء وظيفته ، وكيف يدعي صاحب عقل سليم أن الحمل لمدة تسعة أشهر والولادة والرضاع لمدة سنتين تقريبًا ، وتربية النشء لمدة البلوغ والاعتماد على النفس لسنوات عديدة هو عمل إضافي ؟!

إن ترك المرأة لوظيفتها الأساسية وتخلصها من أنوثتها وأمومتها لهو بداية نهاية خراب العالم ، إن الحق تبارك وتعالى جعل الأمومة نعمة تستوجب الشكر من الأم ، ومن المجتمع فقال تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

والآية توضح مشقة المرأة في أداء وظيفتها الأولى والأساسية وهي نعمة متبادلة ، فقيام المرأة بحسن الأمومة يستوجب أن تشكر الله عليها ، وحُسن تربية النشء يستوجب أن يشكر الأبناء الله عليها ، وأن يشكروا الأم والأب عليها .

ومن ثم فواجب المجتمع هو تقديم الخدمات الأساسية لعملها الأساسي الذي خلقت من أجله وهو الأمومة، ثم مساعدتها الإنسانية إذا اضطرت للعمل خارج البيت، ما دام وفقًا لمقتضى الشريعة الإسلامية، كأن يكون المجتمع في حاجة إلى عملها، أو كانت هي في حاجة ماسة للعمل مع مراعاة مناسبة العمل لها والالتزام بتعاليم الإسلام في مباشرته وأدائه .

وهذه الحقيقة لا تختلف عليها الأديان السماوية والقوانين الأرضية فها هو القس « فايز تادرس » يقول :

(١) د « نوال السعداوي » : « المرأة والجنس » : صـ (٨٣) .

* من المبادئ الهامة التي قامت عليها حركة النساء أن قهر النساء يبدأ بتحويلهن إلى أمهات ، فإنهن يدخلن تحت وسادة الرجل وسجن البيت ، والمرأة لا تتحرر فعلاً في نظرهن إلا إذا تخلصت من سجن الأسرة والأمومة .

وهناك كتب كثيرة ظهرت في هذا الموضوع تُشجع المرأة على استقلاليتها بحياتها وعدم تقيدها بالحياة مع الرجل في بيت واحد ، أما النساء المتزوجات فعلاً فيجب أن يظهرن غضبهن على الرجل ويرفضن الحياة مع الزوج إلا بعد عمل اتفاقية مكتوبة تتضمن توزيع جميع المسؤوليات بالتساوي بين الرجل والمرأة ، بما في ذلك أعمال المطبخ ورعاية الأطفال وحرية استقبال الضيوف . . إلخ .

* كانت من نتيجة ذلك أنه أصبح الدفاع عن الشذوذ الجنسي أمرًا معلنًا ومشروعًا ، وطالب الشواذ بكافة حقوقهم ، وبعضها يعف القلم عن كتابته ، وضربوا عرض الحائط بتعاليم الكتاب المقدس (١).

إذن فالادعاء بأن عمل المرأة خارج بيتها هو الأصل وأن الأمومة هي العمل الإضافي، هو دعوة صريحة للفجور ، باسم تحرر المرأة !!

والإسلام لا يرى عيبًا في أنوثة المرأة تمييزًا أو تفضيلاً في ذكورة الرجل ، وكلاً وهبه الله من المزايا والخصائص ما يؤهله لحسن القيام بمهمته في الحياة ، فالحكم العدل يقول : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء : ٣٢].

إن بداية التبويض لدى المرأة من سن البلوغ حتى سن اليأس ، بصفة منتظمة شهريًا ولمدة سنوات قد تتجاوز الربع قرن ، لهو خير دليل ساطع على إعداد الله الخالق للمرأة لتكون زوجة وأمًا ، أولاً وثانيًا وأخيرًا ، وأنه كتب الشقاء والعمل على الرجل ، فقال تعالى محذرًا آدم من الشقاء في الدنيا والعمل والكد والسعي ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧]، ولفظ « فتشقى » مفرد ، وهذا يوضح أنه يختص بآدم وحده (٢).

---

(١) القس د « فايز تادرس » : مقال بمجلة أجنحة النسور ، العدد (٣٩٨) نوفمبر سنة (١٩٩٥) .
(٢) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٨٧ ، ٨٨) .

المبحث الثاني
الادعاء بأن عمل المرأة للمشاركة في التنمية ومساعدة الأسرة

إن هذا الادعاء الذي تردد مليارات المرات ، حتى ظنه الكثيرون واقع لا جدال فيه ، وهو في حقيقته كذب صراح يتساوى مع من ينكر حقيقة الموت .

ولا يخفى عن أي منصف أن التطور الحضاري والتكنولوجي الحديث أدى إلى بطالة الملايين في كافة المجتمعات ،ولم تعد هناك حاجة لعمل النساء إلا في حدود الضرورة وأضيقها ، ومع ذلك هناك ادعاء :

أولاً : بطالة المرأة هي تفريط في قوة المجتمع العاملة :

تقول «فريدة النقاش» في ذلك: «إن التركيز على الأسرة التي لا تعمل فيها المرأة خارج منزلها يعني أننا سوف نحرم التنمية الاقتصادية من نصف قوة العمل وهن النساء ، وليس صحيحًا ـ اقتصاديًا على الأقل ـ أن عمل المرأة في المنزل يقدم لها وللمجتمع عائدًا أفضل ، ومعلوم أن الفائض الاقتصادي لأي بلد هو معيار أولى لدرجة نموه وقدراته الاقتصادية ، وفي الواقع العملي الراهن،هل يمكن حقًا أن تنشأ أسرة سعيدة بدخل الرجل وحده؟»[(١)] .

كما تقول موضحة هدف النساء من العمل : « لكن نساء متزايدات يعملن ؛ لأنهن تعلمن ولأنهن يتطلعن بعد التعليم إلى الاستقلال الاقتصادي والزواج المتكافئ والأسرة التي تستطيع أن تلبي احتياجات كل أفرادها ورغبتهم في مستوى معيشي كريم ، وتنهض على المودة والرحمة التي يدعو إليها الإسلام » [(٢)].

وتزكي وتبرز د « نوال السعداوي » أهمية العمل للمرأة فتقول : « إن العمل بصفة عامة وكما قال علماء النفس أهم وسيلة تربط الإنسان بواقع الحياة وحقيقتها ؛ لأنَّ الإنسان عن طريق العمل يحتك بجزء هذه الحقيقة وهو المجتمع الإنساني » [(٣)].

وتعترف د « سامية الساعاتي » بدور المرأة الهام في العمل لمساعدة زوجها عبر التاريخ

(١) « فريدة النقاش » : « حدائق النساء » : صـ (٢١) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٧٥) .
(٣) « الأنثى هي الأصل » : صـ (١٧٥) .

مع غضبها لعدم استقلال المرأة اقتصاديًا فتقول : « فالمرأة المصرية قامت منذ فجر التاريخ المبكر بالعمل - جنبًا إلى جنب - مع الرجل في الزراعة وأعمال الاقتصاد المنزلي ، إلا أن عملها كان يتم في ظل سيطرة الرجل الاقتصادية ولهذا لم يشفع لها ذلك أن تلعب دورها كاملاً في مجتمعها الكبير ، وإن كانت الأديان قد أشادت بدورها كأم [(١)].

وقد كانت بعضهن أكثر صراحة ووضوحًا فنادت بتقويض نظام الأسرة والزواج حتى يتحقق نجاح عمل المرأة .

في بحث للباحثة « شارلوت بيركيز جيلمان » بعنوان « المرأة والاقتصاد » (١٨٩٨) وجاء بالبحث : « جميع الأدوار المسموح للأنثى أن تضطلع بها مستمدة من وظائفها الجنسية ، إن الرجل يمكن أن يمارس أنواعًا عديدة من الأنشطة ، ولكن ليس هناك عمل للمرأة سوى أن تتزوج وتلد أطفالاً إن سبب هذه التفرقة الجنسية حسب اعتقاد الباحثة ، يمكن إرجاعه إلى عصور ما قبل التاريخ حينما أصبحت الإناث متكلات على الذكور في الحصول على المأوى والمأكل ، وبعد ذلك أصبح بقاء المرأة يعتمد على قدرتها على إغراء رجل واتخاذها زوجة له ، والاحتفاظ به .

وانتهت الباحثة إلى أن النساء لا يمكن أن يحققن الحرية إلا إذا حصلن على المساواة الاقتصادية مع الرجل ، وعلى ذلك طالبت « جيلمان » بمهاجمة المؤسسات التي يرتبط بها معظم الناس « الأسرة » وأوضحت أن مكان المرأة لا يمكن تغييره بدون تغيير العائلة ، وفرض تغيير جذري للعلاقات الاجتماعية كلها [(٢)].

يمتدح الباحث « أحمد أبو زيد » القانون الإيراني الصادر سنة (١٩٦٧) باسم قانون الأسرة ؛ لأنَّه خول للمرأة حق العمل بغير رضاء زوجها ، فيقول : « هذه خطوة تكسبها المرأة في الدول المتخلفة » [(٣)].

وترى د « نوال » أن تمسك النساء بالزواج عيبًا خطيرًا يهدد حق المرأة في العمل خارج بيتها وينال من استقلالها الاقتصادي ، فتقول : « إن المثل العليا والقيم التي تتمثلها المرأة منذ طفولتها حتى مماتها ، في الأسرة والمدرسة ، والشارع ، والصحافة ، كلها تدفع بها لا إلى طريق العمل وإنما إلى اصطياد رجل بأي شكل ، والزواج منه بأي شكل ، وإلا فقد

---

(١) د « سامية الساعاتي » : « علم اجتماع المرأة » : صـ (١٢٤) .
(٢) « المرأة الأمريكية » : صـ (٨ ، ٩) .
(٣) « حدائق النساء » : صـ (١٥٣) .

فاتها القطار وفاتتها جنة الله على الأرض .

ولهذا تنظر المرأة إلى العمل كأنه محطة انتظار ليس إلاَّ ؛ وإذا جاءها عريس غني فهي تترك العمل فوراً ، وإذا جاءها عريس فقير ، فهذا حظها وعليها أن تعمل حتى يصبح أقل فقراً ، ثم تترك العمل إذا ما سمحت الحالة الاقتصادية .

قليل جدًا من النساء العاملات يعتبرن أن العمل أهم من الزواج ، أو أن تحقيق ذاتها كإنسانة مفكرة في المجتمع أهم من الزواج وإنجاب الأطفال ، من النادر جدًا للمرأة أن ترسم لنفسها قيمة فكرية عالية في المجتمع وإلا اتهمت بالذكورة ، فهذا الطموح الفكري صفة للرجال ،فحسب وتخفي المرأة ذكاءها من أجل أن تكون مكتملة الأنوثة وهذا كله ناتج عن المناخ العام والثقافة الذكورية التي تتعرض لها المرأة منذ ولادتها حتى مماتها والدور الذي يفرض عليها دور الزوجة ، والأم بكافة الوسائل التي توهمها بأن هذه هي أنوثتها ، وهذا هو جمالها وهذا هو سحرها وجمالها كيف يمكن أن تحارب الطبيعة ؟ وعلى هذا النحو ترضى المرأة بدورها المفروض وتحبه وتسعى إليه وتتفاخر به ، وكم من نساء يتفاخرون بأنهن لا زلن أطفالاً ولا زلن ساذجات ، وكم من نساء يتفاخرن بتصرفاتهن البلهاء ، وكم يتفاخرن بالغباء وكم يشعرن بالسعادة الأنثوية الكاملة .

ونحن نرد على هؤلاء فنقول : قد يكون حرمان المجتمع من عمل نصف أفراده «النساء» هو عين الظلم لهن وأحد الأسباب الرئيسية لتعطيل أو توقف عجلة التنمية الاقتصادية ، ويكون ذلك في حالة واحدة هي مستحيلة التحقق ، وهي إذا كان المجتمع في حاجة ماسة إلى عمل كل أفراده في الأنشطة الاقتصادية ، لا يوجد أي نوع من أنواع البطالة سواء المستترة أو الحقيقية والثابت علميًا وعمليًا بعد التقدم التكنولوجي الهائل وإحلال الآلة الواحدة ، محل مئات العمال وإحلال الحاسب الآلي «الكومبيوتر» محل مئات الموظفين الإداريين والمحاسبين ، فقد تقلصت فرص العمل الحقيقية المتاحة لأفراد المجتمع [1].

وهذه النسبة تزيد في الدول المتقدمة عنها في الدول المتخلفة،ونتج عن ذلك في الدول المتقدمة أن أصبح الملايين من الشباب الرجال المعدين للعمل عاطلين ، مما دفع الدول إلى منحهم إعانات بطالة،ناهيك عما تسببه البطالة من وقت فراغ لا يُسد إلا في خدمة شيطان، باللجوء إلى الزنا المحرم والخمور والمخدرات وما يدخل تحت ما يسمى بأمراض البطالة .

---

(١) «الأنثى هي الأصل» : صـ (١٧٦ ، ١٧٧) .

أما في الدول المتخلفة : فقد لجأت هذه الدول إلى البطالة المقنعة بمعنى تشغيل أعداد من العمال والموظفين أكثر من الحاجة الفعلية لهم ، وهذا ما تسبب في تكدس المكاتب والمصالح الحكومية بالذات بأعداد هائلة من الموظفين والموظفات لا حاجة إليهم ، حيث إن العمل الفعلي يحتاج نسبة ضئيلة منهم ، وحيث إن ميزانيات الأجور في هذه البلاد الفقيرة محدودة ، فقد تم توزيع الأجور على هذه الأعداد المبالغ فيها ، وبالتالي تقلصت الأجور والمرتبات وأصبح الموظف والعامل من الفئات التي أطلق عليها تعبير جديد نشأ حديثًا ، وهو : « محدود الدخل » ، ولو أننا كنا صادقين مع أنفسنا لعادت النساء العاملات إلى البيت وتم زيادة دخول الرجال بهذا الفارق ، فقضينا على البطالة المقنعة ، وأصبح دخل الأسرة هو نفس الدخل ،مع توفير مصروفات الإنفاق النسائية من تزين وملبس ومواصلات وغيره .

كما أن كل الدول تعاني أيضًا من البطالة الحقيقية ، فأصبح خريجو الجامعات رجالاً ونساء يتخرجون لا للعمل ، ولكن للحبس في البيوت بلا أمل في عمل أو كيان أو زواج، وبالرغم مما تنفقه الدولة من أموال طائلة في تشجيع الخريجين على العمل الحر وإقامة المشروعات الصغيرة ، إلا أن كل هذه المجهودات العظيمة تضيع سدى؛ لأنَّها تواجه مشاكل أكبر منها بكثير .

ولو أننا أنصفنا المرأة والمجتمع وعادات النساء للبيوت لتم حل مشكلة البطالة بنسبة تقترب من (١٠٠ ٪) ،ولم تعد هناك حاجة إلى القول بضرورة مساعدة المرأة للأسرة .

هذا ، ويجب التنويه إلى أن عمل المرأة في البيت له عائد اقتصادي ،ولكنه من العوائد الغير منظورة والتي تحسب ضمن الدخل القومي للبلاد ، ولكنه دخل غير منظور ، حيث إن المرأة لو غادرت البيت وحل محلها خدم ومربيات وغيره ، فإن الأسرة حينذاك ستنفق دخلاً منظوراً أي : محسوبًا ماليًا إن النتيجة التي وصلنا إليها اليوم من تحرر المرأة والعمل بلا داع ، وما أدى إلى البطالة للرجال والنساء على السواء ، أدت إلى نتائج سلبية فلم تعد فرص الزواج أمام البنت متاحة ، وذهب الزواج المتكافئ إلى غير رجعة ؛ لأن الشباب في سن الزواج أصبحوا من العاطلين ، وأصبح كل بيت الآن في كل الدول العربية والإسلامية يعاني من عنوسة أكثر من بنت وعزوبة أكثر من شاب ، وتهافتت الفتيات على الزنا السري « الزواج العرفي » وسارعت الكثيرات للزواج من الشيوخ من الرجال ممن يملكون الإمكانات والمال ، وعاد المثل القديم إلى العصر الحديث فقيل :« ظل راجل ولا

ظل حيطة » والتقى ربيع العمر مع الخريف ، وذلك هو عين الفساد .

وما زلنا نكذب ونقول اصطلاحات عفا عليها الزمن « الزواج المتكافئ ، مستوى معيشي كريم ، المودة والرحمة » ، وكل هذه خرجت من حياتنا مع خروج المرأة من بيتها لعمل هو ليس في حاجة إليها ، وهي ليست في حاجة إليه .

إن الحل الوحيد لمساعدة الأسرة هو تغيير نمط الإنفاق الاستهلاكي الذي تعودناه منذ سنوات طويلة ، والذي لا يناسب دولة نامية« متخلفة » ، فمهما زادت الدخول ، فإن متطلبات الحياة تزيد بنسبة أكبر ، وينتقل أفراد المجتمع من مستوى إنفاقي استهلاكي إلى آخر، ومن ثم ستزيد وتتسع دائرة الفقر المفرغة ، ولن تصلح الأموال ما أفسدته العادات والتقاليد والأخلاق وخروج المرأة للعمل بلا داع .

ولعل هذه البيانات توضح لنا العلاقة الوثيقة بين البطالة للرجال وعنوسة النساء ، وضعت حكومة « عاطف عبيد » خطة لتعيين الخريجين ، والقضاء على البطالة ، وقد توقعت أن يتقدم لهذه الوظائف « ١,٥) مليون عاطل وعاطلة ، ولكن ما حدث أنه قد سحبت « ٧,٥) مليون استمارة طلب وظيفة ، تقدم منهم (٤,٥) حتى تاريخ طبع المجلة، والوظائف المتاحة (٢٠٠٠٠٠) وظيفة [1].

التحرر الاقتصادي ورعب العنوسة :

إن ادعاء عمل المرأة بأن عملها يوفر لها دخلا خاصا مما يجعلها تُحسن اختيار الزوج المناسب ويكسبها الشخصية المستقلة ، أثبت الواقع خطأ هذه النظرية ، حيث أدى عمل المرأة لعنوستها .

هذا ، وفي تقرير رسمي للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء ،نشر مؤخراً يتبين ما يلي:

عدد الذين لم يسبق لهم الزواج في مصر حاليًا (٨,٩٦٢,٢١٣) مليون نسمة .

عدد الذكور الذين لم يسبق لهم الزواج (٥,٢٣٣,٨٠٦) مليون نسمة .

عدد الإناث الذين لم يسبق لهم الزواج (٣,٧٢٨,٤٠٧) مليون .

وهذه الإحصاءات توضح بجلاء العلاقة الوثيقة بين البطالة والعنوسة التي تعد توأمها.

---

(١) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (٩٦ : ٩٩) .

فلو أتيحت فرص عمل لعدد (٥,٢٣٣,٨٠٦) مليون شاب لم يتزوجوا بعد ، وكان لهم حق الأولوية في شغل الوظائف لكان في ذلك الحل الأمثل لزواج (٣,٧٢٨,٤٠٧) أنثى لم تتزوج بعد ، ويؤكد ذلك أن نسبة الشباب المتقدمين للوظائف للفئة (٢٠ : ٤٠) سنة هي (٩٠٪) من عدد المتقدمين لشغل الوظائف الخالية أتمنى من الله وأدعوه صادقًا مخلصًا أن نكون صادقين مع أنفسنا [١] .

ثانيًا : الادعاء بأن تربية الأطفال علم وفن يمكن قيام آخرون به :

يؤمن دعاة عمل المرأة إيمانًا كاملاً بأنه من الصعب لدرجة المحال أن توفق المرأة في النجاح في العمل داخل بيتها وخارجه ، تقول د «نوال السعداوي »: « إن المرأة العاملة في أكثر البلاد تقدمًا لا تزال مستغلة لجمعها بين عملها داخل وخارج البيت ، ولا تزال هذه المشكلة تحول بين المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة ، ولا تزال تعوق المرأة عن إثبات قدراتها الحقيقية في العمل والإنتاج [٢] .

كما تحاول د « نوال السعداوي » إنكار أهمية الأب في توجيه وتربية الأولاد، والإيحاء بأن طاعته ليست واجبة على الأبناء،ولكنها لأسباب اقتصادية بحتة،فتقول: «كثيرًا ما سمعت من الأبناء والبنات هذه الجملة « إنه » الأب ينفق علينا ، ولهذا فنحن نطيعه خوفًا من ألا يدفع لنا مصاريف الكلية ويضيع مستقبلنا ، والزوجة التي لا تعمل والتي يعولها زوجها أيضًا تقول لنفسها : إنه ينفق علي ولهذا أطيعه خوفًا من أن يطلقني ولا أجد المأوى » [٣] .

ونحن نقول: إذا وصلت العلاقة بين الأب والأبناء ، والزوج والزوجة إلى علاقة مادية أو اقتصادية فقط،فذلك يعني فشل الأم أولاً ثم الأب وأخيرًا المجتمع في تربية النشء تربية سليمة تقوم على المودة والرحمة، وعدم نجاح العلاقات الإنسانية والزوجية بين سائر أطراف العائلة ، ثم كافة المجتمع، فعلاقة الأبوة والأمومة وحسن التبعل هي علاقات إنسانية من الدرجة الأولى، هي من فطرة الإنسان السوي ، وهي أول أوامر الله لعباده ، فالأب والأم هما أصل وجود الأبناء ، وواجب الأبناء نحوهما أصله تكريمهما ؛ لأنها السبب المباشر لوجوده بأمر من الله ، فالله يقول : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤].

---

(١) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (١٠٠) .
(٢) « المرأة والجنس » : صـ (١٠٤) .
(٣) « الأنثى هي الأصل » : صـ (١٨٦ ، ١٨٧) .

هذا ، ولم تنقطع العلاقة بين الأب والأبناء عند كبر الأبناء وبلوغهم سن النضوج الكامل والاعتماد على النفس ، والإسلام أوجب عليهم في سن الاستغناء عن موارد الآباء المادية ، أن يتوجهوا لله بالشكر والعرفان لمنحهم نعمة الوالدين ، فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، والشكر يستوجب الاعتراف بنعمه وطلب الاستزادة من الخيرات، يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

إذن ، فالعلاقة الأسرية ليست مادة وأموال فقط ، ولكنها بذل وعطاء وتضحية تنشئ حبا ووفاء وتقديرا .

هذا ، وترى د « نوال السعداوي » أن العمل المنزلي إذا كان يعطل المرأة عن وظيفتها كزوجة وأم ، فيمكن لآخرين القيام به ، وعلى ذلك نادت بضرورة قيام مؤسسات أخرى بديلة بمهمة تربية الأبناء ، والقيام بمهمة الأب والأم معًا ، فتقول :

وقد بدأت بعض البلاد المتقدمة تستعين بالرجال والنساء معًا في العمل بدور حضانة الأطفال ، حتى ينشأ الطفل وأمامه الصورتان معًا ، صورة الأب وصورة الأم ، وليس من الضروري في هذه المجتمعات أن يكون الأب هو أبوه ذاته صاحب الحيوان المنوي الذي أخصب بويضة الأم كما أنه ليس من الضروري أيضًا أن تكون أمه هي صاحبة الرحم الذي حمله ، فقد يكون هذا الأب ، وهذه الأم أقل كفاءة عن غيرهما في تربية الطفل ، وإنما من الضروري أن يقوم على تربية الطفل رجال ونساء ، فهموا معنى التربية الصحيحة [1].

ونحن نرد عليها قائلين :

« إن ما تنادي به الكاتبة يصلح في حالة واحدة ـ أشارت لها ـ وهي تربية اللقطاء أو الأطفال غير معروفي النسب، فالأم ولدت دون زواج ، وقد لا تعلم من هو الأب الحقيقي للمولود ، وذلك لكثرة العشاق الدائمين وعابري السبيل ، ويطلق حاليًا على مثل الأطفال: أطفال الشوارع، وهم ضحية لتحرر المرأة وعملها خارج بيتها والبطالة ، والعنوسة وما ظهر في المجتمع من مفاسد هي نتيجة حتمية لعمل المرأة بلا ضوابط شرعية.

(١) « المرأة والجنس » : صـ (١٠٥) .

ومعلوم أن موظفي الحضانات إذا أجادوا وقد يعطوا بعض الثقافات للأطفال أو اليسير من العناية ، ولكن أنى لهم أن يبذلوا الحنان والتضحية لأطفال ليسوا أولادهم .

كما أن الأم تربي وتحتضن وترعى طفلا واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو حتى عشرة ، أما الحضانات فالرعاية فيها - وإن نجحت - فهي لعدد كبير ، نصيب الطفل منها القليل .

والحقيقة أن الدول المتخلفة - النامية - لا تستطيع أن تنفق على هذا النوع من الحضانات حتى يتم تحقيق الغاية من إنشائها ، وهذا النظام بالقطع سيؤدي إلى قطع الأرحام ، لذهاب دور الأقرباء من عم وعمة وخال وخالة وجد وجدة ، فقد تعلو الماديات ، ولكن سوف تفنى العلاقات الإنسانية ، ومن ثم ستذهب الصحة النفسية للنشء أدراج الرياح ، وستنمو وتزدهر بقوة الأمراض النفسية والاجتماعية والصحية ، والنهاية زيادة نسب الانتحار ، وهو ما نراه في أغنى وآمن دول العالم كالسويد واليابان وأوربا وأمريكا ، تلك الدول التي يزيد فيها معدلات الانتحار رغم الرخاء الكامل والأمان الشامل وارتفاع مستوى الرفاهية والمعيشة مقارنة بالدول الفقيرة التي يموت فيها يوميًا الآلاف من الجوع العضوي ، ولا ينتحر فيها أحد نتيجة للجوع العاطفي أو الظمأ العائلي ، وصدق تعالى حيث قال : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد:٢٢].

ثالثًا : الادعاء بأن تربية الأطفال من واجبات المجتمع ومحدودية دور الأم :

من البديهي أن الادعاء بإلغاء أو تقليص دور الأم في التربية واعتبار هذا الدور دورًا ثانويًا إضافيًا ، يستوجب وجود بديل للأم القيام بمهامها - حسب اعتقاد دعاة عمل المرأة ، وهذا البديل الذي أجمع عليه هؤلاء الدعاة ، الزوج أو الرجل والمجتمع ، وتقول د « نوال السعداوي» في ذلك: «منذ نشوء العبودية قامت فكرة سمو الذكر على الأنثى على التضحية بالأم من أجل أن يكتسب ابنها الرجولة أو الدور الاجتماعي والثقافي والسياسي للذكر .

لكن الأمومة قسمان : الولادة وهي عمل من أعمال الطبيعة ، ورعاية الطفل وهي عمل من أعمال المجتمع والقيم الثقافية السائدة ، إن الفصل بين البيولوجي والطبيعي لا يمكن أن يحدث إلا نظريًا فقط [(١)].

وتنادي « فريدة النقاش » بنفس الفكر فتقول :« ومن أجل تقوية الحجج التي تدعو لعودة المرأة إلى البيت يجري الاستنجاد بطبيعة المرأة من جهة ، وبمهمتها الأساسية من جهة

(١) د « نوال السعداوي » : « توأم السلطة والجنس » : صـ (١٠٤) .

أخرى في تربية الأجيال القادمة تربية سليمة ، وحماية هذه الأجيال من أشكال الابتذال والثقافات الوافدة ومخاطر الإدمان والانحراف ، وكأن هذه المهمات كلها ليست مهمات اجتماعية متكاملة لابد أن تنهض بها كل المؤسسات الإعلامية والتربوية والثقافية مجتمعة ؛ لأنَّ الأسرة مهما كانت قوتها وتماسكها ، فهي ليست إلا مؤسسة واحدة يتراجع نفوذها أمام قوة المؤسسات الأخرى التي تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية » [١].

هذا، وقد دعا الجميع لضرورة مشاركة الرجل في تربية الأولاد مع المرأة سواء بسواء، فتقول فريدة النقاش: «نتائج العلم الاجتماعي قد أثبتت أن الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة لا ترتب أي فروق في القدرات الذهنية أو إمكانية اكتساب المهارات والمعارف في كل الميادين ، وممارسة كل أنواع العمل دون استثناء ، شرط أن يلعب المجتمع دوره في مساندة المرأة حتى تؤدي وظائف الأمومة والعمل في آن واحد ، ليس بإنشاء دور الحضانة ورياض الأطفال على نطاق واسع، وإنما أيضًا بتغيير أسس التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة لتصبح رعاية الأطفال وإدارة شؤون الأسرة عملاً مشتركًا يقوم به الزوجان على قدم المساواة [٢].

وتؤكد على دور المجتمع والرجل الهام والأساس في تربية الأولاد ، فتقول : « وعلى عكس كل ما توصل إليه علم النفس الاجتماعي من حقائق ثابتة حول التربية ، من أن الأبناء الذين يشارك الآباء والأمهات على قدم المساواة في تربيتهم هم أكثر صحة وشعوراً بالأمن من الناحية النفسية ، فإن منطق الجماعات الإسلامية وكل الرافضين لعمل المرأة يفترض أن التربية هي مهمة المرأة ، بل إنهم يغفلون خطورة الدور الذي يقوم به المجتمع بكافة مؤسساته القوية الأخرى ، إضافة لمؤسسة الأسرة مثل التعليم والإعلام والنوادي الرياضية والاجتماعية . . إلخ ، فضلاً عن أن الأم التي يدعون لتفرغها للأبناء هي قادمة بدورها من ثقافة وعلاقات المجتمع » [٣].

وترى د « نوال السعداوي » أن تربية النشء يتوقف على ظروف اقتصادية واجتماعية متعددة ، قد تجعل الأم تتخلى عن وليدها تمامًا ، أو تشارك الأب في التربية ، وقد يقوم الأب بمهمة الأم كاملة أحيانًا .

---

(١) « فريدة النقاش » : « حدائق النساء » : صـ (٧٤).
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٨٤) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (١٩) .

وقد تتدخل الظروف الاجتماعية القاسية وتجعل الأم ، تقتل طفلها الوليد أو تتركه وحده في الليل بجوار جامع ؛ لأنَّ الأب رفض الزواج منها ، وقد تتخلى الأم المطلقة عن أطفالها تماما من أجل أن تعيش فى كنف زوج آخر يرفض بقاء أطفالها » [١].

كما تقول: «وكذلك تتغير علاقة الأب بأطفاله حسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وفي المجتمعات التي تشترك فيها الأم ، والأب في الأعمال الانتاجية والاقتصادية ، فإن الأب يشترك مع الأم في أعمال البيت وتربية الأطفال » [٢].

وتؤكد قيام الرجال بمهمة النساء في حضانة وتربية الأبناء .

وهناك بعض المجتمعات تنفرد الأم وحدها بالعمل والإنتاج ، ويترك أمر تربية الأطفال ورعايتهم للزوج الذي من شدة التصاقه بالأطفال تتولد لديه مشاعر قوية تربطه بالأطفال ، ويستجيب لهم انفعاليًا ، ويشعر نحوهم بمشاعر الأم ومن شدة تمثله لدور الأم ، فإنه يشعر مثلها بآلام الولادة « قبائل غينيا الجديدة ومانوس (Manus) ، وقبائل « التشامبولي » (Tchamkuli) [٣].

وتكتب « مارجريت ميد » تقول : « إن الطفل المولود في قبيلة « أياتمول » (Iatmul) بمجرد أن يبلغ بضعة أسابيع من عمره ، فإن أمه تكف عن أن تحمله أو تجلسه على «حجرها » ،ولكنها تتركه يبكي طويلاً من شدة الجوع قبل أن تطعمه ، وفي قبيلة «موندجومور » (Mundngumor) ، فإن النساء يشعرن بكراهية شديدة نحو الأطفال ونحو عملية إنجابهم وتربيتهم ،وتحمل الأم طفلها في سلة خشنة تؤلم جلد الطفل ، ثم حين يكبر قليلاً تضعه على كتفها بعيدًا عن صدرها ، وترضع الأم طفلها وهي واقفة ، ثم تدفعه بعيدًا عنها قبل أن يشبع أو يكاد [٤].

ونحن نرد موضحين : إن مشاركة الزوج في تربية الأطفال أمر ضروري ولازم ولن تستقيم التربية إلاَّ بذلك ، ولكن دور الرجل ضئيل بالنسبة للمرأة ، فهو يُشرف ويوجه وينصح ويتابع وهي مهمات سهلة يسيرة إذا قورنت بمتاعب الحمل والولادة والرضاع لعامين، والحضانة بما تستلزمه من مشقة تربية الوليد ورعايته صحيًا ونفسيًا وخلقيًا ، فالرجل مهما شقى حتى يجيد مهمته ، فإن دوره لن يزيد عن أهمية فرع صغير بالنسبة

(١ ـ ٣) « الأنثى هي الأصل » : صـ (٢٠٨)
(٤) « المرجع السابق » : صـ (٢٠٦ ، ٢٠٧) .

لشجرة ضخمة مترامية الأطراف كثيرة الأفرع غير محدودة الأوراق .

ومما لا شك فيه أن الأسرة حاليًا أصبحت مؤسسة محدودة الإمكانات ، قليلة الأهمية، أو منعدمة القيمة ، أمام مؤسسات أخرى تشارك في تربية النشء عقليًا ونفسيًا وثقافيًا واجتماعيًا غير محدودة الإمكانات ،ولكنها جميعًا تهدف إلى هدم القيم ، وإزالة الأخلاق وخلق أجيال جديدة هم عبدة الشيطان .

وقد ضاعفت هذه المؤسسات من أهمية تفرغ المرأة وزيادة إشراف الأب على تربية الأطفال ، وإلا أصبحت الأسر عديمة القيمة منعدمة الأثر في تربية أطفالها .

أما فيما يختص بضرورة مساندة المجتمع للمرأة العاملة حتى يُسهل لها القيام بوظيفتين مرهقتين ، فهذا من حق المرأة إذا كان عملها لضرورة تخصها ، أو تلبية لحاجة المجتمع لخدمته ، وليس لمنافسة الرجال وسلب أعمالهم وسرقة أموالهم ، وزيادة بطالتهم .

كذلك يجب على الأزواج مساعدة الزوجات العاملات - لضرورة - في تدبير ما يستطيعون في إدارة المنزل ، سواء بالمساندة الفعلية - كان الرسول ﷺ يُرى في خدمة أهله - أو بتوفير ما يستطيعون من خدم أو مساعدين .

وسنترك لـ « قاسم أمين » إيضاح أهمية المرأة للعائلة : « المرأة ميزان العائلة ، فإن كانت منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعًا منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض ولا يعرفون نظامًا ولا ترتيبًا في معيشتهم ، فتفسد آدابهم وعوائدهم ، وإن كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع العائلة ».

وعن فن إدارة المنزل يقول « قاسم أمين » : « والحقيقة أن إدارة المنزل صارت فنًا واسعًا يحتاج إلى معارف كثيرة مختلفة ، فعلى الزوجة وضع ميزانية الإيراد والمنصرف ، وعليها مراقبة الخدم ، وعليها أن تجعل بيتها محبوبًا لزوجها ، فيجد فيه راحته ومسرته إذا أوى إليه ، فتحلو له الإقامة فيه ، ويلذ له المطعم والمشرب والمنام ، وعليها - وهو أول الواجبات وأهمها - تربية الأولاد جسمًا وعقلاً وأدبًا ، إن الأولاد صناعة الوالدين ، وإن الأمهات لهن النصيب الأوفر في هذه الصناعة » .

وعن أهمية المرأة لرعاية وتنشئة الأبناء الأولى، قبل مغادرة البيت لمواجهة المجتمع يقول «قاسم أمين»: «إن التربية الجسمية للولد وحدها تستدعي معارف كثيرة، فعلى الأم أن تعرف أفضل الطرق لتغذية الأطفال؛ لأنَّ النظام في نمو الجسم يرتبط دائمًا بنظام التغذية، وعلى الأم

أن تعرف كيف تقي جسم ولدها من أعراض الحر والبرد، وما هو الماء الذي ينبغي استعماله في نظافة جسمه من حار أو فاتر أو بارد ، وإن للهواء والشمس أثرًا حميدًا في الصحة .. ثم يجب عليها أن تكون على علم تام بنفس الطفل ووظائف قواه العقلية والأدبية »[١].

وعن دور الأم في التربية العقلية يقول : « فبالوراثة يكسب الطفل استعدادًا لكل ميل كان عليه الوالدان صالحًا كان أو فاسدًا ، وبالتربية يمتلئ ذهن الطفل بالصحة الواردة عليه من الإحساس وبأثرها في نفسه ألمًا كان أولذة ، وتعرض حسه لقبول هذه الصور موكول إلى إرادة مربية ، وهو الذي يُريه ويُسمعه ويذيقه ويفيده كل معلوم ، وهو الذي يعرض على وجدانه من العواطف ما يراه لائقًا به »[٢].

وبعد عرض أفكار « قاسم أمين » وهو الرائد الأساسي لمطالب تحرر المرأة نستطيع القول : إن هذه الوظائف السابقة التي تستمر من لحظة الولادة إلى سن البلوغ على الأقل هي وظائف الأم بصفة أساسية وتحت إشراف الأب بصفة فرعية ، أما دور مؤسسات المجتمع الأخرى ، فإنه يبدأ على الأقل ـ حديثًا ـ في سن ما بعد الإدراك أي : التاسعة أو العاشرة ، وذلك لانتشار وسائل الإعلام المرئية على وجه الخصوص ، ودخولها كل بيت بلا استئذان ، وهذه الوسائل تستوجب استمرار الرعاية العقلية والفكرية والدينية من سن الإدراك حتى المراهقة مرورًا بسن البلوغ ، فحاجة البيت إلى المرأة تعاظمت وتزايدت عن ذي قبل ، خاصة بعد اهتمام وزارات التربية والتعليم بالتعليم أولاً ثم التربية . أخيرًا .

فإن تم الاعتماد على المجتمع ومؤسساته في التربية ضاع النشء ، ودفنت الفضيلة بعد موت الأخلاق .

خاصة بعد تفشي العادات الغربية الغريبة عن أخلاقياتنا الشرقية والدينية والتي كان للعولمة وسرعة انتشار وسائل الإعلام الفاضحة من مسموعة ومرئية ومكتوبة ، الأثر الأكبر في نشر رذائل وموبقات وعادات وتقاليد شاذة ، لا تستقيم مع خلق قويم أو دين حنيف ، فأصبح للشواذ جنسيًا محطات تليفزيون، ومواقع على الإنترنت ، فروجوا لأفكارهم السامة ومبادئهم الهدامة ، حتى أصبح الحرام له قدسية الحلال ـ حسب دعواهم ـ ولا شك أن هذه المتغيرات جعلت من الضروري زيادة دور الأم والأسرة في رقابة وتربية النشء ، فإن لم نفعل فقد يصبح الشواذ هم المربون والمعلمون والقدورة لأبنائنا، ونعوذ بالله من ذلك[٣].

(١ ، ٢) « قاسم أمين » : « تحرير المرأة » : صـ (٤٧ ، ٤٨) .

(٣) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (٩٥ ، ٩٦) .

وبعد إيضاح أهمية الأم أولاً ، ثم مساعدة الأب لتربية النشء ، نستطيع أن نرد على د «نوال السعداوي» فنقول : من الثابت أن هناك بعض المجتمعات تقوم النساء فيها بالعمل خارج البيت منها الغجر ، وبعض ما أوضحته من قبائل ، ومن ثم ينشأ للأمهات حق مساعدة الآباء لهن في تربية النشء ، ولكن هذا الحق لن يصل لدرجة أن الرجال يشعرون بآلام الولادة كالنساء ، وإذا حدث ذلك تحول الرجال إلى جنس ثالث معدوم الهوية الجنسية، ومعدوم القوة الجنسية أيضًا ،وبالتالي سيتم ظُلم النساء جنسيًا بمعاشرتهم لرجال من هذا النوع ، ومعلوم أن المرأة من الغجر تخرج للعمل والكد والشقاء لا من واقع إيمانها بأهمية العمل ، ولكن من واقع آخر وهو توفير أسباب راحته ، كن يجتهد ويشقى لإسعادها جنسيًا فقط ، فهي تعتقد أن عناءها مقابل مناسب لحُسن تأديته واجبه الجنسي نحوها ، وهذه حقيقة .

وما أوضحته « مارجريت ميد » من أسلوب يوضح قسوة الأمهات في تربية الأبناء ، لا يدل على كراهيتهم - كما تحاول الزعم - ولكنهن يرون في تلك القسوة ، تدريب على تحمل خشونة العيش ، وما قد يلاقيه هؤلاء الأطفال من قسوة ومشاق في مجتمعات فقيرة معدمة لا سبيل للحياة فيها إلا من رضع الجَلد ، وشرب المرارة ، وأكل الصبر .

وقد سبقت هؤلاء المتخلفين الحضارة الرومانية التي كان النساء فيها يلقون بالأطفال بعد الولادة في الصحراء عراة جياع لمدة أيام ، فمن بقى منهم حيًا فهو - في نظرهم - يستحق الحياة ، ومن مات فقد تخلص المجتمع من نشء ضعيف لن يفيده مستقبلاً كمحارب شرس أو عالم نابه .

إذن كراهية النشء لم تكن سبب القسوة ، ولكن التدريب على الفتوة والجلد هو سبب هذه القسوة ، والتي يُعتقد أنها في صالح النشء .

وأما الأم التي تلقى فلذة كبدها في عرض الطريق ، فهي الأم الخاطئة الزانية التي لا تستطيع أن تواجه المجتمع بخطيئتها .

الفصل الثالث

الإساءة إلى
الأديان وعلمائها وأحكامها

المبحث الأول: نقد الكتب السماوية وعلماء الدين وأحكامه.

المبحث الثاني : الإساءة إلى المؤسسات الدينية وأفكار الجماعات الدينية المعتدلة .

الفصل الثالث

الإساءة إلى الأديان وعلمائها وأحكامها

توطئة :

الأديان السماوية الثلاث وكتبها الموحى بها من الله ، حتى ولو حُرِفَ بعضها أو بُدِلَ ، هي العدو الأول لدعاة المرأة المطلق ، وتحررها السافر ، فكل دين له أحكامه المنظمة لعمل المرأة ،والتي يُفترض أن يتبعها معتنقوه ، وفي جميع الأحوال ، فتنظيم عمل المرأة في الأديان - مع الخلاف اليسير بينها - لا يتوافق مع إدعاءات ومطالب دعاة عمل المرأة ، وعلى ذلك يلجأوون إلى الإساءة إلى الأديان حتى ينزعوا من صدور المؤمنين مهابة الدين ، ومن ثم سهولة نبذ أحكامه .

والإسلام يختلف عن الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية ، فهو لم ينظم فقط الشعائر التعبدية تاركًا أمور الإقتصاد والسياسة والإجتماع ينظمها الناس لأنفسهم عملاً بقاعدة : « ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، وهي العبارة التي نسبت للسيد المسيح عليه السلام ، ولكن الإسلام ينظم أمور الدنيا والآخرة معًا ، قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣].

فكما أنه لاشريك مع الله في الشعائر التعبدية ، فلا شريك معه أيضًا في الشرائع القانونية والنظم الإجتماعية والإقتصادية وسائر أمور الحياة ، بل ووسائل الموت ، فليس لقيصر مع الله شئ ؛ إذ يقول تعالى : ﴿ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد : ٣١] ، ويقول : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] [(١)].

وعلى ذلك فنصيب الإسلام من الإساءة إليه بغير حق وافر ، وحتى يحقق هؤلاء هدفهم ويبررون صحة دعواهم فهم يجاهدون للإساءة إلى الكتب السماوية ، والمؤسسات الدينية ورجال الدين ،وفي هذا الفصل ، سنعرض :

المبحث الأول : نقد الكتب السماوية وعلماء الدين وأحكامه .

المبحث الثاني : الإساءة إلى المؤسسات الدينية وأفكار الجماعات الدينية المعتدلة .

---

(١) « المستشار سالم البهنساوي » : « المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية » : صـ (١١٨) .



المبحث الأول

نقد الكتب السماوية وعلماء الدين وأحكامه

أولاً : نقد الكتب السماوية :

١ ـ نقد التوراة :

تقول هورني : « إن الثقافة اليهودية كما وردت في التوراة ثقافة أبوية ذكرية ، وهذه الحقيقة تظهر في دينهم اليهودي حيث لا يوجد إله أنثى أو إلهة أم ، كالإلهة الأم القديمة».

وفي قصة آدم وحواء أنكرت الديانة اليهودية قدرة المرأة على الإنجاب ، وأعطت هذه القدرة لآدم ؛ إذ قالت : إن حواء خُلقت من ضلع آدم، وأن لعنة قد ألصقت بحواء إلى الأبد ذلك أن تلد في الألم والأسى ، وأن حواء هي السبب في شقاء آدم ؛ لأنَّها أغرته بأن يأكل من شجرة المعرفة كإغراء جنسى ، وتعتقد الكاتبة أن الديانة اليهودية بهذه الأفكار أفسدت العلاقة بين الرجل والمرأة منذ العصور القديمة حتى الآن [1].

ويقول د . القس « أنور زكي » معترضًا على عدم إرسال رُسُل من النساء في الديانة اليهودية :

« وقد تأثر الكُتّاب في العهد القديم بالثقافة المحيطة بهم ، فقدمت الرسالة بواسطة الرجال ، وأصبحت المرأة تلى الهامش » .

كان نظام القيادة لشيوخ اليهود في المجتمع اليهودي ،ولا دور للمرأة فيه .

كُتب اللاهوت بواسطة الرجال ، وهكذا المعتقدات والصور والرموز ، كان من إنتاج الذكور [2].

وما سبق من أقوال « هورني » والقس « أنور زكي » يتضح إنكارهما لوجود أي نصيب من الوحي الإلهي في التوراة ، وأنها كتب ثقافية ألفها مثقفُون رجال ، ادعى بعضهم النبوة .

---

(١) د « نوال السعداوي » : « المرأة والجنس » : صـ (٨٥ ، ٨٦) ، دار مطابع المستقبل بالفجالة ، الطبعة الاولى ، سنة (١٩٩٠) م .

(٢) الدكتور .القس « أنور زكي » : « المرأة في الكنيسة المصرية » ، صـ (١٧) ، دار الثقافة ، بمصر الطبعة الأولى .

ونحن نرد على بعض هذا المزاعم ،فنقول: « إن العقائد الوثنية هي التي انفردت بعبادة آلهة من النساء إضافة إلى الآلهة الذكور ، ومع ذلك فقد كان كبير الآلهة ذكر، وكان يسري على الآلهة ذكورًا وإناثًا ما يسري على البشر من بُغض وحسد وعلاقات جنسية وولادة ، ونزاعات وتحالفات وغير ذلك ، فهل يسمح هؤلاء الدعاة باتخاذ الأديان الوثنية المشركة الضالة، قدوة يُنادى باتباعها ، فقد أوضح الله وحدانيته الكاملة في التوراة، فقال: « **اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا ، فإنه رب واحد** » [التثنية: ٦ :٤]، « **(٢) أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر دار عبوديتك (٣) لا يكن لك آلهة أخرى سواي** » [الخروج: ٢٠] ، « **إني أنا الله ، وليس غيري إله ، وليس لي شبيهًا** » [اشعياء : ٤٦ : ٩] ، أما بالنسبة للنبوة وكونها كانت للذكور فقط ، فهذا أمر طبيعي ؛ لأنَّها تحتاج عناء في نشر الدعوة، وجهاد ضد الكفار بها ، وهجرة من أرض إلى أرض هربًا بالدين وليس هربًا من الدين ، وكل ذلك لا يناسب النساء .

٢ ـ نقد الإنجيل :

تقول د « نوال السعداوي » : « طلاب الجامعات في العالم اليوم يناقشون بحرية وشجاعة بعض الاختراعات العلمية التي تناقض كثيرًا من الأفكار الدينية ، التي وردت عن نظرية خلق الكون والإنسان ، وفي أيديهم كثير من الكتب الجديدة التي يقول عنها « التيار المسيحي اليميني » : إنها إهانة للدين أو هدم للإنجيل ، إلا أن أحدًا لا يمنع هذه الكتب بقرار حكومي » (١).

هذا ، وقد نادت حركة تحرير المرأة بحذف كل ما يدل على التعصب للذكورة في الكتاب المقدس ، حيث تقول : إن الكتاب المقدس كتبه رجال من زمن كانت فيه سيادة الرجل على المرأة ، وينبغي تجديد اللغة في الكتاب المقدس (٢).

وعلى ذلك ، فقد عُدلَتْ الصلاة الربانية إلى « أبانا وأمنا في السماء » بدلاً من « أبانا الذي في السماء » ، وغيروا كلمة « ابن الإنسان» التي يقصد بها المسيح من جهة بشريته إلى « الشخصية البشرية الوحيدة » (٣)، وغيروا كلمة المسيح أو

(١) د « نوال السعداوي » : « قضايا المرأة والفكر والسياسة » : صـ (٣٣٩) ، مكتبة مدبولي بالقاهرة، سنة (٢٠٠٢) م .

(٢) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (١١٩) .

(٣) يؤمن المسيحيون أن المسيح له طبيعتان ، إله وإنسان والإنسان هو الذي ولد من مريم العذراء ويطلقون عليه « ابن الإنسان » .

يسوع [١] ، إلى صوفيا أي : الحكمة ؛ لأنَّها لفظ متحرر من الذكورة والأنوثة [٢] .

وهكذا ، يتضح أن دعاة تحرر المرأة وعملها بلا ضوابط ، انتقدوا الكتاب المقدس ، وادعوا ذكورية مؤلفيه وظلمهم للمرأة ، وهذا برهان على عدم إيمانهم بأنه موحى به من الله » .

٣ ـ محاولة الإساءة إلى القرآن الكريم :

يقول « محمد أركون » : « عندما ظهر القرآن لأول مرة وجد أمامه وضعًا راسخًا منذ عدة قرون ، ولم يستطع تعديله فيما يخص نقطتين أساسيتين هما : البنى الأولية للقرابة والتحكم بالجنس وضبطه ، وتوجد أيضًا نقاط أخرى ، مهمة كالإرث والحفاظ على الجسد، وحق التوصل إلى الامتيازات الاجتماعية والثقافية والسياسية » .

ويلاحظ أن التعبير بلفظ : « عندما ظهر القرآن » يوحي بعدم الإيمان بالقرآن ككتاب مقدس موحى به من الله عز وجل ، وقوله : « لأول مرة » يوحى أن هناك مرات أخرى لظهور القرآن الكريم ، وقوله : « لم يستطع تعديله » يوحى بأن القرآن الكريم كان تشريعًا بشريًا لا وحيًا إلهيًا .

وتؤكد ذلك د « هبة رؤوف » فتدعي أن الإسلام جزء من التراث ، فتقول : « كذلك فإن الإسلام الذي هو جزء أصيل وعزيز من تراثنا الثقافي والفكري ليس هو كل هذا التراث الذي تدخل في تكوينه الفرعونية ، والهيللينية والقبطية والثقافة الشعبية التي هي اقتراح وتفاعل كل هذه العناصر ، وفوق هذا وذلك تأتي منجزات العلوم والمعارف الإنسانية المعاصرة » [٣] .

تقول « عزيزة حسين » في مؤتمر المرأة المنعقد سنة (١٩٦٩) ، بجامعة تورنتو بكندا: « إن الإسلام أعطى المرأة دور الخادم في الأسرة ،وأنه لا يقر المساواة بين الزوجين ولا يقرها بين الرجل والمرأة في العمل والحياة » !! .

وهناك من دعاة تحرر المرأة من يدعي أن الإسلام أصبح فكرًا قديمًا باليًا لم يعد يصلح للعصر الحديث وما يليه ، ومن هذه الآراء السقيمة رأي « فاطمة المرنيسي » : « لقد عبرت الخلافة القرون ؛ لأنَّها حلم بحكم عادل ، ومن الحلم تستمد قوتها على التحمل وسلطتها

---

(١) المسيح ويسوع من أسماء عيسى ابن مريم عند المسيحيين .

(٢) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (١١٩) .

(٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٦) ، ومرجعنا كتاب « حدائق النساء » .

الخفية ، إنها حلم بدا صعب التحقق إلى أبعد حد بعد وفاة الرسول ﷺ ، وهي صورة أسطورية لأمة سعيدة يقودها خليفة متواضع ، أسير للقانون الإلهي وتابع لهديه ، وأيا كانت الغرابة في ذلك ،فإن الخليفة ، كما يقال ويعاد دائمًا ، لا يملك بالسلطة التشريعية ، وبالتالي ليس بإمكانه القيام بإصلاحات قانونية ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو المشرع .

لقد نزل التشريع مرة واحدة ، ولذا فإن كل تغيير في قوانين الأحوال الشخصية المرتبطة بالشريعة ، وكل إصلاح في القوانين المتعلقة بالتعدد والطلاق والإرث والتبني ، تثير زوبعة في المجتمعات الإسلامية التي تحاول أن تلائم هذه القوانين مع المشاكل اليومية والضغوط التي تتخللها [1].

٤ ـ نقد الأديان الثلاثة مجتمعة :

تقول د « نوال السعداوي » : « إذا درسنا هذه الكتب الثلاثة بعمق اكتشفنا التشابه الكبير بينها ، وأنها تقوم على فلسفة واحدة هي فصل الروح عن الجسد ، فصل المكان عن الزمان ، فصل الأرض عن السماء ، فصل المرأة عن الرجل .

أصبح الله يرمز إلى الروح والزمان والسماء ، والرجل هو الفاعل الإيجابي الذي يملك الشرف واللذة والقانون ، أصبحت المرأة هى المفعول به ، هى الجسد ، هى المكان ، هي الأرض ، هي الآثمة حواء « إن ذاقت لذة المعرفة » هي الطاهرة العذراء « إن حرمت اللذة وعاشت بلا جنس وبلا معرفة » [2].

كما تقول أيضًا : « هناك علاقة تاريخية بين الاتجاه الروحي أو الديني في التاريخ وعبودية المرأة وظلمها ، لا يمكن الفصل بين الاتجاه الديني والاتجاه الروحاني ، كلاهما واحد ، وإن اختلفت اللغة وتغيرت أشكال الروحانية ، فهي تنبع من فلسفة الفصل بين الروح والجسد ، واعتبار الروح أسمى من الجسد ، وأن الرجل أسمى من المرأة ؛ لأنَّ الرجل يمثل الله على الأرض ، والله يخاطب بلغة الذكر في الأديان والكتب السماوية ، وجميع الأنبياء ذكور » [3].

ومع ذلك ، يحاول د . القس « أنور زكي » إثبات أنوثة الله ، فيقول عن المسيح[4]: « وقد استخدم يسوع صورة أنثوية ليصف الله في [لوقا ١٥] ،وأكد على اهتمام الله بأولئك

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٣٩) .
(٢ ، ٣) « المرجع السابق » : صـ (٣٨) .
(٤) وذلك باعتبار المسيح هو الله حسب الاعتقاد المسيحي .

المفقودين كالمرأة التي تبحث عن الدرهم المفقود » (١).

ويقصد الكاتب بذلك ما جاء في الإنجيل : « (٨) **امرأة عندها عشرة دراهم ، إذا أضاعت درهمًا واحدًا ألا تشعل مصباحًا وتكنس البيت وتبحث بانتباه حتى تجده؟ (٩) وبعد أن تجده تدعوا الصديقات والجارات قائلة : أفرحن معي ؛ لأني وجدت الدرهم الذي أضعته** » [لوقا : ١٥] .

والمثل شبه الله بامرأة تفرح إذا وجدت ما ضاع منها ، فالله كذلك يفرح بتوبة العبد .

ونحن لا نشاطر « الكاتب » الرأي في أن المثل وصف الله بصورة أنثوية ، فالهدف من المثل هو تقريب فكرة ما إلى العقل .

ويجب ملاحظة أن ألفاظ الذكورة والأنوثة في كل لغة بعيدة عن الاتفاق التام والتوافق، فمثلاً الشمس في اللغة العربية مؤنثة ، وهي خالية من تاء التأنيث ، والقمر مذكر ، واسم « رضا » في العربية يطلق على الرجل والمرأة أي : السيد « رضا » ، والسيدة « رضا » ، وكذلك اسم عفاف ، ولا تخلو كل اللغات من هذه الشواذ ، فما أدرى دعاة أنوثة الله أن اللفظ يدل على مؤنث وهو جل وعلا لا يباشر أي وظيفة من وظائف النساء .

أ ـ الحكمة من ذكورة الرسل والأنبياء :

إذا آمنا بأن الله هو الحكيم الخبير ، فلا يجب علينا أن نناقش مشيئته أو نجادل في إرادته ، فمهما بلغ الإنسان من العلم فلن يصل إلى حكمة الله في خلقه ، وقدرته على إدارة وتسيير كونه ، ومع ذلك فسوف نوضح بعض الحكم الإلهية لكون كافة الأنبياء أصحاب الرسالات رجال ، ولم يكن منهم نساء (٢):

١ ـ عدم قبول المجتمعات لرُسل النساء :

إن حق القوامة الطبيعة ، قد أنشأ حق الرجال في قيادة الأمم سياسيًا « حكام وملوك » وروحيًا « أنبياء ورسل » ، ومع ذلك فقد رفض الكثيرون قيادة بعض الملوك والأنبياء لهم

---

(١) « المرأة في الكنيسة المصرية » .

(٢) التوراة والإنجيل أوضحا أن بعض النساء كن نبيات أصحاب تنبؤات ، وليسوا أصحاب رسالات سماوية .

بزعم أنهم ليسوا أكفاء لهذه القيادة .

ففي التوراة :

أن موسى أعان يهوديًا من قومه على قتل مصري ، وفي اليوم التالي وجد رجلان من عشيرته يتخاصمان : «(١٧) **فقال للمذنب : لماذا تضرب صاحبك؟! (١٨) فقال من جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا؟!**» (١) [الخروج : ٢].

وشكا موسى إلى ربه : « **(١) ولكن هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي ، بل يقولون : لم يظهر الرب لك** » [الخروج : ٤].

وعندما طلب اليهود من الله أن يهبهم ملك ليتقووا به ، اختار الله لهم « شاول » وجاء عنه بالتوراة : « **(٢) شاب وحَسَن ، ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه ، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب ..** » [١ صموئيل : ٩].

هذا ، وقد أمر الرب أن يكون هذا أول ملك لإسرائيل ، وكان نبيًا أي : يتنبأ ، ومع ذلك احتقره بعض الشعب ورفضوا قبوله : « **(٢٧) وأما بنو بليعاتل ، فقالوا : كيف يخلصنا هذا؟ فاحتقروه ولم يقدموا له هدية ، فكان كأصم** » (٢) [١ صموئيل : ١٠] .

وفي الإنجيل :

أنكر اليهود رسالة المسيح كنبي :« **(١٥) فتعجب اليهود قائلين : كيف يعرف هذا الكتب ، وهو لم يتعلم ؟(١٦) أجابهم يسوع ، وقال : تعليمي ليس لي ، بل للذي أرسلني .. . (٢٠) أجاب الجميع : ربك شيطان من يطلب أن يقتلك** » (٣) [يوحنا : ٧].

وعندما قام بشفاء أعمى وأخرس وأخرج شياطين من أجساد البشر ، أنكر علماء اليهود نبوته ومعجزته ، وقالوا :« **هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين** » [متى : ١٢ : ٢٤] .

---

(١) القصة جاءت مع اختلاف في الوقائع في القرآن الكريم ، في سورة القصص ، الآيات من (١٥ : ٢٠).

(٢) جاءت القصة بالقرآن الكريم مع اختلاف في الأحداث والأفكار في سورة البقرة، الآيات من (٢٤٦ : ٢٥١).

(٣) المعنى : يجب قتلك ؛ لأنَّ الشيطان يسكنك .

في الإسلام :

استنكر المشركون أن يكون الرسول بشر من الناس ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء : ٩٤].

كما قال جل شأنه : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس : ٢] [١] .

وهذا الإعتقاد راسخ عند كل الأمم ، حيث قالوا لرسل الله: موسى ونوح وغيرهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [إبراهيم : ١٠ ، ١١] .

وقالها رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف : ١١٠].

هذا ، وقد آمنت قلة أن النبي يمكن أن يكون من البشر ، ولكنهم آثروا ما يرونه صالحًا للنبوة حسب اعتقادهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] [٢] ، فكان الرد الحازم من الله على دعواهم : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف : ٣٢].

وهذا الرد الجميل كان لكفار أمس ، وما زال لعلمانيين اليوم .

٢ ـ الشفقة على النساء من تحمل أعباء رسالة السماء :

تبليغ رسالات الله هي أشق وظيفة وأثقل مهمة يقوم بها رجل ، فالحرب ضد الله ورسوله لا تنتهي أبدًا ، وفي سبيل نشر الرسالة يعاني الرسل معاناة لا يتحملها إلا أولي العزم منهم أي: أصحاب القوة والبر والجلد ، وهذا لا يناسب المرأة بأي حال من الأحوال، ومن هذه الأعباء :

*** المشقة والعناء في تبليغ الرسالة :**

تبليغ وإعلام الناس برسالة الله في مجتمعات لم تكن فيها وسائل الاتصال الحديثة

---

(١) يقصد به : الإيمان الفطري الذي خلق به الإنسان ، والذي يوضح إيمان الذكر والأنثى بضرورة قيادة الرجال للأسر والمجتمعات .

(٢) يقصد بالقريتين : مكة والطائف ، والرجلين : الوليد بن المغيرة ، وأبو مسعود بن عروة ، وقيل غيرهم ، « تفسير القرطبي » .

موجودة نهائيًا ، ووسائل المواصلات التي تكفل حرية الانتقال وسرعته وسهولته كانت بدائية جدًا وأقواها الإبل ، لم يكن أمرًا سهلاً حتى تستطيعه المرأة ، إضافة إلى الخوف من مواجهة المناوئين للرسالة ، وهذه حقيقة أجلتها الكتب السماوية .

التوراة: أمر الله موسى بالذهاب إلى فرعون مصر ، ولكنه خاف من ذلك : « (١٠) **فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من أرض مصر (١١) فقال موسى لله : من أنا حتى اذهب إلى فرعون ، وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر** » [الخروج: ٣: ١٠: ١٢] .

فهل كانت امرأة تستطيع مواجهة فرعون دون الخوف من الاغتصاب ؟! ، وسبق أن أمر الله موسى بالصعود للجبل للقائه بما في ذلك من مشقة : « **(١) ثم قال الرب لموسى ..(٢) وكن مستعد للصباح ، واصعد في الصباح إلى جبل سيناء** » [الخروج : ٣٤]، ومعلوم أن موسى مكث على الجبل أربعين ليلة .

وقد لاقى موسى ﷺ من مشقة التيه في أرض سيناء وغير ذلك الكثير ، فهل تستطيع امرأة ذلك وقيادة الشعب أربعين سنة ؟! .

الإنجيل : أوضح الإنجيل ما لاقاه الرُسل من عناء ومشقة، فجاء عن بطرس : « **(٣٢) وبينما كان بطرس ينتقل من مكان إلى مكان،زار الساكنين في مدينة لُدة** » [أعمال الرُسل:٨] .

وقد سافر « برنابا » و«شاول » ـ بولس ـ إلى عدة بلاد للدعوة للدين : « **(٤) توجها إلى ميناء سلوكية ، وسافرا بحرًا باتجاه قبرص** » [أعمال الرسل : ١٣] .

«**(١٥)وأبحر بولس ورفيقاه من باقوس إلى برجه في بمفيلية،وهناك فارق يوحنا بولس وبرنابا ورجع إلى أورشليم(١٤) أما هما فسافرا من برجه إلى أنطاكية**» [أعمال الرسل:١٣] .

هذا ، وقد انتقل الرسل من مكان لآخر ومن دولة لغيرها ، ومن قارة لأخرى ، فهل يناسب ذلك النساء ؟!

هذا ، إضافة إلى عناء المجادلة والمناقشة والمناظرة مع المنافسين وأهل العقائد الأخرى .

فقد قبض اليهود على بولس : « **(٢٨) فحرضوا الجميع كله ، وقبضوا عليه ، (٢٨) وهم يصرخون : النجدة يا بني إسرائيل ! هذا هو الرجل الذي يدعو الناس في كل مكان إلى عقيدة تشكل خطرًا على شعبنا وشريعتنا** » [أعمال الرسل : ٢] .

وقد اضطر بولس للدفاع عن نفسه : « **أيها الأخوة .. اسمعوا الآن دفاعي عن**

نفس ..» [أعمال الرسل : ٢٢] .

القرآن: أوضح القرآن الكريم عناء الرسول في الدعوة إلى الله فقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الانعام : ٢٥].

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الانعام : ٢٦].

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الانعام : ٣٤].

ولذلك ، فقد حذر الله رسوله من التقاعس عن تبليغ الرسالة، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة : ٦٧]، كما قال : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [المائدة : ٩٩].

وقد يستوجب تبليغ الرسالة مجادلة الكفار وأهل الكتب الأخرى : ﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧].

وفي سبيل الدعوة سار الرسول ﷺ من مكة إلى الطائف لنشر رسالته وأوذي وأدميت قدماه ، ولم يؤمن سوى رجل واحد نصراني [(١)].

*** الإهانة والمهانة من أعداء الدين :**

لم يُهن صاحب دعوة سواء كان سياسيًا أو اجتماعيًا بقدر ما يهان الأنبياء من قومهم وغيرهم من المناوئين للدعوة ، فالعداء السياسي قد تقل حدته أو تنعدم لاختلاف المصالح السياسية أو اتفاقها ، أما العداء ضد الله ورسله فلا نهاية له ، فلم يسلموا من السخرية ، والوصم بالكذب ، أو قلة العقل ، أو العلم بالسحر .

*** الاستهزاء بالسخرية :**

وجاء في التوراة عن ذلك :

ذهب موسى وهارون لدعوة فرون مصر ليطلق سراح بني إسرائيل فسخر منهما ،

(١) انظر : « السيرة النبوية » لابن هشام .

وقال : « (٢) **من هو الرب حتى أسمع لقوله .. (٤) .. لماذا يا موسى وهارون تعطلان الشعب عن أعماله ؟ اذهبا إلى أثقالكما** » [الخروج : ٥] .

وبدأ فرعون فى فرض عقوبات على اليهود فسخروا من موسى وأخيه .

« (٢١) **ينظر الرب إليكما ويقضي ؛ لأنكما أنتنتما** [1] **رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده ، حتى تعطيا سيفا في أيديهم ليقتلونا** » [خروج : ٥] .

وهكذا ، استهزأ بنو إسرائيل بموسى أيضًا .

ولم يسلم داود من إهانة وسخرية الغريب والقريب : « (٥) **ولما جاء الملك داود إلى بحوريم « اسم مكان » إذا برجل عابر هناك من عشيرة بيت شاول ، اسمه شمعي بن حيرا ، يسب وهو يخرج (٦) ويرشق « يقذفه » بالحجارة داود** » [صموئيل الثاني : ١٦] .

« **لقد أراد بشالوم بن داود مذلة أبيه داود ليحتقره بنو إسرائيل ، فيغتصب المُلك من أباه، فزنى بنسائه (٢٢) فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ، ودخل لمضاجعة**[2] **محظيات «إماء وعشيقات » أبيه على مرأى جميع إسرائيل** » [صموئيل الثاني : ١٦].

ولم يسلم النبي اليسع من سخرية بعضهم:«(٢٣) **وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه ، وقالوا له: اصعد يا أقرع!** » [الملوك الثاني: ٢].

وعندما اقترح النبي نحميا إعادة بناء سور أورشليم ، وسمع لنصحه بنو إسرائيل ما عدا بعض المستهزئين : (١٩) **ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني ، وجشم العربي هزءوا بنا ..** » [نحميا : ٢] .

في الإنجيل :

رد المسيح بصر أعمى ، وأعاد لسان أخرس للنطق ، وأخرج شياطين من أجساد بشر ، ومع ذلك لم ير اليهود أن تلك آيات ومعجزات ، فقالوا مستهزئين : « **هو لا يخرج الشياطين إلا بيعلزبونل رئيس الشياطين** » [متى : ١٢ : ٢٤] .

* **هيرودس « الحاكم الروماني » يستهزأ بالمسيح :**

« (٨) **وأما هيرودس ، فلما رأى يسوع فرح جداً ؛ لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه ، لسماعه عنه أشياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تُصنع منه (٩) وسأله بكلام كثير فلم**

(١) أنتنتما رائحتنا : أسأتم إلى سمعتنا ، فأغلظوا عقابنا .

(٢) المضاجعة : الزنى .

يجبه بشيء (١٠) .. (١١) فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به » [لوقا : ٢٣] .

وأقصى استهزاء وإهانة كانت للمسيح قبل صلبه (١) ـ حسب الاعتقاد ـ المسيحي : «(٢٨) **فعروه « الجنود » وألبسوه رداء قرمزيًا « أحمر اللون » (٢٩) وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ..(٣٠) وبصقوا عليه ..**» [متى : ٢٧] .

وقد بلغت الإهانة والسخرية مداها ، عندما اتهم اليهود المسيح أنه من زنى : « (٤١) **إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد هو الله** » [يوحنا : ٨] .

القرآن الكريم :

أوضح القرآن الكريم حقيقة الاستهزاء بكافة الرسل قبل الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٤١].

كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [الحجر : ١١] ، ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [يس : ٣٠] ، ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [الزخرف :٧] .

هذا ،ولم يسلم الرسول ﷺ من هذه السُّنة المتبعة :

﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [التوبة : ٦٥] .

كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [التوبة : ٦٥] .

كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا** ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

وقد تعاهد المنافقون على إخراج الرسول ﷺ من المدينة، فقالوا: ﴿ **لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٨] .

وقد استهان الكفار بالرسول ودعوته : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ [محمد : ١٦] .

وقد بلغ الاستهزاء بالرسول ودعوته مداه في رحلته للطائف حيث قال له أحدهم : «هو يمرط » ينزع ويلقى ويمزق ، ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما

---

(١) لا يؤمن المسلمون بأن المسيح صُلب لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

وجد الله أحدًا يُرسله غيرك !! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدًا ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك السلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك » [١].

ثم أغروا سفاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحوا به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وضربوه بالحجارة حتى أدميت قدماه ﷺ .

ولقَدْ مَنَّ الله على رسوله ، فدفع عنه أذى كل مستهزئ : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ [الحجر : ٩٥] .

*** ادعاء كذب الأنبياء :**

في التوراة :

خاف موسى تكذيب قومه له، وإنكار نبوته ، فقال لربه : « (١) .. **فإذا لم يصدقونني ولم يصغوا إلى « يستمعوا لي »** » [الخروج : ٤] ، فجعل الله له معجزة العصا.

كما كذبت امرأة « قوطيفار » يوسف عليه السلام ، وادعت أنه جاء ليزني بها ، ولما فشلت في إغوائه ادعت عليه كذبًا أنه حاول اغتصابها، وقالت: «(١٤).. **انظروا! قد جاء إلينا رجل عبراني ليُداعبنا ! دخل إليّ ليضجع معي ، فصرخت بصوت عظيم** » [التكوين : ٣٩] [٢] .

هذا ، وقد اتهم اليهود أكثر من نبي [٣] ، بالكذب :

« (١) **وعندما فرغ إرميا « اسم نبي » من الإدلاء بكل رسالة الرب إليهم «اليهود » ..(٢) قال عزريابن هو شعيا .. : أنت تنطق بالكذب** » [إرميا : ٤٠] ، كما تم تكذيب النبي حزقيا .

(١٤) هكذا يقول الملك: لا يخدعنكم حزقيا؛ لأنَّه لا يقدر أن ينقذكم(١٥) ولا يجعلكم حزقيا تتكلون على الرب قائلاً : إنقاذ ينقذنا الرب ..(١٦) لا تسمعوا لحزقيا » [اسقياء:٣٦].

تنبأ النبي «عاموس» بموت الملك «يربعام» وسبي بني إسرائيل فكذبه «أمصيا» الكاهن ، وأرسل إلى الملك يدعي كذب عاموس « (١٠) **قد تآمر عليك عاموس في وسط بيت إسرائيل ، ولا تطيق الأرض تحمل كل تنبؤاته** » [عاموس : ٧] .

---

(١) « سيرة ابن هشام » : جـ (١) ، صـ (٤١٩) .

(٢) جاء ذكر الإشارة للمرأة في القرآن الكريم باسم « امرأة العزيز » ويضجع أي : ليزني .

(٣) ليس كل أنبياء أهل الكتب وردت أسماؤهم في القرآن الكريم ، وما ذكر في القرآن الكريم (٢٥) نبي فقط ، وكثيراً لم يذكروا ، فليس لنا أن نصدق أو نكذب أسماء هذه الرسل .

في الإنجيل :

لم يسلم المسيح من ادعاء كذبه :

حوكم المسيح أمام علماء اليهود: «(٦١)..**فسأله رئيس الكهنة أيضًا ، وقال له : أنت المسيح ابن المبارك؟ ..(٦٢) فقال المسيح أنا هو .. (٦٣) فمزق رئيس الكهنة ثيابه ،وقال : ما حاجتنا بعد إلى شهود (٦٤) قد سمعتم التجاديف « الكذب والافتراء »! »** [مرقص:١٤] .

في القرآن الكريم :

بين القرآن الكريم تكذيب الناس للرسل والأنبياء السابقين ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الانعام : ٣٤] .

وما يسري على الأنبياء السابقين عانى منه الرسول ﷺ :

﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٨٤].

﴿ **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [يونس : ٤١].

ومن الرسل الذين اتهموا بالكذب قبل الرسول ﷺ :

نوح: قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ.فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٧]

وكذلك هود : ﴿ **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ** ﴾ [هود: ٥٠] . ولكنهم أنكروا رسالته : ﴿ **قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [هود: ٥٣]، وغيرهم الكثير .

وأيضا صالح: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** ﴾ [هود: ٦١، ٦٢]، وغيرهم الكثير .

*** ادعاء نقصان العقل :**

في التوراة :

اتهم أصدقاء أيوب إياه بقلة العقل وانعدام الحكمة : « **(١) فأجاب صوفر النعماني ، وقال : (٢) أكثر الكلام لا يُجاوب أم رجل مهذار يتبرر** » [أيوب : ١١] (١).

من أغرب قصص اتهام الأنبياء بعدم التبصر ما تم مع النبي بلعام ، وحمارته ، والقصة جاءت بـ « سفر العدد الإصحاح:٢٢» وملخصها : أن بلعام امتطى أتانه «جحشته» ، ولكنها حادت « انحرفت » عن الطريق ثلاث مرات ، وفي كل مرة يضربها ، وأخيرًا، قالت له: « **(٢٨) ماذا جنيت حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات (٢٩) فقال بلعام : لأنك سخرت مني، لو كان معي سيف لكنت قد قتلتك**» . . المهم أنها كانت ترى ملاك الرب الذى جاء ليعترض طريق بلعام ويقتله لولا أنها كانت تبتعد عن طريقه» [العدد:٣١:٣٥] .

في الإنجيل :

اتهم اليهود المسيح أن به مس شيطاني :

« **(٤٩) فأجاب اليهود وقالوا له : ألسنا نقول حسنًا : إنك سامري وبك شيطان** » [يوحنا : ٨] .

القرآن الكريم :

أوضح القرآن الكريم أن كل الأنبياء والرسل ، قد اتهموا بما ينال عقولهم ظلمًا وعدوانًا ، فقال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** ﴾ [الذاريات : ٥٢]، فقالوا لإبراهيم ﷺ : ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٥٥] ، وقالوا عن هود ﷺ : ﴿ **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ [هود : ٥٤] ، وقالوا عن شعيب ﷺ : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ**

---

(١) جاء بالتوراة سفر كامل باسم سفر أيوب ، أمَّا القرآن الكريم ، فقد أتى بقصته مختصرة في أربع سور هي : [النساء : ١٨٦] ، [الأنعام : ٨٤] ، [الأنبياء : ٨٣] ، [ص : ٤١] ، وقد اختلف علماء المسلمين في نبوته ، ومعنى الفقرة : أن أيوب لم يستطع الرد على كلامهم ، وهو رجل سفيه يحاول تبرير أخطائه .

الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] [(١)].

وقد اتهم الكفار الرسول ﷺ بالجنون : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾ [الحجر : ٦] [(٢)].

وقد نفى الله عنه هذه النقيصة، فقال : ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾ [التكوير : ٢٢][(٣)].

اتهام الأنبياء والرسل بالسحر :

التوراة :

أنكر فرعون نبوة موسى ، وعندما حول عصاه إلى حية جمع السحرة ليتحدوا موسى باعتباره ساحرا مثلهم ، وبالرغم من ابتلاع حية موسى لعصى السحرة التي تحولت بالسحر الكاذب إلى حيات إلا أن : « **(١٣) .. قلب فرعون ازداد تصلبًا** » [الخروج : ٧].

هذا ، وقد آمن السحرة بأن معجزات موسى ـ حسب التوراة ـ ليست بسحر وقالوا لفرعون :« **(١٩) .. هو فعل الله** » [الخروج : ٨] ،ومع ذلك لم يؤمن فرعون بنبوة موسى[(٤)].

الإنجيل :

اتهم المسيح بأنه يخرج الشياطين من الإنسان مستعينًا بالسحر حيث يساعده ملك السحرة والشياطين ، فقد شفى المسيح رجلاً أخرس ، فنطق بعد أن طرد منه شيطان : «**(٢٣) فاندهش الجموع كلهم ، وقالوا : لعل هذا ابن داود ! (٢٤) أما الفريسيون ، فلما سمعوا بهذا قالوا : إنه لا يطرد الشياطين إلا بيعلزبول رئيس الشياطين** »[متى : ١٢] .

---

(١) اللاعبين : المستهترين قليلو العقل .

(٢) اعتراك بعض آلهتنا بسوء : أصابت آلهتنا عقلك .

(٣) إنهم يستنكرون كمال عقله .

(٤) القصة جاءت كاملة في القرآن الكريم ، الذي أوضح إيمان السحرة بالله ، ومما جاء عن تحدي موسى ﷺ للسحرة : ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ . قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ . فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ . قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ . فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ** ﴾ [طه : ٦٥ : ٧٠] .

القرآن الكريم :

أوضح القرآن الكريم أن الأنبياء والرسل السابقين على الإسلام قد اتهموا بالسحر ، فقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ . مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ . لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١ - ٣] ، وسبق اتهام موسى به : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ . قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [يونس : ٧٦ ، ٧٧] ،هذا وقد اتهم الرسول ﷺ بالسحر ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٤ ، ٥].

ب ـ مدى صحة الوحي الإلهي :

كل أصحاب الأديان السماوية وغيرها، يؤمن بضرورة وجود إله خالق لكل شيء ومنظم ومدبر لكافة خلقه، وهذا الإله يجب أن يُعْبَدَ وشكل العبادة يتمثل في إقامة شعائر معينة أولها الصلاة. . ثم الطاعة وتنفيذ أوامره، فإذا أمر بفعل شيء أو الكف عن آخر فطاعته واجبة، ويتم توصيل كيفية العبادة وأوامر الله ونواهيه لعباده عن طريق نبي يُرْسله الإله لهم.

ويمثل الوحي ركنًا مهمًا في النبوة ، فإذا كان النبي هو سفير الله إلى خلقه ، الذي يتلقى أوامره ونواهيه ويبلغها إلى الخلق ، فالوحي هو طريق ذلك كله ، فعن طريق الوحي يتصل النبي بربه ويُبلّغ عنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وقد يقصد بالوحي الرسالة المُبلغة من النبي عن ربه ، فالوحي هو عماد النبوة ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] .

والمسلمون يؤمنون إيمانًا جازمًا ولازمًا بأنبياء الله السابقين ، وصحة رسالاتهم ، وإن حُرفت وبُدلت بعد ذلك : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، كما يؤمن المسلمون بصحة الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن ، وذلك قبل تحريفها : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران : ٣ ، ٤] .

والأنبياء معصومون عن الخطأ والنسيان في تبليغ رسالة الله ، فهم لا يتكلمون بما شاؤوا ولكن بما أوحى إليهم به ، وتلك حقيقة يختص بها كل أنبياء الله [1]، وقد أوضحها الله لنا حيث قال عن الرسول ﷺ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١ - ٤] .

وقد وصف الله أنبياءه : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

كذلك الملائكة الذين هم رسل الله إلى عباده المختارين لتلقي رسالة الله ، أمناء أتقياء ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦]، وعن جبريل أمين الوحي قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء :١٩٣، ١٩٤].

والمنكر المكذب بأمين الوحي جبريل هو كافر بالله مكذبًا لأنبيائه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ . مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧ ، ٩٨] ، وعلى ذلك منكر النبوة ورسالتهم ورسل الوحي هو كافر عدو الله .

جـ - بدعة ذكورية الله :

إن محاولة دعاة عمل المرأة وتحررها ادعاء ذكورية الله - والعياذ بالله - هي محاولة أفشل ممن يحاول إطفاء شمس الدنيا بنقطة ماء ، « ولله المثل الأعلى » .

فالذكر والأنثى في الدنيا لهما وظائف غايتها إعمار الأرض ، والله ليس كذلك : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١ - ٤] .

وهو في التوراة ليس كمثلة شيء : « **إني أنا الله وليس غيري إله ، وليس لي شبيه** » [أشعياء : ٤٦ : ٩] .

وفي القرآن الكريم : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

والواقع أن القول بذكورية الله - تعالى عن ذلك - ليس بفكر جديد مستحدث ، ولكنه فكر قديم يجدد ، وقد نطق به الكافرون من قبل ، فقال الله عنهم : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

---

(١) ثبت في التوراة كذب أحد الأنبياء على نبي مثله ، انظر : « سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١٣ : ١١ : ٣٢] .

الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠][١] .

وقد اعترض الله على وصف الملائكة بالإناث : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ١٩] .

فالله جل وعلا : اسم علم يطلق على ذات واحدة لا ثاني لها ولا مشابه ولا منافس ولا نظير لها ، تلك الذات لم يدع أي كتاب سماوي ، أو نبي مرسل ذاته أنه ـ حاشا لله ـ ذكر أو أنثى !! إن الله ليس رمزًا ،ولكنه خالق قادر وإله واحد ، والإسلام ليس له أي علاقة بالاتجاهات التاريخية أو الفكرية ، ولكنه دين الإنسانية جمعاء .

ـ المرأة ومهمتها في الحياة :

إن حكمة الله في جعل المرأة هي المفعول به ـ كما تقول د « نوال » ليس إهانة ،ولكنه ضرورة ليتسير مهمتها في الحياة،وهي أن تكون موضع اللذة المتبادلة وليس لذة الرجل فقط، ووعاء الخصب والذرية وإعمار الأرض ، وهذه الحقيقة الإلهية ثابتة في كافة المخلوقات من حيوان وطير وبنات ، فكل يُسر لما خلق له : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ، ألم يكرم الله خلق المرأة وجعله آية ـ أي : معجزة تستوجب الشكر ـ فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٣١] .

د ـ الله لم يفصل بين الذكر والأنثى،أو بين الروح والجسد ، أو بين السماء والأرض، أو بين الزمان والمكان :

ففي كل الأديان خلق جسد آدم أولاً ثم أعطاه روحًا من روحه ليُصبح حيًا يسعى ، ففي التوراة جاء عن خلق الإنسان : « **(٢٧) فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم (٢٨) وباركهم الله قائلاً لهم : اثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض ..**» [التكوين : ١] ، وعن كيفية الخلق جاء : « **(٧) ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسًا حية** » [التكوين : ٢] ، وعن خلق حواء : « **(١٨) ثم قال الرب الإله : ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيدًا ، سأصنع له معينًا مشابها له** » [التكوين : ٢] .

---

(١) خرقوا : أي افتعلوا وافتروا ، وكونهم نسبوا ذلك لله ـ خطأ ـ فمعنى ذلك أنهم ادعوا ذكوريته وتناسله .

إذن كلاً من آدم وحواء أي : الذكر والأنثى هما خلق الله وحواء ليست منفصلة عن آدم ، فقد خلقت منه : « (٢١) .. **ثم تناول الرب الإله ضلعًا من أضلاعه « آدم » (٢٢) وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم (٢٣) فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ..(٢٤) لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويصيران جسداً واحداً** » [التكوين : ٢] .

فأين الانفصال بين الرجل والمرأة ومهمتها واحدة ، وهي إعمار الأرض وهي المعينة للرجل ، والتي لا غنى لأيهما عن الآخر، فسعادتهما في الالتصاق وقيام كل منهما بوظيفة في الحياة .

والأمر لم يختلف في القرآن الكريم ، فقد قال تعالى عن أهمية الذكر والأنثى في المشاركة الإيجابية المتساوية في إعمار الأرض : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء : ١] ، فقال عن كيفية خلق آدم : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [الحجر : ٢٨ ، ٢٩] .

ـ الله لم يفصل بين الروح والجسد :

كما سبق الإيضاح ، فإن الإنسان ذكر وأنثى خلق من جسد من تراب ثم اتحد الجسد بالروح التي هبة من الله ، فصار الإنسان حيًا ، فطالما هناك حياة ، فالاتحاد قائم ، فإذا غادرت الروح الجسد كان الموت ، وانفصال الروح عن الجسد بالموت بالنسبة لعمر الإنسان يقدر بأيام : ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ** ﴾ [المؤمنون:١١٢، ١١٣]، ثم يتم الاتحاد مرة أخرى بعد البعث حسب المفهوم الإسلامي ، ففي الحياة لا انفصال نهائيًا بين الروح والجسد ، وحقيقة الروح بمعناها نسخة الحياة ، هي أمر إلهي لا يعلم كنهه سوى خالقه : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء:٨٥].

لو كان مقصد د « نوال » بالروح معنى « الروحانيات » أي : الدين ، فلا فصل بين أحكام الدين ومتعة وشهوة الجسد ، فالله لم يحرم عباده من أي لذة دنيوية تحت شعار الحرام ، فلذة الجنس منظمة بالزواج ، ولذة حب الولد والتناسل أيضًا منظمة به ، ولذة جمع المال وإنفاقه تنظمها أحكام تحري الكسب والحلال والأخلاق النبيلة السامية ، وأيضًا

الإنفاق فيما يرضى الله ويصلح حال المجتمع ، ولذة رؤية جمال الطبيعة وسماع الأصوات الجميلة ، تنظمها أحكام الشريعة ، واللذة الوحيدة التي حُرمت مطلقًا في الإسلام هي الخمر ، وحرمت كإدمان في اليهودية والمسيحية ، فالله جل وعلا لم يحرمنا أي لذة ، ولكن نظم مزاولتها بما ينفع الإنسان والإنسانية .

وقد يُحرم الله بعض اللذات في بعض الأوقات ، كالصيام ، وهو يعني الصبر على لذة الجنس المشروعة ، والطعام والشراب ، لكنه يعطي لمن ينفذ أحكامه الجزاء الأوفى ، والرسول ﷺ يقول : « **من صام رمضان إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

- الله لم يفصل بين السماء والأرض :

ففي التوراة بدء سفر التكوين : «**(١) في البدء خلق الله السماوات والأرض**»[التكوين : ١]، وفي القرآن حمد الله ذاته العلية لخلق السماوات والأرض: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [الأنعام:١] ، فالله يفتخر بأنه خالق كل من السموات والأرض ،ولم يفرق بينهما ، وأوضح أنه رب السموات والأرض كليهما: ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** ﴾ [مريم:٦٥] ، فأين التفرقة بينهما ؟!! إن العلاقة بين السماوات والأرض كالعلاقة بين الرجل والمرأة كلٌّ له وظيفة محددة تتكامل بها الدنيا وتستمر به الحياة الإنسانية كما أرادها الله ، ولو انفرط هذا النظام وفشل هذا التنظيم لقامت القيامة .

- الله لم يفصل بين الزمان والمكان :

الزمن خلق من خلق الله ، فنحن نقيسه بالمقارنة بين حركة الكون من شموس وغيرها: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [التوبة:٣٦] ، فالزمان مرتبط بالمكان ، ولكل فعل زمن يؤدى فيه ، ومكان يتم عليه، فأين الفصل بين الزمان والمكان؟! وإذا كانت د « نوال » تقصد أن أحكام الشريعة الإلهية قد لا تناسب تباين الأزمنة واختلاف المكان ، فما يصلح من أحكام في زمن أو وقت ما قد لا تصلح لغيره ، وما يصلح للناس في مكان أو بيئة قد لا يناسب آخر ، فهذا غير صحيح، فقد أتم الله الدين الإسلامي وأحكامه ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، كما أن مرونة الأحكام تناسب كل زمان ومكان.

- الإيذاء الجسدي :

وهو يشمل السجن والتعذيب ، والطرد من الأوطان والقتل أو محاولته .

ـ السجن والتعذيب :

التوراة :

أوضحت التوراة محاولة للقبض على النبي « إيليا » حيث أرسل الملك قائد ومعه خمسين جنديا للقبض على إيليا ولكنهم ماتوا حرقًا ، ثم أرسل مثلهم فلاقوا نفس المصير، أما القائد الثالث ، فقال له : « (١٤) .. **فأرجوك لتكن نفسى عزيزة في عينيك (ولا تقضي علينا ((١٥) فقال له ملاك الرب امض معه ولا تخف منه** » [الملوك الثاني : ١] .

ولقد عانى النبي إشعياء من الضرب والسجن : « **(٢) فضرب فشحور « اسم كاهن » إرميا النبي وزوجه في المقطرة** » [إرميا : ٢٠] ، كما طرح في البئر : « **(٦) فأخذوا إرميا وطرحوه في الجب** » [إرميا : ٣٨ : ٦] .

هذا ، وقد تآمر حاسدو النبي دانيال على قتله ؛ لأنَّه لم يسجد لآلهتهم ، فالقى للأسود : « **(١٦) فأحضروا دانيال وطرحوه في جُب الأسود ..(٢٠) فلما دنا منه « أي الملك » نادى دانيال بصوت حزين قائلاً : يا دانيال .. هل إلهك الذي تعبده دائمًا استطاع أن ينجيك من الأسود ؟ (٢١) فأجاب دانيال ..(٢٢) قد أرسل الله ملاكه فسد أفواه الأسود فلم تؤذني** » [دانيال : ٦] .

في الإنجيل :

في الواقع لم يتعرض أهل دين لما تعرض له المسيحيون من سجن وتعذيب وقتل ، ومنهم النبي « يوحنا » :

« **(٣) فإن هيرودوس كان أقد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في السجن من أجل هيروديا زوجة فيلبس أخيه (٤) لأن يوحنا كان يقول له: لا يحل أن تكون لك** » [متى:١٤] .

وقد عُذبَ وسجن بولس الرسول كثيرًا حتى أنه يقول عن نفسه : « **الذي لأجله أنا مقيد فى سلاسل لكي أجاهد فيه كما يجب عن أن أتكلم** » [افسس : ٦ : ٢٠] .

وقد عانى كل رسل المسيح من السجن والتعذيب : « **(١٧) إلا أن رئيس الكهنة وجماعته المنتمين إلى مذهب الصدوقيين ملأتهم الغيرة من الرسل (١٨) فقبضوا عليهم وألقوهم في السجن العام** » [أعمال الرسل : ٥] .

- الهجرة ومغادرة الأوطان :

التوراة :

أوضحت هجرة نوح ، حيث إنه ركب السفينة ورست في أرض أخري : « (١) **وقال الرب لنوح : ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك ، لأني إياك رأيت أنك باراً لدي في هذا الجيل** » [التكوين : ٧] (١).

وكذلك هاجر إبراهيم عليه السلام: «(١) **وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك (٢) فأجعلك أمة عظيمة** » [التكوين: ١٢].

وهاجر موسى : « **أنا هو الرب الذي أخرجك من أرض مصر دار عبوديتك** » [الخروج: ٢٠] (٢).

الإنجيل :

أوضح أن المسيح هربت به أمه السيدة « مريم » وخطيبها يوسف النجار ، وهو طفل خوفًا من بطش الحاكم : « (١٣) .. **إذ ملاك الرب ظهر ليوسف « النجار » في حلم قائلاً: قم خذ الصبي وأمه ، واهرب إلى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك** » [متى : ٢] (٣).

« **وقد هاجر الرُسل من مكان لآخر تاركين الأوطان لنشر الدعوة ، فذهبوا إلى قبرص، وأنطاكية ،وفيلبي وأيقونية** » [أعمال الرسل] .

القرآن الكريم :

أوضح القرآن الكريم هجرة كثير من الأنبياء ، نوح ، إبراهيم ،وموسى فهي سُنة

---

(١) قصة نوح وسفينته جاءت بالقرآن الكريم في سور عدة منها : الإسراء ،والمؤمنون ، ، والفرقان ، والأعراف ، ويونس ، ق ، إبراهيم ، ونوح ، وكان ابنه من الهالكين : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود : ٤٢ ، ٤٣].

(٢) أوضح القرآن الكريم هجرة إبراهيم بدينه : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١ : ٧٣] .

(٣) لم يرد في القرآن شئ عن يوسف النجار ، فلا نصدقه أو نكذبه ، كذلك هجرة المسيح لمصر ، ويرى بعض المفسرين أنه قد أشير إليها « مصر » في قوله تعالى : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] « قصص الأنبياء » د « عبد الوهاب النجار ».

جارية لرسل الله: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٧].

وقد هاجر الرسول ﷺ لنشر الدين من مكة إلى المدينة المنورة :﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقد حاول اليهود طرده من المدينة المنورة: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٦] .

ـ محاولة قتل الأنبياء وقتل بعضهم فعلاً :

أغلب أنبياء ورسل الله تعرضوا لمؤامرات لقتلهم ،فمنهم من نجا ، ومنهم من قُتِل وآثر الشهادة ، والعجيب أن اليهود أنفسهم كانوا من قتلة أنبيائهم .

التوراة :

تآمر اليهود على نبيهم « أرميا » ـ حسب الاعتقاد اليهودي ـ : «(١٨)**ثم قالوا : تعالوا نتآمر على أرميا .. تعالوا نلدغه بوخزات اللسان وقضم آذاننا عن كلامه** » [أرميا : ١٨] ، وعندما فشلوا في وقف دعوته:« (٨) .. **قبض الكهنة والأنبياء وسائر الشعب عليه قائلين : لابد أن تموت** » [أرميا : ٢٦] ، وقد حاول ـ حسب التوراة ـ الملك شاول (١) قتل داود (٣) مرات » [صموئيل الاول] ، هذا وقد قُتِل شاول في الحرب [صموئيل الاول : ٣١].

الإنجيل :

وصف المسيح أورشليم « القدس » فقال :

«**يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها** » [متى : ١٣ : ٣٧].

هذا ، وقد قُتِل يوحنا يحيي» عليه السلام ، ويقول الإنجيل عن قصة قتله : «(١٠) **فأرسل هيرودس ، فقطع رأس يوحنا في السجن (١١) وأحضر رأسه على طبق ودُفع إلى الصبية ، فجاءت به إلى أمها** » [متى : ١٤] .

والقصة : أن حاكمًا يُسمى هيرودس أراد الزواج من بنت أخيه ، وكانت البنت وأمها

---

(١) الملك « شاول » هو أول ملك لليهود ،واسمه في القرآن الكريم « طالوت» . انظر: « سورة البقرة » (٢٤٦ : ٢٥٢) .

ترغب في ذلك ولكن يحيى أوضح تحريم ذلك ، وعارض فأرادتا الانتقام منه ، فرفضت البنت أمام عمها الذي وعدها بتلبية أي طلب ترغبه مكافأة لها ، فطلبت رأس يوحنا «يحيى » .

المزادة على قتل المسيح :

«(٣) اجتمع رؤساء الكهنة ..(٤) وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه » [متى : ٢٦] ، وحسب ادعاء الإنجيل ، فقد قتل المسيح صلبًا : **« (٥) فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح »** [متى : ٢٧] [1] .

وقتل الكثير من دعاة المسيحية الأوائل ، ومنهم بولس الرسول : « وأخيرًا نال القديس بولس الرسول إكليل الشهادة عندما هوى السيف على رقبته في سنة (٦٨)م ، في عهد الإمبراطور الروماني الطاغية نيرون ،ولكن صار يوم قطع رقبته يوم عيد وفرح وتهليل في الكنيسة كلها نختم به صوم آبائنا الرسل الأطهار في (٥) أبيب الموافق (١٢) يوليو » .

وجاء بالقرآن الكريم :

أن مشركي مكة حاولوا قتل الرسول ﷺ ، كما حاول غيرهم: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

وقد أحصى بعضهم محاولات قتل الرسول ﷺ ، فكانت عشرين محاولة منها ما وقع في مكة ، ومنها أثناء الحرب ، وأخطرها في المدينة عندما أسقط اليهود عليه حجرًا لقتله ، ومنها ما قامت امرأة بدس السم له في شاة أولمتها له .

ثانيًا : الإساءة إلى رجال الدين وأحكامه :

إن ممارسات رجال الدين من يهود ومسيحيين ضد المرأة في بداية تاريخ أوربا عندما كانت خاضعة إلى سلطة الكنيسة والقانون الروماني ، كانت في أسوأ حال ، حتى أن بعض رجال الدين أنكروا أن لها روحًا خالدة وعرضت هذه المسألة على المجمع الذي انعقد في ماون في سنة (٥٨٦) فقرر بعد بحث طويل ، ومناقشة حادة أن المرأة إنسان ، ولكنها خلقت لخدمة الرجل .

وعلى ذلك ، ونظرًا لطغيان رجال الكهنوت واتساع ظلمهم باسم الدين ، ومحاولتهم الفاشلة محاربة العلوم التجريبية الحديثة دفاعًا عن حقائق كتابية ثبت علميًا خطأها ، فقد

---

(١) لا يؤمن المسلمون بصلب عيسى لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] .

هان الدين في أعين أصحابه ، وسقط احترام رجال الدين وتقديسهم عند معتنقيه ، خاصة العلماء ، فنادوا جميعًا بنبذ الدين والتخلي عن تعاليمه « بداية الدعوة للعلمانية ».

أما الإسلام فيختلف عن اليهودية والمسيحية حيث لا يوجد مفهوم رجل الدين ، الذي يُحَلِلْ ويُحَرِم برأيه ، ويغفر لمن يشاء ، ويطرد من رحمة الله ما يريد ، ولكن الإسلام يعترف بعالم الدين الذي يستطيع استنباط أحكام الدين من مصادرها وهي الكتاب « القرآن» والسنة النبوية ، ولم يثبت حتى اليوم تناقض القرآن مع العلم الحديث ، فلم يهن القرآن في قلوب المسلمين ، ولكن عدوى عداء العلماء والمفكرين انتقلت من الغرب إلى الشرق .

١ ـ الإساءة إلى رجال الدين المسيحي واليهودي وأحكامه :

يقول الأب « متى المسكين » [(١)]:

« لكن هذا التساوي الكامل والمطلق بين الرجل والمرأة في روحيات الإنسان الجديد ومواهبه الروحية وحقوقه في المسيح ، لا تلغي التمايز الخلقي للجسد والفارق التكويني في وظائف الأعضاء والصفات والمميزات الخاصة بكل من الرجل والمرأة إلى الدرجة التي تبيح للمرأة مزاولة كل حقوق الرجل ، في ممارسة الحياة الروحية ، لاسيما داخل الكنيسة أو فى وسط الجماعة ، فأنوثة المرأة مهما انصبغت بالروح إلا أن بقاءها داخل الجسد يحدها في السلوك والحرية » [(٢)].

تعترض « فريدة النقاش » قائلة : ومعنى كلام الأب « متى المسكين » : أن المرأة رغم تساويها مع الرجل في النواحي الإنسانية والتكاليف الدينية « الروحية » ، إلا أنها لا تتساوى معه مساواة مطلقة في كل شيء،ولا يعيب ذلك منعها من الكلام في الكنيسة[(٣)].

فالكاتبة « فريدة النقاش » ترى في ذلك ظلم المرأة [(٤)]:

ويعلق د. ق « أنور زكي » على نفس الفكرة منتقدًا بولس ، ومحاولاً خلق مبرر معقولاً لتأويل هذه الأفكار ، فيقول : التفسير الحرفي للكتاب المقدس يأمر المرأة أن لا تتكلم في الكنيسة ، حتى أمام النساء الأخريات في اجتماعات السيدات بالكنيسة ، فليس

(١) الأب « متى المسكين » أحد كبار رجال الدين المسيحي،وما زال على قيد الحياة .

(٢) « حدائق النساء » : صـ (٨٣ ، ٨٤) ، ومرجعها بحث د « فيفان فؤاد ، ونادية رفعت » .

(٣) يقول بولس :« لتصمت نساؤكم في الكنائس ؛ لأنه غير مسموح لهن أن يتكلمن ، بل يخضعن كما يقول الناموس » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٥] .

(٤) نحن لا نناقش صحة التعاليم من خطئها .

لها حق التصويت ولا الكلام ، أي : أنها تحت حماية ووصاية الزوج .

كل ما قاله بولس عن المرأة كان بالنسبة لكنائس بالذات من وجهة نظر مشاكلها المحلية، وعاداتها وممارساتها الاجتماعية والثقافية، وبالنسبة للمؤمنين من الأمم، ومن ثم فهي ليست بالضرورة قواعد ملزمة للسلوك في الوقت الراهن ،بل إن بولس نفسه كان يخشى أن يسيء الناس استخدام نصيحته ويأخذونها على أنها «كلمة الرب» . انظر:« ١ كو ٧ : ٢٥) [يوحنا : ١١٢] [١] ، وأكثر من ذلك فقد احتج كالفن قائلاً :إن بعض التعاليم والأمور مثل أشكال العبادة يمكن أن تتغير تبعًا للثقافة أو البيئة بذاتها ، ويجب أن تكون الكنيسة حساسة لما هو مناسب في بعض الظروف ، مثل الصمت المطلوب من النساء في كنيسة كورنثوس الأولى [٢].

وقال د . القس « أنور زكي » منتقدًا تعاليم وأحكام الحجاب في اليهودية والمسيحية :

ووفقًا للعادات والتقاليد المحلية ، لم يكن على الرجال أن يغطوا رؤوسهم في العبادة أما النساء ، فكن يلبسن البراقع ، بل كان مطلوبًا من النساء اليهوديات المتزوجات أن يغطين وجوههن خارج المنزل ، ومن لم تتغط تعتبر زانية فكانت تعتبر إهانة لشروف زوجها حتى ولو كانت حرة في المسيح ، فهذا جزء من العادات الإجتماعية ، وهناك الكثيرون الذين يتبعون نصيحة الرسول حرفيًا ، فتلبسن نساؤهم البراقع أثناء العبادة الجمهورية [٣] ، ويتساءل م . د « هوكر » (M.D Hooker) عن البرقع : لماذ يتعين على المرأة أن تضع على رأسها رمز السلطان بلبسها البرقع في حين أن حضارة الشرق الأوسط تعتبر البرقع رمز التبعية والخضوع [٤]؟ .

في ضوء القيود الموضوعة على المرأة في المجمع والهيكل اليهودي والواردة في (١ كو ١١ : ١ : ١٦) [٥] ، ناقش بولس الملابس المناسبة للنساء اللواتي تشتركن في العبادة الجمهورية ، لقد كان بولس يؤيد التحرر الذي شمل النساء أيضًا ؛ لأنَّه افترض أنهن

---

(١) يقصد الكاتب أن بولس كان يأتي بآراء شخصية « ولكني أعطي رأيًا باختياري » [١ كورنثوس : ٧ : ٢٥] ، وهذا دليل على عدم إلهامية الإنجيل .

(٢) « المرأة في الكنيسة » : صـ (٤١ ، ٤٢) .

(٣) العبادة الجمهورية : أي التي يجتمع فيها الناس « جمهور » .

(٤) حضارة الشرق الأوسط لا تعرى في الحجاب رمزًا للتبعية والخضوع ، ولكن رمزًا للشرف والعفة والتمسك بالدين .

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس [الإصحاح : ١١] ، الفقرات (١ : ١٦) يوضح ضرورة غطاء رأس المرأة « وكل امرأة تصلي أو تتنبأ وليس على رأسها غطاء تجلب العار على رأسها » [١ كو ١١ : ٥] .

وسائل أو أواني لروح الله مثلهم مثل الرجال ، فهن يستطعن أن يصلين ويتنبأن أي : يعظن في الاجتماعات بغرض بنيان إيمان الكنيسة ، وفي نفس الوقت قصد بولس أن يقدم الطريقة الصحيحة في إدارة العبادة في كنيسة كورنثوس لكي يقيها من الاضطرابات الاجتماعية ولكي يضع حدًا لسوء استخدام الحرية عمليًا ؛ لذلك فقد أصر على ضرورة أن تغطي المرأة رأسها عندما تصلي في الاجتماع [١].

ومما سبق يتضح نقد تعاليم الكنيسة المنظمة لصوت المرأة وحجابها ، والتي توضح استحالة المساواة الكاملة مع الرجل .

٢ ـ الإساءة إلى علماء الدين الإسلامي وأحكامه :

إن الإساءة إلى علماء الدين الإسلامي ـ خاصة كبار العلماء الأفاضل ـ لهي هواية محببة لقلوب دعاة عمل المرأة وتحررها ، فتقول « فريدة النقاش » عن الشيخ الشعراوي رحمه الله في بيانه لمعنى قوامة الرجل على المرأة .

ويفسر الشيخ « الشعراوي » قوله تعالى ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨] باعتبار هذه الدرجة هي الولاية والقوامة .

ودرجة الولاية تعطينا مفهومًا أعم وأشمل فكل اجتماع لابد له من قيم ، والقوامة مسئولية وليست تسلطًا ، والذي يأخذ القوامة فرصة للتسلط والتحكم ، فهو يخرج بها عن غرضها ، فالأصل في القوامة أنها مسئولية لتنظم الحركة في الحياة .

ويضيف : والله حكيم قادر على أن يقتص للمرأة لو فهم الرجل أن درجته فوق المرأة هي الاستبداد .

وهي تخرج التفسير عن معناه لتحاول الإساءة إلى المفسر ، وإظهار الحق باطلاً ، فتقول : ويتجنب الشيخ البارع في التحليل اللغوي حقيقة أن الولاية والقوامة تعنى أن هناك رئيسًا متحكمًا هو الرجل ومرءوسًا محكومًا هو المرأة وإن إرادة الأخير أي المرأة ليست حرة في هذ الحالة ، أي : منها ليست مواطنًا حرًا كامل الأهلية كما يقتضي مفهوم المواطنة .

ويحيل العقاد أحقية الرجل في القوامة إلى التركيب الفسيولوجي لكل من الرجل والمرأة معتبرًا المرأة هي أدني خلقيًا « بكسر الخاء » ومعبرًا عن موقف ذكوري « تسلطي » لا علاقة له بالفقه أو الشريع ، وإن كان يفسر ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ تفسيرًا بيولوجيًا أيضًا .

---

(١) « المرأة في الكنيسة » : صـ (٤٦ ، ٤٧) ، ولم يؤيد بولس تحرر النساء تمامًا ، فكيف يكون ذلك، وقد منعهن من الكلام في الكنيسة ، والعمل كشماسة في الكنيسة .

إذ لا شك أن طبيعة تكوين الجنس أدل من الشواهد التاريخية والشواهد الحاضرة على القوامة الطبيعية التي اختص بها الذكور من نوع الإنسان إن لم نقل من جميع الأنواع التي تحتاج إلى هذه القوامة ، فكل ما في طبيعة الجنس الفيزيولوجية في أصل التركيب يدل على أنه علاقة بين جنس يريد ، وجنس يتقبل .

وقد لخص الإمام « أبو حامد الغزالي » الملقب بحجة الإسلام مفهومه للطاعة تلخيصًا بليغًا حين قال: «المرأة رفيق لزوجها»، وتقول «عزيزة الهبري» بأسى: « لقد التقيت بكثير من النساء المحترمات اللاتي ضاعت حياتهن سدى؛ لأنَّ أزواجهن لم يسمحوا لهن بالخروج، وسمعت أيضًا العديد من القصص حول حالات طلاق كان سببها عصيان الزوجة ، ولابد من وضح حد لهذا الاضطهاد الذي لا يصدق ، فالرجال لن يتحملوا أبدًا حبسهم ،ولو لبضع ثوان في حين أن المرأة حرمت من هذا الحق الأساسي من حقوق الإنسان على مر العصور ،وكل هذا تم باسم الإسلام وبموجب مبدأي الطاعة والقرار في البيت .

كذلك هو الحال فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم .

إن للرجل حق القوامة على زوجته،وأن عليها طاعته فيما يأمرها به من معروف، وفي هذا معنى الولاية والسلطان عليها ، كما يقول « سيد سابق » : وليس للمرأة العربية ولاية على نفسها وأحيانًا على ابنها ، كما توصلت ندوة في دمشق ، وسحبت الولاية من المرأة على أبنائها وبناتها خلال فترة الحضانة إذا كانت مطلقة سواء في تقرير مصيرهم أو سفرهم أو الوصاية على أموالهم .

وفي ندوة أعدتها مؤسسة « فريدريش إيبرت » في القاهرة لمناقشة المادة السادسة عشرة في الاتفاقية الدولية لإلغاء التمييز ضد المرأة في إطار عمل ملتقى الحوار حول الاتفاقية بهدف توفير مساحة للتحاور بين مؤسسات المجتمع المدني المصري والجهات التنفيذية والتشريعية ، وقفت امرأة تتحدث بمرارة عن عجزها عن صرف عوائد شهادات استثمار اشترتها هي باسم ابنها ؛ لأنَّ الأب غائب (١) وهو الوصي الشرعي على الابن .

الرد على ما سبق :

القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣٤] ، وبمعنى : الملازم والمحافظ ﴿ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ [آل عمران : ٧٥] (٢).

(١) « فريدة النقاش » : « حدائق النساء » : صـ (٤٣ ـ ٤٥) .

(٢) « لسان العرب » : لابن منظور (٢ / ٤٩٧) .

إن مفهوم القوامة « الطاعة » في الإسلام ، ليس هو التسخير والقمع وفرض السلطة على النساء جسديًا وعقليًا - كما يدعي دعاة التحرر - ولكن معناه قيادة الرجل للأسرة في ظل القانون السماوي الإلهي القرآن القائم على الطمأنينة والسعادة والمودة والرحمة ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] ، وتحت ظلال السنة النبوية العطرة وقوله ﷺ : « **النساء شقائق الرجال** » ، « **رفقًا بالقوارير** » ، « **وما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم** » ، « **استوصوا بالنساء خيراً** » .

وقد أوضح الله تبارك وتعالى الحقوق الجسدية المتبادلة ،وحق التمتع العاطفي والجنسي المتبادل والوصول إلى أقصى درجة إشباع جنسي في قوله تعالى :﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، والمقصود بتعبير « الزوجة رفيق لزوجها » : هو أنها تسعى وتسعد لطاعته وتتمنى رضاه ، وتهنأ برجولته ، كما يسعد هو بأنوثتها ، والواقع أن الرجل أيضًا رفيق لزوجته ، فقد كتب الله عليه العمل والكد والشقاء ، وفرض عليها السكون في البيت والراحة والعمل كزوجة وأم ومربية أجيال ، وهذه الوظائف الإلهية أعد الله لكل من الذكر والأنثى من المواهب ما يكفل له أداءها على أكمل وجه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤].

إن كمال الأهلية في الإسلام لن يتحقق إلا بأداء كل جنس لما خلقه الله من مهام .

والقوامة وحق إدارة الأسرة من الأمور الطبيعية الفطرية ، فهي من الحيوان والطيور وحتى الأسماك وكل كائن حي من ذكر وأنثى ، فإدارة الأسرة للذكر ، وإدارة وحماية القطيع للذكر ، والدفاع عن الإناث والصغار مهمة الذكر ، ومحاولة هدم ذلك هو هدم لنظام الأسر والمجتمعات والكون بأسره .

ومعلوم أن لكل قانون مهما بلغت درجة سمو تقنيته بعض المشاكل في التطبيق ، والمرأة التي شكت عدم قدرتها على صرف أموال ، كان يمكن لها الحصول على توكيل من الزوج قبل سفره ، وكان يمكنها وضعها باسمها في المصارف ، فالإسلام لم يحجر على تصرفات المرأة ، وإدارتها لأموالها .

وتقول « سناء المصري » : معترضة على شروط عمل المرأة في الإسلام :

ويقول « إبراهيم النعمة » في كتابه : « العمل والعمال في الفكر الإسلامي » : ومع ذلك فإن من حق المرأة إذا أرادت العمل أن تعمل ، ولكن في عمل يتناسب مع ظروفها

وطبيعتها ، مثل الصناعات ولها أيضًا أن تعمل ، خارج بيتها ، وإن كانت حاجتها للعمل ماسة خاصة إذا كانت تعين صبية صغارًا ليس لهم من ينفق عليهم » (١).

فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل وفتنة الرجل عن المرأة ، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها ، لا أن يكون هذا نظامًا عامًا ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه .

والكلام من هذه الناحية أكثر من أن يحاط به ولاسيما في هذا العصر الميكانيكي الذي أصبحت فيه مشكلة البطالة ، وتعطل الرجال من أعقد مشاكل المجتمعات البشرية في كل شعب ، وفي كل دولة » (٢).

وهذه الفقرات توضح إيمان كاتبها « إبراهيم النعمة » بشروط عمل المرأة في الإسلام الواردة في قصة موسى - السابق الإشارة إليها (٣) .

ومع ذلك بدلاً من أن تثني عليها وتمتدحها « سناء المصري » لتكريمها المرأة بعدم تكليفها العناء والمشقة بالعمل داخل البيت وخارجه إلا لضرورة وحاجة ماسة مالية أو غير مالية ، فإنها تنتقد ذلك قائلة : « فشرط عمل المرأة في الفكر الإسلامي أن تكون المرأة تحت خط الفقر ، لا تملك ما تأكله هي ومن تعولهم ، لا تملك ما تغطي به جسدها ، لا تملك أن تفكر في شيء سوى الحصول على لقمة العيش ، أو الحد الأدنى من لقمة العيش، عند هذه الدرجة من الحاجة الماسة التي لا تسمح لها بأن تفكر أو أن تختار شروطًا أفضل للعمل والحياة ، عند هذه الدرجة التي لا تجعلها تشعر حتى بآدميتها ، يمكن فقط أن يسمح الفكر الإسلامي للمرأة أن تنزل ميدان العمل : ذليلة ، ضعيفة ، مذعورة ، تتلفت حول نفسها ، تنظر إلى ثيابها الرثة فتشدها حتى يمكن أن تغطي أعضاءها الموصومة بالحرمة في نظر السادة الإسلاميين .

وهكذا تنزل المرأة ميدان العمل ، ولكن ليس في كل الميادين ، فليس مسموحًا لها أن تخترق الميادين ذات الشأن الإجتماعي ، ولكن أن تعمل في المجالات التي تمكن هذه المجتمع الإسلامي الفاضل من تكثيف درجة استغلالها كيد عاملة تقبل سعرًا أقل وساعات عمل أكبر وظروفًا أسوأ . .

(١) « سناء المصري » : « خلف الحجاب » : صـ (٦٤) .
(٢) « المرجع السابق » : صـ (٦٤ ، ٦٥) .
(٣) تم الإشارة إليها في مباحث سابقة .

وسواء كانت الصناعات منزلية كأنواع الحرف في التطريز والحياكة التي تخدم حاجات السيدات المسلمات من الطبقات الأعلى ، واللاتي يخدمن بدورهن قيمًا استهلاكية وجنسية ويرضين حاجة السيد الرأسمالي المسلم صاحب الزوجات الأربع ،وربما المئات من الجواري.

نقد ما سبق :

لم لا تعترف « سناء » هي وأمثالها أن الإسلام كرم المرأة عندما جعل الزوج أو الأخ أو الابن أو الولي هو المكلف بالإنفاق عليها ، حتى لا تمتهن بالعمل خارج بيتها وتعاني الكبد والشقاء ، ألم يثبت الواقع الفعلي الآن أن خروج المرأة للعمل بلا داع أدى إلى كوارث أخلاقية وجنسية واقتصادية وصحية . . إلخ .

إن خالق السموات والأرض أراد للمرأة ويسر لها عملا خاصا أساسه هو البيت ، فلم نحاول إلغاء غاية الله من الخلق .

وعلى أي أساس تدعي أن الإسلام فرض على المرأة الأعمال الوضيعة ! لقد أجاز الإسلام - بل فرض - أن تعمل المرأة كطبيبة للنساء ، ومدرسة للأطفال والنساء ، وداعية دينية لهم ، لقد اعترضت على إنشاء مستشفى للنساء فقط لا يعالج فيه إلا النساء وتحت إشراف طبيبات وممرضات وإدارة نسائية كاملة ، واعترضت أيضًا على إنشاء مدرسة إسلامية لتعليم البنات على يد معلمات !! أو ليس في ذلك صيانة للمرأة وعفافها ، وقد أثبت الواقع أن بعض الأطباء مارس الجنس مع عشرات المريضات ، وأن بعض المدرسين ذهبوا بعذرية الكثير من البنات ، وما خفي أشد وطأة مما يُعلن ! .

كما تعترض على مبدأ وحقيقة مناسبة عمل المرأة لها ، فتقول : « وفي المهن الأخرى نلاحظ انتشار ظاهرة تحديد جنس الذكور في إعلانات طلب المحاسبين والمهندسين وغيرها لافتة للذكور فقط ، كما تقتصر البنوك والشركات الإسلامية على تشغيل الذكور في تلك المهن ، وحصر عمل النساء في مهن أخرى كالتدريس والتمريض وغيرها من المهن الخدمية ذات الشأن الاجتماعي الأقل [1].

ونقول موضحين لها : إن هذه الأعمال لا تناسب المرأة ، فهي ستنال من وقتها الكثير، ومن جهدها الأكثر ، ومن ناحية أخرى هذه الأعمال تتطلب موظفًا دائم التواجد في عمله ، حيث إن انقطاعه عن العمل قد يؤدي إلى إرباكه ، والمرأة معرضة لدورة شهرية

---

(١) « سناء المصري » : « خلف الحجاب » : صـ (٦٣) .

قد تؤلمها ، ولوَحَم نتيجة حمل ـ قد يؤذيها ـ ولساعات رضاعة ، وإجازات حمل . . فكيف يستقيم العمل ، أذكر أن جاءتني زميلة تستأذن لمغادرة المكتب ؛ لأنَّها « تقيأت وأفرغت معدتها وقرفانة عشان بتتوحم » ، وكنا في أشد الحاجة لها ، فلم أستطيع أن أقول لها لا ، وتعطل العمل ؟! ومثل هذه الحالات الكثير .

وتقول د « نوال السعداوي » منتقدة أحكام الدين المحرمة للرقص ، ومزاولة الجنس بغير زواج وبعض الفنون .

وتساءلت: لماذا ارتبط الإبداع بالشيطان؟ لماذا مثلاً نقول: شيطان الفن أو شيطان الشعر؟ ولماذا نشعر بلذة حين نقرأ قصيدة من الشعر؟ أو نسمع قطعة موسيقية أو نرى لوحة فنية أو نقرأ رواية؟ أو نشهد رقصة بديعة؟ .

إن ارتباط الشيطان بهذه اللذة الفنية لا يمنعنا من الإحساس بها ، وبالمثل إن ارتباط الشيطان باللذة الجنسية لا يمنعنا من الإحساس بها ، فهل توجد علاقة بين لذة الإبداع ولذة الجنس ؟!

كيف إذن نشجع أطفالنا من الذكور والإناث على الإبداع ، وهو يرتبط بالشيطان؟! كيف نصور لهم أن لذة الجنس آثمة وفاسدة مع أنها هي غريزة الحياة الواعيَة القادرة على حمايتنا؟

. . حقيقة الأمر أن الإبداع لا يعني الفوضى واللامسئولية والعربدة في حانات الليل أو الانتقال من امرأة إلى امرأة أو من رجل إلى رجل .

وتصف حال راقصة ، فتقول :

كانت ترقص كل خلية من عقلها وجسمها وروحها، التحمت الثلاثة، روحها وجسمها وعقلها ، في كيان واحد ، يتحرك بمرونة السائل الشفاف ، داخل إناء ليس له جدران ، فإذا بالرقص مثل الفكرة الفلسفية الجسدية تصيب الجسد باللذة بمثل ما تصيب العقل [1].

ونرد على هذه الأفكار التي اختلط فيها الحق بالباطل ، فنقول :

ليست كل لذة حلال ، والملذات هي طريق الشيطان إذا كانت فيما لا يحل الله ، فالاستمتاع المتبادل بين الرجل وزوجته حتى ولو رقصت له ليس بحرام ، والشعر ليس كله بحرام ، وحُلل الشعر الداعي إلى الفضائل والآداب السامية ، وإن آثار العواطف الإنسانية

(١) « قضايا المرأة » : صـ (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨) .

النبيلة ، ولم يثر الجسد ، ويدعو إلى الفجور والفسوق والعصيان ، ولذلك يقول الرسول ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وأوضح القرآن الكريم الشعر الحلال من الحرام في قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٧] .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات اختصاراً : إن من الشعر ما يجوز إنشاده ويُكره ويحرم، روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه، قال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء : قلت : نعم ، قال : هيه ـ يعني أسمعني ـ وما زال يقولها حتى أنشدته مائة بيت :

وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحِكَم ، والمعاني المستحسنة شرعًا وطبعا :

ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء فهو مندوب إليه .

ما تضمن مدح الرسول ﷺ أو ذكره فهو مندوب إليه .

ما تضمن الدفاع عن الرسول ﷺ كقول حسان بن ثابت :

هجوت محمدًا فأجبت عنه ... وعند الله في ذلك الجـــزاء

قال ابن العربي : أما الاستعارات في التشبيهات ، فمأذون فيها ، وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد ، وقد أنشد كعب بن زهير للنبي ﷺ :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبــول ... متيم إثرها لـم يفـد مكــــبول

ومـا سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظَلَم إذا ابتسمت ... كأنـه منهــل بالـراح معلول (١)

فجاء بالقصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع ، والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح .

---

(١) معنى الأبيات : هجرتنى سعاد ، فقلبي في حسرة ولوعة ، وكأنه مقيد بالسلاسل أسيراً لهواها ، وقد كانت حسناء جميلة مشرقة يستحي الناظر لعفتها إدامة النظر لجمالها الفتان ، وإذا ابتسمت أضاءت أسنانها من بين شفتيها ، فزادت حسنًا وبهاء ، وكان ريقها دواء يشفى كل عليل .

وقد أنشد أبو بكر الشعر ، فقال بعض جلسائه : مثلك يا أبا بكر ينشد الشعر ، فقال: ويلك يا لكع ! وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح .

وقد كانت للزبير بن بكار القاضي زوجة يحبها كثيراً (١) ، ولكنه طلقها ، وله فيها أشعار كثيرة منها قوله :

تغلغل حُب عثمة في فؤادي ... فـــاديه مع الخـــافي يســـير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حـــزن ولم يبلغ سرور

أكـــاد إذا ذكـرت العهد منها ... أطـير لـو أن إنســانًا يطـير

وأما الشعر المذموم «المكروه»: الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة (٢) ، وأشحهم (٣) ، على حاتم الطائي ، ويُفَسقوا التقي ، وأن يفرضوا في القول بما لم يفعله ، كقول الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:

فبـــتن بجـــانبي مصـــرعات ... وبت أفض إغلاق الختام (٤)

فقال سليمان : وجب عليك الحد (٥)، فقال : يا أمير المؤمنين قد درأ الله على الحد عني قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ .

روى أن النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملاً لعمر بن الخطاب ، أنشد يقول :

من مبـــلغ الحســـناء أن حليـــلها ... بميسان يُسقى في زجاج وحـــنتم

إذا شـــئت غنـــتنى دهاقـــين قرية ... ورقاصة تجذو على كل منـــسم

فـإن كنت ندماني فبالأكبر أسقني ... ولا تسـقني بالأصـــغر المتـــثلم

لعـــل أمـــير المؤمنـــين يـــسوءه ... بالجـــوســـــق المتهـــــدم (٦)

(١) عثمة : اسم زوجته ، والأبيات واضحة المعنى .
(٢) عنترة بن شداد : شاعر وفارس يُضرب به المثل في الشجاعة والفروسية .
(٣) أشحهم ،أبخلهم ، وحاتم الطائي : يُضرب به المثل للكرم .
(٤) يريد أن العذارى الجميلات فُتِنَ به وتهافتن عليه ، وكان يبيت يعاشرهن واحدة تلو الأخرى ، فيفض البكارة .
(٥) يرى سليمان أن الفرزدق ، قد اعترف بالزنى ويجب إقامة الحد عليه .
(٦) الأبيات توضح التغزل الغير عفيف بالمرأة والحث على احتساء الخمر، فهي تدعو إلى فجور ومعصية، والغزل فيها ليس بعفيف .

فبلغ ذلك عمر ، فأرسل بالقدوم عليه ، وقال :أي والله إني ليسوء عني ذلك ، فقال يا أمير المؤمنين : ما فعلت شيئًا مما قلت : وإنما كانت فضلة من القول ، وقد قال تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٤]، فقال له عمر : أما غدرك ، فقد درأ عنك الحد ، ولكن لا تعمل لي عملاً أبدًا ، ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، لم يكن له هَم إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص ، فأمر عامله على المدينة بحملهما إليه ، فقال لعمر بن أبي أبى ربيعة : هيه !

فـــلم أر كالتـجمير منـظر نــاظـــــر ولا كلـــيالي الحـــج أفـلتن ذا هـــوى

وكم مالئٍ عيـــنيه من شـــيء غـــيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى[(١)]

أما ، والله لو اهتممت بحجك ، لم تنظر لشيء غيرك ، فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام ، فمتى يفلتون !! ثم أمر بنفيه . . اتفق معه عمر بن ربيعة أن يتركه وعاهده ألاَّ يذكر النساء في شعره أبدًا . .

ثم قال عمر بن عبد العزيز للأحوص هيه !!

الله بيني وبين قيمــها يفر مني بها وأتبع [(٢)]

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه .

ويعلق المفسر ، فيقول :

فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه ، فلا يحل سماعه ولا إنشاده ، كمنثور الكلام القبيح ، ونحوه ، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **حسن الشعر كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام** » [(٣)].

---

(١) كان عمر بن ربيعة يذكر النساء ويتعرض لهن بالغزل في الحج ، فيقول : إن النساء كن سافرات مكشوفات الوجه ، فملأ عينيه من جمالهن عند رمي الجحار ، والأماكن المقدسة ، وتلك فرصة لا تكرر ، فاستنكر ابن الخطاب ذلك حيث لا يجب غزل النساء أثناء تأدية فريضة الحج .

(٢) معنى البيت : أنه يستعين بالله ليعتدي على شرف من يريد الإيقاع بها ، وعمر يقول له : الله سيحميها منك .

(٣) تفسير القرطبي : موسوعة النور لشركة « بيان» للبرمجيات .

المبحث الثاني

الإساءة إلى المؤسسات الدينية والجماعات الدينية المعتدلة

أولاً : الإساءة إلى المؤسسات الدينية :

المؤسسات الدينية : هي المنوطة بإعداد الراغبين في العمل علماء دين ، فتقوم بتعليمهم ومنحهم الشهادات والدرجات العلمية التي تعطيهم الحق في الدعوة الصحيحة للدين ، ومن مهامها إصدار النشرات والكتب الدينية ، والدفاع عن الدين ضد كل من يريد النيل منه أو الإساءة إليه ، كذلك الإشراف على تنفيذ أحكام الدين .

والإساءة إلى هذه المؤسسات بمثابة نقد للدين وأحكامه طالما كانت هذه المؤسسات تقوم بواجبها على الوجه الصحيح ، وهي في اليهودية والمسيحية الكنائس والمعاهد العلمية التابعة لها والمنظمات المشرفة عليها بقيادة الحاخامات والباباوات .

أما في الإسلام فهي المساجد ودور العلم والمعاهد العلمية والمنظمات الدينية ، كالأزهر الشريف وجامع وجامعة الزيتونة ومنظمة العالم الإسلامي وغير ذلك .

وحيث إن هذه الهيئات جميعًا تدعو إلى أحكام الدين الصحيحة ـ ما لم يحدث تدخل سياسي ـ فإنها قطعًا ستدعو لتنظيم وتقنين تحرر المرأة وعملها وفقًا لمبادئ وأحكام الأديان المنظمة ، وعلى ذلك فهي منافس خطير وقوي ضد دعاة تحرر المرأة وعملها المطلق .

ومن ثم فالإساءة إلى هذه المؤسسات من أهداف دعاة التحرر والسفور والفجور .

١ ـ الإساءة إلى الأزهر والكنيسة المصرية :

تقول د « نوال السعداوي » : « أما المؤسستان الدينيتان الرئيسيتان وهما الأزهر الشريف والكنيسة الأرثوذكسية فقد أقرتا بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الخلق والطبيعة الإنسانية والتكليف والمسؤولية والثواب والعقاب ، إلاَّ أنهما يبرران التفاوت بين الرجل والمرأة على المستوى الاجتماعي والدنيوي في الحقوق والواجبات والأدوار بناء على الطبيعة النفسية والغريزية لكل من الجنسين »[1].

---

(١) « قضايا المرأة » : صـ (١١٦) .

وقد تجاوز نقد المؤسسات الدينية ووصل إلى حد اتهامها بالركود وعدم التجديد وتقول « فريدة النقاش » عن ذلك : « بل إن أحد الأسباب لتجذر الأفكار المتناقضة والمعادية للمرأة في الوجدان الشعبي ، وفي العادات والتقاليد تعود في الأساس إلى انغلاق هذه المؤسسات الدينية دون رياح التجديد والإصلاح التي يمكن أن تفضي إلى مراجعة الموقف من المرأة وتطويره » (١).

كما تقول د « نوال السعداوي » : « إن الأعمال الأدبية يجب ألا يحكم عليها بالمقاييس الدينية أو الأخلاقية السائدة ، وليس من حق مؤسسة الأزهر أن تتدخل في مجال الفنون أو الإبداعات الأدبية » (٢).

وتعترض « فريدة النقاش » على اتجاه الدولة لفتوى الأزهر ، فتقول : « اتسع في الآونة الأخيرة إحالة القانون إلى الفقهي في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولم تكن هذه الإحالة من فعل الحركات السياسية فقط ، وإنما اتجهت الدولة بدورها إلى مزيد من هذه الإحالات ، فأخذت تطلب الفتوى رسميًا من الأزهر ، ودار الإفتاء في قضايا هي من صميم العلاقات المدنية المرهونة بموازين القوة الاجتماعية ، شأن العلاقة بين المالك والمستأجر في الأرض الزراعية ، أو العقود بين المالك والمستأجرين في المساكن ، أو أرباح البنوك وشهادات الاستثمار ، أو ختان الإناث » (٣) .

٢ ـ نقد الكنيسة البابَاوية في روما :

تقول د «نوال » : « يتزعم البابا والفاتيكان حركة دينية دولية تسمى نفسها مع الحياة (Pro - Life) ودورها الأساسي هو التصدي لحركات تحرر المرأة المؤيدة للإجهاض والتي تسمى مع الاختيار (Prochoice) بمعنى حق المرأة في الاختيار بين استمرار الحمل أو إجهاضه .

وأصدر الفاتيكان تقريرًا من (٦٦) صفحة ، أدان فيه تقارير الأمم المتحدة التمهيدية لمؤتمر السكان بالقاهرة سنة (١٩٩٤) (٤).

الرد على هذه المزاعم :

التفاوت بين الحقوق والواجبات والوظائف بين الذكر والأنثى بصفة عامة ، والرجل

(١ ، ٢) « المرأة بين الشريعة ، ودعوة قاسم أمين » : صـ (٥٥) .
(٣) « حدائق النساء » : صـ (٢٩) .
(٤) « توأم السلطة والجنس » : صـ (١٥٩) .

والمرأة بصفة خاصة ، أساسه هو الاختلاف الجنسي « البيولوجي » بينهما ، والذي أدى إلى خلق وظائف تناسب كل منها دون الإقلال من شأن جنس أو الإعلاء من شأن آخر ، فكلٌ يُسر لما خلق له ، وهذا غاية الكمال ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل:٣ ، ٤] ، كما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]، والآية صريحة في أنه لا تفضيل بين جنس وآخر بسبب الاختلافات الجسمية أو العقلية ، ولكن التفضيل للنجاح في المهمة وغايتها العظمى تقوى الله .

حق المؤسسات الدينية في القيام بوظائفها :

الأديان - بصفة عامة - هي : عقائد وأحكام وقوانين إلهية تهدف إلى تعريف الناس بالخالق، وتوضح الأحكام المنظمة لعبادته وطرق وأساليب نيل رضاه ، وما يترتب على ذلك من ثواب للمتبع وعقاب للمبتدع العاصي ، يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران :٢ - ٤] ، ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] ، كما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٠] .

والدين لن يكون كاملاً إلاَّ إذا نظم حياة البشر ووضع الأطر الأخلاقية الكفيلة بحفظ النظام والحفاظ على الحياء ، وضبط العلاقات المتبادلة بين الناس كأفراد وأسر ومجتمعات ودول ، وهذا ما يسمى بالمعاملات .

ومن ذلك يتضح أن الدين ليس عبادة فقط ، ولكن عبادة ، وتنظم أخلاقي اجتماعي بين البشر .

ولا شك أن هذه الأحكام والقوانين أرسى مبادئها الرسل والأنبياء المرسلين من الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة: ٢١٣]

وبانتهاء عصر النبوة ، أصبح من يقوم بحمل رسالة الأنبياء هم علماء الدين المتخصصون ، وهؤلاء العلماء أو رجال الدين ، لم يولدوا كذلك ، ولكنهم يتلقون العلم من السابقين ، ومن مؤسسات علمية تقوم بتعليمهم وتثقيفهم ومنحهم الإجازات العلمية ، ومتابعة أعمالهم والدفاع عن الدين ضد الملحدين والعلمانيين وكافة أعدائه .

فبداية المؤسسات الدينية هم الرسل ، ثم متبعوهم من العلماء والصالحين المتخصصين، ثم نشأ بعد ذلك المؤسسات الدينية .

ضرورة اتباع رجال الدين ومؤسساته في التوراة والديانة اليهودية الواقع أن التوراة الحالية، تحوي الكثير من الأحكام الدينية المنظمة للعبادة والعلاقات الاجتماعية والأخلاقية .

فها هو الرب يوصي موسى عليه السلام على جبل سيناء عند لقائه : « **(٣) هكذا تقول لآل يعقوب،وتخبر شعب إسرائيل ..(٤)..(٥) لذلك إن أطعتم عهدي ، تكونوا لي ملكًا خاصًا من بين جميع الشعوب ؛ لأنَّ لي كل الأرض ، وتكونون لي مملكة كهنة واحة مقدسة** » [الخروج : ١٩ : ٣ : ٦] [١].

والتوراة الحالية فيها الكثير من الأحكام المنظمة لشؤون اليهود ، والتي يتوافق حوالي (٧٠ ٪) منها مع أحكام الإسلام - حسب اعتقادي - وسفر اللاويين يوضح الكثير من الأحكام اليهودية الخاصة بتقديم القرابين ، والأخلاقيات الفاضلة ، مثل عدم إنكار الشهادة أو طمسها : « **(١) وإذا أخطأ أحد وسمع صوت حلف وهو شاهد يُبصر أو يعرف ، فإن لم يخبر به حمل ذنبه** » [اللاوين : ٥ : ١] ، « **وجزاء الخيانة** » [الإصحاح : ٦] .

وكذلك أصول وآداب خدمة وملبس رجال الدين وأخلاقهم والأطعمة الطيبة والنجسة، آداب الطمث والنفاس ، أصول الوقاية من الأمراض ، النظافة الشخصية وآدابها ، تحريم العلاقات الجنسية غير المشروعة ، المحرمون من الزواج كالأم والأخت والابنة وابن الأخ . . إلخ ، وحرمة الزنا واللواط وغير ذلك ، الأعياد وطرق الاحتفال بها ، زكاة الزروع ، كما يحوي سفر « العدد » على بعض الأحكام المنظمة لحياة اليهود ، كالميراث ، وتوزيع الغنائم، عقوبات الزنا ، والفواحش ، أما سفر التثنية : ففيه الوصايا العشر [٢] ، عقوبات العصاة والداعين لغير الله والمرتدين . . إلخ .

---

(١) اليهود يؤمنون بأن الله إلههم فقط، وهم شعبه المختار لعبادته ، أما باقي البشر، فليس لهم عبادة الله .

(٢) هي وصايا دينية وأخلاقية توضح وحدانية الله وقدرته وعقوبات المُشرك بالله ، كما توضح ضرورة التمسك بالفضائل من صدق وحُسن خلق وغير ذلك. انظر: « سفر العدد » [الإصحاح: ٥: ١: ٢١]

وبداية تفويض حكام للقضاء بما أمر الله أي : بداية إنشاء حق المؤسسات الدينية ـ غير الكهنة ـ في الحكم بما جاء في الشريعة كان في حياة موسى عليه السلام .

فالتوراة توضح أن حما موسى قد زاره،فرأى ما يعانيه من جهد ومشقة في تلقي رسالة الله ثم الحكم بين الشعب،فاقترح عليه تعيين قضاة أي:مساعدين له في حكم الشعب،حتى يتفرغ هو إلى تلقي الوحي،فكانت نصيحة حميه: **«كن أنت للشعب أمام الله، وقدم أنت الدعاوى إلى الله (٢٠) وعلمهم الفرائض والشرائع (٢١) وأنت تنظر « تختار » من جميع الشعب ، ذوي قدرة خائفين الله ، أمناء مبغضين ـ كارهين ـ الرشوة ، وتقيمهم عليهم رؤساء العرف (٢٢) فيقضون للشعب كل حين »** [الخروج : ١٨ : ١٩ : ٢٢] .

حق رجال الدين في القيادة الروحية في الإنجيل والمسيحية :

المفروض أن أحكام التوراة والشريعة الموسوية هي الأساس الوحيد والمرجع الأوحد للمسيحية ، لقول المسيح عليه السلام : **« لا تظنوا أني جئت لأنقص الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقص بل لأكمل (١٨) فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل »** [متى : ٦ : ١٧ : ١٨] ، إلا أن كتبت الأناجيل والرسل بقيادة بولس قد نسخوا أي ألغوا الكثير من أحكام التوراة واعتبروا التوراة كتابا سماويا قديما باليا عفا عنه الزمان ، وأسموه العهد القديم .

هذا ،وقد أعطى الإنجيل الحالي الحق المطلق لرجال الدين في سن ما يشاؤون من أحكام وقوانين كما أعطاهم حق المغفرة والرحمة لمن أرادوا ، وحق الطرد من رحمة الله والعذاب « الحرمان » لمن يشاؤون ، لقول الإنجيل : « إن ما تربطونه على الأرض يربطه الله في السماء ، وما تحلونه على الأرض يحله الله في السماء » هذا ، وقد أقام بولس الرسول دعاة للدين ومعلمين وحكام يمثلون المؤسسة الدينية وهي الكنيسة .

ففي رسالته إلى « تيطس » يوضح ضرورة إنشاء كنائس في كل مكان في كريت ، فيقول له : **« من أجل هذا ـ الكرازة أي : الدعوة للدين ـ تركتك في كريت ، لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخًا كما أوصيتك »** [تيطس : ١ : ٥] .

« وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكرازة التي اؤتمنت أنا عليها حسب أمر مخلصنا » [تيطس : ١ : ٣] .

وكذلك الأمر في فيلبي «اسم مدينة» ، ففي رسالته إلى فيلبي : **« بولس وتيموثاوس**

عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة » [فيلبي : ١ : ١] (١).

والثابت أن أول مجمع مسيحي بعد عهد المسيحي عليه السلام اجتمع فيه رجال الدين لاتخاذ قرارات مُلزمة ليست من تعاليم المسيح ، بسبب الختان للرجال فقد « **آمن الكثير من اليهود بالدين المسيحي ، ولكنهم تمسكوا بشريعة موسى في الختان** » (١) .. **وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى ، لا يمكنكم أن تخلصوا** » [أعمال الرسل ١٥ : ١] ، فبدأ غير اليهود الذي لم يختتنوا أن ينصرفوا عن اعتناق المسيحية ، ومن ثم اجتمع الرسل « رجال الدين وقادته » لحل هذه المشكلة ، وفي النهاية قرر يعقوب : «**كذلك أرى ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنون والدم** » [أعمال الرسل : ١٥ : ١٩ : ٢٠] (٢) .

وهكذا نشأت المجامع الكنيسية والمسكونية لتقرير أو إلغاء ما يشاؤون من قضايا دينية أو اجتماعية أو غيرها .

ـ مهمة علماء الدين ومؤسساته في الإسلام :

والإسلام يؤمن بضرورة قيام الأفراد والمؤسسات الدينية بأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران :١٠٤].

وطاعة علماء المؤسسات الدينية من طاعة أولى الأمر : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء : ٥٩] .

ولقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء : ٨٣] .

وغني عن البيان أن هذا الحكم الإلهي يشمل كافة مناحي الحياة ، حيث يقول اللطيف الخبير : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾

---

(١) تخلصوا : تتطهروا وتتقوا الله .

(٢) « زكي علي السيد أبو غصة » : « الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » : صـ (١٥٤) ، مكتبة الشروق الدولية ، طبعة (٢٠٠٤) م

[الشورى : ١٠] ، فلفظ ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ يوضح شمول الشريعة الغراء لكافة الأحكام المنظمة لكل شيء .

إن أحكام الشريعة الإسلامية الغراء قد نظمت كافة المعاملات والآداب ، إضافة إلى العبادات والعقائد، فتضمنت المعاملات المالية والاقتصادية والقانونية ، والاجتماعية والحربية وآداب المرور وحق الطريق ، وأصول الاستئذان لدخول البيوت ، وداخل البيوت، وآداب اللقاء والوداع وغير ذلك مما يستلزم توضيحه في مجلدات وليس في جزء يسير من مبحث في دراسة نقدية .

ولجوء الدولة في الآونة الأخيرة ـ كقول « فريدة النقاش » ـ لفتوى علماء الدين فيما يستجد من أمور ، ليس ببدعة مستحدثة ، ولكنه عودة حميدة إلى أصل ديني لا خلاف فيه أو عليه ، حيث يقول جل ثناؤه : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الانعام : ١٥٣] ، كما يقول العلي الحميد : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الانعام: ١١٤] ، كما يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] ، وأولي الأمر هنا العلماء والمؤسسات الدينية .

وكما أمرَ أولي الأمر باتباع شريعة الله ، أمر أيضًا المؤمنين بذلك ، فيقول الحكم العدل : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] .

وقد يغيب عن أذهان دعاة التحرر والفجور أن الإسلام قد نظم السلطة القضائية تنظيمًا دقيقًا شاملاً كاملاً ، بدأ بفرض دستور أعلى تستمد منه السلطة القضائية الإسلامية قوانينها، حيث يقول الحكم العدل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٥] ، والآية توضح أن مصدر الشريعة والقانون الإسلامي هو كتاب الله وسنة رسوله ، ويؤكد ذلك فيقول : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الانعام : ٥٠] ، ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٧] .

والله سبحانه لم يرتض بغير شريعة الإسلام لعباده ونهاهم عن اتباع القوانين الوضعية والدعاوى البشرية القاصرة فيقول : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٨] ، ومن ثم فكل من لا يتبع شريعة الله فهو أحد ثلاثة لا رابع لهم .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤].

فمن ترك اليسير من الحكم بالشريعة فهو فاسق ، ومن تمادى وترك أكثر أو أصر على نبذ بعض أحكام الله فهو ظالم ، أما من تركها كلية فهو كافر ، فلا تناقض بين هذه الآيات ، ولكنه بيان جلي لأولي الألباب .

وتتميز الشريعة الإسلامية عما دونها من الشرائع بعدة مزايا منها : كمال الشريعة ومناسبتها لكل زمان ومكان ومجتمع ، فالحق تبارك وتعالى يقول عن كمالها : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، ويقول عن استمرارها ومناسبتها لكل زمان ومكان ومجتمع ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، ثم حذر في الآية التي تليها من الدعاوى الباطلة لاتباع غير الشريعة من قوانين وضعية مقيتة وعقيمة وعفنة ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦].

صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، ترجع لكون بعض أحكامها قطعيا واضح الدلالة والحكم ، وقد نظمه القرآن والسنة ، والبعض الآخر جاءت أحكامه إجمالية وتُرك التفصيل للعلماء يوضحونه وينظمون أحكامه وفقًا للمصالح في كل عصر ولأي مجتمع بما يناسبه .

فمن الأحكام الثابتة التي لا تتغير نهائيًا قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ، فكل هذه الأحكام على سبيل المثال ، ثابتة راسخة لا تغيير فيها ولا تبديل فلفظ كتب يوضح الثبات والاستقرار والدوام وحيث لا شريعة بعد الإسلام تنسخه « تلغيه » فهو باق ليوم الدين ، وهكذا باقي الألفاظ من أمر بتقوى الله ويوصيكم الله .

ومن الأحكام الإجمالية التي تتميز بالمرونة في التطبيق الحكم بالشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ، فأسلوب الحكم بالشورى تركه الله ولم يفصله رسوله ﷺ حتى يتم تطبيقه في كل زمان ومكان ومجتمع بما يتناسب مع هذه التغيرات .

ومن ذلك العلاقة الإيجارية والأراضي الزراعية ، وبعض المعاملات المصرفية وختان الإناث ، وكذلك الإجهاض .

وهذه القضايا وغيرها هي قضايا تناولها الفقه الإسلامي ، وهي من أحكام الإسلام ، فكُتب الأحاديث الصحيحة ، وكتب الفقه تزخر بكنز هائل من الأحاديث والأحكام الخاصة بالمعاملات ، ومن بيع وشراء ، وربا ، وقروض ، ورهن ومُزارعة « إعطاء الأرض لمن يزرعها بمقابل » ، ومساقاة « زراعة ورعاية لأشجار بمقابل » ، وإحياء الموات « استصلاح الأراضي البور » ، وإجارة « تأجير لغير العمل بمقابل » ، والمضاربة « التجارة بمال الغير نظير نسبة من الأرباح » ، والحوالة « نقل دين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال إليه » كنظير الكمبيالات حاليًا . . إلخ .

وختان الإناث قد نظمته الشريعة الإسلامية بشروط خاصة [١] ، أما بالنسبة للإجهاض، فجميع دعاة التحرر يعلمون علم اليقين أنه محرم إسلاميًا ومسيحيًا وأخلاقيًا ، خاصة وبعض هؤلاء الدعاة أطباء .

وقد أفتى الأزهر الشريف بحرمة الإجهاض وجاء في الفتوى :

الإجهاض هو إنزال الجنين قبل أن يستكمل مدة الحمل ، وهذا الإنزال قد يكون قبل نفخ الروح فيه ، وقد يكون بعد ذلك .

فإذا كان قبل نفخ الروح ، فللفقهاء أربعة أقوال في الحكم عليه :

الأول : الإباحة مطلقًا من غير توقف على عذر .

الثاني : الإباحة لعذر والكراهة عند عدم العذر .

الثالث : الكراهة مطلقًا .

الرابع : الحرمة .

أما إذا كان الإجهاض من بعد نفخ الروح في الجنين ، فتدل أقوال فقهاء المذاهب

---

(١) انظر كتابنا « الحجاب والختان والعفة بين الأديان والقوانين ودعاة التحرر » : مكتبة دار الوفاء بالمنصورة ، طبعة (٢٠٠٤) م .

جميعًا على أنه محظور إذا لم يوجد عُذر ، وتجب فيه عقوبة جنائية إن خرج ميتًا ، وهي ما أطلق عليه الفقهاء اصطلاح الغرة، وهي تساوي نصف عشر الدية الكاملة ، أما إذا وجد عذر للإجهاض كأن قرر الأطباء المختصون أن بقاء الحمل يضر بالحامل كان جائزًا ، بل يجب إذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين».

ولا شك أن اتهام دعاة التحرر والسفور والفجور للمرأة ، للمؤسسات الدينية المسيحية والإسلامية بالركود والتخلف وظلم المرأة ، لهو اتهام فاسد باطل مرجعه هو إصرار المؤسسات الدينية على حفظ حياء وشرف وكرامة المرأة ومنحها ما لا يناسب أنوثتها من حقوق [(١)].

ثانيًا : محاولة النيل من أفكار الجماعات الإسلامية المعتدلة [(٢)] :

أثمر ابتعاد المجتمع عن أحكام الدين ، مجموعات من الغيورين على الدين المنادين بضرورة اتباع منهج الله جل وعلا ، مسترشدين بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران :١٠٤].

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٥١] .

وهذه الجماعات منها المعتدل الفكر ، ومنها المتطرف ،والمعتدل منها لديه من علماء الدين النبهاء الكثيرين ،وحيث إنهم يدعون إلى العودة للتمسك بتعاليم الدين ، فهم أعداء الداء لأعداء الدين من العلمانيين ودعاة عمل المرأة - بلا ضوابط دينية - وعلى ذلك يقوم العلمانيون بمحاولة الإساءة إليهم ، وهم يفشلون في ذلك دائمًا بهدف مقاومة دعوتهم وإرضاء لكثير من القوى الحاكمة أو تنفيذًا لسياسات قوى دولية عالمية ، ترى في تلك الجماعات خطرًا عليهم؛ لأنَّهم الذين يقاومون الاحتلال الأجنبي بكافة صوره وكل أشكاله، من ثقافي واجتماعي ، وسياسي واقتصادي ، وأخيرًا عسكري كما حدث في أفغانستان والعراق وجنوب السودان ، وما سيحدث في إيران وسوريا ومصر وسائر الدول الإسلامية والعربية تباعًا ، فعصر الاستعمار عائد لا محالة .

---

(١) « المرأة بين الشريعة وقاسم أمين » : صـ (٥٦ : ٥٩)

(٢) الجماعات الإسلامية ،منها ما هو معتدل ، ومنها ما هو متطرف ، ونحن سنعرض لأفكار قادة وعلماء بعض هذه الجماعات طالما كانت تتوافق مع الإسلام وليست مناقضة له .

تقول « فريدة النقاش » محاولة إهانة الحركة الإسلامية [(١)]:

وصف الحركة الإسلامية بأنها قوة رجعية معادية للمرأة وتدمر منجزاتها ليس « شتيمة» ولكنه وصف علمي واقعي ؛ إذ أن هذه الحركة تهدر مبدأ المساواة وتضع المرأة في مرتبة أدنى بسبب جسدها [(٢)].

كما تدعي عدم مناسبة أحكام الإسلام لكل زمان ومكان مع جمود التيار الإسلامي في تحقيق مرونة هذه الأحكام،فتقول : « البرامج الدينية ، تؤكد مقولاتها بالاستشهاد بنصوص من القرآن والسنة منزوعة من سياقها وتاريخيتها » .

وقد راكم التيار الإسلامي بكل فرقه أدبيات هائلة حول موضوع المرأة رفضت كلها فكرة تاريخية النصوص الدينية بعامة والمتعلقة فيها بالمرأة بخاصة ، وبالتالي ، وضعت المرأة في مرتبة أدنى ، وشطبت عمليًا على مبدأ المساواة ، وأصبحت القوامة والطاعة والحجاب والنقاب وضرب النساء وحجب الولاية الكبرى ، واشترط الزواج بولي والشهادة والميراث هي المبادئ الأساسية التي تهدر مبدأ المساواة الروحي والأخلاقي الذي تتضمنه النصوص الدينية المسيحية والإسلامية [(٣)] .

وتتمادى « فريدة النقاش » في الادعاء بأن الإسلام لا يصلح للحياة العصرية ، فتقول: « ونشأ ما يمكن أن نسميه بالبوتوبيا الإسلامية الرجعية ، التي ترى مستقبلنا الجميل الممكن قد تحقق فقط في الماضي الذي ينبغي علينا استعادته [(٤)].

ونحن نرد قائلين : الإسلام وأحكامه ودعاته لا يَضعُون المرأة في مرتبة أدنى إطلاقًا لا بسبب الأنوثة أو غيرها ، ولكن حدد لكل من الذكر والأنثى وظيفته التي تلائم طبيعته ، فاختلاف الوظائف لا يسبب رفعة جنس وانحطاط آخر .

وحيث إن الإسلام آخر دين سماوي شاء الله له الكمال لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، كما أراد له الدوام لكل زمان ومكان ،ومجتمع ، فقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، ثم حذر الله في الآية التالية لها من

(١) يقصد بالحركة الإسلامية : الدعاة الراشدون للعودة إلى تعاليم الإسلام والحكم بشريعة الله .
(٢) « حدائق النساء » : صـ (٢٧) .
(٣) « المرجع السابق » : صـ (٨٦) ، وانظر كتابنا : « المرأة بين الشريعة » .
(٤) « قاسم أمين » : صـ (٤٠) .

اتباع الدعاوى الباطلة المناوئة للإسلام ، فقال جل شأنه : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

كما وصانا رسول الله ﷺ: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » .

لقد نسيت الكاتبة أن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة على مر الزمان التي نسبت إلى دين، قد قامت على أسس قوية من تنفيذ تعاليم الإسلام، التي وصفتها بأنها يوتوبيا رجعية .

هذا ، وقد دخلت « سناء المصري » نفس المعركة فها هي تنتقد دعاة العودة إلى آداب الإسلام وشريعته ، فتقول : « وكما اتخذ العضو « محمود نافع » إخوان مسلمين أيضًا من موضوع المرأة حجة لإعداد قانون يلزم المرأة العاملة بارتداء الزي الشرعي ، ثم يلتقط منه طرف الحديث الشيخ صلاح أبو إسماعيل ، ليطالب بأنه قد آن الأوان بعد التعديلات الدستورية الإسلامية أن نضع للديمقراطية حدودًا ؟؟؟

هذا الشيخ الذي طالب بوضع حدود للديمقراطية ، وأن يذبح كل الأفكار والآراء المخالفة لهم يدعي الاعتدال حينما يكون مطلوبًا ، ولكنه في جوهر الأمر لا يختلف عن الدكتور « عمر عبد الرحمن » مفتي جماعة الجهاد الذي وقف يهاجم : النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض ، فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض ، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف بل يلزم استواءهما في الميراث ، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم ، وأن الطلاق ظلم المرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ، ونحو ذلك .

فيالرقة الشيخ الذي يريد استبدال كل القوانين المدنية بأخرى تحلل الرجم والقطع ، وتعدد الزوجات ، وغيرها من الأحكام التي يوافقه عليها الشيخ الغزالي والبهي الخولي وصلاح أبو إسماعيل ، وأعضاء مجلس الشعب عن التيار الإسلامي [١] .

ونحن نوضح لها ولأتباعها : إن اعتراض داعيات تحرر المرأة ينبع من فكر ثابت متفق عليه وهو أن الأديان وتعاليمها هي المناوئة لطريق دعوتهم ، وأن الحكم بالشريعة يعني ذهاب دعواهم إلى حيث لا رجعة ، وهم لا يعترفون بالحكم بشريعة الله القائل : ﴿ وَمَن

(١) « سناء المصري » : « خلف الحجاب » :صـ (٤٢) ومراجعها : « صلاح أبو إسماعيل ، مجلة الدعوة ، العدد (٥٠) السنة (٣٠) في (٢٤ / ٧ / ١٩٨٠) » ، « عمر عبد الرحمن » : « كلمة حق « دار الاعتصام » : صـ (٦٢) .

لَمْ يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥١ ، ٥٢] .

وقد صدق تعالي في وصف هؤلاء فقال : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٣] .

إن اعتراض «سناء المصري» على ما في الشريعة الإسلامية من أحكام الحدود والقصاص ، وغير ذلك والمطالبة بقوانين أخرى مدنية أكثر رقة ، هى دعوة صريحة لانحلال المجتمع ، وتدهور أخلاقياته ، فلا يوجد مجتمع في العالم لا يفرض عقوبات تناسب ما يقترف فيه من جرائم ، لردع كل مجرم ، أمن العدل ترك القاتل بلا عقاب باسم الرحمة والرقة؟! وأين العدالة ، والله العادل يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، أكان القاتل زاهق الأرواح يتسم بالرقة حين ارتكب جريمته حتى نكافئه بالرقة؟! إن هذه الادعاءات هي أسلحة لحرب الدين ، وقد وصف الله أصحابها ، بفاقدي العقل[١].

أما « إقبال بركة » فتدعي أن منبع فكر الجماعات الدينية هو آراء العلماء السابقين المتخلفين فكريًا ـ حسب ظنها ـ فتقول : « إن مشكلة الخلط بين النص الإلهي كما ورد في القرآن الكريم وما بين تفسيره كما سمحت به القدرات المحدودة الزمان ومكان وعقلية المفسر القديم تتضح بجلاء في موقف تلك الجماعات الدينية من المرأة ، لقد تأثروا بأفكار فقهاء عاشوا منذ مئات السنين أيام الجواري والمحظيات والعبيد ، أيام الفوارق الإجتماعية وتفشي الجهل بين العامة ، باختصار كانوا يعيشون في أزمنة لا وجه للشبه ولا المقارنة بينهما وبين زماننا هذا »[٢].

ونحن نردها إلى جادة الصواب قائلين : إن علماء وفقهاء القرون السابقة هم أصحاب العلم والفقه والصدق والأمانة الذين يصعب بل ويحال تكرار بعضهم حتى يوم الدين ، فقد جمعوا بين علوم اللغة والقرآن والحديث والفلسفة والفقه ، والإيمان والتقوى ، وصدق

(١) « المرأة بين الشريعة ودعوة قاسم أمين » : صـ (٨١ ، ٨٢) ، ومن العجيب أن دعاة التحرر هؤلاء يؤمنون بحرية المرأة في جسدها أي لها حق الزنا برضاها دون عقاب ، ومع ذلك فقد طالبوا بإعدام المغتصب الذي يزني بالمرأة دون رضاها حتى لو كانت بائعة هوى محترفة للزنا ؟!!

(٢) « الإسلام رؤية عصرية » : صـ (١٠٦) .

رسول الله ﷺ حيث قال عنهم: « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[١].

كما تُذكر الكاتبة أننا اليوم في زمن الجواري والمحظيات اللائي دخلن كل بيت مع أجهزة الاتصالات الحديثة ، من تليفزيون وفيديو وإنترنت وغيرها .

ونحن اليوم في أسوأ أزمان العبيد فالعبودية أصبحت عامة ، شعوب وحضارات وقوى عظمى تحتل شعوب ودول أصغر لتغتصب بترولها، وتذهب بذهبها، وتفض فضتها ، وتقتل وتسرق وتغتصب وتعذب عذابًا لم يعهده العالم من قبل [٢].

وما زالت الفوارق الاجتماعية شاسعة بين الدول وبين الأفراد ، وما زال الجهل متفشيًا بين العامة وتعداهم للخاص ، ولكنه جهل من نوع جديد يحجب عن العقول ضياء الدين، ويلقى بها إلى ظلمات الفن من رقص وطبل وغناء ، حتى نادت الأمم الحضارية العظمى والمنظمات الدولية بإباحة قتل النفس « الإجهاض » ،والدعوة الصريحة للشذوذ الجنسي الذي أصبح منظمًا في صورة زواج يسمى بين الرجل وشبيهه والأنثى ومثلها ، فهل نحن في حاجة إلى العودة إلى الدين أم لا ؟!

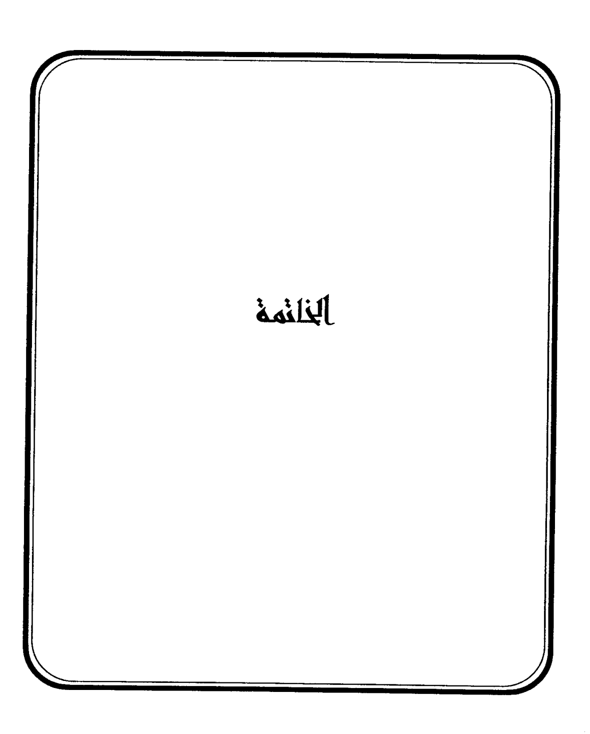
وخلاصة القول لم تتردى حضارة سابقة فيما تردينا نحن فيه الآن حتى أصبحت الدعوة للانحلال بشتى صوره وأشكاله دعوة عالمية تشرف عليها الأمم المتحدة ومؤسساتها ، ويدعو إليها رؤساء الدول العظمى ومفكروها ،حتى أصبح الشذوذ الجنسي دليل ساطع - في نظرهم - على التحضر والرقي !!!

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، ومسلم وغيرهما]

(٢) ظهرت الوحشية الغربية الأمريكية والإنجليزية في ما حدث بسجن « أبو غريب » بالعراق وغيره .





الخاتمة



الخاتمة

الاعتدال والتوسط هو الأساس المتين لصلاح كل شيء ، فالإفراط استغلال والتفريط ظلم ، والإفراط في الفرح والسرور قد يؤدي إلى الموت ، والتفريط فيهما قد يكون الطريق إلى الانتحار .

وقد نظمت الأديان السماوية حرية المرأة ، وأوضحت أحكامها حقوق النساء وواجباتهن عند الحاجة لعملهن خارج البيوت ، وذلك بلا إفراط أو تفريط ، وقد سما الإسلام بالمرأة ففاق كل دين وعلا على جميع القوانين .

ونتيجة لما عانته المرأة من الظلم في الغرب حتى وُصِفَت بأنها إنسان به روح شيطان وهي سبب مشاكل العالم الذي بدأ بطرد آدم وحواء من الجنة بسبب خطيئة حواء وإغواء الشيطان ـ الحية ـ لها ثم إغوائها لآدم ، حسب المفهوم اليهودي والمسيحي ـ فقد انبرى الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع للدفاع عن المرأة المنكوبة المظلومة المضطهدة، فطالبوا ـ في البداية ـ بحقوق النساء طبقًا لما جاء في الآيات ، بلا إفراط أو تفريط ، ثم رأى رجال الزراعة ثم الصناعة والتجارة والمال أن المرأة كنز ثمين لا ينضب إلا بفناء بني الإنسان ، وهذا الكنز مفتاحه عمل المرأة وخروجها بلا داع من بيتها ، فهي مستهلكة لأدوات الزينة والشعور المستعارة والملابس ، والأحذية ،ووسائل الرفاهية التي لا تعد ولا تحصى وكلها مرتفعة الأثمان ، باهظة التكاليف ، عالية نسب الأرباح ، ودائمة التكرار والتغير والتبدل ، كما أصبح مغادرة البيوت هو إعمار لها لما تحتاجه من أدوات كهربية وميكانيكية لمساعدة النساء ، كالثلاجة والغسالة ، والبوتاجاز ، وغسالة الصحون. . إلخ ، وهذا يعني إدارة المصانع للإنتاج والمعارض للبيع وإنعاش أحوال وزيادة أموال الأثرياء من رجال الاقتصاد .

وكثمرة من ثمار الاختلاط راجت تجارة الجنس ، سواء الجنس المقنن المنظم الهادئ الذي نراه في وظائف الموديلات العارية أو شبه العارية ، وعارضات الأزياء ، والممثلات والراقصات والمغنيات اللائي أصبحن حاليًا ـ غالبهن ـ يغنين اعتمادًا على اللحم وليس على اللحن ، كما روج لتجارة الجنس الفاضح كالزنى بالتراضي ، وبائعات الهوى وغير ذلك .

ومن ثم أصبحت تجارة الجنس ومستلزماته أهم وأغنى من تجارة السلاح ، فهو تجارة تزاول في كل زمان وأي مكان ، وعلى ذلك جند الساسة والعسكريون والكُتاب ورجال

ونساء الإعلام ، وأنفق عليهم المليارات ليروجوا لعمل المرأة وتحررها الذي يعني انتعاش كافة الأعمال ، ونمو وازدهار ثروات الغرب المصدر بضاعته للشرق ، وللأسف تنامى وتضخم دور المؤسسات السياسية العالمية كعصبة الأمم في القديم والأمم المتحدة في الحديث لتدعو وتدعم عن طريق اتفاقياتها ومؤتمراتها « تآمرتها » لهذا الفكر العقيم السقيم وتروج له وتجبر الدول الأعضاء على السير بهداه ، فإذا لم تستجب كانت العقوبات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية ، وكان التعاون وثيق بين القوى الاستعمارية ممثلة الآن في أمريكا وبريطانيا ثم أوربا لفرض هذه العفونة والسموم على بلاد العالم خاصة البلاد العربية والإسلامية ، وهؤلاء لا هدف لهم إلا حرب الإسلام ومحاولة النيل من أحكامه .

وبالرغم من أن الغرب عانى من الأمراض الاجتماعية والصحية والجنسية والأخلاقية ،وهي الحصاد المُر لما زرعه من بذور تحرر النساء ، وعملهن بلا ضوابط، وتعالى النداء ـ حاليًا ـ لعودة النساء لبيوتهن ، إلاَّ أن أبواقه أصمت آذاننا في الشرق باستمرار للترويج لحريات النساء المختلقة ، لتحقيق حلمه في هدم المجتمع الإسلامي وتقويض أركانه .

والنتيجة المشاهدة اليوم هي ضياع جيل بأكمله وأجيال أخرى قادمة ، إن لم يثب العالم إلى رشده ، ويرجع إلى أحكام الأديان .

وأعتقد أنه لن يمر جيلان أو ثلاثة على الأكثر ـ والله أعلم ـ إلا وستبدأ مرحلة جديدة من مراحل الحياة ، وهي العودة إلى تعاليم الأديان ، بلا إفراط أو تفريط ، ثم التطرف والتفريط في حقوق النساء ، وتدور عجلة الحياة .

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ الإنجيل .

٣ـ التوراة .

٤ـ زكى على السيد أبو غضة: المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ، المنصورة .

٥ـ الموسوعة اليهودية .

٦ـ زكى على السيد أبو غضة: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، المنصورة .

٧ـ الحافظ ابن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق د.عبد الحى الفرماوى ، دار اليقين ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٨ ـ زكى على السيد أبو غضة: الحجاب والختان والفقه بين الأديان السماوية ودعاة التحرر ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م المنصورة .

٩ـ د. سامي محمود : السلطة والجنس ، الكتاب العالمي ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

١٠ـ د. أنور زكي : المرأة في الكنيسة المصرية ، دار الثقافة بمصر .

١١ـ وليم باركلي : تفسير العهد الجديد ، دار الثقافة المسيحية ، الطبعة الثانية .

١٢ـ القمص تادرس يعقوب الملطي : من تفاسير وتأملات الآباء الأولين ، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج ، الطبعة الرابعة ١٩٩٦ .

١٣ـ القس/ مفيس عبد النور : دراسة في كولوسي ، دار الثقافة بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٩٠ .

١٤ـ متى بهنام: رسالة أفسس مفصلة آية آية، مكتبة كنيسة الأخوة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨١ .

١٥ـ إليزابيث أ ـ كلارك : الآباء والمرأة ، دار الثقافة بالقاهرة .

١٦ـ البابا شنودة الثالث : سنوات مع أسئلة الناس جـ٥، دار النشر الأسقفية .

١٧ـ زكى على السيد أبو غضة: المرأة بين الشريعة وقاسم أمين ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م المنصورة .

١٨- السيد سابق : فقه السنة ، دار الفتح للإعلام العرب ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٤م.
١٩- زكي علي السيد أبو غضة : الزواج والطلاق والتعدد بين الأديان والقوانين ، ودعاة التحرر ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م المنصورة .
٢٠- الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم .
٢١- الإمام النووي : رياض الصالحين ، دار الوفاء بالمنصورة .
٢٢- الشيخ/ محمد الغزالي : قضايا المرأة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م .
٢٣- الشهيد/ سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار العلم للطباعة والنشر بجدة .
٢٤- المرحوم الشيخ/ محمد المتولي الشعراوي : فقه المرأة المسلمة .
٢٥- الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ، دراسة بالكومبيوتر .
٢٦- الإمام / محمد الغزالى : إحياء علوم الدين .
٢٧- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : نساء النبى ، مكتبة الأسرة .
٢٨- ابن هشام : سيرة ابن هشام ، مؤسسة علوم القرآن ودار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة .
٢٩- محمد فريد وجدي : موسوعة القرن العشرين .
٣٠- عباس محمود العقاد : المرأة ذات اللغز .
٣١- مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز .
٣٢- الشيخ عطية صقر : موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ، الدار المصرية للكتاب ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .
٣٣- الإسلام ورعايته للطفولة ، هدية مجلة الأزهر لشهر صفر (١٤٢٠) .
٣٤- عبد الحليم أبو شقة : المرأة في عصر الرسالة ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .
٣٥- محمد سعيد مبيض: إلى غير المحجبات أولاً ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ .
٣٦- المستشار/ سالم البهنساوى: المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى٢٠٠٣م .
٣٧- خولة عبد اللطيف العتيقي : وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ،الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٣٨ـ محمد عطية الإبراشى : عظمة الإسلام ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٣م.
٣٩ـ عبد العزيز الشناوي: نساء خدمن فى جيش الرسول ﷺ، مكتبة الإيمان بالمنصورة .
٤٠ـ جورج برنارد شو : دليل المرأة الذكية ، ترجمة د « عمر مكاوي » ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى (ج . م . ع) .
٤١ـ محمد رشيد العوير : من أجل تحرير حقيقي للمرأة ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية (١٩٩٤) م .
٤٢ـ وليام هـ . تشيف :« المرأة الأمريكية » ترجمة : نور الدين الزراري ، مؤسسة سجل العرب ، سنة (١٩٧٩) .
٤٣ـ الخطر اليهودي وبروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي ، دار التراث بمصر .
٤٤ـ د . عبد الحليم محمود ـ شيخ الأزهر السابق : المشكلة الأخلاقية والفلسفة ، مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠٤) .
٤٥ـ د. محمد عبد القادر حاتم،الإعلام في القرآن الكريم ، مكتبة الأسرة سنة (٢٠٠٢).
٤٦ـ Ranjini Rebera : المرأة تصحح موقفها ، ترجمة كرم حبيب حلمي، من مطبوعات مجلس الكنائس العالمي ، دار نوبار للطباعة سنة (١٩٩١) .
٤٧ـ د. سامية الساعاتى : علم اجتماع المرأة .
٤٨ـ السيد محمد رشيد رضا : حقوق النساء في الإسلام،هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الآخرة (١٤٢٤) هـ ، الجزء الأول .
٤٩ـ الشيخ/ مصفى الغلاييني : المرأة في الفكر المعاصر .
٥٠ـ عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن الكريم ، دار الهلال .
٥١ـ الإمام/ محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم ، أخبار اليوم .
٥٢ـ د. أحمد محمد سالم : المرأة في الفكر العربي الحديث،الهيئة المصريةالعامة للكتاب .
٥٣ـ هدى شعراوي: مذكرات رائدة المرأة العربية الحديثة ، العدد (٣٦٩) سبتمبر (١٩٨١) .
٥٤ـ إمبراطورية النساء العاملات .
٥٥ـ سناء المصري : خلف الحجاب ، سينا للنشر ، الطبعة الأولى ، يناير (١٩٨٩) .

٥٦- د. نوال السعداوي : توأم السلطة والجنس .
٥٧- فريدة النقاش :حدائق النساء فى نقد الأصولية .
٥٨- د. بثينة أمين مرسي قنديل ود. أمينة محمد طاظم :عملالمرأةفى فكر المتعلمات ، مكتبة الأنجلو المصرية ،الطبعة الأولى (١٩٧٦).
٥٩- حنفى المحلاوي: النساء ولعبة السياسة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى سنة١٩٩٢م
٦٠- د. نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر التنوير، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .
٦١- الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار .
٦٢- روجيه جارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، دار الشروق بمصر .
٦٣- أبو إسلام أحمد عبد الله: الإجرام الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي ، دار الإسراء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سنة (١٩٩١) .
٦٤- روجيه (رجاء) جارودي » : « أمريكا طليعة الانحطاط ، دار الشروق .
٦٥- السيد محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، إصدار المؤتمر الإسلامي ، الطبعة السادسة ، سنة (١٩٥٦) ، مطبعة نهضة مصر .
٦٦- الشيخ/ محمد الغزالي : الإسلام والاستبداد السياسي .
٦٧- د. زينب عبد العزيز: تنصير العالم ، دار الوفاء بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
٦٨- د. أحمد عبد الرحيم السايح: الغزو الفكري في التصور الإسلامي (هدية مجلة الأزهر)، جمادى الأولى ١٤١٤ هـ .
٦٩- رجب البنا : الغرب والإسلام ، مكتبة الأسرة .
٧٠- زينب عبد السلام أبو الفضل: قوامة النساء ، المشكلة والحل الإسلامي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى (٢٠٠١) .
٧١- محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير .
٧٢- درية شفيق : امرأة مختلفة ، مكتبة الأسرة لعام (٢٠٠٣) م .
٧٣- نبوية موسى : تاريخى بقلمى ، مكتبة الأسرة ، سنة (٢٠٠٣) م .
٧٤- د. نوال السعداوي : مذكرات طبيبة، دار الآداب ببيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٣ .
٧٥- د. يونان لبيب رزق: المرأة المصرية بين التطور والتحرر، مكتبة الأسرة، سنة ٢٠٠٢م .

٧٦ـ المؤتمر الاستثنائي لقمة المرأة العربية ، المجلس القومي للمرأة بمصر سنة ٢٠٠٢م .
٧٧ـ المرأة والمجتمع ـ وجهة نظر علماء الاجتماع ـ ، دار المعرفة الجامعية بمصر، سنة ١٩٩٨م، عن مقال مترجم كتبته « كونستانتياسا فيليوس » .
٧٨ـ المؤتمر الثالث للمجلس القومى للمرأة : المرأة وتحديث المجتمع ،مارس (٢٠٠٢) م .
٧٩ـ بحث بمجلة عالم الفكر : إبريل سنة ١٩٧٦م .
٨٠ ـ القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية .
٨١ ـ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد (٤٠١) المحرم (١٤٢٥) .
٨٢ ـ الخضري عبد المنعم السيد ، « الوعي الإسلامي » ، العدد (٤٣٠)، جمادى الآخرة (١٤٢٢) م.
٨٣ ـ مجلة الوعي الإسلام ، مقال عبد الله بدران ، عدد شوال (١٤١٨) هـ .
٨٤ ـ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، مكتبة الأسرة ، سنة (١٩٩٩) .
٨٥ ـ الشيخ/ ناصرالدين الألبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة .
٨٦ ـ الشيخ/ موسى صالح شرف : منار الإسلام ، المحرم ١٤٢٠هـ ، إبريل ١٩٩٩ .
٨٧ ـ عبد الرب نواب الدين : عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، دار الزهراء بالرياض.
٨٨ ـ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية .
٨٩ ـ قاسم أمين : المرأة الجديدة .
٩٠ـ مجلة « منار الإسلام » ذو القعدة (١٤٢٢) هـ ، يناير ، فبراير سنة (٢٠٠٢).
٩١ـ د.عزيز سوريال عطية :الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، دار الثقافة بمصر ، ط (٢) .
٩٢ـ د.علي محمد « عجلة مجلة « منار الإسلام»، العدد (١١) سنة (٢٧) ، ذو القعدة (١٤٢٢) هـ ، يناير وفبراير (٢٠٠٢) م .
٩٣ـ المرأة والمجتمع ـ وحرية نظر علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، سنة (١٩٩٨) .
٩٤ـ تطور أوضاع المرأة في عهد مبارك (١٩٨١ : ٢٠٠٢) م : صـ (١٣١ ، ١٣٢) ، المجلس القومي للمرأة » .
٩٥ـ « المنتدى الثالث » : « المرأة وسوق العمل » : القطاع الرسمي وغير الرسمي المنعقد (٨ / ٧ / ٢٠٠١) م ، وما بعدها ، المجلس القومي للمرأة .

٩٦- الشيخ/ سليمان محمد العودة : المرأة بين البيت والعمل » ، دار الخلفاء بالمنصورة .
٩٧- زكية حجازي : المرأة والزواج وحقوق الشباب .
٩٨- د. نوال السعداوي : الأنثى هي الأصل .
٩٩- صلاح حافظ : الكتاب الذهبي ، روزاليوسف .
١٠٠- أ .د .يوسف القرضاوي :التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ، نموذج تركيا وتونس ، أندلسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٠) .
١٠١- د. سامية مصطفى الخشاب: المرأة والعمل المنزلي، مكتبة الأنجلو المصرية سنة١٩٨٣م.
١٠٢- القس د. فايز تادرس: مقال بمجلة أجنحة النسور، العدد (٣٩٨) نوفمبر سنة ١٩٩٥.
١٠٣- رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس [الإصحاح : ١١] .
١٠٤- ابن منظور : لسان العرب .

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الباب الثاني
عمل المرأة في الفكر الحديث

الباب الثالث

تطور الدعوة لعمل المرأة وتحررها من المشروع إلى الممنوع

الباب الرابع
دعاوى عمل المرأة وتحررها الأسس والمبادئ

